Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

كتاب

فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء

للشيخ الامام العلامة

احمد بن محمد ابن عرب شاه

تاليف العبد الحقير

الشيخ المعلم فى المدرسة الكلّيّة الفريدرخولهلميّة

غيورْغ وِلْهَلْم فرَيْتَغْ

طبع
بآلات ملكنا الاعظم ادام الله ملكه
فى مدينة بُنْ المحروسة
سنة ١٨٣٢ لمسيحيّة

Digitized by Google

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شهدت الكاينات بوجوده، وشمل الموجودات عميم كرمه وجوده، نطقت الجمادات بقدرته، واعربت العجماوات عن حكمته، وتخاطبت الحيوانات بلطايف صنعته، وتناغت الاطيار بتوحيده، وتلاغت وحوش القفار بتفريده، كلّ باذل جهده، وانْ من شي الا يسبّح بحمده، بل المكان ومن فيه، والزمان وما يحْويه، من نامٍ وجامد، ومشهود وشاهد، شاهد، بانه اله واحد، منزّه عن الشريك والمُعاند، مقدّس عن الزوجة والولد والوالد، مُبرّأ عن المُضادد والمنادد، مسبّح باصناف المحامد، احمَدُه حمْدا تنْطق به الشعور والجوارح، واشكره شكرًا يصيد نعمه صيْد الصيْد بالجوارح، واشهد ان لا اله الا الله، وحده لا شريك له، ربّ اودَع أسْرار ربوبيّته فى بريّته، واظهر انوار صَمَديّته فى حيوانىْ بحره وبرّيّته، فبعضْ مُغربْ بلسان قاله، وبعض معرب ببيان حاله، تسبّحه السمّواتُ باطيطها، والارض بغطيطها، والابحر بخريرها، والاسد بزئيرها، والجبال بهديدها، والطير بتغريدها، والرياح بهبوبها، والبهايم بهبيبها، والهوامّ بكشيشها، والقدور بنشيشها، والخيل بضَبْحها، والكلاب بنبْحها، والاقلام بصريرها، والنيران بزفيرها، والرعود بعجيجها، والبغال بشحيجها، والانعام برُغايها، والاغنام بثُغايها، والذباب بطنينها، والقسىّ برنينها، والنياق بحنينها، والظباء بحنينها، كل قد عَلم صلواته وتسبيحه، ولازم أدّاء غبوقه وصبوحه، وعمّروا بذلك جسدهم ورُوحهم، ولكن لا تفقهون تسبيحهم، واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله، الذى من صدقه اينع مرامه واثمر سؤْله، افضلُ مَنْ بُعث بالرسالة، وسلّمتْ عليه الغزالة، وكلّمه الحجر، وآمَن به المَدر، وانشقّ له القمر، ولبّت دعوته الشجر، واستجار به الجمل، وشكى اليه شدة العَمَل، وحنّ اليه الجِذْع، ودرّ عليه يابسُ الضرْع، وسبّح فى كفّه الحصا، ونبع من بين اصابعه الماء، وصدّقه ضبّ البرّيّة، وخاطبته الشاة المَصليّة، صلّى الله عليه صلوةً تنطُق بالاخلاص، وتَسْعى لقايلها بالخلاص، يومَ يُؤْخذ بالنواصى، ويومر للجمّاء من القرْناء بالقِصاص، وعلى آله اسود المعارك، واصحابه شموس المسالك، وسلّم تسليما، وزاده شرفا وتعظيما

اما بعد فان الله المقدّس فى ذاته، المنزّه عن سمات النقْص فى صِفاته، قد اودع فى كل ذرّة من مخلوقاته، من بديع صنعه ولطيف اياته، ومن الحِكَم والعِبَر، ما لا يُدْركه البصر، ولا يكاد تهتدى اليه الفِكر، ولا يصل اليه فهم ذوى النظر، ولكن بَعْض ذلك للبَصَر بالرَصَد، ظاهرٌ يدركه كلّ احد، قال الله تعالى، وجل شانُه جلالا، وفى الارض اياتٌ للموقنين، وفى انفسكم افلا تُبصرون، وقال تعالى سنُريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم وقال عزّ من قايل، فى كلامه الطايل، ان فى خَلْق السموات والارض واختلاف

Digitized by Google

الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السما من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون قال الشاعر

ففى كل شىء له آية تدل على انه واحد

لكن لما كثرت هذه الايات والحكم، وانتشرت ازهار رياضها فى وهاد العقول والاكم، وترادف ما فيها من العجايب والعبر، وتكرر ورود مراسيمها على رعايا السمع والبصر، اعتادتها النفوس، ولم يكترث لوقوعها القلب الشموس، ولم يستنجهن وجودها، ولم يلتفت الى حدوثها، فكثر فى ذلك اقوال الحكما، وتكررت مقالات العلما، فلم تصغ الاسماع اليها، ولا عولت الافكار عليها، فقصد طايفة من الاذكيا، وجماعة من حكما العلما، ممن يعرف طرق المسالك، ابراز شىء من ذلك، على السنة الوحوش، وسكان الجبال والحروش، ومن هو غير مالوف الطباع، من البهايم والسباع، واصناف الاطيار، وحيتان البحار، وساير الهوام، فيسندون اليها الكلام، لتميل لسماعه الاسماع، وترغب فى مطالعته الطباع، لان الوحوش والبهايم، والهوام والسوايم، غير معتادة بشى من الحكمة، ولا يسند اليها ادب ولا فطنة، بل ولا معرفة ولا تعريف، ولا قول ولا عقل ولا تكليف، لان طبعها الشماس، والاذى والافتراس، والافساد والنفور، والعدوان والشرور، والكسر والتفريق، والنهش والتمزيق، فاذا أسند اليها مكارم الشيم، ووصفت بمحاسن الاخلاق والكرم، وأخبر انها تعاملت فيما بينها بموجب العقل والحكم، وسلكت وهى مجبولة على الجفا سبل الوفا، ولازمت وهى مطبوعة على الكدورة طرق الصفا، وتعاطت وهى ظالمة اسباب العدل، وتعلقت وهى حايرة باطناب الفضل، أصغت الآذان الى استماع أخبارها، ومالت الطباع الى استكشاف آثارها، وتلقتها القلوب بالقبول والصدور بالانشراح، والبصاير بالاستبصار والارواح بالارتياح، لكونها اخبارا منسوجة على منوال عجيب، وآثارا سدا لحمتها ظهر فى صنع بديع غريب، لا سيما الملوك والامراء، وارباب الدول والرؤساء، والسادات والكبرآء، وابنآء الترفه والتنعم، وذوو المكارم والتكرم، اذا قرع سمعهم قول القايل صار البغل قاضيا، والنمر طايعا لا عاصيا، والقرد رييس الممالك، والثعلب وزيرا لذلك، والدب مورخا اديبا، والحمار منجما طبيبا، والكلب كريما، والجحش نديما، والغراب دليلا، والعقاب خليلا، والحداة صاحبة الامانة، والفارة كاتبة الخزانة، والحية راقية، والبومة ساقية، وضحك النمر متواضعا، وغدا الاسد لانشاد الذيب سامعا، ورقصت الغزالة فى عرس القنفد، وغنى الجدى فطرب الجدجد، وتصادق القط والجرذان، وصار السرحان راعى الضان، وعانق الليث الجل والذيب الحمل، ورفع الباشق الحمامة على رقبته وحمل، ارتاحت لذلك نفوسهم، وزال عبوسهم، وانشرحت خواطرهم، وسرت سرايرهم، واصغت اليه اسماعهم، ومالت اليه طباعهم، وادى طيشهم، الى ان طاب عيشهم، ولكن اهل السعادة، وارباب السيادة، ومن هو متصد لفصل الحكومات، والذى رفعه الله له الدرجات، وانتصب لاغاثة الملهوفين، وخلاص المظلومين من الظالمين، والمتنبهون بتوفيق الله لدقايق الامور، وحقايق ما تجرى به الدهور، اذا تأملوا فى لطايف الحكم، والفوايد التى اودعت فى هذه الكلم، ثم تفكروا فى نكت العبر، وصفات العدل والسير، والاخلاق

الحسنة، والقضايا المستحسنة، المسندة التى ما لا يعقل ولا يفهم، وهم من اهل العقل الذى به تشرّف الانسان وتكرّم، يزدادون مع ذلك بصيرة، ويسلكون بها الطُرق المستنيرة، فتتوفر مسرّاتهم وتتضاعف لذّاتهم، وربّما ادّى بهم فكرهم، وانتهى فى انفسهم امرهم، انّ مثل هذه الحيوانات، مع كونها جمادات، اذا اتّصفت بهذه الصفة، وهى غير مكلّفة، وصدر منها مثل هذه الامور الغريبة، والقضايا الحسنة العجيبة، فنحن اولى بذلك، فيسلكون تلك المسالك، وقد ضرب الله ذو الجلال، فى كلامه العزيز الامثال، فقال مثل الذين اتّخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا وانّ اوهن البيوت لبيتُ العنكبوت لو كانوا يعلمون وقال سبحانه بعد ذلك وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال سبحانه، ما اعظم شانه، يا ايها الناس ضُرب مثلٌ فاستمعوا له ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذبابُ شيئًا لا يستنقذوه منه ضعُف الطالب والمطلوب وقال تعالى ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وقال تعالى واوحى ربّك الى النحل ان اتّخذى من الجبال بيوتًا ومن الشجر وممّا يعرشون الآيتين وقال تعالى انّا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسانُ انه كان ظلوما جهولا وقال تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخانٌ فقال لها وللارض آيتيا طوعًا او كرهًا قالتا اتينا طايعين اسند سبحانه وتعالى الافعال والاقوال الى الجمادات بعد ما وجّه الخطابَ اليها وقد قال تعالى الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمرُ والنجومُ والجبالُ والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب وكل ما جاء على هذه الطريقة، فانه بالنسبة اليه تعالى حقيقة، لانه قادر على كل شئ، وسواء عنده الميّت والحىّ، ولا فرق فى كمال قدرته، وبالنظر الى اختياره ومشيّته، فى تصوير كمال عظمته وهيبته، بين الناطق والصامت والنامى والجامد، والشاهد والغايب والآتى والذاهب، كما لا فرق فى هذا الكمال، بين الماضى والاستقبال، وقال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وقال تعالى فوجدا فيها جدارا يُريد ان ينقضّ وقال تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقال فى الهدهد فقال احطتُ بما لم تُحِط به وقال الشاعر

ولو سكتوا اثنتْ عليك الحقايبُ

وقالت العرب فى امثالها قال الجدارُ للوتد لِمَ تشقّنى، قال سَلْ من يدقّنى، قل لمن ورائى، يتركنى ورائى، وقالوا اكرمُ من الاسد واشجع من الليث وقالوا رايتُ اسدا يرمى وظبيًا يصيد الاسدَ ومن اشهر امثالهم قالوا ان الارنب التقطت تمرةً فاختلسها الثعلب فاكلها فانطلقا يختصمان الى الضبّ فقالت الارنب يا ابا حِسْل قال سميعا دعوتِ قالت اتيناك لنختصمَ اليك قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال فى بيته يُوتى الحكم قالت انى وجدتُ تمرة قال حلوة فكليها قالت فاختلسها الثعلب فاكلها قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك اخذتِ قالت فلطمنى قال حرٌّ انتصر قالت فاقض بيننا قال قضيتُ فذهبت هذه الاقوال امثالا وقالوا تحككت العقرب بالافعى وقال الشاعر قام الحمام الى البازى يهدّده واستصرخت باسود البرّ اضبعُهُ وهذا امر

Digitized by Google

مستفيضٌ مشهور، معروف بين الأمم غير منكور، والمرادُ التمثيلُ والتنظيرُ، والاستدلالُ بالقليل على الكثير، فيتفكّرُ السامعُ تارةً ويتفكر اخرى، ويتنقّل فى ذلك من الاجلى الى الاخفى، ويتوصّل بالتامّل فى معانيه من الادنى الى الاعلى، ومن جملة ما صُنّف فى ذلك واشهره، وما فاق على نظايره بمخبره ومَنْظره، وحاز فنون الفطنة، كتاب كليلة ودمنة، والمستميل بحكمه الطباع، كتاب سُلوان المُطاع، والمُفحم بنظمه العجيب، كلَّ شاعرٍ واديب، مُعْجز الضراغم، الصادح والباغم، وفى غير لسان العرب، ممّن يتعانى فنّ الادب، جماعة وضعوا اقاويله، وسلكوا من هذا النمط طريقه، لكن تقادمَ عَصْرُهم، واشتهر امرُهم، وتكرر ذكرهم، وصارت مصنّفاتُهم مطروقة، وعتاق نجايبها فى ميدان التامّل عتيقة، فاقتلذت من درى فلذة، وعَمِلْتُ بموجب لكل جديد لذة، وسيّرتُ فارسَ الافكار، فى ميدان هذا المضمار، وقصدتُ من الفايدة ما قصدوه، ومن العايدة فى الدارين فوق ما رصدوه، فجاء مما بلغنى عن نَقَلة الاخبار، وحَمَلة الاثار، ورواة الاسمار، على لسان شيخ اللطايف، ومنبع المعارف، وامام الطوايف، ومَجمع العوارف، ذى الفضل والاحسان، ابى المحاسن حسّان، فجاء هذا الكتاب، نزهة لبنى الاداب، وعمدة لأولى الالباب، من الملوك والنوّاب، والامرا والحجّاب، وجعلته عشرة ابواب، ومن الله استمدّ الصواب، واستغفره من الخطاء فى الخطاب، والجوابّ انه رحيم توّاب، كريم وهّاب، وسمّيته فاكهة الخلفاء، ومفاكهة الظرفاء، قلت

وان تغُصْ بَحْرَ علمى تهتدِ منه الى ... دُرٍّ يُنير عيونَ العقلِ فى الصَدَفِ
البَسْته من خِلاعاتِ النُهى خِلَعًا ... وربّما ازدان عَقْدُ الدرّ بالخزَفِ
والفضلُ يحتاجُ فى ترويج سِلْعته ... الى الخرافة والمعقولُ للخَرَفِ
فاعبُرْ عن الزَجْرِ تَجْنِ الثمرَ منهُ ولا ... يُلْهِيك عن دُرّه اضْحوكة الصَدَفِ

الباب الاول فى ذكر ملك العرب، الذى كان لوضع هذا الكتاب الداعى والسبب
الباب الثانى فى وصايا ملك العجم، المميّز على اقرانه بالفضل والحكم
الباب الثالث فى حِكَم ملك الاتراك، مع خَتَنه الزاهد شيخ النُسّاك
الباب الرابع فى مباحث عالم الانسان، مع العفريت جانى الجانّ
الباب الخامس فى نوادر ملك السباع، ونديميه امير الثعالب وكبير الضباع
الباب السادس فى نوادر التَيْس المَشْرقى، ووزيره الكلب الأَقْرقى
الباب السابع فى ذكر القتال بين ابى الابطال الريبال، وابى دغفل سلطان الافيال
الباب الثامن فى حِكَم الاسد الزاهد، وامثال الجمل الشارد
الباب التاسع فى ذكر ملك الطير العقاب، والحجلتين الناجيتين من العقاب
الباب العاشر فى معاملة الاعداء والاحباب، وسياسة الرعايا والاصحاب، ونُكَت واخبار، وتواريخ اخيار واشرار

Digitized by Google

الباب الاول

فى ذكر ملك العرب الذى كان لوضع هذا الكتاب الداعى والسبب

قال الشيخ ابو المحاسن، بلغنى من ذى فضل غير اسن، انه كان فيما غبر من الزمان قيل من الاقيال، غزير الافضال، عزيز المنال، وارف المعارف فاضل الفضايل وافر السيادة، كامل السعادة، ذوحُكم مُطاع، وجنود وأتّباع، وممالك واسعة، ذات اطراف شاسعة، تحت اوامره ملوك عدّة، ذو سَطْوة ونَجْدة، وله من الاولاد الذكور، خمسة انفار كلّ بالشهامة مذكور، وبالعلم والحلم مشهور ومشكور، مترشّح للسلطنة، متوقّ من والده مكانا من الامكنة، وكان اصغرهم عند ابيه، وهو مميّز على اخوته وذويه، شمسىّ المنظر، اياسىّ المَخْبر، ذو فهم مُصيب، وروْض عقل خصيب، واسمه فى فضله حَسيب، قد حصّل انواعًا من العُلوم، وادركها من طريقى المنطوق والمفهوم، فكان لهذا الفضل الجسيم، يُدْعى بين الصغير والكبير بالحكيم، فلما دعا اباهم داعى الرحيل، وعكم الى دار البَقاء احمال التحويل، استولى على السرير، اكبر اولاده، واطاعه اخوته وروس امرايه واجناده، وصار السعد يُراقبه، والمُلك بلسان الهَناء يخاطبه،

شعر نجومُ سماء كلّما انقضّ كوكب بدا كوكب تاوى اليه كواكبُهْ

واستمر اخوته فى خدمته، مغتنمين ايادى طاعته، رافلين فى خِلَع مَحبّته ومودته، ومضى على ذلك بُرْهة، وهم فى أرْغد عيش واتمّ نُزْهة، ثم انه حصل فى خواطر الاخوة، ما يَخْطر فى خواطر الاكفاء من الجفوة، ويثمّره الحسَدُ من الصدة والنَبْوة، فداخلتهم النفاسة، وطلبوا كأخيهم الرياسة، فقلبوا لاخيهم ظَهْرَ المِجنّ، واظهر كل ما اكنّ، وقيل عنه ما اجنّ، واراد شقّ العصا، وان يُشْهَر عنه انه عصى، غير ان اخاهم الحكيم، افتكر فى عاقبة هذا الامر الوخيم، وامعن فيه النظر، وساورته الوساوس والفكر، فانه وان كان اغزرهم ذكاء، واوفرهم وفاء، فهو اصغرهم عمرا، واحقرهم قدْرا، لا طاقة له على الاستبداد، ولا ان ينحاز الى احد من ذوى العناد، اذ الانحياز الى احدهم ترجيحٌ بلا مُرَجّح، وتصحيح احد المتساويَيْن من غير مُصحّح، فادّى اجتهاده الى الاعتزال، وتقليد مذهب الاعتزال، والقول بوجوب رعاية الاصلح، ومن امكنه العزلة خصوصا فى زمن الفتن فقد افلح، فاخذ يفكر فى تعاطى اسباب الخلاص، وكيفية التفصّى عن عقدة هذا الاقتناص، واستنهض الفكرة الحايرة، لتنفر به من سُور هذه الدايرة، وتاخذ به الى جهة على حدة، الى ان ينجلى غبار هذه المناكدة، ثم اتّبع الكتاب، فى مشاورة الاصحاب، فشاور ثقة، من اهل المقة، وعرض عليه راى العزلة، وكيف يتمكّن من هذه النعمة الجزلة، فقال له بعد ان استصوب رايه، طريقُ التوصّل الى الانفراد يا ذا الدراية، ان تستدن فى تاليف تصنيف، وترصيف تاليف، يشتمل على فنون من الحكمة، وانواع من دقايق الادب والفطنة، ولطايف تتهذّب بها أخلاق العباد، وتكون عونًا على اكتساب مصالح المعاش والمعاد، وتتوفّر بها مكارمُ الاخلاق والشيَم، وتدعو الى تهذيب النفس وطرايق الفضل والحِكَم، فيشهر بذلك غزارة علمك، ويشتهر بين الخاصّ والعامّ نباعةُ فضلك وحلمك،

ولا يقف احدٌ فى طريقك، ولا يقدر ان يتصدّى لتعويقك، ويحصل بذلك فوايد جمّة، أدناها الخلاص من ورطة هذه الغمّة، الى ان ينجلى دجاها، وتتجلّى شمس الاستقامة وضحاها، فاستقرّ راى الحكيم حسيب، على العمل بهذا الراى المصيب، ثم توكّل على الله واعتمده، وتوجّه الى ما قصده، ودخل غير مرتّباك، على الملك، وقبّل الارض، ووقف فى مقام العرض، وذكر ما عزم عليه، وتوجه قصده اليه، بعبارة رقيقة، والفاظ رشيقة، فتامّل الملك فى خطابه، وتوقّف فى جوابه، وكان للملك وزير، ذو فضل غزير، فى غاية الحصافة، والمعرفة والظرافة، ان لطّف كان راقة، وان كثف كان آفة، بديع الشرور، بعيد الغور، ان رفع ابلغ الثريّا وان وضع انزل الى الثور، بينه وبين الحكيم، من سالف العهد وقديم، عداوة مؤكّدة، وضدّة مؤبّدة، وتحاسد الاكفآ غلّ قمل، وعداوة النظراء جرح لا يندمل، فبلغه ما انْبى الحكيم، الى مسامع الملك الكريم، فتصدّى للمعارضة، وتهيا للمعاكسة والمناقضة، واقبل يرفل فى ثوب المكر، وقد سدّد سهام الختل والختر، حتى وقف فى مقامه، واستطرد الى قضيّة الحكيم فى كلامه، واجرى ذكره بالمناسبة، وعرض باموره فى المخاطبة، فذكر الملك له كلامَ اخيه، واستشار الوزير فيه، فاغتنم الفرصة، واراد القاءه فى غصّة، بايراد مثل قصد به اذآه وقصّه، ثم قال امّا ما قصده الحكيم، من العزلة فهو راى قويم، وفكرٌ مستقيم، لان الاعدآء اذا تفرّقوا، تشققوا، ومتى قلّوا، ذلّوا، وقد قيل شعر

وما بكثيرٍ الفُ خِلٍّ وصاحبٍ وان عَدُوًّا واحدًا لكثيرُ

واذا نقص اعداء الملك واحد لا سيما مثل اللئيم، حسيب الحكيم، فهى نعمة طايلة، وسعادة حاصلة، ودولة مستصحبة، وكما قيل نعمة غير مترقّبة، ويتوصّل من ذلك، الى تشتيت امرهم الحالك، وتصادم اقوالهم، وتخالف احوالهم، واضطراب ارآيهم وافعالهم، كما قيل شعر

وتشتُّتُ الاعدآء فى ارآيهم سَبَبٌ لجمع خواطرِ الاحباب

واما قصده من وضع الكتاب، فانه خطا لا صواب، وتستّره بان فيه فوايد وحكما، واقوال العلماء والحكماء، وان يرفع للعلم علما، فانه مكر وخديعة، من سوء السريرة وخبث الطبيعة، يريد ان يستر جبلّه، وان يظهر على فضل الملك فضله، ويستميل بذلك الوسواس، قلوب الناس، فتنصرف الوجوه اليه، وتقبل الرعايا عليه، ولكن مولانا الملك، لا يمنع ذلك المنهمك، ويجيبه الى ما سال، ويناليه بما بذل، ويلزمه بالانفراد، ويتبعه لما اراد، وعدم الاجتماع بالناس، ليياس منه الباس، ويشتغل بنفسه، وينقلب فى طرده وعكسه، واسال مولانا السلطان، ذا الايادى والاحسان، قبل الاذن له، وشروعه فى المسئلة، ان يجمع بينى وبينه، لاكشف من زيفه عينه، وابين شينه وزينه، واظهر لمولانا السلطان زوره ومينه، فيتحقق دسايسه، وما بنى عليه وساوسه، وادّى اليه فكره، ووصل اليه خداعه ومكره، فعند ذلك يرى رايه الشريف، ما يقتضيه امره العالى المنيف، فاجابه الى سواله، وامر طايفة من رجاله، فطيّرهم الى الافاق، براسم جمعها الاتفاق، الى روساء مملكته، وكبراء دولته، باستدعاء العلماء، وذوى الفضل والحكماء، واولى الاراء والصلحاء، ومن يشار اليه بالفضايل، ويتّسم بسمة من الفواضل، وكل اديب اريب، من بعيد وقريب، وقطى

وغريب، وبيّن لهم مكانا، يجتمعون اليه، وزمانا لا يتأخّرون عنه ولا يتقدمون عليه، فاجتمع القوم، فى ذلك اليوم، حسبما بَرَز المرسوم، فى المكان المعلوم، وجلس الملك فى مجلس عامّ، وحضره الخواص والعوامّ، واستدعى اخا الحكيم، وقابله بالاحترام والتكريم، وانواع الاحسان والتعظيم، ثم قال ايها الاخ الكريم، والفاضل الحكيم، كان قد تقدّم منك الالتماس، بالاذن فى مصنّف ينفع الناس، مشتمل على الفوايد، وفنون الحِكَم والعوايد، يُكسِب الثواب الجزيل، ويخلّد الذكر الجميل، فاحببْتُ ان يكون ذلك بحضرة العلماء، ومجمع من الاكابر والفضلاء، واتّفاق آرآء الحكماء، وارباب الدولة والمناصب، وذوى الوظايف والمراتب، واهل الحلّ والعقد، المتصرّفين فى الحِكَم والامثال بالنقد، لياخذ كل منهم حظّه، ويشنّف سَمْعه ويزيّن لفظه ولحظه، فتعمّ الفايدة، وتشتمل العايدة، ويتحقق كل سامع وقايل، ما لك من الفواضل والفضايل، وتتميّز على أقْرانك، ورؤسآء زمانك، ويبلغ الاطراف، وساير الاكناف، ما تُديك بالناس من اسعاف، وما قصدته لهم من أحسان وألطاف، فيتوفّر لك الدعآء، ويتكرّر الشكر والثنا، لعظْم فضلك وعقلك، وحسن ارايك فى نقلك، وقد اذنّا لك فى الكلام، وسلّمنا الى يد تصريفك منه الزمام، لعِلْمنا انك فارس ميدانه، وفى بيان معانيك بديع بيانه، ولسان فصاحتك يُدَحرِجُ كُرة البلاغة كيف شاء بصَوْلجانه، فقُلْ ما بدا لك، احسن الله مآلك، فنهض الحكيمُ من مقامه، وحسَر طَرْف لثامه، وبادر الارضَ بالتثامه، وقال حيثُ انّ مولانا السلطان، وتصدّق بالاذن فى حُسْن البيان، فلا بُدّ من اتمام الاحسان، وذلك بالاصغآء، وحسن الرعاية والارعاء، فان حسن الاستماع، هو طريق الانتفاع، وهو الدَرَجة الثانية، وهى مرتبة سامية، فان حُسْن الادآء، هو المرتبة الاولى، وتليها يا مَلِكًا مُطَاع، مَرتبة حسن الاستماع، ثم تليها فى الزيادة، مرتبة الاستفادة، والمرتبة الرابعة، وهى الجامعة النافعة، دَرَجة العَمَل، فيه الفضل كَمَل، واما الغاية القُصْوى، والدَرَجة العُلْيا، والمرتبة الفاخرة، فهى الاخلاصُ فى العَمَل وطلب الآخرة، واتّباعُ رضا المولى، بتَرْك السُمْعَة والريا، ثم لتُحيط العلوم الرجيحة، ان النصيحة من حيث هى نصيحة، تشمئزّ القلوب منها، وتنْفر النفس عنها، لان النفس مايلةٌ الى الفَساد، والنصيحة داعيةٌ الى الرَشاد، والنصيحة محْضُ نفع ولا ضر، وخيرٌ وبرّ، والنفس مطبوعةٌ على الاذى والشرّ، فبَيْنَهما تنافرٌ من اصل الخِلْقة، وتباينٌ من نَفس الفِطرة، والنفسُ مايلة الى ما جُبلت عليه، والنصيحة تجذُبُ الى ما تدعو اليه، قال العزيز الجبّار والقهّار، حكاية عن الاخيار والكفّار، ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار، تدعونني لاكفر بالله، واشرك به ما ليس لى به علْم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار، فالسعيدُ من تامّل فى معانى الحِكَم، وسلك السبيل الاقوَم، وتَدبّرَ فى عواقب الامور بالافكار، وتلقّى الاشياء من طرق الاعتبار، وقد قيل شعرٌ

اذا لم يُعِنْ قولَ النصيح قبولٌ فانّ معاريضَ الكلام فضولُ

ثم عِشْ وآسلَم، وتبقّى واعلمْ، يا ملك الزمان، ان افضل شى حلّ فى وجود الانسان، واحسن جوهرة تزيّن بها عقْد تركيبه، العقل الداعى الى كيفية تهذيبه فى أساليبه، واشرف دُرّة ترصّع بها تاجُ العقل فى تزيينه وترتيبه، الخُلق الحسن الذى فضّل الله به خيرة خَلْقه فى تعليمه وتاديبه،

وخاطب بذلك النبيّ الكريم، وانك لعلى خلق عظيم، وبالخلق الحسن ينال شرف الذكر في الدارين، ولا يضع الله الخلق الحسن الا في من اصطفاه من الثقلين، وافضل جنس الانسان، بعد الرسول الرفيع الشان، الملك الذي يحيى شريعته، ويتبع سننه وطريقته، واذا كان الملك حسن الخلق والفعال، فهو في الدرجة العليا من الكمال، قال الرسول النجيب، صاحب التاج والقضيب، محمد المصطفى الحبيب، صلى الله عليه صلاة يتمسك باذيالها الشيب، ويترنح لنسمات قبولها الغصن الرطيب، الا اخبركم على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب، وروى ان ذلك السيد السديد، الكامل المكمل الرشيد، اتى برجل فكلمه فارعد فقال هون عليك فاني لست بملك ولا جبار انا ابن امراة من قريش كانت تاكل القديد، ومن جملة حسن الخلق العدل، والشفقة على الرعية والفضل، واذا حسن خلق الملوك العلية، صلحت بالضرورة الرعية، طايعة او كارهة، وجرت في ميدان الطاعة فارعة، لان الناس على دين ملوكهم، سالكون طرايق سلوكهم، وارذل مادة الملك الطيش والخفة، وان يكون ميزان عقله خالي الكفة، وان عدم الثبات والوقار، من مادة الاطفال والصغار، والرجل الخفيف قليل الحيلة، لا يقدر على تدبير الامور الجليلة، ولا باب يوجد له ولا طاقة، للشروع في الاشغال الشاقة، ولا يستطيع ان يتحمل ثقل الرياسة، ويتعاطى اسباب الايالة والنفاسة، ولا قدرة له على فصل الحكومات المشكلة، والقضايا العويصة المعضلة، ولا الوصول الى مراتب السيادة، ولا الدخول في ابواب السعادة، فان تدبير الممالك، وسلوك هذه المسالك، يحتاج الى رجل كالجبل في السكون والوقار اوان الثبات، وكالبحر الهايج والسيل الهامر اوان الحركات، ثم اعلم يا ذا العلا، والمالك المال والدما، انه يجب على الملك الكبير، اجتناب الاسراف والتبذير، فانه حافظ دماء الناس واموالهم، مراقب مصالحهم، في حالتي حالهم ومآلهم، والمال الذي في خزاينه، قد اجتمع من وجوه مكامنه، ومن خراج مملكته وفئ اعدايه ومعادنه، انما هو للرعية، ليذب به عنهم البلية، ويصرفه في مصالحهم، وما يحدث من حوايجهم وجوايحهم، فهو في يده امانة، وصرفه في غير وجهه خيانة، فكما لا ينبغي ان يتصرف في مال نفسه بالتبذير، كذلك لا يتصرف في اموالهم بالاسراف والتقصير، ومصداق هذا المقال، قول ذي الجلال، جل كلاما، وعز مقاما، والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما، وينبغي للملك بل يجب، ان لا يستتر من الرعية ولا يحتجب، وان لا يبادر لمرسوم، الا بعد تحقيق العلوم، ولا يبرز مراسيمه بما لم يتحقق فيه معلومه، وذلك بعد التامل والتدبر، وسبر غور القضية والتفكر، وهذا لان مرسوم السلطان، على قمم ابناء الزمان، هو بمنزلة القضاء، النازل من السماء، واذا نزل القضاء، وفتحت له ابواب السماء، فلا يرد ولا يصد، ولا يعوقه عن مضيه عدد ولا عدد، ولا حيلة في منعه لاحد، وامر اولي الامر على زيد وعمرو، كالسهم الخارج من الوتر، بل يشبه سهام القضا والقدر، العاجز عن ادراك سره قوى البشر، فكما انه اذا نفذ سهم القضاء والقدر، لا يرده ترس حيلة ولا يصده درع حذر، كذلك امر السلطان، لا يثبت لصدوره حيوان، ولا يمكن تلقيه الا بالامتثال والاذعان، فاذا لم يتدبر قبل ابرازه، في عواقب مآله واعجازه، ربما ادى الى الندم، والتاسف حيث زلت القدم، ولا يفيد التلافي بعد التلاف، واني يرد السهم الى الفوق وقد خرق الشغاف، وكما ان الملك

سلطانُ الانام ، كذلك كلامه سلطان الكلام ، وكلّما ينسب اليه فهو سلطان جنسه ، فيجب عليه حفظ كلامه كحفظ نفسه ، وحسبك يا ملك الزمان ، لطيفة جرت للملك انوشروان ، فبرزت المراسيم الشريفة ، في بيان تلك اللطيفة ، فقال الحكيم ذكر اهل السير ، ونقلة الاثر ، ان الملك انوشروان ، كان راكبًا في السيران ، تحمل به فرسه ، وقوى عليه نفسه ، فاستخف شانه ، وجبذ عنانه ، فهمزه ولكزه ، وضربه ونخزه ، فزاد جموحا ، وماد جنوحا ، فتجاذبا العنان فانقطع ، وكاد انوشروان ان يقع ، فلاطف الفرس فاستكان ، ونجا بعد ان كاد يدخل في خبر كان ، فلما وصل الى محل ولايته ، واستقر واجب قلبه عن مخافته ، دعا سايس المركوب ، فلبّا دعوته وهو مرعوب ، فلعنه وشتمه ، واراد ان يقطع يده وقدمه ، وقال تلجم هذه الداهية ، بلجام سيوره واهية ، فانقطعت في يمينى ، وكاد الفحل يرمينى ، ثم دعا بالمقارع ، وبالجلّاد ليقطع منه الاكارع ، فقال السايس المسكين ، ايها الملك المكين ، وصاحب العدل والتمكين ، اسالك بالله الذى رفعك الى هذا المقام ، ان تسمع لى هذا الكلام ، فقال قل ولا تطل ، قال كان هذا العنان يقول ، وكلامه فصل لا فضول ، ومقوله قريب من المعقول ، الملك انوشروان سلطان الانس ، وفرسه سلطان هذا الجنس ، وقد تجاذبنى قوة سلطانين ، فانّى لى طاقة الثبات لهما ومن اين ومن اين ، لا جرم ذهب منّى الحيل ، فتمزقت بين مجاذبة سلطان الانس وملك الخيل ، فاعجب انوشروان من السايس هذا البيان ، فانعم عليه واطلقه ، ومن رقّ عتابه وعذابه اعتقه ، وانما اوردت هذا البيان ، ليتحقق مولانا السلطان ، انّ حركاته ملكة الحركات ، وصفاته سلطان الصفات ، وكلامه ملك الكلام ، فلا يصرفه فى كل مقام ، وليصنه بالتامّل قبل القول ، والتحفظ لبروزه ويحفظه بالصدق والطول ، واذا امر بامر فلا يرجع فيه ، بل يستمر على ما امر به لئلا يقال سفيه ، ثم اعلم يا مالك الرقاب ، ان كلّا من الثواب والعقاب ، له حد معلوم ، ومقدار مفهوم ، ينبغى للملك ان لا يتعدّى لذلك حدّا ، وعلى الملك ان يصغى الى النصيحة ، ممّن مودّته صحيحة ، وقد جرّب منه الصدق ، وعلم منه الاخلاص فى النطق ، لا سيما اذا كان ذا عقل صحيح ، وودّ صريح ، ولا ينفر من خشونة النصيحة ومرارتها ، ويتلقّى ببرودة الخاطر وسلامة القلب حرقة حرارتها ، فان الناصح المشفق ، كالطبيب الحاذق ، فان المريض الكئيب ، اذا شكى الى الطبيب ، شدة المعدة من مرارة فمه ، يصف له دواء مرّا فيزيد حرارته حرّا ، فلا يجد بدّا من شربه ، وان كان فى الحال ينهض بكربه ، لعلمه بصدق الطبيب ، وانه فى رايه مصيب ، وما قصد بالدواء المرّ زيادة الضرّ ، وانما قصد بالمه ، عود الحلاوة الى فمه ، ولا يستحقر النصيحة ، اذا كانت صادقة صحيحة ، ولا الناصح ، خصوصا الرجل الصالح ، فان سليمان وهو من اجلّ الانبيآء الكرام ، عليهم افضل الصلاة والسلام ، أخذ من ملوك الدنيا ، وحكم على الانس والجن والطير والوحش والهوآء ، استشار نملة حقيرة فانجح فى امره ، وخالف وزيره آصف ابن برخيا فابتلى بفقره ، وسلب من جميع ما ملك ، وصار كما قيل أجيرا لصيّاد السمك ، ثم قال الحكيم حسيب ، ايها الملك الحسيب ، وانا لمّا رايت امور المملكة قد اختلّت ، ومباشرى مصالح الرعيّة قلوبها قد اعتلّت ، ولعبوا بالتثقيل والتخفيف ، واستطال القوىّ منهم على الضعيف ، ومدّوا ايديهم الى اموال الناس بالباطل ، واظهروا الحالى فى حلية العاطل ، وخرجوا عن دايرة العدل ، واطرحوا اهل العلم والدين والفضل ، وتوتّى المناصب غير اهلها ، وتنزلت المراتب الى غير محلها ، وحرم المستحقون ، وابتذل المحقّون ،

الى ان وقع الاختلال، وعمّ الفسادُ والضلال، واستطالت يدُ الفساد، وقويت اعضادُ الظُلم على العباد والبلاد، وهذا كله لا يليق بشرف مولانا الملك ولا بأصله، ولا يجوز فى شرع المروّة ان يكون الظلمُ طرازَ عدله، اذ قدرُه العلىّ، واصله الزكىّ، اعظمُ مقامًا من ذلك، ولا يحسن ان ينتشرَ الا صيتُ رافته فى الممالك، وعلى الخير مَضى سَلَفه الكرام، وانطوت على مآثرهم صحايف الآيام، وقد قيل شعر

وان الظُلمَ من كلِّ قبيحٍ واقبحُ ما يكون من النبيهِ

وقيل شعر ولم أرَ فى عيوب الناس شيا كنقصِ القادرين على التمام

فما وسعنى الا الانحياز الى العزلة، والتعلق بذيل الانفراد والوَحْدة، وما امكننى ان اعمل شيا، ولا اقطع امرا، دون العَرْض على الآرآء الشريفة، وامتثال ما تُبرزه مراسيمها المنيفة، فقد قال الناصح، فى بعض النصايح، لا تخاطب الملوك، فيما لم يسالوك، ولا تتقدمْ على ما لم يامروك، فلما أذِن لى فى الكلام، قمت فى هذا المقام، وقلت قطرةٌ من بحور، وذرّةٌ من طُور، ورايت ذلك واجبًا علىّ، ونفعه عايدًا الىّ، وذكرتُ بعض ما وجب على ساير الناصحين، ولزم ذكرُه جميعَ المسلمين، من طريق واحدة، ولزمنى انا من طُرق متعددة، ادناها طريقُ المروّة، واعلاها بل اقواها وثيق الأُخوّة، التى هى اقوى الاسباب، واعظم الوُصلات فى هذا الباب، فانه قد قيل السَبَبُ الذى لا يقطعه سَيْفُ الحَدَثان حَبل القرابة، والبنيان الذى لا يهدمه معوَل الزمان اسُاسُ الأُخوّة، قال الله تعالى وعزّ جلالا، وتقدّس كمالا، سنشدّ عضدك باخيك، وقال القايل

اخاك اخاك انّ من لا اخا له كساعٍ الى الهيجا بغير سلاح

وناهيك يا زينَ المُلاك، قصّة الوَلْهَا مع الضّحّاك، قال اخبرْنا ايها الحكيم، بذلك الحديث القديم، قال الحكيم بلغنى فى التاريخ، البالغ الشماريخ، ان الضحاك كان من احسن الناس سيرة، واصفاهم سريرة، قد فاق فضلا، وبلغ ذكره الافاق عدلا، فتزيّا له ابليس، فى صورة الدهاء والتلبيس، وزعم ذلك النوّاح، انه طبّاخ، وصار كل يوم يُهيّى له من اطيب الاطعمة، ولذيذ الاغذية، ما يعجز عنه غيره، ولا يقدر احدٌ يسير سيْرَه، ولم ياخذ على ذلك جراية، فبلغت رُتبته عنده النهاية، واستمر على ذلك مدة مديدة، واياما عديدة، والناس ما تكره، ان تُخدَمَ بغير اُجرة، خصوصا فى هذا الزمان، روساء الاعيان، فقال له الامام، فى بعض الايام، لقد اثبتّ علينا يدًا وذكرا، وما سالتنا على ذلك اجرا، فاقترحْ ما تختار، اكافيك به يا مهتار، فقال تمنّيتُ عليك، ان اقبّل كتفيك، فتى افتخر بذاك، وان يقال مسّ فمه بدن الضَحّاك، فاعجبه ذاك واجابه، وحسَرَ عن بدنه ثيابه، ودار ظهرَهُ اليه، فقبّل لوحَيْ كتفيْه، ثم غاب عن عينيه، فبمجرّد ما لثمه، ومسّ جسمُه فمه، اخذته حكّة، وحكه موضع لثمه حكة، ثم خرج من موضع فيه سلعة، تلذعه شرّ لذعة، وتلسعه احرّ لسْعة، ثم صارتا حيّتين، اشبهتا كيّتين، فصار يستغيث، ولا مجير ولا مغيث، فطلب الاطبّا، فاعياهم هذا اندا، ثم لم يقرّ له قرار، ولا ياخذه سكونٌ ولا اصطبار، الا بدماغ الانسان، دون ساير الحيوان، لمدّ يد القتل والفتك، ولاجل الادمغة استعمل السفك، فعجز الناس، لهذا الباس، وصاحوا وناحوا،

وغدوا مستغيثين وراحوا، فوقع الاتفاق، بعد الشقاق، على الاقتراع، لرفع النزاع، فمن خرجت قرعته، كسرت قرعته، واخذ دماغه، وحصل لغيره فراغه، فعالجوا به الكيتين، وغذوا به الحيتين، فيبرد به الألم، ويخف السقم، ففي بعض الادوار، خرجت القرعة على ثلثة انفار، فربطوا بالاغلال، ورفعوا الى النكال، ليجرى عليهم ما جرى على الامثال، فبينما هم في الحبس، بين طالع نحس، وطرد وعكس، وقف للضحاك امراة وحيدة، واستغاثت به في هذه القضية، فادناها، وسأل ما دعاها، فقالت ثلثة انفار، من دار، لا صبر على هذا ولا قرار، وحاشا عدل السلطان، ان يرضى بهذا العدوان، ولدى كبدى، واخى عضدى، وزوجي معتمدى، وكل مسجون، ليسقى كأس المنون، فرق لها الضحاك، وقال لا يعمهم الهلاك، فاذهبي يا مغاثة، واختارى واحدا من الثلاثة، وجرعا الى الحبس، ليقع اختيارها على من يرفع اللبس، فتصدى لها الزوج، وتمنى الخلاص من ذلك الموج، فتذكرت ما مضى، من عيشها معه وانقضى، واستحضرت طيب اللذات، والاوقات المستلذة، فتاقت اليه، ومالت عليه، فتحركت النفس الانسانية، والشهوة الحيوانية، فهمت بطلبه، وتعلقت بسببه، فوقع بصرها على ولدها، فلذة كبدها، فرات صباحة خده، ورشاقة قده، فتذكرت طفوليته وصباه، وتربيتها اياه، وحمله وارضاعه، وتناغيه واوضاعه، فعطفت عليه جوارحها، ومالت اليه جوانحها، فقصدت ان تختاره، وتريح افكاره، فلمحت اخاها باكيا، مطرقا عانيا، قد أيس من نفسه، وتمنى الاقامة بحبسه، لانه يعلم انها، لا تترك زوجها وابنها، ولا تختاره عليهما، ولا تميل الا اليهما، فافكرت طويلا، واستعملت الراى المصيب دليلا، ثم اداها الفكر الدقيق، وارشدها التوفيق، فقالت اختار اخى الشقيق، فبلغ الضحاك امرها، وما ادى اليه فكرها، فدعاها، وسألها عن سبب اختيارها اخاها، فان اتت بجواب صواب، وهبها اياهم مع زيادة الثواب، وان لم تاته بفايدة قطعة، وعايدة في الجواب نافعة، كانت في قتلهم الرابعة، فقالت اعلم، واسلم، انى تذكرت زوجي وطيب عشرته، واوقات معانقته ولذته، وما مضى معه من حسن العيش، وتقضى من خفة الاحلام والطيش، فملت اليه، وعولت في الطلب عليه، ثم ابصرت ابنى، وتذكرت مقامه في بطنى، وما مضى لى عليه من عاطفة، وشفقة تامة في الايام السالفة، فغلبنى حبه القديم، وشكله القويم، فملت الى اختياره، وخلاصه من بواره، ثم لمحت اخى المتقدم عليهما، فقست مقامه بالنظر اليهما، فقلت انى امراة مرغوبة، فتية عاقلة مطلوبة، ان راح زوجي فعنه بدل، واذا حصل الزوج وجد الولد وحصل، فتهيا الغرض، ووجد عنهما العوض، واما الاخ الشقيق، فما عنه عوض في التحقيق، لان ابوينا ماتا وفاتا، وصارا تحت الارض رفاتا، هذا الذى ادى اليه افتكارى، ووقع عليه اختيارى، وانشد لسان الحال، فيما يقتضيه الحال، شعر

وكم ابصرت من حسن ولكن　　عليك من الورى وقع اختيارى

فاستحسن الضحاك هذا الكلام، ووهبها جماعتها مع زيادة الانعام، قال الحكيم وانما اوردت هذا المثل، لمولانا الملك الاجل، وعرضته على الحضار، ومسامع النظار، ليعلم ان لى عن كل شى بدلا، واما عن مولانا السلطان فلا، كما قال، من اجاد في المقال، شعر

وقد تعوّضتُ عن كلّ بمشبهه　　فما وجدتُ لايام الصبا عوضا

وليس لى غرضٌ الا فى بقــآء ذاتك النفيسة، ودوام حياتك العزيزة، ثم انى اخاف والعياذ بالله ان هذه الفتن التى أقبلتْ، والحركات الداعية التى وجوه الخلاص منها اشكلتْ، تستاصل شأفة اسلافنا الكرام، وتقرض عقبَ أجدادنا الملوك العظام، فاخترتُ العزلة لذلك، فانهــا اسلم الطرق والمسالك، قال الملك لقد صدقتَ، اذ نطقتَ، وتحريتَ الصواب، فى الخطــاب، وانا اتحقق حُسنَ نيّتك، وخلوص طويّتك، وحسن ودادك، ويُمنَ ارادك، فانك اخٌ شفيق، وصدوق صديق، ولكن تعلم ان هذا الوزير، رجل خطير، رايه مستنير، وفضله غزير، وهو من اصــل كبير، وله علينــا حق كثير، اريد ان يقع ما عزمتَ عليـــه، وصوبتَ فكرك المصيبَ اليه، مع محاورته، ومناظرته ومشاورته، فان كلّا منكما ناصحٌ مُشفق، وحكيم مدقق، وعالم محقق، وفى مثل هذه الاشيا اذا اتفقت الآرآء، وطال النَّفَس، وتكشف نور القَبَس، ورق البَحث، ودق لحث، وصح الحق، وصح الصدق، لا سيّما اذا كان الكلامُ بين عالمين، والسوال والجواب من فاضلَين كاملين، قال الحكيم، ايها الملك العظيم اذا اقام الانسان فى صَدد المعارضة، وتصدّى فى البحث الى المعاكسة والمناقضة، لا سيّما اذا كان من اهل الفصاحة واللَّسَن، وساعده فى ذلك الادراك الحَسَن، لا يَعجِزُ ان يقابل الايجــاب بالسَّلب، والنفى بالاثبات والاستقامة بالقلب، والعكس بالطَّرد، والقبول بالرَّد، ويكفى فى جواب المتكلم، اذا اورد مسئلة لا نُسلِّم، وقد قيل، فى الاقاويل، لا تنفع الشفاعةُ باللجاج، ولا النصيحةُ بالاحتجــاج، اما انا فقد بذلت جهدى، واديتُ فى النصيحة ما عندى، وكشفتُ عن مخدرات التحقيق أستار الشكّ، وكررت على محكّ التصديق آثار الحكّ، فان وعيتم كلامــى بسمع حَىّ، فقد تبيّن الرُّشد من الغىّ، وان اعرضتم عن عين اليقين، فلا اكراه فى الدين، فتصدّى الوزيرُ للكلام، وحسر عن ثغر بيــانه اللثام، وبرز فى لباس الملاينة والخداع، وسلك بخُبث الطباع، طريق الملاطفة والاصطناع، ودسّ السم فى الشُّهد، ونزل من البقاع الى الوَهد، وقال الحمد لله الكريم، الذى منّ على مولانا الملك بهذا الاخ الحكيم، الفاضل الحليم، الكامل العليم، والناظر فى العواقب، صاحب الراى المصيب والفكر الثاقب، فلقد بالغ فى النصيحة، بعباراته الفصيحة واشاراته المليحة، وكلّ شىء ابداه، الى المسامع الكريمة وانهاه، هو الذى يقتضيه العقل، ويرتضيه العَدْل، ويقبله الطبعُ القويم، اذ هو المنهج المستقيم، يترتــب عليه الذكر الجميل، ويحصل به الثواب الجزيل، ولكن الذى نعرفه فى حفظ الرياسة، واقامة ناموس السياسة، هو الذى عليه القوم، فى هذا اليوم، وجرت عليه عادات الاكابر، ومشى فى سلوكه الاصاغر، فان الزمان فسد، والفضــل فيه قد كسد، وزاد فيه الحقد والحسد، وتشــرب المكر والاذى الروح والجسد، فكلّ فى الروغان ثعلبٌ وفى العُدوان اسد، وصار هذا مقتضى الحال، والمحمود من الخصــال، والمطلوب من الرجال، والناسُ تدور مع زمانهم، بقدر مكانهم وامكانهم، وقد قيل الناس بزمانهم اشبهُ منهم بابيهم، وبعض السياسات، عند اهل الكياسات، يقتضى العقوبة بالتغريم، واخذ المال بالترسيم، ولو عفى الانسان عن مجرم، طمع كل مُود ومُحرم، وكان من الحماقة والبَلَه، كمن عاقب من لا ذنبَ له، فان وضع الاشياء فى محلها، وزمام الامور والمنــاصب فى يد اهليـــا، هو اصل القوانين

ومعتمد الملوك والسلاطين، فى الشرع والسياسة، ومقتضى العقل والكياسة، والعدل والرياسة، والفضل والفراسة، وناهيك ايها الحكيم الفاضل، قول الشاعر القايل،

شعر ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وما قيل شعر لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

ومن مقالات اتابك، اردشير بن بابك، رب اراقة دم تمنع من اراقة دماء وفى امثال العرب القتل انفى للقتل وقيل

شعر لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الاجساد بالعلل

وهذا كله مصداق قوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة وناهيك يا ذا القدر الخطير، قصة قابوس بن وشمكير، قال الحكيم للوزير، اخبرنا ايها الدستور الكبير، كيفية ما انت اليه مشير، قال الوزير ذكر ان قابوس بن وشمكير، ذاك الاسد المبير، قبض عليه جماعة، كانوا جهدوا ايديهم من الطاعة، وهم اركان دولته، وبنيان صولته، ثم قيدوه وحبسوه، واقاموا ولده مقامه واجلسوه، ثم انهم لم يامنوا منه غايلة، وافكاره الجايلة، وضروب تدابيره الصايلة، فتوامروا ان يسبكوه، ويعمدوا الى دمه فيسفكوه، فارسلوا اليه قاتلا، فوثب اليه سايلا، ما سبب قتلى، وما ذا نابهم من اجلى، مع كثرة احسانى اليهم، واسبال ذيل اكرامى وانعامى عليهم، وتربيتى اياهم كالاولاد، وفلذ الاكباد، وصونى اياهم، عمن اذاهم، فقال اراقتك الدماء، هاج عليك الغرماء، واكثر لك الخصماء، ولما تغيرت خواطرهم عليك خافوا، وقبل ان تحيف عليهم حافوا، فقال قابوس، والله ما سبب هذا النكد والبوس، واثارة هولاء الخصماء، الا قلة اراقة الدماء، يعنى لو اراق دماء القايمين عليه، لما وصل هذا المكروه اليه، فلما ابقى عليهم افنوه، وحين ترك اذاهم اذوه، وانما اوردت هذا التنظير، ليقف خاطرك الخطير، ان امور السياسة، وقواعد الرياسة، كانت تقتضى تارة اقامة الحرمة بالسفك والسبك واخرى بالعفو والترك، واما الان فذلك الحكم قد انتسخ، والفساد فى قلوب العباد رسخ، وقد قيل شعر

تلجى الضرورات فى الامور الى سلوك ما لا يليق بالأدب

ومزاج الزمان قد تغير، والمعروف فيه قد تنكر، وصفو اهليه قد تكدر، وقد اعرضوا عن طاعة السلطان، واتبعوا مخادعة الشيطان، وكل منهم قد شرخ، وباض الشيطان فى دماغه وفرخ، وتصور لخيالاته الفاسدة، ومحالاته الكاسدة، انه بما يكيد، يبلغ ما يريد، وهيهات وشتان

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

وهذا كما قال الله تعالى يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا وما شعروا ان الملوك والسلاطين ممن اختاره الله تعالى، والبسه من خلع جبروته كمالا وجلالا، وجعلهم بامور عباده قايمين، وبعين عنايته ملحوظين، وكما ان الرسل والانبيا، السادة الاعلام الاصفيا، هم صفوة الله تعالى من خليقته، ويختاره من بين بريته، من غير كد ولا جهد، ولا سعى منهم ولا

جدّ، ما برطلوا على البلوغ الى الرسالة، ولا ارشوا على نيل هذه الكرامة والنبالة، انما هو محض فضل من الله تعالى وعناياته، والله اعلم حيث يجعل رسالاته، كذلك الملوك والسلاطين، القايمون باقامة شعاير الدين، والمنتصبون لفصل الاحكام وخلاص المظلومين، من الظالمين، هم ممن اختاره الله من خلقه، واجرى على يديه لهم بحار كرمه ورزقه، والسلطان ظل الله فى ارضه، يجرى بين عباده شريعة نفله وفرضه، قال من له الخلق والامر، اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر، وقد غفل اعل هذه الممالك، عن السلوك فى هذه المسالك، وعن ادراك هذه الحقايق، وعرضوا عن الدخول فى احسن الطرايق، وهى طريق المخاشمة، والصفح والمكارمة، وعدّوا المكر من حسن السياسة، والخداع من العقل والكياسة، والتحيّل على اكل اموال الناس من الذكاء، ومظالم العباد من خلال الصدق والصفا، وتملّقهم للملوك والسلاطين من اسباب الوصول الى الاغراض، مع تحسين الظواعر وفى البواطن امراض، فظواعرهم ظواعر الانس، تشتمل على المودة والانس، وما فيهم تحت الثياب، الا كلاب وذياب، ولاجل هذا سلّطنا الله عليهم، ومدّ يد بسطنا اليهم، نعاملهم بالفراسة، ونعمل معهم بما تقتضيه الكياسة، وتستصوبه الآراء السلطانية من قواعد السياسة، قال الحكيم حسيب، بعد ما ادرك ما فى الكلام من فكر غير مصيب، اعلم ايها الوزير الناصح، والدستور الشفوق الصالح، ان الرعيّة بمنزلة السرج، والملك شبيه الشمس فى البرج، واذا تلالأ على صفحات الأكوان، وانار فى وجه الزمان والمكان، اشعة نور الشمس الوهّاج، فاى شعاع ووجود يبقى للسراج، وان انوار قلوب الرعايا، وما يحصل لهـا من اشراف ومزايا، انما هو من فيضان اشعة قلوب ملوكهم، وان الرعيّة تبعٌ للملوك فى سلوكهم، فاذا صفت مرآة قلب السلطان، اشرقت بالطاعة قلوب الرعايا والاعوان، بل الزمان والمكان، تابعان لما يضمره وينويه السلطان، وقد قيل اذا تغيّر السلطان، تغيّر الزمان، وهل اتاك ايها الدستور، واقعة الرييس مع بهرام جور، قال الوزير اخبرنا يا باقعة، كيف كانت تلك الواقعة، قال الحكيم، اخبرنى شيخ عليم، بالفضل مشهور، ان بهرام جور، وكان ذا ايد، عزم على الصيد، فخرج فى عسكر جرّار، وانبثّوا فى الصحارى والقفار، وبينما هم قد تفرّقوا شغر بغر، حرّكت يد الشمال بالنخل غربال المطر، ثم تراكم من السحاب، على وجه عروس السماء النقاب، وانهمل الغمام المدرار، وصارت الدنيا جنات تجرى من فوقها الانهار، واقبلت سوابق السيول، تجرى فى مضمارها كالخيول، فتشتّت العساكر، وتشوّشت الخواطر، فقصد بهرام جور، كفرًا من الكفور، وطلب القرى من تلك القرى، منفردا عن عسكره، مخفيًا سرّ خبره، فنزل فى بيت الرييس، وهو رجل خسيس، فلم يقم من حقه بالواجب، لانه لم يعلم ذلك الراكب، فتشوش خاطره، وتكدّرت ضمايره، وتغيّرت عليهم نيّته، وان لم يتغيّر بشريته، فلما اقبل الليل، جاء الراعى وهو يدعو بالويل، ويشكو كثرة المحن، من قلة اللبن، وذكر ان المواشى لم تدرّ ضرعا، مع ان رعيها كان احسن المرعى، ولا وقف لذلك على سبب، ولا درى كيف حال حالها وانقلب، وكان للرئيس بنت تسجد الاقمار لخدودها، وتتقصّف الاغصان على قدودها، اذا ماست فى الرياض عند ورودها، فلما سمعت كلام الراعى، قالت انا والله عرفت السبب والداعى، وهو ان سلطاننا، الذى نيته حفظت اوطاننا، تغيّرت نيته علينا، وتقدّم ضميره بالسوء الينا، فظهر النقص فى ماشيتنا، وسيعدى

ذلك الى انفسنا وحاشيتنا، وقد قيل اذا همّ الحاكمُ بالجَوْر على الرعايا أدخل اللهُ النقص فى اموالهم حتى الزروع والضروع فقال ابوها اذا كان الامرُ كذلك، فلا مقامَ لنا فى هذه الممالك، فالأولى ان نتحوّل عن هذا المكان، الى مقام لا يُضْمر فيه سُوا لرعيّته السلطان، فنستريح فى ظل حاكمه، ونترقّى فى مسارح مكارمه، كل هذا وبهرام، يُصْغى الى هذا الكلام، فقالت البنت ان كان ولا بُدّ من الانتقال، واتتعاد مطيّة الارتحال، فما تصنع بهذه الاثقال، والازواد الثقال، فقدّمْ لهذا الضيف منها، يَحصُل التخفيف عنها، ويقع لك فايدتان احدهما حُسْنُ الضيف، وثانيهما التخفيف، فامتثل ابوها ما اشارت بِنته، ونقل الى الضيف ما حَواه بيتُه، من طعام وشراب، ونُقْل وكباب، وبَسط بساط النشاط، واخذ فى دواعى الانبساط، وانتقلا من الحشامة، الى المكالمة والمنادَمة، وعملا بموجب ما قيل شعر

وما بَقِيَتْ من اللذّاتِ الا   احاديثُ الكِرام على المُدام

فلما هجم جيش السُكْر، وهزم جُنْدَ العقل والفكر، تذكّر بهرام مَجالسَه، ومُوانَسه فيها ومُجالسَه، وما فيها من مغازلة الغزْلان، واصوات الغوانى والقيان، فاظهرت حشْمَةُ السَلْطَنة من مُضْمَرها، وتَفوّه بشىء يلوح بخبرها، وتاقت نفسه الى معتادها، فاعرب فى شطحاتها عن مرادها، وقال للرييس، ايها النديم الكيس، لو كان لنا من يُطْربنا بصوته، او يُبْهجنا بصورته، ولو انها وصيفة، او ذو صورة نظيفة، وحركة لطيفة، ولا نطلب زيادةً على النَظر، وحُسْن المفاكهة والسَمَر، والمنادمة الى السَحَر، لزالت وحشة الاغتراب، ودهشة وحدة الشراب، فانه قيل الشرابُ بغيْر نَغم غمٌ، وبغير دَسَم سَمّ، وان مذهبنا ما قيل شعر

اتـاذنون لصَبٍّ فى زيارتكم   فانتم فى مَحَلِّ السَمْع والبَصَر
لا يُضْمِرُ السُوْءَ إنْ طال الجلوس به   عَفُّ الضمير ولكن فاسِقُ النظرِ

فنهض الرئيس، وترك مذهبه الخسيس، واستعمل المروّة، وسلك سبيل الفتوّة، وانشد شعر

وكلّ قيادة لاخٍ وخِلٍّ   بلا جُعْلٍ فتلك من المُرُوّة

واخطَر بالبال، ما نظمه الشاعر وقال

ما ناظِمُ الشِعْر فى مقامِ فتى   يقود فأسمعْ مقالةَ الظُرَفا
الّف هذا حروفه وسمت   همزةُ هذا فآلف الحُرَفا

ومن مذهب المجوس، اباحة فرج العروس، فدخل الى بيته، وذكر ما جرى بينه وبين ضيفه لبنته، وقال اى ربيبة الحسن والاحسان، اظنّ ان ضيفنا من اكابر الاعيان، ومقرّبى حضرة السلطان، وقد التمس منى ما يزيد سرورَه، ويُفيد حضورَه وحبورَه، ويُلْهيه بمفاكهته، وحُسْن منادمته، وما عندنا مَنْ يصلح لذاك، اى مادّة السرور سواك، وانـا اعرف عفتك ونزاهتك، وحُسْن محاضرتك ومفاكهتك، ورصانة رايك، ورزانة عقلك وذكايك، فان رايت ان تمتّعيه بالنظر الى جمالك، وتفتّنيه بمصايد غُنجك ودلالك، ولو بلحظة، او بلفظة، ثم تَعودى الى كناسك، مفتخرةً بين

اهلك واناسك، فذاك منك واليك، وما اريد ان اشقّ عليك، وليس فى ذلك عار، ولا فى خدمة الضيف واكرامه شنار، فاجابت اباها، وكان ذلك رضاها، وجلّ قصدها ومناها، فاقبلت الى خدمة الضيف، ولعبت معه من لحظها، وقدّها بالرمح والسيف، الى ان صادته بلحظها المكسور، وامسى قلبُه وهو فى يدها ماسور، وكان قد خرج للصيد فاصطيد، وصار مع سلطنته من جملة العبيد، وانشد

اری ماء وبی عطشٌ شديدٌ ولكنْ لا سبيلَ الى الورود

ثم قرّر فى ضميره، انه اذا وصل الى سريره، يطلب هذا الرئيس ويصاعره، ويقطعه هذا القرية ويعاشره، ويجعل ابنته خونده، ويسلّم الى ابيها جُنْدَه، فما استتمّ هذا الخاطر الخطير، حتى جاءهم الراعى المستجير، وقال ان الغنم التى ما نضّت بقطره، ولا درّت درّة، قد تفاجت ضروعها القاحلة فها هى دارّة حافلة، قد صارت كالسيول على السابلة، فلم يبق وعاء الا امتلاء، وقد روى من الجيران الملاء، وها هى تتشخب وتسبيل، وفاضت فاروت الحقير والجليل، واغنت الجيران، وكانها غدران، فقالت بنت الرئيس، لله الحمد والتقديس، الذى اصلح نيّة سلطاننا، حتى استقر بنا فى اوطاننا، وعاد علينا ما سُلبناه، ورجَع الينا ما طلبناه، فتعجّب بهرام جور، من هذه الامور، ولما اصبح الصباح، ركب فرسه وراح، فاستقرّ فى ولايته الزاهرة، وامضى ما كان نواه من المصاهرة، واسبل على الرئيس ذيل الانعام، وزاد له من الاكرام، ما انتظم به امره واستقام، وانما اوردت هذا الخبر، لتعلم ان الزمان فى الحجىء والمرّ، مطيعٌ لما اضمر السلطان وما اظهر، وما احلاه فى امر رعيّته وما امرّ، وقد قيل عدل السلطان، خيرٌ من خصب الزمان، واذا لم يكن الملك برعيّته شفوقا، ولا بارًا ولا رفيقا، ولم يتجاوزْ عن مسيئّهم، متلهفًا لذهابهم متشوقا لحجيئهم، محسنًا لمحسنهم، قيمًا بحفظ مأمنهم، فالاولى بهم ان يهاجروا عن مملكته، ويخرجوا عن اقليم ولايته، قال ربّ العالمين، وهو اصدق القايلين، لنبيّه وحبيبه سيّد المرسلين، ولو كنتَ فظًا غليظَ القلب لانفضّوا من حولك وينبغى للحاكم ان لا يواخذ احدا، بجريمة ابدا، قال الله جلّ ذكرا، ولا تزر وازرة وزر اخرى، ولو طولب احدٌ بجريرة احد، وحصل على البرىّ بسبب المذنب عقوبة ونكد، لفسدت المملكة، وانتشرت الهلكة، فاضطربت الرعيّة، وانخرمت القواعد العليّة، ولو فعل ذلك المتقدّم من الملوك، لهلك الصعلوك، واستدّ الطريق المسلوك، وانخرمت القاعدة على المالك والمملوك، ولم يبق للمتاخّر شىء، ولا على وجه الارض حىّ، ويجب على من باشر من الملوك امرًا من الامور، او حكمًا على الجمهور، ان يكون فى دينه متينا، وعلى الناس امينا، سديد الفكر، قويم النظر، صدوق النطق، ظاهر الصدق، دايرا مع الحق يقظا يُراقب، خواتيم امره والعواقب، عادلا بين الاخصام، شفوقا على الخاصّ والعام، ثابتا فى النوازل، معدودا فى البوازل، مشغولا بتهذيب نفسه، متفكرًا بيومه فى غده وامسه، متميزا بالشمايل المرضيّة على ابناء جنسه، واضعا الاشياء فى محلّها، متفحصا بنفسه عن جُلّها وقُلّها، مُقيما كل احد فى مقام لا يتعدّاه، ومنصب معلوم لا يتخطّاه، حتى تستقيم لذلك امورُ المملكة، ويثبت على الخير قواعد السلطنة، ويطمئنّ خاطرُ مخدومه، ويركن اليه فى منطوق قوله ومفهومه، فيقبلَ قولَه وفعلَه، ويعرف فضله وفضْله، وكذلك يجب ان يكون الملك كريم الاعراق، لطيف

الأخلاق، شريف الأعلاق، وفى جميع احواله، متمسّكا بذيل افضاله، مراعيا سيرة اجداده من الملوك، سالكا طريقة ما طرقه الملوك من السلوك، لان من لا يشيّد اركان اسلافه، ولا يقوى أساس بُنيان أشرافه، يُصيبه ما اصاب الذيب، من الجدى المغنى المصيب، فسال الملك من اخيه، ان يذكر له ذلك المثل وينْهيه، فقال بلغنى يا ملك الارض، وحاكم طولها والعرض، انه كان فى بعض الغياض لذيب وجار، واعلّ وجار، فخرج يوما لطلب صيد، ونصب لذاك شباك الكيد، وصار يجول ويصُول، ولا يقع على محصول، فاثّر فيه الجوعُ واللغوب، واذنت الشمس للغروب، فصادف بعض الرُعيان، يسوق قطيعا من الضان، وفيها بعض جدْيان، فهمّ عليها لشدّة الجُوع بالهجوم، ثم ادركه من خوف الراعى الوُجوم، لانه كان متيقظا، ومن الذيب على ماشيته متحفظا، فجعل يراقبه من بعيد، والحرص والشره يزيد، والراعى سايق، وللذيب عايق، فتخلّف جدىْ غبىّ، غفل عنه الراعى الذكىّ، فادركه الذيب النشيط، واقتطعه بامل بسيط، بشّر نفسه بالظفر، وطار بالفرح واستبشر، فلما راى الجدىُ الذيب، علم انه أصيب بيوم عصيب، وظفر قصّاب ابلاه من قصّبه باوفر نصيب، فتدارك نفسه بنفسه، واستحضر حيلة جاشه وحدسه، وعلم انه لا ينجيه من تلك الورطة الوبيلة، الا مُغيث الخداع والحيلة، واذكره مُذكر الخاطر، ما قال الشاعر،

شعر ولكن اخو الحزم الذى ليس نازلا به الخطبُ الا وهو للقصْد مُبصِرُ

فتقدم بجاش صليب، وقبّل الارض بين يدى الذيب، وقال له محبّك الراعى، لجنابك داعى، يسلّم عليك، وقد ارسلنى اليك، يشكر صَداقتك وشفقتك، وحشمتك ومرافقتك، ويقول قد تركت بحسْن ابايك، عادة اجدادك وآبايك، فلم تتعرّض لمواشيه، وحفظت بنظرك ضعاف حواشيه، وقد حصل لضعافها الشبع، وامنت بجوارك الجوعَ والفزع، وحصل الأمنُ من الجزع، فسيجعل جوارك وغياضك احسنَ مُستنجع، لان ضعاف ماشيته شبعت وَرويت، وانتعشت وقويت، فاراد مكافاتك، وطلب مصادقتك ومصافاتك، فارسلنى اليك لتاكلنى، واوصانى ان أطربك بما اغنّى، فانى حَسَنُ الصوت فى الغنا، وصَوتى يزيد فى شهوة الغدا، فان اقتضى رايك الاسعد، غنّيتك غناء يُنسى ابا اسحق ومَعْبَد، وهو شى لم يظفر به اباوك واجدادك، وما ينـاله اعقابك واولادك، يقوّى كرمك، وشهوتك وقرمك، ويُطيب مَاكلك، ويُسنى مأملك، وان صَوتى اللذيذ، الذ للجايع من جدْى حنيذ، وخبز سميذ، وللعطشان من قدَح نبيذ، فرايك اعلى، وامتثالك اولى، فقال الذيب لا باس والسك، فغنّ لى ما بدا لك، فرفع الجدْىُ عقيرته، وراى فى الصراخ خيرته، وملاء الدنيا عياطا، واعقبه ضُراطا، وانشد شعر

وعصفور الحشا يَهْوى جـرادة كما عَشِق الخروف ابا جُعادة

فاهتزّ الذيبُ طربا، وتمايل عُجْبا وتعجبا، وقال احسَنْتَ يا زينَ الغنم، ولكن هذا الصوت فى البمّ، فارفع صوتك فى الزير، فقد اخجلت البلابلَ والزرازير، وزدْنى، يا مغنّى، قولك شعر

اقرّ هذا الزمانُ عينـى بالجمع بين المُنى وبينى

وليكنْ يا سيّدَ الجداء، هذا فى اوج الحُسينى، فاغتنم الجدى الفرصة، وازاح بعياطه الغُصّة،

وصرخ صرخة اخرى، الذكر بها الطامة الكبرى، ورفع الصوت، من عاين الموت، وخرج من دايرة الحجاز الى العراق، وكاد يحصل له من ذلك الانفتاق، وقال

قفوا ثم انظروا حالى ابو مذقة أكـالى

فسمعه الراعى يشدو، فاقبل بالمطرق يعدو، فلم يشعر الذيب الذاهل، وهو بحسن السماع غافل، الا والراعى بالعصاة على قفاه نازل، فراى الغنيمة فى النجـاة، واخذ فى طريق الحياة، وترك الجدى وانفلت، ونجا من سيف الموت المصلت، وصعد الى تل يتلفت، اذ تفلت، واقعـى ياكل يديه ندامة، ويخاطب نفسه بالملامة، ويقول ايها الغافل الذاهل، الاحمق الجاهل، متى كان على سماط السرحان، القبز والاوزان، واى جد لك ذنى، او اب مفسد جانى، كان لا ياكل الا بالمغلى، وعلى صوت المثالث والمثانى، فلو لا انك عدلت عن طريقة ابايك، ما فاتك لذيذ عشـايك، ولا امسيت جايعا تتلوى، وبجمرة فوات الفرصة تتكوى، وبات يحرق ضرسه ونابه، ويخاطب نفسـه لمـا نـابـه، شـعـر

وعـاجز الراى مضياع لفرصته حتى اذا فات أمرٌ عاتب القدرا

وانمـا اوردت هذا التنظير، لمولانا الملك والوزير، ليعلم ان العدول، عن طرايق الاصول، ليس الا داعية الفضول، ولا يسلعده معقول ولا منقول، وامورة نميمة، وعاقبته وخيمة، وناهيك مثل كالعلم، من اشبه اباه فما ظلم، ويوخـذ من مفهوم هذه الحكم، من لم يشابه اباه فقد ظلم، خصوصا الملوك والسلاطين، الذين اختار رفعتهم ربّ العالمين، وذلك لئلا يدخل على قواعد المملكة، من حركـات الاختلال والاختلاف حركة، ولله يا ذا الأحسان، ما قيل فى شان انوشروان، وهو شعر

لله درّ انـوشروان من رجـل ما كان اعرفه بالوغد والسفل

نهاهم ان يمسّوا عنده قلما وان يذل بنو الاحرار بالعمل

وكل هذا من عدم التدبّر، والتـسامل فى العـواقب والتفكّر، ومن ترك التامّل والافتكـار، اصابه ما اصاب ابن آوى من الحمار، فقال الملك افدنا ايها المختار، كيفية هذه الاخبار، فقـال الحكيم كان، فى جوار بستـان، ماوى، لابن اوى، وكان ذلك البستان، كانه قطعة من الجنان، غفل عنها رضوان، كثير الفـواكه والرطب، خصوصا التين والعنب، فكان ابن اوى، يدخل البستـان من مجرى الماء، وياكل من الثمار، كيفما اختار، فيتصرف ذلك الخبيث، وياخذ فى الفساد ويعيث، كانه نميم ترك الذمام، او لئيم بغداد كفر احسان اهل الشام، فتضـرّر البستـانى، من اضرار ذلك الجانى، وعجز عن صيده، ودفع كيده، فراقب دخوله، ليختله ويغوله، الى ان راه يوما دخل، وفى البستان حصل، وباكل العنب اشتغل، فبادر الى ثغرة الماء فسدها، وسدّ الطرق التى اعدها، ثم دخل الباغ، وحصل ذلك الطاغ، وحاشه فارقنه، وضربه الى ان اثخنه، فذهبت قواه، واسبلت يداه ورجلاه، فتصور انه مات، لما سكنت منه الحركات، فسحبه بـذنبه، فرماه على العظـام الرفات، فاستمر لا يفيق، ملقى على الطريق، الى ان تراجعت اليه نفسه، وقوى حدسـه وحسّه، فتحـرّك وهو هشيم، وتنفس وهو سقيم، ثم تدحرج الى منزله، وقد احاط به سوء عمـله، الى ان صـحّ

فهمه، وقوى جسمه، فافتكر فيما جرى من الجار القديم، عليه من العذاب الاليم، فقال اذا كان جارُ الغَمْر، وقرينُ الدهر، قصد دمارى، ولم يَرْعَ لى حقّ جوارى، لاجل قوت فضل عن اقواته، واثبت اجره فى ديوان حسناته، وشد لخنقى، على حَلْقى، مُسدّ الذَّنَب، ولم يَعْمَل بموجب قوله تعالى والجار الجُنُب، بل لو رَمَق، فى بدنى ادْنى رَمَق، او اقلّ حَرَكة، لما تَرَكه، فلا خَيْر لى فى جواره، ولا فى قرب دهره، فان سلمت هذه الكرة، فما كل مرّة، تسلم الجرّة، والاليَق بالحال الارتحال، وطلب الرزق، بالتوكل والرفق، والذى شقّ الاشداق، تَكفّل لها بالارزاق، وان اله الخلق، لم يُعدِم احدًا بقطع الرزق، ثم انه افتكر فى جهة السفر، واين يكون المستقر، وكان لابيه نميم ذيب وهو صاحبٌ قديم، ساكنٌ فى بعض الغياض، المجاورة للمروج والرياض، فتوجه اليه، وترامى عليه، وتوسّل بصحابة ابيه لديه، وقال صداقة الآبا، قرابة الابنآ، وذكر حاله، وما جرى له، وان جاره خانه، ولم يراع حقه ومكانه، فقصد ان يكون تحت ظله، نازلا فى محله، ليفوز بمجالسته، ويحظى بموانسته، ويقضى باقى عمره فى خدمته، ولا يقابل وفاءه حتى يحل فى حفرته، فتلقاه بالقبول والاقبال، والفضل والافضال، والبِشْر والبشاشة، واليُسْر والهشاشة، وبسط له فراشه، وازال قبضه وانكماشه، ودهشه واستيحاشه، والبسه رياشه، وتذكر والده، وجدّد معاهده، واسدى اليه من احسانه، ما انساه ذكر اوطانه، خصوصا جوار جاره وبستانه، وانشده بديهًا فقال شعر

فاهلا بمحبوبٍ قديمٍ ودادُه ... وسهلاً بمن قد كان والده ابى

تحكم على زوجى ومالى ومسكنى ... واعلى واولادى وجاهى ومنصبى

ولم يكن عند الذيب ما يُطْعِم ضَيْفه، ويُشْبِع جَوْفه، فاستعد للكياد، وعزم على الاصطياد، فقال ابن آوى اين تريد، وتتركنى وانا وحيد، فقال قد امنتُ خوفك، واريد ان املاء جوفك، ومن المعلوم، ان عدم الضيافة لوم، فقال لا تتعبْ، انا اذهب، فلى صاحب حمار، كانه تيس مستعار، يُصْغى الى قولى، ويعتمد على قوتى وحولى، فانى اخدعه، والى قراك استتبعه، فاوثق حبائلك واشغلْ معه ما بدا لك، فصيّره لنا طعاما، فانه يكفينا اياما، فاستصوب الذيب، راى ذلك المريب، وتوجّه ذلك الغدّار، ليانيه بالحمار، وصعد تلا ينتظره، ويرتقب ما يكون خبره، فتوجه ابن اوى لطلب الزبون، فانتهى فى سيره الى الطاحون، واذا بحمار قد اوسقوه حملًا، واوسعوه ذلًّا، وعلى ظهره حمْلٌ قد قصم ظَهْره، وادْمى دُبُره، فطرحوا حِمْلَه، واصلحوا حَبْله، وتركوه يسعى، وفى المرج يرعى، فتقدم ابن اوى اليه، وسلم سلام معرفة عليه، واظهر له المحبة والوداد، وساله عن الاهل والاولاد، فقال اىّ اهل وولد، وانا فى هذا البوس والنكد، ما بين حمل ثقيل، وجوع طويل، وركوب وسخر، ومصايب أُخَر وأُخَر، هذا يركب، وهذا يضرب، وهذا يسحب، وهذا يحمّل حِمْله، وهذا ينخس بالمسلة، وهذا يحبس على الجوع والذلة، وهذا يقود بحبْله، وهذا يجود ولكن بكلّه، فكانه فى شانى قيل شعر

ولا يُقيم على ضَيْمٍ يُراد به ... الا الاذلّان عَيْرُ الحىّ والوَتِد

هذا على الخسف مربوط برمّته ... وذا يُشجّ فلا يرثى له أحَدُ

فتوجع له ابن اوى وتفجّع، وحولق واسترجع، والتهب واضطرم، واظهر التحرق لما رأى به من الألم، واخذ يلومه على مصاحبة بنى ادم، والمصابرة على ايذايهم، وجفايهم وقدم وفايهم، وقال حتى مَ هذا الذل، والتطوّق بهذا الغلّ، وتحمل انواع الهوان من البعض والكلّ، والامَرّ هذا العطش والجوع، وعدم القرار والهجوع، وارض الله واسعة الفضا، شاسعة الارجا، ففيم تذوب من اللغوب تحت الحمل الثقيل، والجر العريض الطويل، فقال الحمار يا اخى، لو وُجدَ لى، ملجاء او مسرح، او مدخل او مطّرح، او مغارات او مُجنسح، لسوّيت اليه وانا اجمع، وتخلصت من هذا البلاء العظيم، والشقاء الجسيم، او لو رايت احدا شفوقا، او مصافيا صدوقا، يهدينى الى الخلاص طريقا، لاستعنت برايه، ولاستشفيتُ لدائى بدوايه، قال ابن اوى يا اكمه، انى اعرف بالقرب اجمة، ازهارها فايحة، وانوارها لايحة، وانهارها بالصفاء غادية ورايحة، غياضها نضرة، ورياضها خُضْرة، وربابها حصينة، ودارها امينة، وانا ساكن فيها، آمن فى ضواحيها ونواحيها، فان اقتضى رايك ذهبت بك اليها، لتقف عليها، فان اعجبتك سكنتها، فوقّيت النوايب وامنتها، فانها بمعزل عن السباع الجواسر، والضباع الكواسر، والجوارح والنواسر، لا يطرقها انسان، ولا يدخلها حيوان، وسترى منى خير جار، وحسن جوار، وستحمد عاقبة مقالى، وما تراه من أفعالى، وتخلص من جفاء بنى ادم، وتبقى مخلدا فى النعيم المنعّم، ونعيش معا فى عيش رغيد، وعُمْر هنى سعيد، وتحصل المؤانسة، ويمن المعاشرة والمجالسة، واما انا فلا اجد رفيقا مثيلك، ولا صديقا عديلك، فلما سمع الحمار، هذا الحوار، رغب فى الخلاص، من الاقتناص، والبلاء الذى هو فيه، والشقاء الذى يؤلمه ويؤذيه، فسلّم قياده الى ابن آوى، وقال اسرعْ بنا الى ما ذكرت من ماوى، لئلا يرانا رَصَد، ولا يشعر بنا احد، ثم اعجلا فى السير، واشبها فى سيرهما الطير، فتقدم الحمار سابقا، واعيى ابن اوى لاحقا، فخدع وغالط، وخلّط وبالط، ونادى الحمارَ انّى، ان كنت تعبت فاركب علىّ، فقال الحمار بل انت اركب، ولا تتعب، فطفر ابن اوى على الحمار، وسار لا يقرّ له قرار، وابن آوى يهديه الطريق، وهو فى نشاط ونهيق، فلما قربا من الاجمة، فتح عينيه ذلك الاكمه، ورفع آذانه وبصَرَه، فراى الذيب قاعدا منتظره، فعرف ان تلك مكيدة، نصبها ابن اوى ليصيده، فقال شعر

تاتى الخطوبُ وانت عنها غافل

ثم استحضر عقله المفقود، واستعمل وهله الموجود، وعرف انه ان غفل عن نفسه، فقد سعى برجله الى رمسه، وانتقل من المرض الذى هرب منه الى نكسه، ومن خموله وذله الى تعسه وعكسه، فتردّد متفكرا، واقام متحيّرا متحيرا، فقال له ابن اوى ما لك، اسرعْ فقد احسن الله حالك، وآمن فكرك، وفرّغ بالك، وجعل الى عاقبة الخير مآلك، لئلا يدركنا احد، ويلحقنا ضرر ونكد، فقال الحمار يا اخى شاهدت قدود اغصان رشقة، ونشقت روايح ريحان عبقة، وسمعت خرير انهار، واصوات البلابل والهزار، فندمتُ حيث لم اقطع علايقى، واودع جارى ومرافقى، وانبتّ احسن بتات، واجتنى بما وراى التفات، فانى اذا لجئت هذه الغيضة، ورعيتُ مروج هذه الروضة، ورايتُ ما فيها من التنزهات، التهى عمّا لى من تعلّقات، فتضيع انذاك مصلحتى، وتذهب عند جيرانى ودايعى وذخيرتى، ولا اقدر على مفارقة هذا المقام النزه، ومجاورة مثلك ايها الجار الفكه، وقد عزمت على

الرجوع، لاصحب ما لى من مال واثاث مجموع، واجئ وقلبى مطمئن، وخاطرى عن الالتفات مستكن، قال ابن اوى، اترك ما لك من ماوى، ولا تؤخر اوقات السرور، وساعات الفراغ والحضور، وما خلفته هو لك، وتلافيه امرٌ مستدرك، ولا بأس ان تدخل هذا المكان، وتدور فى هذا البستان، وتعاهده ولو مرّة، وتشاهده ولو نظرة، ثم تعود، وتفعل ما تريد، وفى الجملة تاخير وقت السرور، غير محموده ولا مشكور، قال الحمار الامر كذلك، وقاك الله شرّ المهالك، ولكن اقوى الدواعى فى هذه القضية، والحامل على الرجوع وان كان بليّة، وصيّة من ابى كانت عندى مخفيّة، كنت اعمل بها، وامشى فى دربها، ولا افارقها فى نومى ولا فى يقظتى، وكنت اجعلها حرْزا أعلّقه فى رقبتى، واذا لم يكن معى، ومصاحبتى فى مضجعى، لا يقرّ لى قرار، ولا ياخذنى اصطبار، ويعترينى شبهُ الاوام، وارى خيالات فاسدة فى المنام، وتغلب على دماغى فنون السّوداء، ولا اجد غيرها دواء لذلك الداء، وفيها وصايا نفيسة، هى لروح العقل بمنزلة الاعضاء الرئيسة، فاذا حصّلت تلك الوصيّة المعيّنة، فقضيّة ما سواها هيّنة، ثم انوى راجعا، لا سامعا لابن اوى ولا طايعا، فافتكر ابن اوى انه اذا ترك الحمار وحده، فوّته قصده، وخيّب الله كدّه، وابطل جدّه وجُهْدَه، فراى لنفسه المنفعة، انه يرجع معه، فربّما ينتج سَعْيه، ويُسْلَبُ الحمارُ وَعْيَه، فقال للحمار يا اخى شوّقتنى هذه القضيّة، الى الاطّلاع على هذه الوصيّة، لاستفيد منها، واخذ حظى من الفضل عنها، فلا بد لى من مصاحبتك، والذهاب معك ومرافقتك، قال له الحمار لا دافع، ولا مشاقق ولا ممانع، فقال له ابن اوى فهل فى حفظك منها شئٌ، فان كان فالقه الىّ، لنتذاكر فى الطريق، ولا يؤثر فينا التعب والضيق، فقال نصيحة واحدة، هى بصدقى شاهدة، وهى كلمة مجمَلة، فوايدها فيها مفصّلة، وهى ان قال اياك ان تفارق هذه الوصية، فان فارقتها تقعْ فى بليّة، وساخبرك بسايرها فى المسير، الا تذكرته ايها البصير، ثم سار قليلا، وافكر طويلا، وقال هذه اخرى، مَنحتُها ذكرى، وهى اذا وقعتَ فى شدّة، ورمْتَ لخلاصها مُدّة، فتَصَوَّرْ اصعب منها، يحصل لك التفصّى عنها، وتهُنْ عليك، وتَعُدّها نعمةً اهديتْ اليك، فتشتغل بشكرها، وتستانس بذكرها، فقال ابن اوى احسنت يا حمار، هذا مقام الاخيار، والصالحين الابرار، ثم سار سيرة رايثة، وقال هذه نصيحة ثالثة، فقال قل، واسلم وطُلْ، قال لا تحسب ان الصديق الجاهل، خير من العدو العاقل، وان علم العدو العاقل، خير لك من جَهْل الصديق الجاهل، قال ابن اوى ما احْسَنَ هذه النصيحة، وابْيَنَ عباراتها الفصيحة، وصار الحمار يقطع الزمان والمكان، ويُشْغل ابن اوى بالهذيان، ثم قال الحمار، ما احسن التذكار، لقد تخيّلت الرابعة، وهى الرايعة النافعة، المتبوعة لا التابعة، فاسمعْها ان كان لك أذنٌ سامعة، فانها للمنافع جامعة، وللشهوات قاطعة، قال ابن اوى ما احلى كلامك، واعلى فى الشّرف مقامك، وانزه منادمتك، واذكه مكالمتك، بالله شنف المسامع، فانى بقلبى وجوارحى لك سامع، فقال مهلا حتى اتذكّرها، واتصوّرها كما ينبغى واتفكّرها، والتهى ابن اوى عن نفسه، وساقه القضاء الى رَمْسه، فوصلا الى الضيعة، وقد وقع ابن اوى فى ضيعة، فالحّ على الحمار، وقال اخبرنى ما بقى لى اصطبار، فقال قال لى ابى، بكلام فصيح عَرَبىّ، لا تجعل مقامك ومقيلك، بمكان يكون ابن اوى اليه دليلك، والذيب فيه جارك وخليلك، فاذا جَعَلْتَ لك فى هذا المكان ساحة، فما ذا ترى يكون

لك فيه من راحة، وان اردت ان تخلص من هذا المكان، فانصب الآذان واذكر الله بالاذان، فانه ينجيك من الضيق، ثم رفع عقيرته بالنهيق، وردد صوته بين الزفير والشهيق، فسمعه معارفه من الكلاب، فتبادرت اليه مستبشرين بحسن الاياب، وسارعت اليه، واجتمعت حواليه، فما شعر ابن اوى، الا وهو متورط فى البلوى، فنفر للهرب، فادركه من الكلاب الطلب، فاحتوشته، والتوشته، واختطفته، واقتنفته، ووزعته، ومزعته، ومرشته، وقرشته، فلم تبق منه عينا ولا اثرا، وذهب دمه فى تدبيره هدرا، وانما اوردت هذه الامثال، وعرضتها على الراى العال، ليعلم ان الاغترار بالكلام المحل، والاصغاء الى الحكايات والقول المبتذل، من غير تنقل من الفاظها الى معانيها، وتامل فى مآل مقاصدها ومحاويجها، والاعتماد على القضايا المزخرفة، والركون الى المسفسفة، لا يفيد سوى الندم، وزلة القدم، والاصل فى الولايات والمناصب، التفكر فى الخواتيم والتامل فى العواقب، والا فليس فى الملك، سوى اضاعة العمر والمصير الى المهالك، وقلت شعر

وأسعد من يكسى الولاية من اذا نضا ثوبها يكسى الثناء المطرزا

فلما انتهى الكلام، الى هذا المقام، وراى الوزير، برايه المنير، ما فى هذه الفصول، من الفضل دون الفصول، اعترف للحكيم حسيب، بالفضل الحسيب، والراى المصيب، وحسن النصيحة والبيان، وصحة الدليل والبرهان، واذعن للحق، واناب الى الصدق، وقال لقد اتيت النصيحة من بابها، واوصلتها الى طلابها، وكل كلام قررته، وبيان حررته، انما هو سكر كررته، وشكر جررته، وطريق سداد بينتها، وسبيل رشاد اوضحتها، وباب صواب فتحته، وميزان احسان ارجحته، وعلى كل عاقل مستمع وناقل، ان يقتدى بهذه النصايح، ويوصلها الى السابح والسايح، ويغتنم فوايدها وعوايدها، ويعمل بموجبها، ولا يخرج عن مذهبها، ثم ان الملك لما اصغى الى هذا الفصل، وفهم ما تضمنه من حكمة وفضل، افرغ على اخيه، واهله وذويه، لباس الانعام، وواتاه بمزيد الاكرام، وقال لقد قمت ايها الاخ الشقيق، والصديق الشفيق، فى تدقيق النصح بالتحقيق، وحللت المشكل وجلوت الطريق، وأديت حقوق الفتوة، ومواجب المودة وشرايط الأخوة، والان فقد حكمناك فى ولايتنا، ووليناك على حكمنا وقضايانا، وبسطنا يدك فى الاقاليم، واطلقنا لسانك للتعلم والتعليم، فتحكم فى الرؤوس والأطراف، وتصرف فى الآفاق والاكناف، وتشرع فيما انت بصدده، ولا تنظر الى المخالف ولسدده، وكن منشرح الصدر، قوى الظهر، قرير العين، مبسوط اليدين، مبارك الطلعة، صبيح الوجه والمنعة، ضيب القلب طويل العضد والساعد خلى البال، بهى الحال، فانك من بطن كريم، وعلى الطاعة مستقيم، وفى الفضايل ذو قدم وصدق، وفى الصناعة ذو طبع ورفق، ولا تولى عما عزمت عليه، وقصدت اليه، من النصايح الملوكية، والفصول العلمية والعملية، واتحفنا بتلك الحكم السنية، والخصايل النبيية، والشمايل المرضية، فانها لذة الاشباح، وغداء الارواح، والطراز المصنى على خلع المساء والصباح، فنهض الحكيم من مجثمه، وقبل خد الارض بثغر جبينه وفمه، وامتثل المراسيم الشريفة، واشتغل بتاليف هذه الحكم الظريفة، وترتيبها بالعبارات اللطيفة، واستمر فى تاليف هذه الحكم، من حكايات ملك العرب الى وصايا ملك العجم، والله سبحانه وتعالى اعلم، والحمد لله على كرمه الاتم، واحسانه الاعم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم،

الباب الثانى

فى وصايا مَلِك العجم، المتميز على ملوك زمانه بالحِكَم، والفضل والكرم،

ثم قال الراوى حسان، معدن الظرافة والاحسان، فتوجه الحكيم حسيب، الاديب الاريب، الى ايراد الأخبار، وتشنيف المَسامع بالاخبار، فقال بلغنى من رواة الاسفار، وحداة الاسفار، ان ملكا من ملوك الامصار، وسلاطين العَجم يدعى شهريار، وهو وان كان من العجم، لكن كان فى الحِكَم، والجُود واللُطف والكَرَم، أمّة من الامم، مُلكه عظيم، وفضله جسيم، وولايته فى أحْسن اقليم، حَسَنَ السياسة، وافر الكياسة، ثناؤه عاطر، وعطاؤه ماطر، ووابل الحشمة من سحايب هيبته متقاطر، وله من الاولاد، وافلاذ الاكباد، ستّة رجال، الى المجد والكرَم عجال، وكل له فى الفضل والافضال، اوسعُ مجال، مشهور بالزعامة، مذكور بالشهامة، كفه سَخِىّ، وطبعه أريحىّ، ذو شجاعة باسلة، وبراعة كاملة، وحشمة وافرة، وهيبة زاجرة، وهمّة أخرعَها بالمكارم زاخرة، مع رفق ولين، للصعلوك والمسكين، وصلابة فى الدين، وكان الاكبرُ سنًّا منهم، متميزًا فى هذه الشيَم عنهم، وأعظم طيبا، واوفرَ نصيبا، وكانه فى شانه قيل شعر

هذا الذى ازدانتِ الدنيا بطلعته وانمُلكُ والدينُ والايّامُ والأممُ

فلما دنت شمس عمر ابيهم للافول، وقارب غصنُ عيشه الذبول، وعزم فرّاش الأجل على طىّ بساط حيوته، واورد بريدُ الفناء منشور تسليمه الى متولّى وفاته، احضر بنيه، واكابر ذويه، وقال اعلموا يا بَنىَّ انى استوفيتُ نصيبى من الدنيا، وارتقيتُ من لذّاتها الى الدرجة العليا، وذقتُ حُلوَها ومُرّها، وعلينتُ حرَّها وقرَّها، وعرفتُ خيرَها وشرَّها، ومع ارتقائى فيها الى المنازل الفاخرة، عملتُ بمقتضى وآتبعْ فيما اتيك الله الدارَ الآخرة، فتزودتُ بما وصلتْ اليه اليَد، وما اخّرتُ عَمل اليوم الى الغد، ولم تُلهنى الغَفْلة، ولا أرجأنى المُهلة، عن استحضار ساعة الرحلة، بل لمْ ازلْ للرحيل متوفزا، وللتحويل والانتقال متجهّزا، وانا اليومَ عنكم راحل، وسفينة عمرى ارست بالساحل، وهذا سفرٌ لا رَجعة فيه، ولا عَودة لمُسافركم اليكم تثنيه، وهذا امرٌ محتوم، وقدرٌ معلوم، وقضاء قدّره فى أزل الآزال، ربٌّ لم يَزَلْ ولن يَزال، سلطانُ ملكه لا يَبيد، وكُلُّ الملوك تحت امره عَبيد، لا رادَّ لما قضاه، ولا مانعَ لما امضاه، ولا هادمَ لما بناه، ولا ضدّ لما سَواه، حُكمْ سنّه على مخلوقاته وساقه، لا بابُ قوة فى ردّه لاحد ولا طاقة، وقد خفّف من وَجْدى، ان لى مثلكم بعدى، وانكم خَلَفى، ومُحيوا سَلفى، وفيكم من يقوم مقامى، ولا يمحو ايّامى، ولا يَدرس آثارى، ولا يُطفى نُور نارى، وها انا أعهدُ اليكم، واستخلف الله عليكم، وان كنتم الى الوصيّة غير محتاجين، ولكن الذكرى تنفع المؤمنين، فاعلموا ان ازكى زهر يتنوّر به بصايرُ انقل فى رياض العُبودية

وَرْدُ الشُكْرِ، والذّكى عطْرٍ يتعطّر به مَجامرُ العَقْل فى غياض الحزمِيّة وِرْدُ الفكرِ، فانّ الشُكْرَ قَيْدُ النِعَمِ، وسَبَبٌ لازدياد الفضْل والكَرمِ، قال الله تعالى، وَجَلّ جلالا، لئن شكرتم لأزيدَنّكم وقد قيل من شكر القليل، استحقّ الجزيل، وان الفكْرَ يُعْلى المقامات، ويُعْطى الكَرامات، فاحتملوا الاذى تُومَنوا، ولا تهنوا لنايبة ولا تَحْزنوا، ولا تظنّوا الجُودَ والكَرمَ فى التبذيرِ، ولا البُخْلَ والتقْتيرَ من جُمْلة التدبيرِ، فقد نصَبَ للاعلام أَعْلاما، من قال عزّ مقالًا وكلاما، والذين اذا انفقوا لم يُسْرِفوا ولم يَقتروا وكان بين ذلك قَواما، وقال جلّ مُخبرًا وخبيرا، ولا تجعلْ يدَكَ مغلولةً الى عُنقك ولا تَبْسُطْها كل البَسْطِ فتقْعُدَ مَلومًا محسورًا واتْبعوا الاقوال بالأفعال، فلا خير فى قوّال، ليس بفعّال، ولا تُشوّهوا محاسن شيمكم بزخارف الكَذبِ، فانّ الصدْقَ اوّل ما ينبغى وافْضل ما يجب، ووَسَخُ كَلمة واحدة بالكَذب ناطقة، لا يُنقيه صَابونُ آلف كلمة صادقة، ومن تعوّد بالكَذب فى نُطْقه، لا يُعْتَمَدُ على صدقه، وداروا الاعداء، مداراة الاصدقاء، يزدد صديقكم، ويكثر رفيقكم، ويجلّ وَدودُكم، ويَقلّ عَدوّكم وحَسودكم، وعليكم بملازمة الاخيار، واياكم وصحبة الاشرار، ولا تطلبوا للرُغْبة فى صحبة الاشرار سبيلا، ولا تُقيموا على ذلك ابدًا دليلا، فمن غالط نفسَه فى مجالسة الاشرار، وطلب وفاء ممّن جُبّل على طبيعة الفُجّار، فقد اوجع نفسَه باقوى كيّة، واصابه مثلما اصاب الفلّاح من الحَيّة، فسال الاولاد والدهم الملك، عن كيفية ذلك، فقال ذُكر ان واحدا من الاكياس، طلب العزلة عن الناس، ولازم انقطاعه، وانقطع عن الجُمْعه والجماعة، واشتغل فى اقامة أوَده بالزّراعة، وانعزل فى نيل جبَل وصاحَب حيّة كانت تانس بكلامه، وتاكل من فُضالة طعامه، فترقّت بينهما المعاعدة، الى ان بلَغت الى المعاقدة، بان تكون المصادقة، خالية من المماذقة، ولا تكون كصُحْبة ابنآء الزمان، تكرّعْ من الغَدْر فى غُدْران، ولا مَشوبة بنفاق، ولا مدخولة برياء وشقاق، وان تَنْعقد بينهما المودة والاخاء، فى حالتى الشدّة والرخاء، فمر على هذا مُدة، وكل حافظٌ عَهْدَه، مراع محبتَه وودّه، وكان الرَجل اذا عنّتْ له قضيّة، عرضها على الحيّة، واستشارها، واخذ اخبارها، وتخرج الى اليه، وتترامى على رجليه، ففى بعض الايام، وعام من الاعوام، وقع برد شديد، وثَلْجٌ وجليد، وشتاء يقطع الحديد، فراى الحيّة وقد سقطت قُواها، وجَمدت اعضاءها، ووقعت فى شر حال، وبرد ووبال، فحملته الشفقة والصَداقة، والعهد الذى احْكَمَ وثاقه، على ان آواها، وحمَلها فى مخلاة حماره فادفاها، ووضع المخلاة فى راس البهيم، وتوجّه لضرورة ذاك الفهيم، فحميت الحيّة بنفَس ابى زياد، وتحرّك عرق العدوان القديم وعاد، وفعل خُبثُها خاصيّته المالوفة، ولعَب سمُّها بشيمتها المعروفة، متبعًا حديثه، حرامٌ على النفس الخبيثة ان تخرج من الدنيا حتى تُسىء الى من احسَن اليها فعضّت الحية شفة الحمار الرقيقة، عضّة مُحبّ لاقى فى خَلْوة عشيقه، فبُرِد مكانه من حرّها، وهربت فأَرَزَت الى جُحْرها، وانما اوردت هذه الامثال، لتعلموا يا ذوى الافضال، انّ من صحب الاشرار، ورغب فى مَودّة الفُجّار، لا يامن العثار، ولا يسلم من الانكسار والبوار، وقد قيل ان صحبة الاخيار، كجرة النضار، بَطيّة الانكسار، سريعة الانجبار، وصحبة الاشرار، كجرة الفخّار، سريعة الانكسار، بطية الانجبار، وبالجملة ما فى صحبة الناس فايدة، ولا فى مخالطة بنى ادم كبيرُ عايدة، وقيل بديها شعر

ولم ار من بنى الدنيا سلاما   فان تَرَهُ فأَبلغْهُ سلامى

وينبغى ان يكون غيبتكم وحضوركم، واحوالكم واموركم، واجتماعكم وافتراقكم، وصلحكم وشقاقكم، فى حالتى السرّاء والضرّاء، والبوس والرخآء، على وتيرة واحدة، وهى الخالية عن الأغراض الفاسدة، اعنى اذا رضيتم فبالحق، واذا غضبتم فللحق، واذا توجّهتم فالى الحق، واذا ملتم فمع الحق، ولا تبطروا فى حالة النعم، ولا تضجّروا فى حالة النقم، وعلى كل حال، فلا يقعْ بينكم الاختلال، وذلك بتفريق الكلمة واختلافها، وتصادمها وعدم ايتلافها، فانه قيل شعر

ان الذليل الذى ليست له عدد   وقيل شعر

كونوا جميعًا يا بنىّ اذا اعترى   خطبٌ ولا تتفرقوا آحادا

تأبى القداحُ اذا جُمعن تكسرًا   واذا افترقن تكسّرتْ أفرادا

ولا تثقوا باحد من الكبار والصغار، الا بعد الاختبار، وذلك فى شدة الضعف، والرفق والعنف، والشدة والرخآء، والخوف والرجاء، ولا تقدّموا على قديم الاصحاب احدا، ولا على الموثوق بهم من لا جرّبتموه ابدا، وقد قيل فى المثل المشهور، النحس المعروف خير من الجيد المنكور، وقيل ايضا خير الاشياء جديدها، وخير الاصحاب قديمها، واسّسوا قواعد أخراكم، فى دنياكم، واغتنموا السعادة الباقية، من الدار الفانية، وعاملوا تجدوا، وازرعوا تحصدوا، وتفكروا من اول يومكم، احوال غدكم، ومن اوايل عمركم، اواخر دهركم، ومن ليلة الهلال سرار شهركم، فكل من له صدقُ قدم، يتفكر وهو موجودٌ حالة العدم، ومن ابّان شبابه اوقات الهرم، كما فعل عبد التاجر المراقب، ما آل اليه فى العواقب، فقبّل الارض الاولاد، وقالوا مولانا السلطان اعظمُ من افاد، ولو تصدّق على عبيده الطايعة، بكيفية تلك الواقعة، قال الملك ذكر الحكماء، وذوو الفضل من العلمآء، انه كان فى بعض الامصار، تاجر من اعيان التجار، ذو مال جزيل، وجاه عريض طويل، نعمه وافرة، وحشمه وخدمه متكاثرة، من جملتهم غلامٌ مخايلُ السعادة من جبينه لايحة، وروايحُ النجابة من انيال شمايله فايحة، قد افنى عمره فى خدمة مولاه، ولم يقصّرْ لحظة فى طلب رضاه، فقال له سيده فى بعض الايام، لك علىّ حقوقٌ يا غلام، وانا اريد مكافاتك، واطلب موافاتك، فتوجهْ هذه المرة فى هذه السفرة، فمهما ربحت فهو لك، بعد ان أُعتقك من قيد رق اشغلك، ثم اوسق مركبا وافسح له فى السير شرقا ومغربا، ووصاه باشياء امتثل مرسومها، والتزم القيام بما تضمّنه مفهومها، فقال له مولاه سارفعك على اضرابك، واغنيك عن امثالك واصحابك، واجعلك كاكبر من فى الدنيا، وجميع رفقتك بمنزلة المولى، ثم اخذوا فى تعبية البضايع، وأوسق مركب بالمتاجر والمنافع، وسلّمه الى الهواء والمآء، بعد ان توكل على ربّ السمآء، فسار فى بعض الايام، وهو فى اهنى مرام، واطيب عيْش ومقام، المآء رايق، والهواء موافق، والنكد مفارق، والسرور مرافق، حتى كانّ نوحًا وخضرا الملّاح، وموسى وفتاه حافظا الالواح، وبينما السفينة، من نسف العواصف امينة، تجارى السهم والطير، وتبارى الوهم فى السير، واذا بالريح هاجت، وبالامواج ماجت، واثباج البحر تصادمت، واطواد الامواج على الغرقى تلاطمت، فعجز من ذلك الملّاح الحافظ، ونشر مذهب ابنه ابو الجاحظ، وترك شيخ الوقار والسكينة، ورقم نقش الحروف فى الواح السفينة، فشاهدوا من الهوآء الاهوال، وغدا قلع البحر كالجبال،

وصار طاير ذاك الغراب، بمن فيه من الاصحاب، كاحوال الدنيا بين صعود وهبوط، وقيام وسقوط، طورًا يُسامون الافلاك، ويناجون الاملاك، ويُنهون اخبار ظلمات صاحب الحوت الى السماك؛ وطورًا يهبطون الغوْر، وينظرون قرن الثور، وربما مرقوا منه من تحت النور، فلم يزالوا عاجزين حيارى سُكارى وما هم بسُكارى، يتناشدون شعر

وفُلْكٍ ركبناه والبحر زَهْوٌ . فثار وحار وثار ومارا

فطورًا علونا السماء وطورًا . رُمينا الى الارض منها انحدارا

واخر الامر نسفت السفينة الرياح، والقى كاتب الحاصب الى كل حرف من حروف الجبال لوحا من الالواح، وامر الله سهلها، وخرقها فاغرقها واهلها، وذهب البحر باموالها وارواحها، وتعلق الغلام بلوح من الواحها، واستمر تقذفه الامواج، وتصطدم به اثباج البحر الهياج، حتى وصل الى ساحل، لخرج وهو كئيب ناحل، وصعد الى جزيرة، فواكهها غزيرة، وضعها عجيب، ليس فيها داعٍ ولا مجيب، فجعل يمشي في جنباتها، ويتقوت بما يجده من نباتها، الى ان اداه التوفيق، الى فم طريق، فسار في تلك الجادة، وهداية الله له مادة، فادى به المسير، الى ان تراءى له سواد كبير، وبلغ مملكة عظيمة، وولايات جسيمة، ورأى على بُعد مدينة، مسورة حصينة، فقصد، ذلك البلد، فاستقبله طايفة من الرجال، نساء ورجال، يتبعهم جنودٌ مجندة، وطوايف محشدة، مع طبول تضرب، وفوارس تلعب، وزمور تزعق، والسنة بالثناء والدعاء تنطق، حتى وصلوا اليه، وترامو عليه، واكبوا بين يديه، يقبلون يديه ورجليه، مستبشرين برويته، متبركين بطلعته، ثم البسوه الخلع السنية، وقدموا له فرسا عليّة، بكنبوش ذهب وسرج مغرق، ووضعوا له التاج على المفرق، ومشوا بالخدمة بين يديه، والجنايب في المواكب تجر لديه، ينادون حاشاك واليك، سلطان الناس قادم عليك، حتى وصلوا الى المدينة، ودخلوا قلعتها الحصينة، ففرشوا شقق الحرير، ونثروا النثار الكثير، ورفعوه على السرير، واطلقوا مجامر الند والعنبر والعبير، ووقف في خدمته الكبير والصغير، والمامور والامير، والدستور والوزير، وانشدوه

قدمت قدوم البدر بيت سعوده . وأمرك فينا صاعدٌ كصعوده

وقالوا اعلم يا مولانا، انك صرت لنا سلطانا، ونحن كلنا عبيدك، وتابع مرادك ومريدك، فتحكّم كما تختار، وافعل ما تشاء في الكبار والصغار، وأمضِ ما لك من مرسوم، فامتثاله علينا امر محتوم، وما منا في خدمتك الا له مقامٌ معلوم، فجعل يتفكر في امره ومبداه، ويتامل ما صار اليه ويتدبر في منتهاه، فقال ان الامر لا بدّ له من سبب، ولا بد له من آخر ومُنقلَب، فانه لم يصدر في عالم الكون سُدًا، وان لهذا اليوم من غير شك غدا، وان الصانع الحكيم، القادر القديم، السميع العليم، البصير الحيّ، المدبّر الكريم، لم يُوجِدْ هذه الافعال، على سبيل الاهمال، ولم يحدث حدثا، سُدى ولا لعبًا ولا عَبثا، وجعل يلازم هذه الافكار، اناء الليل واطراف النهار، وهو مع ذلك قايم بشُكر النعمة، ملازم باب مولاه بالطاعة والخدمة، واضع الاشياء في محلها، والمناصب في يد اهلها، ملتفتٌ الى احوال الرعية، عاملٌ بينهم بالعدل والسوية، متعهد امور الصغار والكبار،

بانواع الاحسان واصناف المبارّ، موسّس قواعد الملك والسّلطنة، على اركان الفضل والعدل مهما امكنه، متفحّص عن مصالح المملكة، سالك مع كل من ارباب الوظايف ما يقتضى مسلكه، ثم وقع اختياره من بين اولايك الجماعة، على شابّ كامل البراعة، له في سوق الفضل والوفاء اوفر بضاعة، متصفا بانواع الكمال، متحليا بزينة الادب والجمال، فاتخذه وزيرا، وفي اموره ناصحا ومشيرا، فجعل يلاطفه ويرضيه، ويكرّمه ويدنيه، ويفيض عليه من ملابس الانعام، وخلع الافضال والاكرام، ما ملك به حبّة قلبه، واستصفى خالصة ودّه ولبّه، وسكن في سويدايه، وتمكن به من ضمير احشايه، الى ان اختلى به وتلطّف في خطابه، واستنصحه في جوابه، وساله عن امر امرته، وموجب رفعته وسلطنته، من غير معرفة الرفاق، ولا اهليّة ولا استحقاق، لا هو من بيت الملك، ولا في بحر السلطنة له فلك، ولا معه مال، ولا خيل يهديها ولا رجال، ولا معرفة يدلى بها، ولا شجاعة وقبيلة يهدى بتهذيبها، فقال له ذلك الشاب، في الجواب، اعلم، ايها الملك الاعظم، ان اهل هذه البلدة، وعساكر اقليمها وجنده، قد اخترعوا امرا، واصطلحوا على عادة تجرى، قد سالوا الله الرحمن، ان يقيّض لهم في اوان، شخصا من جنس الانسان، يكون عليهم ذا سلطان، فاجابهم الى ذلك، فسلكوا في امره هذه المسالك، وذلك انهم في اليوم الذى قدمت فيه عليهم، يرسل الله تعالى من عالم الغيب رجلا اليهم، فيستقبلونه كما استقبلوك، ويسلكون معه طريقة الملوك، من غير نقص ولا زيادة، وقد صارت هذه لهم عادة، فيستمر عليهم سنة، في هذه المرتبة الحسنة، فاذا انقضى الاجل المعدود، وجاء ذلك اليوم الموعود، عمدوا الى ذلك السلطان، وقد صار فيهم ذا مكان وامكان، وعلقة ونشب، واخاء ونسب، وثبتت له اوتاد، وصار له اهل واولاد، جرّوا برجله من التخت، وسلبوه ثوب العزة والرخت، والبسوه ثوب الذل والنكال، واوثقوه بالسلاسل والأغلال، وحمله الاهل والاقارب، واتوا به الى بحر قريب فوضعوه في قارب، وسلّموه الى موكّلين ليوصلوه الى ذلك الجانب، فيوصلونه الى ذلك البر، وهو قفر اغبر، لا به انيس، ولا رفيق ولا جليس، ولا زاد ولا ماء، ولا نشو ولا نماء، ولا مغيث ولا معين، ولا قريب ولا قرين، ولا قدرة ولا امكان، على الوصول الى العمران، ولا ظلّ ولا ظليل، ولا الى الخلاص سبيل، ولا الى طريق النجاة دليل، فيستمرّ هناك غريبا وحيدا، فريدا طريدا، الى ان يهلك عطشا وجوعا، لا يملك اقامة ولا يستطيع رجوعا، ثم يستانف اهل هذه البلاد، ما لهم من فعل معتاد، فيخرجون بالاهبة الكاملة، صوب تلك الطريق السابلة، فيقيض الله تعالى لهم رجلا، فيفعلون معه مثلما فعلوا مع غيره قولا وعملا، هذا دابهم وديدنهم، وقد ظهر لك ظاهرهم وباطنهم، فقال الغلام المفلح، لذلك الوزير الناصح، فهل اطّلع احد ممّن تقدّم، على عاقبة هذا المأتم، قال كل قد عرف ذلك، وتحقق انه عن قريب هنالك، ولكنّ غرور السلطنة يلهيه، وسرور التحكم والتسلط يطغيه، وحضور اللذة الحاصلة لسوء العاقبة ينسيه، فلا يفيق من غفلته، ويستيقظ من رقدته، الا وعامه قد مضى، والأجل المضروب قد انقضى، وقد احاطت به نوازل البلاء، وهجم عليه بوازل القضاء، فيستغيث، ولا مغيث، وينادى الخلاص، ولات حين مناص، فلما سمع الغلام، هذا الكلام، اطرق مفكرا، وبقى متحيّرا، وعلم انه لا بد للايام ان تمضى، وهذا الاجل المضروب ينقضى، وانه ان لم يتدارك امره،

ويتلافى خيره وشره، ويتدبّر حاله، ومصيره ومآله، هلك هلاك الابد، ولم يشعر به احد، واخذ يفكر فى وجه الخلاص، والتفصّى من شرك هذا الاقتناص، ثم قال للوزير، الناصح الخبير، ايها الرفيق الشفيق، والنصوح الصديق، جزاك الله منّى خيرا، وكفاك ضررا وضيرا، اننى قد افتكرت فى شى ينفع لنفسى ويحييها، ويدفع شر هذه البلية التى وقعت فيها، واريد معاونتك، واطلب مساعدتك، فانى رايتك فى الفضل مميزا بين اقرانك، فايقا فى محاسن الشيم على اصحابك واخوانك، فقال افعل يا ذا الرغامة، وحبّا لك وكرامة، فقال اعلم يا ايها الصاحب الاعظم، ان الرجوع الى هذا المكان، الذى كنت فيه خارج عن الامكان، والاقامة فى هذا الملك المعهود، انما هو الى اجل معدود، ووقت محدود، وانقضاوه على البتات، وكل ما هو آت آت، وكيفيّة الخروج قد عُرفت، وطريقها تقرّرت اذ وصفت، ولهذا قيل، يا ذا الفضل الجزيل، دخلنا مضطرّين، واقمنا متحيّرين، وخرجنا كارهين، ولم يبق جهة تخلص، من هذا المقنص، الا طريق واحد، وسبيل غير متعدّد، وهو ان تاخذ طايفة من البنّايين، وجماعة من المهندسين والنجّارين، وتذهب بهم ايها الوزير، الى مكان اليه نصير، حيث لا لنا فيه مغيث ولا نصير، فتامرهم ان يبنوا لنا هناك مدينة، يشيّدوا لنا فيها اماكن مكينة، ومخازن وحواصل، وتملأها من الزاد المتواصل، من المآكل الطيّبة، والأطعمة والاشربة، اللذيذة المستعذبة، ولا تغفل عن الارسال، ولا تجيز الامهال والاعمال، فى الظهيرة والأسحار، والغدوّ والآصال، اذ اوقاتنا محدودة، وانفاسنا معدودة، وساعة تمضى منها غير مردودة، واذا فُوّت شى من ذلك الوقت، فلا نعوض عنه الا الخيبة والمقت، فننقل الى هناك على حسب طاقتنا، ومقدار قدرتنا واستطاعتنا، ما يكفينا لاقامتنا، او مقدارٌ ما نتزوّد منها، اذا رَحَلْنا الى غيرها عنها، بحيث اذا نقلنا من هذه الديار، وطرحنا فى تلك المهامه والقفار، وجفانا الاصحاب، وتخلّى الاخلاء عنّا والاحباب، وانكرنا المعارف والاولاد، واحتوشتنا فى تلك البيداء، فنونُ الداء، نجد ما نستعين به على اقامة الاوَد، مُدّة اقامتنا فى ذلك البلد، فاجاب بالسمع والطاعة، واختار من المعماريّة جماعة، واحضر المراكب، وقطع البحر الى ذلك الجانب، وجعل الملك يمدّهم بالآلات والادوات، على عدد الانفاس ومدد الساعات، الى ان انهوا المعمارية العمارة، واكملوا حواصل الملك وداره، واجروا فيها الانهار، وغرسوا فيها الاشجار، فصارت تساوى اليها الاطيار، ويترنم فيها البلبل والهزار، بانواع التسبيح والاذكار، وغدت من احسن الامصار، وبنوا حواليها الضياع والقرى، وزرعوا فيها الوهاد والثرى، ثم نقل اليها ما كان عنده من الخزاين، ونفايس الجواهر والمعادن، وارسل طوايف الناس اليها، ومن احتياجاته المعوّل عليها، بحيث لو اقام فيها سنين قامت بكفايته، وفَضلت خيراتها عن حاجته، واكثر من ارسال الاقامات، من الاشربة والطعامات، وجهّز الخدم والحشم، وصنوف الاستعدادات من النعم، فما انقضت مدّة ملكه، ودنت اوقات هلكه، الا ونفسه الى مدينته تاقت، وروحه الى مشاهدتها اشتاقت، وهو مستوفز للرحيل، ورابضٌ للنهوض الى التحويل، فلما تكامل له فى الملك عام، لم يشعر الا وقد احاط به الخاص والعام، ممن كان يفديه بروحه، من خدمه ونصوحه، ومن كان سامعًا كلمته، مراعيًا حرمته وحشمته، وقد تجرّد لجذبه من السرير، ونزع ما عليه من لباس الحرير، ومشوا على

عادتهم القديمة، وسلبوه نعمته الجسيمة، ومملكته العظيمة، وزالت الحشمة، والكلمة والحرمة، وشدوا وثاقه، وذهبوا به الى الحراقة، ووضعوه وقد ربطوه، فى المركب الذى عيّنوه، واوصلوه الى ذلك البر، من البحر، فما وصل اليه، الا وقد اقبلت خدمُه عليه، وتمثلت طوايف الحشم والناس لديه، ودقت البشاير لمقدمه، وحل فى سروره المقيم ونعمه، واستقر فى اتم سرور، واستمرّ فى اعمر حبور، ثم قال الملك لاولاده، وفلذ اكباده، وانما اوردت هذا المقال، على سبيل المثال، فاصغوا الى حسن التنظير، حتى ابيّن لكم النظير، وعوا ما اقول، باذان القبول، وتاملوا رُموز المعانى، من هذه الالفاظ التى اخجلت المثانى، ثم تفكروا وتبصّروا، وبعد التفكر والتبصر تدبروا، اما ذلك الغلام المعهود، فانه الولَد فى اول الوجود، واما المركب الاول الذى اُودعه، فهو بطنُ امّه الذى استودعَه، وانكسار السفينة، هو انشقاق المَشيمة، والجزيرة التى خرج اليها، هى الدنيا التى دخل عليها، والناسُ الذين استقبلوه، فاقاربُه وذووه واهلوه، يربّونه بالملاطفة والدلال، ويعاملونه بالاكرام والافضال، وذلك الشابّ الذى هو وزيره، فهو عقله ومن ايمانه نورُه، والسنة المضروبة اجله المحتوم، وعمره المعدود المعلوم، ونزوله عن سريره، عبارة عن آخرته ومصيره، وخروجه من الدنيا بالاكراه، وشروعه فى دخوله الى أخراه، والبحر الثانى الذى يطرح فيه، هو أهوالُ ما يُعاينه عند الموت ويعانيه، والبرّ القفر، اللحد والقبْر، فالسعيد يتفكر فى كيفية اموره واحواله، ومبداء اموره ومآله، ثم يتدبر فى قلّ هذا وجُلّه، ويستعدّ لما خُلق من اجله، ويتحقق ان الاقامة فى دار الفناء يسيرة، وهى بالنسبة الى الاقامة بدار البقاء قصيرة، وانه اذا جاء وقته تختّم، لا يتاخّر عنه ساعة ولا يتقدّم، فياخذ فى الازدياد، من الاستعداد، ويتهيّا ما امكن ليوم المعاد، ويَعُدّ نفسَه كالمسافر، الذى اتى بعَضّ الحاضر، فلا يقيم اكثر من يوم، وقد رحل مع القوم، كما قيل

شعر
الا انما الدنيا كمنزل راكبٍ   اناخ عشيًّا وهو بالصُبْح راحلُ

فى سَفَرٍ طويل، زادُه قليل، قفارُه يابسة، وطُرقُه طامسة، وظلامته دامسة، ولا انيس له ولا رفيق، ولا مصاحب ولا صديق، ولا دليل ولا خليل، ولا مَبيت ولا مقيل، ولا ماء ولا مُعين، ولا مَدد ولا مُعين، فيهيّى لهذا السفر بقدر الامكان ما قدر من الزاد والماء، والمراكب والكلاء، ونور الطريق، والمسافر والرفيق، والخادم والانيس، والمنادم والجليس، ويُمهّد المَضجع للمبيت والمقيل، ويهيّى المنجع فى النزول والرحيل، وفى الجملة لا يترك من أفعال الخير شيا الا فعله، ولا مُجملا الا فصّله، ولا متاخرًا الا قدّمه، ولا معاملا فى مبايعة برّ الا أَسْلَفه فيه وأَسْلَمَه، وليعْلَمْ انّ كلّ ذلك محتاج اليه ومضرورٌ اليه، اذا نُقل الى دار البقاء واَقْبل عليه، فاذا جاء وقتُ الرحيل، ونادى منادى الانتقال والتحويل، وجد ما كان عمله حاضرا، وكل ما قدّمه الى رياض الخير نزها ناضرا، كما قال ذو الجلال، واخبر به الصادق فى الوعد والمقال، ان الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحْزنون يعنى لا خوف عليهم فيما هو امامَهم، ولا يحزنون على ما خلّفوا وراءهم، فاذا دخل فى قبره وَجده روضة من رياض الجنة وناداه مُنادى قوله تعالى يبشرهم ربّهم برحمة منه واما ذلك الشقىّ، الغافل الغبىّ، الذى اهمل امره، ونسى الله وذكرَه، واهمل ما خُلق لاجله، وتاه فى بيداء الضلال وسُبله، واغترّ بهذه اللذة اليسيرة، فى

هذه المدة القصيرة، واستمرّ سكران فى ميدان العصيان، من خمرة الطغيان، وتردّى لباس الردى، اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى، فانهدمت عمارتهم، وما ربحت تجارتهم، حتى اذا جاء الوقت المعلوم، ونزل به الأجل المحتوم، فنظر امامه، فتراى له اعلام، واما ان كان من المكذبين الضالين، فنزل من حميم، وتصلية جحيم، فنزل من دار الغرور، الى نار الشرور، فندم ولا ينفعه الندم، وقد زلّت به القدم، فخاب مآبا، وقال يا ليتنى كنت ترابا، فانظروا يا اولادى، ومن ثم عُدّتى وعتادى، حال الفريقين، وتاملوا مآل الطايفتين، ولقد بذلت فى النصيحة جهدى، واستخلف الله عليكم من بعدى، فقال اكبر ولده، وهو لسلك محاسنهم واسطة عقده، جزى الله مولانا عن شفقته خيرا، وأولاه على حسن النصيحة اجرا وذخرا، فلقد احييت قلوبنا بزواجر حكمك، وشنفت أسماعنا بجواهر كلمك، ولكن اخوتى وان كانوا من أولى العلم، وارباب النباهة والحلم، لهم العقل الغزير، والفضل الجمّ الكثير، والراى المصيب المنير، غير ان حدّة الشباب عليهم غالبة، ودواعى النفس بشهواتها مطالبة، لا سيّما اذا حصلوا على ملك عريض، ونفايس مال طويل عريض، فان اتفق مع ذلك مرافق منافق، ومصاحب ممذق، وصديق خدوع، ومباطن مكّار ضلوع، اضلّهم عن سواء السبيل، وصار لهم الى طريق المخالفة اوضح دليل، فتتحوّل صداقتنا عداوة، وتتبدّل فيها بالمرارة الحلاوة، فيتزعزع الرخاء، ويتمزّع الاخاء، ويبغى بعضنا على بعض، وتعود الأخوة على موضوعها بالبغض، وتتولّد لذلك الفتن، وتنجرّ الى صنوف المحن، ويظهر من العداوة ما بطن، فالراى عندى انه ما دام زمام التصرّف فى يد الامكان، يفتكر مولانا السلطان، على مقدار جهده، فى مصلحة عبده، بحيث لا اكون مضغة للماضغ، ومشغلة لكل قلب فارغ، ولا يسلمنى لانياب الحوادث، ومخاليب الدهر الكوارث، فانه يكفينى من نوايب الزمان، ما يدعمنى والعياذ بالله من مفارقة مولانا السلطان، جعلنى الله تعالى فداءه، ولا ارانى فيه يوم اساءه، فليأخذ بيدى من هذه الورطة، ولينجّنى من شرّ هذه الخبطة، فانه قيل، من لا يقبل المستقيل، ولا يغيث المستغيث، ولا يتقيّد بمعنى هذا الحديث، ولا يريح غصّة ذى الغصّة، ويفوت عند الامكان الفرصة، يصيب ذلك الاحمق، ما اصاب الجرذ الذى لم يخلص الغزالة، الواقعة فى شرك الحبالة، قال السلطان، قل لى كيف قصّة ذلك الجرذان، قال ذكر لى بعض الصيّادين، تخاليس الكيّادين، نصب حبالة لصيد غزالة، فعلق بها، مهاة من المها، فتليّت مجلا، واضطربت يمينا وشمالا، فوقعت عينها على جرذان عنيد، يتفرّج عليها من بعيد، فنادته بلسان ذلق، واثنت عليه بلسان طلق، وقالت يا فارس ميدان المروّة، وأسد العصبيّة والفتوّة، والموصوف بالشطارة والثقف، وكونه اطول ذنبا واجرى فى السقف، هذا وقت الكرم، واوان استعمال مكارم الشيم، وفعل المعروف، واغاثة الملهوف، وصرف الهمّة، الى كشف الغمّة، وان كانت سوابق الصداقة بيننا معدومة، ونقوش التنافر على صحف خواطرنا مرقومة، ونقود المعرفة والاخاء فى جيب التباين مكتومة، ولكن فى الشدايد يعرف الاخاء، والاخوان كثير فى الرخاء، كما قيل

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة   بل فى الشدايد يعرف الاخوان

وقد قصدتك فى الخلاص، وقرض شرك الاقتناص، ونجاتى من سجين القناص، فاقرض هذه

الشبكة باسنانك الحداد، واقتح بيني وبينك باب الوداد، فاني أصلح لك صديقا، وأن اكون لك عتيقا، وأعرف لك الجميلة، وفضل هذه الفضيلة، فاصير لك عبدا الى الممات، فادركني قبل الفوات والوفاة، ومع هذا يا ذا الجاه، لا يكن عملك الا لله، فقد قيل

من يفعل الخير لا يعدم جوايزه   لا يذهب العرف بين الله والناس

فقهقه الجرذ وتهقر، ولعب بابطيه وتمسخر، وتمرغ يمينا وشمالا، وتقصف تطربا ودلالا، وسخر بالغزالة وكلامها، وبادر الى عذلها وملامها، وتبرد بحرارتها، وتحلى بمرارتها، وقال شهوتك الردية، وحرص نفسك الشقية، رماك في هذه البلية، وتحركت سجيته الذميمة، وطبيعته اللئيمة، وانضرط بها وزقزق، وطنز وطفر وصفق، وقال عصب اراس المصحح، من الجبل الصريح، والتعرض لموارد الردى، من دلايل البلاهة والعنا، ولو تعرضت لشبكة الصياد، لدللت على عقلي بالفساد، وحاشا فكري المصيب، وراي النجيح النجيب، ان اجلب لنفسي مرضا، واصير هدفا لسهم الصياد غرضا، ولو فعلت ذلك، لتصديت الى المهالك، وتصدى لي الصياد فعاداني، وترصدني واذاني، وحفر بالمعول وكرى، واوقد النيران في جحري، فسلبني قراري، وبلغني دماري، واقل الاقسام ان يجليني عن دياري، فاني وان خلصت من الموت بسلام، لا استطيع ان اسكن بهذا المقام، وقد قيل لا تسلك غير طريقك، ولا تصاحب سوى رفيقك، واما انا فما لي بصداقتك حاجة، فدعي عنك هذا الطمع واللجاجة، ثم هز عطفيه، ونظر في كتفيه، وتبختر في مشيته، وتمايل في غشيته، وولى في تيهه وكبره، يريد الدخول في جحره، وقد ترك الظبي آيسا في حبايل فكره وضره، وحبايل شدايده وشره، فقيض الله له حداة، خطفته من الهواء واخفت نبأه، واما الظبي فلما أيس من الجرذان، توجه بصدق نية الى الرحيم الرحمان، وقطع آماله عن كل احد، ورفع ضرورته الى الواحد الصمد، واخلص نيته الصادقة، وقطع من الخلايق علايقه، ثم جاء الصياد واوثقه، وقصد به البلد فصادف ذا شفقة، فاشتراه منه بدينار واعتقه، ولم اورد هذه اللطيفة، الى المسامع الشريفة، الا ليعلم ان التواني، عن فك العاني، واغاثة الملهوف، امر مخوف، لا يرغب فيه ذو عقل، وباغاثة الملهوف واخذ يد العاثر ورد النقل، ولا بد من تامل أعقاب القضايا قبل نزولها، وطلب طريقة دفعها قبل حلولها، والخلاص من ورطتها، قبل بغتتها، واسال صدقات مولانا، الذي بالاحسان اولانا، الارشاد الى عمل طريقة ظريفة، لطيفة نظيفة، خفية حقيقة، تكون عدتي وشدتي، مبقية للود بيني وبين اخوتي، قال الملك نعم ما قلت، وجبت في ميدان الصواب وجلت، فاعلم ان في مملكتي ملوكا كبراء، واساطين امراء، ورجالا وجنودا وابطالا واسودا، انا انشاتهم، ولنصرة مثلك اعددتهم، كل منهم ذو وفاء، وبحر مودته ذو صفاء، وباطنه خال من الكدر والجفاء، يقومون معك بادنى اشارة، ويحفظون جانبك من النهب والغارة، خصوصا فلان، امير ممالك خراسان، فانه اعظمهم بابا، وامنعهم جنابا، واوسعهم في الفضل رحابا، واشدهم محبة، واقربهم مودة وقربة، واوفاهم عهدا، واصفاهم ودا، سينجدك في حال اضطرارك اليه، فلا يكن اعتمادك بعد الله الا عليه، مع اني ساعلم جمعهم وآمرهم بايصالك، وأوكد عليهم في ذلك،

فلا تخطر شيئا من النكد ببالك، فقبل ولده الارض، ووقف فى مقام العرض، وقال ايها الملك المجاب، اعلم ان محبة غالب الاصحاب، وصداقة اكثر الاحباب، ومن يدعى خلوص المودة، ويبذل ظاهرا فى ذلك جهده، انما هى لأغراض، وناشئة عن أعراض وأمراض، فاذا حصل ذلك الغرض، وزال العرض والمرض، بردت عن المحبة قلوبهم، وفرغت من بعد المودة جيوبهم، وظهرت بالجفاء وعدم الوفاء عيوبهم، ومن جملة ذلك الحسد، الذى لم يخل منه جسد، على نيل مرتبة، والبلوغ الى منقبة، او زوال نعمة المحسود، وعدم الرضى بقضاء المعبود، فاذا لم يحصل المراد، يبدل القرب بالبعاد، والمحبة بالبغضة، والصحة بالمرضة، كما جرى لنديم الملك الظافر، مع ضيفه المسافر، فقال الملك لولده، اخبرنى بكيفية نكده، وما تولد من قضية حسده، قال الولد أخبر المملوك، انه كان عند بعض الملوك، جماعة من العلماء، وطايفة كثيرة من الندماء، كل منهم لطيف المحاورة، عفيف المجاورة، نظيف المعاشرة، خفيف المكاشرة، ظريف الحركة، كثيف البركة، وبينهم شخص قد سادهم فى هذه الصفات، وفاتهم فى علو الدرجات، اظرفهم لهجة، والطفهم بهجة، واشرفهم مهجة، عذب المكالمة، حلو المنادمة، تقبل الفصاحة ثغر ألفاظه فى خطابه، ويتهلل محيا البلاغة لاشراق جواهر جوابه، اسمه رشيق، وهو لكل عشيق، وللملك اكرم نديم، واقدم خديم، وصديق قديم، يقبل عليه، ويميل دون الكل اليه، ففى بعض الايام، قدم على الرشيق بعض الأعجام، وكانه كان من بغداد، من ذوى الفسق منهم والفساد، رجل من الشطار، عيار مكار، طرار غدار، مستحق الرجم، ليس فى السمآء له نجم، غير ان عنده ما يقال، وقد خدم اهل الفضل والافضال، فعلق بطبعه من شمايلهم، وتلبس ظاهرا بخصايلهم، فتلقاه الرشيق، بما يقتضيه كرمه ويليق، وبالغ فى اكرامه، وتقدم فى احترامه، واكرم نزله، وافاض عليه نعما جزلة، ومال اليه بكليته، وجعله من خواص جماعته، وصار كل يوم يبدى فضلا، ويفتح بابا من الكمال وفضلا، الى ان غلب على ذلك الزنديق، حسد النديم المسمى برشيق، لكونه من خواص الحضرة السلطانية، وقصاص الخدمة الملكية، وكبير الندمآء، وخطير القدماء، فالتمس من النديم، ذلك الوغد الذميم، ان يوصله الى الحضرة الشريفة، ويسبل عليه ظلال نعمه الوريفة، ففكر الرشيق، انفكر الدقيق، فى عقبى هذه القضية، وما يحدث منها من بلية، فانه قد كان، ادرك من ذلك الشيطان، سوء أفعاله، من أقواله، ووخيم عزماته، من شمايل حركاته، وشوم سكناته، وتحقق ذلك من عذبات لسانه وفلتاته، وكل شى تزرعه ينفعك، الا ابن ادم تزرعه يقلعك، ومن أكرم ذا خسة، ورأى من امره عكسه، فلا يلومن الا نفسه، فصار يسوف به ويدافعه، ويمانعه ويصانعه، ويدارى الوقت، خوفا من المقت، الى ان أيس ذلك منه، وقطع الرجاء عنه، فالتهب قيظ غضبه، واشتعل شواظ لهبه، فما رأى لبرود هذه الغصة، الا كتابة قصة، يعرضها ذلك المنهمك، على ازآء الملك، يضع فيها لشدة حسده، من الرشيق ويفت من عضده، ويفترى ذلك المجترى، عليه بما هو منه برى، فراقب الفرصة، وكتب القصة، يذكر له مساوى فيها، ومن جملة مساويها، ان بجسد الرشيق، من الدآء العتيق، ما عجز الاطباء، واعيا الحكماء والالباء، وان ذلك الدآء يعدى، وفعله اللازم يتعدى فيردى، وان كثيرا من الناس، الاخيار الاكياس، ممن

لطلع على دآيه، ومعضل بلآيه، يتحامون صحبته، ويتجنبون قربه ومؤاكلته، وان هذه نصيحة عرضها، وعلى نفسه فرضها، اذ القيام بابدايها وجب عليه، وانهاوها الى المسامع الشريفة مندوب اليه، فلما وقف الملك على مضمون ما انهاه، ذلك الخبيث فى مدعاه، تذكر ما قاله نبيد للنعمان، من وزيره العبسى فى ماضى الزمان، رجز

نحن بنو امّ البنين الاربعه   ونحن خير عامر بن صعصعه
اليك جاوزنا بلادًا مسبعه   نخبر عن هذا خبيرًا فاسمعه
مهلًا أبيت اللعن لا تاكل معه   إنّ استه من برص ملمّعه
فانه يدخل فيها اصبعه   يدخلها حتى يوارى اشجعه
كانما يطلب شيا ضيّعه

فاشمازت من الرشيق نفسه، ونوى فى رياض مصاحبته غرسه، فامر الحجاب والبوابين، ان يكونوا لدخوله على الملك آبين، فلما ان جاء الرشيق، وقصد الدخول بجاش وثيق، منعوه من الدخول، وقطعوه عن الوصول، فرجع خايبا خاسرا، وبقى حايرًا دايرا، ولم يشك ان هذا الضرب، سهم غرب، لانه لم يعلم له سبب، فقضى من الزمان العجب، فشرع يتفحص فى سبب ابعاده، ويتردد بين اغواره وانجاده، ويذهب رايد فكره كل مذهب، ويعزم على توابعه ليوقفوه على موانع هذا المطلب، الى ان وقف على السبب المضرم، وعلم انه الاحسان الى ذلك المجرم، ولسع ابرة ذلك الآبار المخرم، وظهر لذلك البحر البر، سر قوله الاحسان الى اللئيم سلف فى الشر، فاجتمع بجماعة من اصحابه، وطايفة من خلص احبابه، وعرض عليهم قصته، واستدفع بآرايهم غصته، ثم تعرى من لباسه، عند الخواص من أناسه، لينظروا الى جسده وبأسه، فراوا بدنا كسبايك الفضة، وأطرافا ناعمة غضة، واعضاء تحسدها من الحور غوانيها، مسلمة لا شية فيها، فاجمعوا على سلامتها، وذكروا للملك محاسنها بعلامتها، وشهدوا بحسن صفايها، ورونق مآئها، وانها سليمة عن الادوآء، بريّة من كل دآء، وكانها فى شانها كما قيل شعر

وأعجب ما شاهدت فى وصله وقد   نزعنا غلالات وثوب حيايه
تلألأ نور فى مرقرق مايه   وصورة روح فى مثال هواء

واما شده الحسد، عاين ذلك الجسد، فقال الملك صدقتم، وبحقيقة الحال نطقتم، ولكن كيف وقد قيل، وامتلأ الكون بهذا القال والقيل، شعر

قد قيل ذلك إن صدقا وإن كذبا   فما اختيالك فى شىء وقد قيلا

ثم قال الملك لجماعته، المنتظمين فى سلك طاعته، والذى يدور فى معلومى، ويبرز به مرسومى، ان لا يدخل الرشيق علىّ، ولا يصوب نظره الىّ، فاننى اذا نظرته، تذكرت ما قيل واستحضرته،

فتشمئز النفس والخاطر، ويتكدر الباطن والظاهر، وينشوه وجه العيش الناضر، ثم امر له بمال جزيل، واقطاع عظيم جليل، ومنعه من المثول بين يديه، والدخول عليه، وانما اوردت هذه الحكاية، المتضمنة لهذه النكاية، لتحيط العلوم الشريفة، والآراء المنيفة، ان بعض المدعين الصداقة، واتمامها باحكام الوثاقة، لا يعتمد على دعواهم، ولا يركن الى مضمون فحواهم، فربما يكون صداقتهم من هذا القبيل، فتؤدى الى داء ثقيل، وغم عريض طويل، لا يمكن علاجه، ولا يسلك منهاجه، واعظم ما فى ذلك، ما يؤدى الى المهالك، وهو عداوة الأقرباء من الآباء والابناء، وذوى وشايج الاخاء، فان ذلك غل قمل، ومرض لا يبرأ وجرح لا يندمل، وان عداوة الاجانب، اسهل من مجانبة الاقارب، وان الاقارب انما يرجون لدفع الداء فاذا كانوا هم الاعداء، فقد اعضل الداء، ومن شواهدها ايها الملك الفاضل، ما جرى لابن سلطان بابل، مع عمه الظالم القاتل، الخاين الخاتل، فقال الملك الكبير، أخبرنا على صورة ذلك ايها الخبير، قال ذكر اهل التاريخ، ايها العالى الشماريخ، انه كان فى ممالك بابل، ملك عظيم فاضل، كريم الشمايل، عدله مشكور، وفضله مذكور، وجوده فى الآفاق مشهور، همته عالية، ونحور الممالك بعقود فواضله حالية، وافواه مسالكه كثغور الغوانى بشنب العدل والأمان زاهية، وله ولد صاحب حسن وجمال، وفضل وافضال، وملاحة ودلال، وصباحة وكمال، غير انه صغير السن لم تمر به التجارب، ولم يبل احوال الاباعد والاقارب، لا مارس الانام، ولا سايس الايام، ولا سبر العدو والصديق، ولا خبر الحريق والرحيق، ولا فرق بين المفارق والموافق، والمنافق والموافق، والمصادق والمصادم، والملاصق والمصارم، فلما دنت وفاة ابيه، جمع اخصاءه وذويه، واراد ان يعهد الى ولده، ويرقيه الى مسنده ومستنده، ثم تدبر فى اموره واحواله، وتفكر فى مصيره ومآله، فاختشى انه ربما اخل بشى من القواعد، فابعد الادانى وادنى الاباعد، او وضع شيا فى غير محله، او ولى منصبا غير اهله، وذلك لعدم تدبر، او فساد تصور، او لشوم رفيق، وفقد مرشد شفيق، او لغرض فاسد، من كاشح او حاسد، فيختل نظمه، ويعوج قوامه، ويفسد امره، فيخونه زيده وعمره، وكان للملك اخ، بل فخ، يدعى الثقة، ويظهر انه ثقة، وله حنو وشفقة، فعهد اليه، واعتمد عليه، وسلمه ولده، وجعله وصيه ومستنده، واجلسه مكانه، واشهد عليه من روساء المملكة اركانه، انه اذا ترشح ولده للولاية، وآنس منه رشده للرعية والرعاية، يجلسه على السرير، ويسلمه الكبير من جنده والصغير، ويكون هو له احسن وزير، وايمن مشير، ونظام ملكه، ورايس فلكه، وعضد ساعده، وساعد مساعده، واتابك عسكره، وعماد اموره واوامره، فان نفس ولده الآن فى سن جهلها، فاذا غدت من اوعار رعونة الصبا الى سهلها، يؤدى اليه ملكه بمقتضى قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها فتقبل اخوه ذلك منه بقبول حسن، وتكفل له ان يأسو جراح الملك احسن أسا، واظهر التودد والترفق، والتملق والترقق، والتلهف والتحرق، والتاسف والتحرق، وبكى وتاوه، وشكى وتدله، وتمسكن، حتى تمكن، فلما قضى الملك نحبه، واجاب ربه، صعد اخوه على السرير، وتمكن من الجليل والحقير، وتحكم فى الكبير والصغير، وتشربت الملك اضلاعه، وعمرت حب الملك والتسلط فى دور طمعه رباعه، وابن اخيه فى كفالته، والممالك فى ايالته، واستمر الصغير تحت نظره، لا يفارقه فى سفره ولا حضره، يكتسب كل يوم مخايل السعادة، ويلوح من حركاته شمايل

السيادة، ويظهر على أعطافه الملوكية يوما فيوما آثار الحسنى وزيادة، الى ان ارتفع قدرا، وصار في الكمال هلال أوصافه بدرا، فشم عمّه من رياض همته عرف الطلب، وقوى في ذلك ما كان تقدم من سبب، وعرف انه لا بدّ له في ذلك من تصريحه، فلو منعه لقال كل الخلق باستهجانه وقام بتقبيحه، فتحل عقوده، وتفلّ جنوده، وتختلّ من عسكره بنوده، وتفسد صورته وسيرته، وتنقّص من حبل عمره مريرته، فلا يحصل من الملك، الا على الهلك، فاعمل الكيد، وخرج الى الصيد، فتفرقت العساكر، وانفرد الملك الماكر، ومعه ابن اخيه، فاختلى به في تيه، فوثب عليه، وجمع بكر يمتيه، والقاه في البريّة، الى مخالب المنيّة، وتركه وحيدا، اعمى فريدا، لا يجد دليلا، ولا يهتدى سبيلا، ولا يعرف مقرّا ولا مقيلا، ثم اجتمع بعسكره، ظانّا انه فاز بظفره، مخبّرا بوفاته وتعمية خبره، ففرغ باله، وأصلح حاله، واطمأنّ خاطره، واستقرت اموره، واستقامت اوامره، فلما هجم الليل، اقبلت السباع من كل واد كالسيل، وقصدت الوحوش والهوام، ما لها من ماوى ومقام، وعوت الذئاب وزأرت الاسود، وهمرت النمور والببور والفهود، فساورت ابن الملك الهموم، وثاورته اصناف الغموم، واحتوشته المخاوف والوجوم، فلجا الى جناب الحيّ القيوم، جناب من لا يخيب قصده، ولا يصدر الا بنيل الامل وارده، وصار يحسس بيديه، ويصغى الى الجوانب باذنيه، ويمشى الى كل جانب، ويهوى بيديه الى الاطراف والجوانب، ويتعلق بحبال الهواء، كالغريق الغاطس في الماء، فوقعت يده على شجرة، فعلق فيها انامله وظفره، ثم صعد عليها، واوى اليها، وتوجه بقلبه الى خالقه، وموجده ورازقه، وقطع عما سواه اسباب علايقه، واشتغل بالذكر والتسبيح، وفوض امره الى الله تعالى بامل فسيح، واستمر في هذا الويل، برهة من الليل، وكان طايفة من الجان المهرة، كل ليلة تاوى الى هذه الشجرة، فيتذاكرون ما جرى في العالم، وما صدر في عالم الكون والفساد من افعال بنى ادم، ويقيمون افراحهم، ويتعاطون انشراحهم، فلما اجتمعوا تلك الليلة، ذكر كل قوله، وما جرى من الحوادث، من المفرحات والكوارث، وما وقع من العجايب، واتفق من واقعات الغرايب، فقال واحد من القوم، ومن اعجب ما وقع اليوم، من الامر الكريه، ما فعله ملك بابل بابن اخيه، وذكر لهم القصة، وما تضمنت من بليّة، وجعل يتأرّق، ويتحرّق، ويتبرّم، ويتضرّم، ويحرق الأرّم، ويتعجّب من عدم وفاء بنى آدم، فقال رئيس الجان، هذا غير بديع من طبع الانسان، فانه مجبول على الغدر، مطبوع على الدهاء والمكر، الم تسمع قول قايلهم في اوصاف خصايلهم، وقبيح شمايلهم، وما دون سمعك من عجز، اذا كان الغدر طباعا فالثقة بكل احد عجز، ثم قال الرئيس اعلم، يا نفيس انّى اعلم، ما يزيل هذا الألم، ويطفى هذا الضرم، ويشفى هذا السقم، وهو ان هذه الشجرة النجيبة، لها خاصية عجيبة، اسمها شجرة النور، وفضلها في ذلك مشهور، اذا اخذ من عصارة ورقها، ووضعته العمى على حدقها، انجلى عماها، بقدرة ربّ براها، وخلقها فسواها، وردّ اليها بصرها، وزاد قوة نظرها، ثم ان الخرابة الفلانية، فيها خمّ حية بدنية، هي تابعة ملك البابل، الفاعل هذا الفعل السافل، وحيوته متعلقة بحيوتها، وموته موقوف على مماتها، لان طالعه على طالعها، وطبعه اللئيم مطبوع على طبايعها، فبمجرد ما تموت الحية يموت، وينتقل من درج الملك الى درك الملكوت، كل ذلك وابن الملك يسمع هذا القول،

ويلتجاه الى ذى القوة والحول، حتى منّ عليه بعد شديد العقاب بهذا الطول، فجعل ينادى أى حين الصّبح تهلّل، ويا ايها الليل الطويل الا انجل، فما الاصباح منك بامثل، فلما اصبح الصباح، ونادى مؤذن السعد حيّ على الفلاح، تيمّم ابن الملك وصلّى، وحمد الله على النهار اذ تجلّى، ورض بين حجرين من ورق الشجرة، واكتحل بمايه فردّ الله عليه بصره، ثم وجّه ذهابه، الى تلك الخرابة ورصد خروج تلك الحيّة اللاطية، وضربها ضربة غير خاطئة، فاحاط بها نازل الهلك، وفى الحال خرّ منه ميتا عن سرير الملك، وبينما العزاء عليه قايم، واذا بصاحب السرير عليهم قادم، وقد قصد ملك ابيه، وتمكّن من اهله وذويه، وتصرّف فيه كما شاء، والبسه خلعة الملك من يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشا، وانما اوردت هذا التمثيل، خوفا ان يكون صاحب مولانا من هذا القبيل، فتبتدل المحبّة بالبغض، فترجع على موضوعها بالنقض، ثم ان بعض الاصحاب والاخوان، يفعل ما يفعله من الخير والاحسان، على سبيل المكافاة، لا على طريق المودة والمصافاة، فاذا كافى الاحسان، عاد الى ما هو عليه من العدوان، فاسأل الصدقات الشريفة، والمراحم المنيفة، والفضل المشهور، والاحسان الماثور، التامّل فى عواقب هذه الامور، لئلا يصيبنا ما اصاب المسافر، ضيف الحدّاد المنافر، من العفريت الملقى فى الحافر، قال الملك اخبرنى ايها الولد النجيب، عن ذلك الامر العجيب، وقاك الله شرّ الوجيب، قال بلغنى من رواة الاخبار، ان شخصا من الاخيار، لازم الاسفار، وقطع القفار، فجاز مشارق الارض ومغاربها، وبلغ اكنافها وجوانبها، وشاهد غرايبها وعجايبها، وقاسى حرّ الزمان وقرّه، وذاق حلوه ومرّه، وعانى خيره وشرّه، فاداه بعض المسير، الى بلد كبير، فراى فى بعض نواحيه، وطرف من ضواحيه، طايفة من الصبيان، قد اجتمعوا فى مكان، فوصل اليهم ذلك الفقير، فوجدهم واقفين على حفير، يرمون فيه بالاحجار، وهم يستغيثون بالثار، من العدوّ المكار، والخبيث الغدّار، والحسود القديم، والكافر الذميم، والشيطان الرجيم، فسالهم ما هذه المعضلة، فقالوا عفريت وقع فى هذه البير المعطلة، فهو عدوّ قديم نريد ان نقتله، فقال تفسّحوا حتى ننظر اليه، واساعدكم عليه، ففسحوا عن ذلك الطوى، فنظر ذلك الركى، فى قعر الركى، فراى فى جانب منها عفريتا وهو منزوى وقد هشموه، وكسروه وحطموه، وكاد يهلك عمّا رجموه، فعند ما نظر اليه، رقّ له وعطف عليه، وقال افضل المعروف، اغاثة الملهوف، وان لم يكن بيننا سابقة صداقة، ولا وشيجة محبّة ولا علاقة، بل عداوتنا جبلية ومباينتنا ازليّة، لكن فعل الخير لا يبور، ولله عاقبة الامور، واذا قصد الانسان فعل خير، فلا عليه افعله مع اهله ام مع الغير، وقد قيل للتمثيل

ايها الانسان قد عداك الذم   افعل الاحسان والقه فى اليم

ثم منع عنه الكبير والصغير، وساعده على الخروج من البير، واستنقذه من ايديهم واطلقه، فكان كمن اشتراه واعتقه، فلما راى العفريت هذا الاحسان، من ذلك الانسان، من غير سابقة ولا عرفان، قبّل يده ورجله، وشكر له هذه الفعلة، وقال انى عاجز عن مكافاتك يا انسان، فى هذا الاوان، وان اسمى فلان، فان وقعت فى ضيق، او ضللت فى طريق، فنادنى باسمى، احضر اليك بجسمى، فانفعك فى ضيقك، وأرشدك الى طريقك، واكافيك ايها اللوذعى، بما فعلته معى، ثم ودّع كلّ صاحبه، وخالف فى المسير جانبه، فوصل السيّاح الى بلد من البلاد، له فيها صديق حدّاد، فنزل

عنده واكرمه، ورحّب به وخدمه، وكان لتلك البلدة عادةٌ غيرُ حَسَنَة، انهم في يوم معيّن من كل سَنَة، يقربون من تقدّم عليهم فيه، ولا يبالون اخاملٌ هو ام نبيه، فان لم يقدم عليهم غريب في ذلك اليوم، اقترع فيما بينهم القوم، فمن خرجت قرعته سَحَبوه، وكسروا قرعته وقربوه، فوافق ذلك اليومَ قدومُ السايح، ولم يرَه سواه من غاد ورايح، ولا شعر به احد، من اهل البلد، فاخذوا في القُرْعة بالاجتهاد، فطرقت القُرعة قرعة الحدّاد، فقبضوا عليه وعزموا على تقريبه، فقال عندى غريبٌ لم يكن احدٌ يدرى به، فلم يشعر السايح، الا وقد احاطت به الطوايح، فهجموا عليه، وربطوا عنقه ويديه، ثم سَحَبوه وحبسوه، وفى اضيق مكان اجلسوه، وشهروا النداء، انه حصل للحدّاد الفداء، فعلم السايح القضيّة، وتحقق انه تورّط في بليّة، فذكر اسم العفريت، وقد علقه الهمّ علوق النار بالكبريت، فحضر لساعته ووقته، فراى السايح في هوله ومَقته، واطّلع على جليّة الشان، فقال لا تخش يا ذا الاحسان، اعلمْ ان اميرَ هذا البلد، له ولد، هو واحدُ ابويه، وانى الآن اصرعه بين يديه، ثم انادى، في النادى، ان رُمتم شفاء هذا العليل، فهو دعآء ذلك الرجل الجليل، السيّد الصالح، الزاهد السايح، ضيف الحدّاد، الذى بسببه حصل هذه الانكاد، فأطلقوه والتمسوا دعاءه، فان فيه لعليلكم شفاءه، فلا تطلبوا من غيره دواءه، فاذا طلبوك، واعزوك وارغبوك، واكرموك، واحترموك، فادعُ بما يرفعُ نكدهم، فانسى الذاك اترك ولدهم، فاذا رأوا منك هذه الكرامة، بالغوا في اكرامك وسلّموك الزغامة، وخيّروك بين الرحيل والاقامة، واقلّ ما يفعل معك السلامة، ثم ذهب الى ابن الملك وخبطه، وحلّ في أعصابه وربطه، فتخبّط الصبيّ وتخبّل، وتكبّل وتحبّل، وكادت روحه تخرج فأسبل، فاشتغلوا بشانهم، عن امر قُربانهم، وطلبوا الاطبّاء، فاعياهم علاجُ هذا الداء، فلم يقدروا على علاجه، وتعديل مزاجه، وتقويم اعوجاجه، واشتغلت به الخواطر، وتنكد البادى والحاضر، فعند ذلك نادى العفريت، من جانب البيت، يسمعون كلامه، ولا ينظرون مقامه، انّ زوال هذا العارض، ومَنْع هذا الدآء المعارض، عند رجل قدوة، مستجاب الدعوة، رجل صالح، زاهد سايح، عالم عامل، فاضل كامل، هو بركة البلاد والعباد، مادّة الصلاح قادّة الفساد، وهو ضيف الحدّاد، الذى فرط في حقه منكم سوء الادب، فادركوه بالطلب، واسرعوا نحوه، والتمسوا منه الدعوة، والا فانّ ولدكم هالك عنوة، وبادروا باللحوق، لئلا يخرج السهم من الفوق، فان سهم هذا المصاب، بسبب ذلك اصاب، فركب الملك بنفسه، وسارع الى باب حبسه، ودخل عليه، واكبّ على رجليه، وطلب دعاءه، ورام لولده شفاءه، فتوضّى وصلّى، واعرض عنهم وتولّى، وتوجّه ودعا، لحصل للولد الشفا، ونهض في الحال، كانّما نشط من عقال، ثم انّ العفريت الجايح، اتى الرجل السايح، وقال لا تحسبْ انّى اذ كافيتك، صادقتك او صافيتك، كيف وعداوتنا قديمةٌ مغروزة، وعروق النباغض في حدايق ذواتنا مركوزة، انا من نار وانت من تراب، شيمتك التربية وشيمتى الاحراق والاخراب، ومتى استقام اعوج مع قوام، او أحبّ مشرقىٌ اهلَ الشام، وانما كان هذا الوفاء، لئلّا أُنسَبَ الى الجفاء، والاّ نحن على الكدر دون الصفاء، وعلى ما نحن عليه من العدوان، كان لم يصر بيننا معرفة ولا كان، ثم صار شعلة لهب، وترك السايح وذهب، ثم قال ابن الملك فان كان صداقة هولآء الاصحاب، كصداقة اوليك الاحباب،

فما في صحبتهم فايدة، ولا في محبتهم ومودتهم عايدة، ثم قال ابن الملك ومن انواع المحبة والصداقة، وما يتأكد فيه العلاقة، نوعٌ محبّةٌ تتوفر فيه الرغبة، تنشأ من فرط الشهوة، وتركب من صاحبه على الصبوة، وتميل اليه النفس والطبيعة، ولكن يكون استحالتها سريعة، فتزول بأدنى سبب، وتشبه شواظ اللهب، يلتهب ساعة وقد ذهب، وربما أدّى الى الهلاك والعطب، كما فعل بالبطة الثعلب، حيث كانت محبّتها غير صادقة، ومودّتها لزوجها بالشهوة ممازقة، وشتّان ما بين المحبة الخالصة والمحبّة المنافقة، لا جرمَ ادّت الى عكسها، وازهاق نفسها، قال الملك اخبرني ايها الولد الخبير، كيف هو هذا النظير، قال ابن الملك ذُكر انّ زوجًا من البطّ، كان له ماوى على شطّ، جار بين رياض، ومروج وغياض، ازاهيرها عطرة، ورياحينها نضرة، وقريب من وكر البطّتين، ماوى لابي الحُصين، فحصل لذلك الثعلب، المرض المسمّى بداء الثعلب، فسقط وَبَره، وانمعط صوفه وشعره، وذاب جسمه، وتبرّأ لحمه، وقرب التلف، واللحاق بمن سلف، وصار كما قيل

مُحَــرّقة باليــةٍ   بال عليها الثعلب

فاستطبّ لدائه، كلاًّ من اودّائه، حتى قالت له سلحفاة، وقد انحله السقم واخفاه، واعتدى عليه المرض واشتطّ، ان دواء دائك كبد البطّ، فان اكلت كبدَ بطّة، تصلحت من هذا البلاء ابتّة، وخلصت من العلّة المُشتتة، فقال ومن لى بهذا الدواء، وانا ليس لى حراك والبطّ في الهواء، فشفاء هذا الداء العضال، من باب التعلق بالمحال، وكانّ الشاعر يغنّيني، اذ سمع انيني، وراى سكوني تحت أحمال شجوني، بقوله

فقال قُم قلتُ رِجلى لا تُطاوِعُنى   فقال خُذ قلتُ كفّى لا تُواتيني

ثم انه استنهض همّته، واستنخى نهمته، وصمّم عزيمته، واستعمل فكره، واستورى مكره، وقال لنفسه لا ينجيك من هذه الأنكال، الا التشبّث باذيال الاحتيال، لعلّ الله واهب العطيّة، يظفرني بهذه الامنية، ثم توجّه وهو يتشحّط، الى صَوب البطّ، وصار يتلفّتني في جنبات الشطّ، الى ان لاح له بعد الأين، انثى هاتين البطّتين، فتخفّى الى ان قاربها، ثم واثبها، فما ساعدته القوة، فهوى في هوّة، فما وسعه الا ان غالط، واظهر المودّة وخالط، وعبر عينه وباسط، وارى من نفسه ان تلك الوثبة، انما هى من داعية المحبّة، ونهضة الاشتياق الى الأحبّة، ثم بادر وقال مرحبا بالجارة الصالحة، ومن نعوتها بمسك العفّة فايحة، واخلاقها الغادية بنشر الخير والرايحة، المخدرة المحبّبة المحبّة المتحبّبة، حيّاك الله من قرينة رضيّة، جميلة الأوصاف بهيّة، فما اكثر أحسانك وفضايلك، واوفر امتنانك وفواضلك، لقد عمّمت باحسانك، جميعَ معارفك وجيرانك، واطعت زوجك وحلالك، وتحقق كل أحد بحسن الشيم خلالك، ولا زال يكيل عليها من حواصل هذه الخزعبلات، ويفعم أردان عقلها من معادن هذه التمويهات، حتى سكنت بعض السكون، وركنت اليه ادنى ركون، ثم اخذ في الايناس، وتمهيد قواعد الاساس، حتى اطمأنّت، واستكانت واستكنّت، ثم قال انّا لله، ولا حول ولا قوة الا بالله، ترى ما راى زوجك فيك من الخلل، ولاح له من عَيب حتى فعل ما فعل، كانت وما فعل، ذلك الجعل، قال لو لا ان الغيبة، ريبة، والنميمة، مشومة ذميمة، ونقل المجالس القبيحة،

وان كانت وقايعها صحيحة، امرٌ مذموم، وهذا معلوم، لكنت افصحتُ، واشبعتُ القول ونصحتُ، ولكنّ الصبرَ على الضراير، فعلُ الحراير، والورد لا يخلو عن شوك، ولا الشباب عن نوع نَوْك، فلما سمعتْ هذه النجوة، حملتْها المحبّة الممزوجة بالشهوة، ان الحّتْ عليه، وسالته ايضاح ما لديه، واقسمتْ عليه بحقّ الجوار، الا ما اطلعها على هذه الأسرار، فقال لو لا ان الجوار نمّة، لما فُهْتُ بكلمة، خصوصًا وقد الححت بالقسم، وتشفّعت بالجوار والذمم، وايضا لو لا وفورُ الشفقة، وعظمُ المحبّة والمقة، واعتمادى عليك انك ثقة، وانّ صدرك مخزنُ الأسرار، وانك ستّ الأحرار، ما اطلعتك على شي مما كان وصار، اعلمى ان زوجك المشتط، قد خطب بنت ملك البط، وله فى هذه المكيدة، مدّة مديدة، آخرها اليوم، كان قد ارسل الى القوم، الماشطة الخطّابة، ان يُبيّنوا اسبابه، فلما سمعت هذا الكلام، فارَها من الغَيْرة الضرام، ولم تشكّ فى انه صادق، وذهلت على التبيين عن خبر الفاسق، وجميعُ الأخبار من الازواج، تتوقّفُ فيها النساء الاّ خبر الزواج، ثم انها تماسكتْ، وارتْ تجلّدًا وتمالكتْ، وقالت اللهُ أحلّ له من الازواج ما طاب له لا حيلة الا الانقياد، وتركُ المُراد، وموافقة السُنّة والجماعة، والدخول تحت الاوامر بالسمع والطاعة، وما ذا يُفيد التدلّه والحيرة، ان الحلال جدّع أنف الغيرة، قال الامر كما ذكرت، وما احسن ما صبرت وافتكرت، وما يمكن الطعن فى الحلال، ولكنّ هذا دليل الملال، وكل من اتّبع هواه، وتخلّل فى طريقه ولو بحلال من سواه، فلا شكّ انه قلاه، وبنار الهجر والجفاء قلاه، وليس هذا ساعة وتمضى، ولا حادثة تقع وتنقضى، انما هو امرٌ دايم، ونزاع أبدَ الدهر قايم، وانما ما اخشى الا عليك، واشتغال خاطرك بما يحمل من النكد اليك، فانّ حقّك ثابت علىّ، وضررك عايد الىّ، فانك جارةٌ قديمة، معروفة بحسن الشيمة، لم ار منك الا الاحسان، وعدمَ التعرّض الى ايذاء الجيران، وكل منّا قد اعتاد بالاخر، ويحظى بصحبته وجواره ويفخر، واخاف ان يتجدّد لى فى الجوار، من يتصدّى لى بالاضرار، ويؤذى ولا يعرف حقّ الجار، ولا يعرفنى ولا اعرفه، ولا ينصفنى وان كنتُ أنصفه، فيتكدّر لى الوقت، ولا أخلو من نكد ومقت، لا سيّما وانا ضعيف، مبتلى نحيف، فلا يستقيم الحال، ولا اقدر على الارتحال، ولا زال يشدّد المضارب، ويفتل منها فى الذروة والغارب، حتى اثّر فيها سمُّه، ونفذ فى سُوَيدايها من مكره سهمه، فاسترشدته الى وجه الحيلة، فى هذه النازلة الوبيلة، فقال ارى الراى السديد، والفكر الرشيد، انه اذا وصل قوله بفعله، واتّبع فى اذاه فرضهُ بنفله، واختار غيرك عليك، تلقيه والف زوج لديك، وارض الله واسعة، وهو المعتدى اذ بدأ بالمقاطعة، وانا اكون السفير، فى خطبة زوج يخجل البدر المنير، يعمّر دارك، ويعرف مقدارك، ويخدم كلبك وجارك، ويملأ وكناك خيرا، وبطنك طيرا، ودماغ دبرك زبيبا، مع كونه وافر الحشمة، مسموعَ الكلمة، قد جمع بين طرفى الاصالة والحرمة، قالت هذا الذى تقول، امر معقول، والى الان ما وقع، وعلى تقدير ان يقع، ان حصل الشقاق والنفاق، وترجيح الأنذال المستجدّة على الكرام العتاق، فيكون بيننا هذا الاتفاق، وان وقعت بيننا المعاندة، ولم يحصل فى حقّى منه مساهلة، ولا للضرة علىّ مفاضلة، كيف أشتقه، وعلى فعل مباح أصابقه، فضلا عن أنّى افارقه، وكيف أخرب ديرى، واعرّ بحمّى وحيرى، واشمت بى الاعداء، ويحتاط بى من

كل جهة البلاء، ونكون الحسود، عندى يا وَدُود، الصبرُ على كل حال على الدهر الكَدود، ونجرّعُ الغُصص لئلا يَشْمت الحَسُود، وكما قيل فى المثل ما بى دخول جهنّم ولكن بى شَماتة اليهود، فلما راى ذلك الخبيث، انه لم يُفدْه هذا الحديث، ولم تتمّ له الحيلة، وافكارُه الوبيلة، فقال اقول الحقّ الذى حَصحَص، ولا عنه مَحيد ولا مَخْلص، ان زوجَك قد نُقل اليه، انك اختَرْت غيره عليه، وانك عاشقة وصُحْبتك له مُخادعة وممذقة، وثبت ذلك لديه، وعقد اعتقادَه عليه، وعَزْمه على الزواج، انما هو تعلّلٌ واحتجاج، نفتّح باب الشرّ، وتعاطى اسباب النكد والضرّ، وقد صحّ عندى انّ ذاك الافّاك، الاثيمَ السفّاك، يريد ان يُجرّعك كاسَ الهلاك، فتيقّظى لنفْسك، وتداركى غَدَك فى أمْسك، قبل حُلولك فى رَمْسك، واستقيمى قبل عكْسك، وانا منذ سمعتُ هذه الاخبار، لم يقرّ لى قرار، وذلك لوُفور الشَفَقة وحَقّ الجوار، وقد زدْتُ ضعفًا على ضُعفى، وكدتُ لهذا الغمّ، أُسقى كاسَ حَتْفى، وانت يا غبنَ الحَسد، تعلمين ان ليس لى غَرض فاسد، وهذا بَديهىّ التصوُّر، لا يحتاج الى تدبُّر وتفكُّر، وقد غرْتُ عليك، والامرُ فى هذا كله منك واليك، فتكدّر خاطرها، وتشوّرت ضمايرها، وضاقت بها الحِيل، وتاهَ منها العَمل، وصالت افكارُها وجالت، وبَدر منها ان قالت، والله لو امكننى لقتلْتُه، ولو وجدتُ فرصة لاغتلْتُه، واسترحتُ من الدهر النكد الغبر، وهذا العَيْش الوَحْش الكَدر، فالتقف الثعلب هذه الكلمةَ من فيها، وعلم ان سهم خَتْله نفذ فيها، لان عُقودَ المحبّة انحلّت، وصُورة المحبّة القديمة زالت واضمحلّتْ، وتلاشت الصداقة بالكلّية، وامحتّ شهوتُها بادْنى جزئيّة، فقال لا تهتمّى لذلك يا ضرة عند، فعندى عقّارٌ من عقاقير الهند، احلى فى المَذاق من ساعة التَلاق، وأمضى من السيف فى حُكم الفراق، اسمُه اكسيرُ الموت، وتدبير الفوت، وسُمّ ساعة، وتفريق الجماعة، لو اكل منه ذرّة، او شمّ منه نشْرة، لقتل فى الحال، وفرق الاوصال، من غير امْهال، فان اقتضى رأيك الاسدّ، ان تخلّصى من هذا النكد، ناولتك منه شذْرة، تكفيك ذرّة منه امره، فان شيت اطعمته، وانْ شئت اشممْته، ولو لا انك عزيزة علىّ، لم اتْفه لك من هذه الامور بشىء، ولقد فضّلْتك على روحى، فاكتمى هذا السرّ ولا تبُوحى، فتجمّلتْ منه جميلتَه، وقد عرفت قدْره وفضيلته، وطلبت منه الدواء، لتُذهبَ به عن قلبها الجَواء، وتقْتل زوجها المسكين، وتسلم من نكده وتستكين، وزالت تلك المحبّة القديمة، ونسيت الصحبة والصداقة القويمة، ووعدها الثعلب ان ياتيها بالعقّار، وفارقها على هذا القرار، ثم انها انتظرته ليفى بوَعْدها، واحترق صبرها من نار همّها ووقدها، وتقاعد الثعلب عنها، ينتظر ما ياتيه منها، فحملها مُثير الوَجْد اليه، وساقها الاجَلُ المحتومُ الى ان قدمت عليه، فدخلت وَكْرَه، ودنت لتقبل يده وصدْره، فاستمكن منها ذلك الغادر، ومزّقها كما يُريد فصارت كالامس الغابر، وانما اوردتُ هذا التمثيل، لئلا يكون اصحاب مولانا من هذا القبيل، فيكون المعْتمدُ عليهم، والمستند اليهم، كالنايم على تيار الأنهار، والمؤسّس بنيانَه على شفا جُرُف هار، فقال الملك معاذ الله يا ولدى، وقرّة عينى وكبدى، ان يكونَ صاحبى ومعتمدى، من هذا النمط، وشبيها بالعفاريت والثعلب والبط، بل كل من اصحابى وسيرْ اولياتى واحبابى، ما منهم الا الصديقُ المهذّب، والرفيق المؤدّب، والشفيق المرتّب، والعتيق المجرّب، وقد جربْته فى المودّة والاخاء، والشدة والرخاء، والمروّة والسخاء، كما جرّب ذلك التاجر

صاحبهٔ فى الانتخاب والارتخاء، قال الولد بنعم مولانا الامام، بتقرير هذا الكلام، قال الملك بلغنى ان بعض التجار، الاكرمين الاخيار، والكرماء الابرار، كان له مال جزيل، وولد صالح جليل، سعيد الطالع، سديد المطالع، عالى الهمة، متوالى الحشمة، ميمون الحركات، جميل الصفات، حسن الصورة، مشكور السيرة، طاهر السريرة، وكان ابوه قد تخيل فيه مخايل السعادة، وتفرس فيه آثار النجابة، فكان لا يفتر عن تاديبه، وارشاده الى سبيل الخير وتهذيبه، وتزيينه بمكارم الاخلاق وترتيبه، فقال له يوما يا بنى، ان الانسان محتاج الى كل شى، واعظم ما يحتاج اليه، ويعول فى التحصيل عليه، الصاحب الصافى، والصديق الموافى، والرفيق المساعد، فى وقت الشدايد، فان المال، ميال، والذهب، ذاهب، والفضة، منفضة، والملبوس، بوس، والاكل شاكل، والخيل خيال، والشواغل شواعل، والدهر داهى، والعصر عاصى، والاقارب، عقارب، والوالد، معاند، والولد، كمد، والاخ، فخ، والعم، غم، والخال، وبال، والدنيا وما عليها، لا يركن اليها، وما ثم الا رفيق ذو وفاء، مجبول على الصدق والصفاء، ان غبت ذكرك، وان حضرت شكرك، مامون على نفسك ومالك، واهلك وعيالك، فى حالك ومآلك، ان غاب صانك، وان حضر زانك، فهو افضل موجود يقتنى، واحسن مودود يعتنى، فان ظفرت به، فتشبث بسببه، ثم قال يا بنى قد اقمت فى الحضر، وانقضى لك فيه ما ذقت منه مما حلا ومر، فلا باس ان تحيط علما باحوال السفر، فان السفر محك الرجال، ومجلبة الاموال، ومكسبة التجارب، ومرآة العجايب، فاعزم على بركة الله تعالى وتوكل عليه، واصحب معك فيه ما تحتاج اليه، ثم افاض عليه المال، واضاف اليه صالح الرجال، وحين ودعه، وصاه بما استودعه، وقال يا بنى لا تجعل دابك، وطلابك واكتسابك، الا استجلاب الصاحب النافع، دون ساير المنافع، فانه اوفر بضاعة، واربح تجارة، وليس على الصديق الصدوق ابدا خسارة، فاجعله فى سفرك نصب عينك، واشتره بنفسك ومالك ونقدك ودينك، وقد قيل

اخاك اخاك ان من لا اخا له كساع الى الهيجا بغير سلاح

والمراد به الصديق، والصاحب الشفيق، واعلم ان الاخ الصلبى ربما يضرك، واما الصديق الصالح فانه ابدا يسرك، وقد قيل رب اخ لم تلده امك، فامتثل الشاب وصية ابيه، ثم توجه فى حشمه وذويه، بقصد جميل، ومال جزيل، فكث غير بعيد، ثم عاد وهو سعيد، فقال له ابوه جيت وجييت، ما اسرع ما جيت، قل لى اين ذهبت، وما ذا اكتسبت، فقال يا ابتى امتثلت مرسومك الكريم، واكتسبت كل ولى حميم، وقد جئت بهم زمرا، وعدتهم خمسون نفرا، كل منهم صديق صادق، ورفيق رافق، فى الفضل بارع، والى الخير مسارع، وفى الرخاء، صادق الاخاء، وفى الشدة، اوثق عدة، قال ابوه يا بنى كيف تصفهم بهذه الصفة، وتعرفهم بهذه المعرفة، ولم تجربهم فى قضية، ولا واقعة صعبة او رخية، وقد قيل

لا تمدحن امرءا حتى تجربه ولا تذمنه من غير تجريب

وقيل ايضا شعر

اذا رمت ان تصفى لنفسك صاحبا فمن قبل ان تصفى له الود اغضبه

فان كان فى وقت التغاضب راضيا   والا فقد جرّبته فتجنّبهْ

وقيل ايضا

الناس اكيَسُ من انْ يمدحوا رجلا   ما لم يروا عنده آثار احسان

اعلمْ يا ذا اللطايف، انى خايف، ان يكون اصحابك، واصدقاءك واحبابك، مثل اصحاب ذلك الرئيس، المُدْبر الخامل التعيس، الذى اكلوه ورعَوْه فى روْض وفْره، وتركوه فى قفر فقْره، قال ابنه قل لى يا ابتى كيف ورد ذلك وثبت، قال التاجر ذكروا رواة الاخبار، انه كان فى بعض الامصار، رجل رئيس، كبير نفيس، له ولد تعيس، وله اموال وافرة، وجهاتٌ متكاثرة، واماكن عامرة، وضياع ومزدرعات، وبساتين واقطاعات، وعَقار له ارتفاعات، فكان ولده يمدّ يَدَه، الى كل مَعْصية ومَفْسدة، ويغير ذلك السفيه، على ما يَلوح له من جهات ابيه، والتفّ عليه جماعة، من عبيد البطن والمجاعة، كانّهم طير قرقّ، ان راى خيرًا تدلّى، او رأى شرا تعلّى، ومدّ يدَ الاسْراف، فى التبذير والاتلاف، فصار ابوه ينصحه، ويَرْدعه عن جُموحه ويَكْبَحه، وقال له اى بنىّ استعْمل الأرْفاق فى الانْفاق، واستخلصْ من الرفاق ذوى الاشفاق، واعلمْ ان هذا المال هو لك مُدَّخر، ولتصرّفك فيه مُنْتظر، وانما انا لك خازن، والله على افعالك مجازٍ، وتيقّنْ ان المال هو هـزُكه فى الدنيا، وزادك الى الأُخرى، وان له وُجوهًا ومَصارف، وعَوارف ومَعارف، فاذا صُرف فى غير محلّه، ودُفع الى غير اهله، كان اثمًا ووبالا، وفى الآخرة عذاباً ونكالا، واحمقُ الناس، المستحقُّ لنُزول الباس، مَنْ اكتسب المالَ حلالا، وبذره فى الفساد يمينًا وشمالا، فادّخر به اثمًا وخبالا، فصرفه على من لا يحْمده، ويَبقى عليه حسابه ونَكَده، وانت اذا صَرفْتَ مالك ووزّعْته، وفى غير مواضعه زرعته، فانفقته على من لا يعرف فضيلتك، ولا يحْمل جميلتك، ولا يَشْكُر لك صَنْعك، ولا يَقْصد نَفْعك، فلا يَجْلب لك سرّا، ولا يكْشف عنك ضَرّا، خرجتَ من عز الدنيا، وفوّتّ زاد الاخرى، وهؤلاء الذين قبلك مُهْطعين عن اليمين، وعن الشمال عزين، ثَمرةُ صُحْبتهم الندامة، وعاقبة أمرهم الخَيْبة والملامة، والبُعْدُ عنهم غنيمةٌ وسَلامة، واذا كان الامرُ كذلك، فايّك يا وَلَدى ثم اياك، من صحبة هؤلاء الأحداث، والتَلوُّث بقُرْبهم فانهم أخباث، واحتفظْ بصوْن مالك، ولا تُنْفقْه الا على نفسك وعيالك، وفيما يبْقى ماء وجهك فى حالك ومآلك، ولا زال ابوه قابض عنانه، بقدر طاقته وامكانه، يُذكّره هذه الوصيّة، بُكْرةً وعَشيّة، حتى ادركتْه المنيّة، وخلّف ذلك المالَ العَريض، لذلك الولد المريض، فمدّ يَدَه كما كان الى كل مَفْسدة، ونَسى يومَه وغدَه، وشَرح فى متن ميدان اللّهو، وكرّر ذلك الحديث من كتاب فقه الزهْو، بابَ الاجناس وسُجود السّهْو، واجتمع عليه قُرَناء السوء، وخلا له ولهم الجوّ، فباضوا فى الفساد وصفَروا، وغابوا عن الرّشاد وما حضَروا، وصاروا يعظّمونه، ويكرمونه ويحترمونه، فاذا كذب صدّقوه، واذا ضرط شمّوه وشمّتوه، واذا نَهق طرّبوه، واذا اخطا صوّبوه، واذا قعد قاموا، واذا قام قاموا، يفدونه بالمُهج والأرواح، ويلازمون خدمته فى المسآء والصباح، وكانت له امّ مُدبّرة، عاقلة مفكّرة، فقالت له يا بنى، لا تكن صَبىّ، وتذكّر وصايا ابيك، واياك ومن يليك، وتامّلْ ما لديك، فاحفظْ ما لك وما عليك، ودبّرْ معاشك، وصُنْ ماء وَجْهك ورياشك، واعلمْ ان اصحابك، وعشراءك واحبابك، وندماءك ورفقاءك، واخصاءك واصدقاءك، كلّهم عَبيد البطن، كدوديقات بذى

شبق أخطل، لا خير عندهم ولا مير، وجميعهم كسير وعوير، فاياك واياك، وصحبة من لا يتولاك، لا تركن الى صداقتهم، ولا تعتمد على موافقتهم، ولا تطمئن الى مرافقتهم، فانهم في الرخاء ياكلونك، وفي البلاء يتركونك، والى مخاليب القضاء يسلمونك، راس مال محبتهم ما في يديك، واساس بنيان مودتهم ما يرونه من النعمة عليك، فان قل والعياذ بالله ذلك قلوا، واحلوك في عقد النوايب مربوطا واحلوا، واقل الاقسام، يا ذا الاصل السام، ان تجرب اصحابك، وتختبر من يلازم بابك، ويقبل بشفاه المودة اعتابك، في شي نابك، اعجز عن حله نابك، من حوادث القضاء، او في حالة من احوال الغضب والرضاء، او السعة والضيق، او تكذيب او تصديق، فمن وجدته ناصحا صادقا، او مطاوعا مصادقا، وفي كل الاحوال موافقا، وفي الرخاء والشدة مرافقا، يوثق به في الغيبة والحضور، وحالتي السرور والشرور، يودي الامانة، ويجتنب الخيانة، ويغار على دينك وعرضك، ويساعدك على اداء سنتك وفرضك، فاركن اليه، واعتمد في امورك عليه، ومن وجدته منافقا، وفي اخلاصه مماذقا، ينسج شقة الوداد بوجهين، ويتكلم كخايض المداد بلسانين، فلا تقربه، ولا تصحبه، وعد بعده غنيمة، والخلاص منه نعمة جسيمة، وانظر بعين الثبات، ما في هذه الابيات، من حسن الصفات، فان كان بها متصفا، فتمسك باذياله فانه من اهل الصفا، وهي شعر

وقد قيل قول المرء يكشف عقله ويبدى سجاياه وما كان يكتم
فهذا كلامى مظهر ما اكتمه واكثر هذا الخلق عن عيبهم عموا
فمن شيمتى انى مطيع لصاحبى واصفح عن خصمى وان كنت اخصم
وارضى لنفسى دون ما هو حقها والزمها للخل ما ليس يلزم
اذا قال اصغى للمقال واننى لاعلم منه بالمقال وافهم
ولم اشك من خل اذا ملنى ومن لى بخل لا يمل ويسام
واقطع في بحثى وان كنت غالبا واسكت حتى قيل ذا ليس يعلم
لابقى ود الناس كيلا اضيعه ومن لم يدار الناس يرمى ويرغم
وفي كل ذا تقوى الاله شعائرى ولا بد من لا يتقى الله يندم
ولا نقص في عقلى واسباب رفعتى واني واني بالكمال مكرم
ولى همة يسمو الى الاوج قدرها ولكن خمول المرء للدين اسلم
ووجه اعتقادى مثل عرضى ابيض ودينى متين واعتمادى مقوم
وحسبى من دنياى قوت وخرقة تبلغنى آثار من قد تقدموا
فهذى عزيزات لدى واننى لادعو الى هذا الخصال واعزم

فاثّر هذا الكلامُ فيه، وتامّل ما تضمّنته فحاويه، ثم اراد ان يجرّب ملازميه، ومن هو بروحه وجسمه يفديه، فقال يوما من الايّام، وقد اجتمعوا على منادمة المُدام، اتفق امر عجيب، وشان غريب، وهو انه كان عندنا هاوَن، في زاوية مخزن، زنته ربع قنطار، أتى البارحة عليه الفار، فقرضه واكله، وعمّه بالأكل وشمّله، فلم يُدرَك من ذلك النحاس في مكانه، الا ما فضل من برادة اضراسه واسنانه، فترشّفت ثغور آذانهم منطقه، واستحلى كؤوسها كلّ منهم وصدّقه، وقالوا هذا وقع بغير شكّ، لان الهاوَن كان فيه ودك، والفار اسنانه باتعة، واضراسه كجن حرافيش بغداد قاطعة، فلما راى انهم وافقوه، وصوّبوا كلامه وصدّقوه، ازدادت فيهم محبّته، وقويت بهم رغبته، حيث رفعوا رتبته، وستروا في جيب مكنونهم عيبه، وحققوا محاله، وصدّقوا مقاله، فاسرع الى امه فرحا، مسرورا مرحا، محبورا منشرحا، وقال لها يا اماه، وأى هنتاه، انظرى كلام اصحابى، واخبرى مقام أحبابى، ذكرت لهم كلاما باطلا، ومن حلية الصدق والامكان عاطلا، فحققوه بلا مرية، واثبتوا حقيقته من غير فرية، وصاغوا له من جواهر الصدق ابهى حلية، وذكر لها ما جرى لهم وله، من الجنون والخباط والوله، فقالت امه يا ولدى، ومهجة كبدى، هذا امر يضحك عليك منه الجاهل، ويبكى على حالك الحالك منه العاقل، كما قيل

امورٌ تضحكُ السفهاء منها ... ويخشى من عواقبها اللبيبُ

اعلم ايها الذاهل الغافل، انك لست من اصحابك على طايل، وهولآء اعدآء، في صورة اودآء، وهم في التمثيل، كما قيل، شعر

اذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفت ... له عن عدوّ في ثياب صديق

وتيقّن ان هولآء في النعمة خدّاعون، وفي النقمة لذّاعون، وانت شابٌّ غرير، وبأعقاب الامور غير بصير، لا مارست الخلق، ولا فرقت الصادق من ذى الملق، ولا خبرتهم، ولا سبرتهم، ولا دخلت مداخلهم، ولا ميّزت خارجهم وداخلهم، انما الصديق الصادق، والرفيق الفايق، من بصّرك عيوبك، وغفر لك بعد نصيحتك ذنوبك، واطلعك على حقايق الاشيا، ونبّهك على ما خفى عنك من امور الدنيا، وارشدك الى ما يزينك، ويصلح به دنياك ودينك، وابكاك اذ نصحك، لا من اضحكك وفضحك، واما الذى يدلّس ويلبّس، ويوسوس ويبهّس، ويروّج الباطل، ويحلّى العاطل، فذاك ليس بصديق، على التحقيق، وانما هو عدوّ، فلا يكن لك معه قرارٌ ولا هدوّ، فلم يلتفت الشابّ لرعونة الشباب، الى هذا الخطاب، حيث كان مصادما لغرضه، غير شاف لعلّته ومرضه، وقال صدق من نطق، وفاه بالكلام الحق، من قال افشاء السرّ الى النساء فعل الاحمق، ثم تركها تزغو، واستمرّ هو واقرانه يلهو، وداوم تلك الحال، حتى اذنت بنفاذها الاموال، وأبيع الرخيص والغال، فما استفاق من سكرته، ولا استيقظ من رقدته، الا والاموال قد ذهبت، والديون قد ركبت، وهو ينشد، والى مذهبه يرشد، شعر

ليذهبوا في ملامى أيّة ذهبوا ... في الخمر لا فضّةٌ تبقى ولا ذهبُ

الى ان ذهبت السَّكْرة، وجاءتْ الفكرة، ونفقت الصفراء والبيضاء، فى الحمراء والخضراء، واصبح مُلْقَى على الارض السَّوْداء، اتْعَس من فَوْق الغبْراء، وافْلَس من تحت الزرْقاء، فتراجع عنه الاصحاب، وعاداه الاصدقاء والاحباب، ورجعوا عنه، بعد ما سئموا منه، وصار ناديه، يناديه

كأنْ لم يكنْ بين الحجون الى الصّفا أنيسٌ ولم يسْمُرْ بمكّةَ سامِرُ

وصارت صحبتهم له تكلّفا، ورُويتهم اياه تعسّفا، فاتفق انه فى بعض الايام، قال فى اثناء الكلام، لاولئك الجمع بعينه، الذين كانوا أجْمعوا على صدْق مَينه، الفارُ الغدّار، اكل لنا فى الدار، البارحةَ رَغيفًا كاملا، فاتى على اكله شاملا، فما ابْقى منه لُبابه، ولا غادر من غدير وجوده صُبابة، فتنادوا فى الحال، يا المُحال والكذب فى الاقوال، الفارُ الضعيف، كيف يُكْمل اكل الرغيف، وهو عاجزٌ نحيف، وتناولوه بالطّعن، وتناوشوه بالْسنة السبّ واللّعن، وزيّفوا أقواله، وسفّهوا افعاله، وانما ذكرتُ هذا الكلام، يا ايْمنَ غلام، واحْسَنَ من بدر التمام، لتعلم انّ اكثر من يدّعى صدْق الصحابة، من ذوى المعارف والقرابة، انما دعواه كذابة

كمُزْنةِ صَيْف لا يدوم انسكابُها

وان الشخْصَ مع الناس، الأوغاد الاكياس، بمنزلة كُوز الفقّاع، ان راوا فيه حَلاوة الانتفاع، استاموه بالايدى ورَفعوه، وقبّلوه ورشفوه، واذا صفوا محصوله وفرّغوه، فتلوه ورشقوه، وتحت الاقدام طرحوه، ثم قال التاجرُ لولده، راحة رُوحه وجسده، فان كان من صَحبْتهم، وفى سفرك اكتسبْتهم، مثل هولاء الاصحاب، فايّاك ان تفتح لهم الباب، وتَرْفع دونهم الحجاب، فقال الولد، معاذ الله الواحد الاحد، يا ابتِ عندى ثبت انهم بُدور كرام، وصُدور عظام، يقومون لقيامى، ويصيخون لكلامى، ويجيبون ندائى، ويؤمنون على دُعائى، وهم اخلاء فى السرّاء والضرّا، فقال ابوه اعلم يا ابنى، وقرة عينى، انى عمرت سبعين سنة، وعاينتُ من الامور الخشنة والحسنة، وبلوتُ الاصحاب، وتلوتُ الاعداء والاحباب، ورايتُ الدنيا واعليها، وقلبْتُ وعرها وسهلها، ولم اترك من جنس بنى ادم، فى اكناف الآفاق واطراف العالم، من المسلم والكافر والعرب والعجم، نوعا لم اخبرْه، وصنفا لم أسبرْه، فلم يَصْفُ لى منهم على التحقيق، غير صديق واحد ونصف صديق، فانت يا بنىّ، العزيز علىّ، كيف قدرتَ فى هذه المدّة اليسيرة، على استصفاء هذه الجماعة الكثيرة، وها انا ذا يا امام، أُريك مصْداق هذا الكلام، وأُطلعك من بين الاصحاب على ما لهم من مقام، ثم عمد الى شاة فذبحها، وبدمها فى ثياب طرحها، ثم دمجها، وفى كفن ادرجها، فقال لابنه قمْ يا ذا الارتقاء، ارنى هولاء الاصدقاء، واحدًا بعد واحد، ليتحقق عيْبُ غيبهم بالشاهد، ونتعرّف ضرائبهم، وتتبيّن حقائقهم، ثم وضع الشاة فى عدْل، واخفى عن كل احد هذا الفعْل، وحمل العدل على ظهر الغُلام، وخرج ليلاً والناسُ نيام، وقصد احد الاصحاب، وطرق عليه الباب، فخرج مُسْرعًا اليهم، وترامى متواضعا بين يديهم، واظهر البشْر والسرور، والابتهاج والحبور، وبالغ فى الاحتشام، والاكرام والاحترام، وشكر مَساعىَ الاقدام، ثم بادر الى دَعْوتهم بالدخول، وتعاطى انجاحَ ما لهم من سُؤل ومسؤول، فقال له الشابُّ يا زيْنَ الاصْحاب، وعينَ الاحباب، دع الكلام، لتبيق المقام، فقد دَهَتْنى

دهيــة، وعــرتــنى بليّة، واعظمْ بها قضيّة، ويا لها من رزيّة، فقال ما هى، وُقيتَ الدواهى، فقال كان بينى وبين واحد من اهل الشقاوة، خصومةٌ قديمة واسبابُ عداوة، اسمُه معروف، وذكره موصوف، لشخص مفقود، لم يكن له حقيقةٌ فى الوجود، وهو من اكابر الزمان، واحدُ الرؤساء والاعيان، فتلاقينا فى خلوة، وتداعينا ما بيننا من جفوة، وتنابشنا الاسباب، وتناوشنا باللعن والسباب، وتناولنا فى الشقاق شقّ الأعراض، وثارت القلوبُ بالأغراض من الأمراض، وتنقّلنا من المكالمة، الى المشاتمة، ومن المشاتمة، الى الملاكمة، وترقّينا من الكفاح، الى الجراح، فثارت النفسُ المشومة، الى ايقاع حركة نميمة، فضربتُه وجرحته، ثم اجتهدتُ عليه فذبحته، وتركتُه قتيلا طرحته، ولم يشعر بنا احد، من اهل البادية والبلد، وندمتُ غاية الندم، وأنّى يفيد وقد زلّت القدم، وجرى قلم القضاء بما حكم، ثم افكرتُ بمن استعين، على هذا الامر اللعين، فدار فى خاطرى كل مُساعد ومُعين، فلم يمل القلبُ الا اليك، ولا استقرّ الخاطرُ فى ركونه الا عليك، وقد قصدتُ جنابَك، ويمّمتُ بابَك، اذ انت اعزّ مخدوم، فالسرّ عندك مكتوم، وها هو مقتولا، اتيتك به محمولا، فاحفر لهذه الجثّة عندك حفيرة، واخفنى عندك اياما يسيرة، الى ان تنطفى هذه النايرة، وتسكن الفتنة الثايرة، وهذا وقتُ المروّة، وزمان الفتوّة، والقيام بحق الصداقة والاخوّة، فلما سمع ذلك الصاحبُ اللبق، هذا الكلام القلق، تضجّر وتضوّر، وتنكّد وتصوّر، وقال يا اخى بيتى ضيق، مع انه حرجٌ مضيق، لا يسَعُ اولادى، ولا زادى وعتادى، واذا ضاق عن الاحياء فكيف بالاموات، وهذه قضية من اوحش البليّات، واظنّها لا تخفى عن الناس، ويدركها ولو بالفراسة الأغبياء فضلا عن الاكياس، لان قضاياكم قبل اليوم مشهورة، وبلغنى انّ عداوتكم قديمةٌ مذكورة، وفى التواريخ وصدور الكتب مسطورة، ولكم واقعاتٌ ونوازل، ولهُ أيتامٌ كانهم الزُغبُ الجوازل، فاما انا فلا يمكننى الدخول فيها، ولا تعاطيها بوجه من الوجوه ولا تلافيها، فأكفنى شرّ ضيرها، واندبنى الى غيرها، وانّى اكتم سرّها، فلا تخاف من جهتى شرّها، فالحّ عليه فما افاد، وردّ غير ظافر بما اراد، فلما أيس منه، تركه وانتقل عنه، ودار على ساير اصحابه، وذكر لهم مثل هذا الامر وخطابه، فكان جواب الجميع مثل جوابه، الى ان اتى على الجميع، واستوفى شريفهم والوضيع، وراى ما هم عليه من طبع بديع، وكانهم كانوا متواردين على شرب هذا الصنيع، فعاد الى راى ابيه، ورجع الى صحّة نُبائه النبيه، فقال له حقّقتَ يا بدر الفلك، صدّقتُ ما قلتَ لك، وتبيّنتَ ماهيّة أصدقائك، وحقيقة اوليايك، وانهم نقش حيطان، ورقش غيطان، وغمامٌ بلا مطر، واكمامٌ بلا زهر، واجامٌ بلا ثمر، قال نعم، قال فقم، يا زين الأحباب، اريك ما قلتُ لك من حقيقة الاصحاب، ثم دخلا الطريق، وقصدا نصف الصديق، ودقّا الباب، فخرج وتلقّاهما بالترحاب، فقالا له ذلك المقال، وقصدا بمعونته الخلاص من ذلك العقال، فقال حبّا وكرامة، حللتما بمنزل السلامة، أنا بكم نشيط، وأملكم بى بسيط، غير أنّ علمكم محيط، ان منزلى غير فسيح، ولكن أدفن فيه هذا الذبيح، وليس لى فيه مخباة ولا مخدع، ولا ممكن فى مطاويه ولا مصنع، فاخاف ان امركم لا يختفى، وانا بهذا المقدار فى امركم لا اكتفى، ويدى لا تملك غيره، وقد وقعتُ بهذا السبب فى حيرة، وبالجملة والتفصيل، انا اكفيكما امرَ هذا القتيل، فقالا لا نقنع بذلك، ولكن سُدّ عنّا المسالك، فقال توجّها حيث

شئتما، فلا انا سمعتُ ولا انتما قُلْتُما، فتوجّها الى الصديق الكامل، وذكرا له الامر الحامل، وقصدا لتلافيه كَرَمَه الشامل، فقال أَوْشَيٌّ غيرُ ذلك، وَكَما الله شرّ المهالك، فقالا لا الّا دفن هذا المقتول، واخباء هذا الامر المهول، وان نكون تحت الذيالك الساترة، حتى تسكّن هذه الفتنة الثايرة، فانّ اهْلَه يطلبونا، فان يجدونا يسلبونا، ولا يرضونا الا بالدمار، وخراب الديار، ولا يقنعون بالمال والعقار، وهذه قضيّة عظيمة، وداعية جسيمة، فان كنت تنهض باخفايها، وتسعى فى اطفائها وحمل اعبايها، فقد قصدناك، ودون الاصحاب اردناك، وان عجزت عن سدّها، فلا عتْبَ عليك فى ردّها، فلا تتكلّف فوق طاقتك، ولا تتجشّم لاجلنا غير استطاعتك، فقال سبحان الله واسْوتاه هذا يوم المروة والوفا، وتذكر رسايل اخوان الصفا، لكم الفضل اذ قصدتموني، والجميلة التامّة حيث اردتموني، امَ والله لو كان الف قتيل لواريته، ومهما كان من امر غيره جاريته وداريته، ولا يُسْمَع ابدًا خَبَرُه، ولا يرى عينُه ولا أَثَرُه، واما انتما فافديكما بروحي واولادي، وطريفي وتلادي، وعندى دار انزه من جنان الأبرار، وافسح من جنان الأحرار، فادخلوها بسلام آمنين، فانها تَشْرَح كل قلب حزين، فلو اقمتم بها سنين، لما شعر بكم احدٌ من العالمين، فيها أرغبُ نديم، واقربُ خديم، واحسن جليس، وايْمَنُ انيس، فلنْ تَمَلّوا مقامها، ولا تعدموا اكرامها، وانتم عند من لا يَمَلُّ ابدًا تزيله، ولكم فى ذلك كلّه الفضل والجميلة، قال التاجر شكر الله سَعْيَك، وحفظ على اصحابك مودّتك ورَعْيَك، ثم اطّلعه على اصل القضية، وامورها المكتومة المخفية، وقال اردتُ ان أُطْلِع ولدى على حقيقة الاصحاب، وكيفيّة اتّخاذ الاصدقاء والاحباب، ثم ودّعه وانصرف، وقد عرف ولده من حقيقة الامور ما عرف، ثم قال لولده يا بنيّ، وأعزّ عندى من كل شئ، انْ اتخذتَ الصديق، فليكنْ صديقك على هذا الطريق، والّا فالانفرادُ احسن، والعزلة اوْفق ان امْكن، كما قيل شعر

فاق حِبّى كُلّ الملاح كمالاً هكذا هكذا والّا فلا لا

ثم ان الملك قال، لولده يا ذا الافضال، ان غالبَ اصحابى من الامراء، وعساكرى من الروساء والكبراء، خصوصًا فلان، اميرُ ممالك خراسان، هو من هذا القبيل، وانا عوّدتُهم على هذا الخُلُق الجميل، فكونوا فى الحقيقة، متمسّكين باسباب هذه الطريقة، فلما اكْمل وصيّته اولادَه، جعل فى سفره عتادَه، ذكرَ الله وزادَه، ثم ودّعهم من دار الشرور، وانتقل الى دار الحبور والسرور، وقد عهد الى اكبر اولاده، واستودعهم القاهرَ فوقَ عباده، من لا تخيبُ الودايعُ لديْه، ولا يَضيع من توكّل عليه، فسمعوا الوصيّة واطاعوا، وتعلّقوا باهداب آدابها فما ضاعوا، واستمروا تحت أمر أخيهم، كما كانوا فى حيوة ابيهم، كانّ اباهم ما مات، ولم يَقَعْ بينهم شتات، فدام لهم السرور، وانحسمت عنهم موادّ الشرور، وأشرقتْ ممالكهم وأملاكهم، ودارت بالسعود افلاكهم، ثم ان الحكيم حسيب، انتقل فى كلامه العجيب، بعد فراغه من حكم ملك الاعجام، الى فوايد ملك الاتراك والأعتام، فشنّف المسامع، وشرّف كل راوٍ وسامع، وشرع فى القال والقيل، وحسْبنا الله ونعْم الوكيل، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمّد واله وصحْبه اجمعين، وسلّم تسليما كثيرا الى يوم الدين

الباب الثالث

في حكم ملك الاتراك   مع خَتَنِهِ الزاهد شيخ النُسّاك

قال الشيخ ابو المحاسن حسّان، صاحبُ الحُسْن والمحاسن والاحسان، ثم نهض الحكيم حسيب، الاديب الاريب، ووقف في مقام حده، وقبّل مَواطئ اخيه بشفاه خده، وقال ولقد بلغني ايها السلطان، ان في قديم الزمان، كان في الترك ملك يسمّى خاقان، من الملوك العادلين، والسلاطين الفاضلين، برَسْم العَدْل مَعْروف، وبقصْر الجَدْل موصوف، كسر الاكاسرة، وقصر القياصرة، وزجر الجبابرة، وفغر فم الدُعاء والثناء له الفغافرة، ملك بلاد الختن والخطا، واستولى على ممالك المُغل والجتا، واطاع اوامرُهُ الترك والتتار، واستسلم لمراسيمه سُكّانُ الدشت والقفار، فكان ياجوج من جُملة خدمه، وماجوجُ من بعض عبيده وحشمه، وكانه وارث، تربة يافث، فقوى في أخْذ المُلك من ممالك الصين، فاخذ الى اطراف الشمال باليمين، ولم يكنْ له من البنين والبنات، مع كثرة السّراري والزوجات، سِوَى بِنْتٍ واحدة، لطَلْعتها الاقمار ساجدة،

شمسٌ ولا كالشمس عند زوالها   بدرٌ ولا كالبدر في نُقْصانه

بل بهرت الشمسَ جَمالا، والبَدْرَ كمالا، وفاقت ملاح الدنيا شمايل وخصالا، وهي عزيزةٌ على قلب ابيها، كريمة على خولها وذويها، فصارت ملوكُ الأطراف يخطبونها، ومن ابيها يطلبونها، فكان ابوها يفوّض الامرَ اليها، ويعتمد في تزويجها عليها، وهي لا ترغبُ في طالب، ولا تُصْغي لخُطْبة خاطب، الى ان عَنَسَتْ، وخُطّابها أيسَت، وكان ابوها كما ذكر ذا فطْنة بالغة، وهيبة دامغة، فاختشى حوادثَ الزمان، فاختلى بها في مكان، وقال اعلمي يا معدنَ اللطائف، ان البنت في منزل ابيها كالماءِ الواقف، ان مكث يأسن، وان لم يستعمل أنْتن، ولا اقول ذلك ملالا، ولا تَجَرُّءًا ولا استثقالا، بل لا بُدّ للمرأة من زوج يَلُمُّها، ويسترها اذ يَضُمُّها، ونِعْمَ الختن القَبْرُ، وأحْلَى من البِنْتِ الصَبْرُ، فان رايتِ الرَغْبَةَ في الزواج، طلبتُ لك كُفوا من الأزواج، وكان ذلك اسْتَرَ لعِرْضك، وادْنَى لاقامة سنتك وفرضك، وافرغَ لخاطر ابيك، واشْرَحَ لخدمك وذويك، فقالت احسنَ الله الرحمن، الى مولانا الخاقان، وكفاه كل جارٍ، من الانس والجانّ، ان البنين من جُملة النِعَم، والبنات من عداد النقم، ونعمُ الدنيا عليها الحساب، ونقمها سَبَب للأجْر والثواب، قال رب الارباب، فيما انزله من خطاب، في محكم الكتاب، المالُ والبنون زينةُ الحيوة الدنيا والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عند ربك ثوابًا وخيرٌ أملًا وقد جاء في بعض التفاسير ان الباقيات الصالحات، هن البنات، ومولانا الملكُ يَعُدّ وُجودي، نعمةً عليه من معبودي،

واسأل الصَّدَقات الملوكيّة، والمراحم الوالدية، ان لا يَعْتجل في امر تزويجى، والمبادرة كيف ما اتّفق الى تزويجى، فان التامّل فى ذلك أَوْلى، واكثر ثناء فى الدنيا وثوابا فى الاخرى، وذلك لانّ الكفاءة فى الزواج مُعْتَبَرَة، وقد قرّر ذلك الفقهاء البَرَرَة، وان لم يكن الزوجُ للمراة كفوًا، فزواجُهما به يَقَعُ سُخْرِيَةً وهُزُوًا، ولا يُفيد سوى الغرامة، والفضيحة والندامة، فقال الملك لا أُزَوّجك الا بكُفُوء كريم، يكون لك انثى خَديم، وعلى الناس اعلا عظيم، قالت يا مولانا الملك، وَقاك الله شرّ المُنْهَمِك، لا تحمل أعتراضى على الاساءة، وانما اسأل عن كيفيّة الكفاءة، فان كانت بالمُلْك والمال، فان ذلك فى مَعْرض الزوال، وان كانت بانشاب الأنساب، فان ذلك ايضا خَطَاء لا صَوَاب، قال مُنزِّل الكتاب، العزيز الوهّاب، فاذا نُفِخَ فى الصور فلا أنساب، وقال من لا يجوز عليه كذبه، من بَطّأ به عَمَلُه لم يُسْرِعْ به نَسَبُه، واما الفقهاء حكموا بالظاهر، والله متولى السَّراير، ونحن فى قيد الانقياد، لا يَسَعُنا الا ما امر به الشَّرْع وأراد، واما انا فكُفُوِّى الكريم، انما هو الكامل الحليم، الفاضل الحكيم، قال الملك بارك الله فى رايك وعقلك، انا ما ازوّجك الا بملك مثلك، وابن مَلك مثل ابيك، يَرْعاك ويُكْرِم خَدَمَك وذَويك، يَعْدل بالسَّويّة، ويحكم على ساير الرعيّة، قالت ايها الملك الكبير، واهب التاج والسرير، انا ما اعرف الملك الا من يَمْلك، الحكم على نفسه فى سَيْره، ويكون متمكنا فى التحكم على غيره، فيصحّ ان يقال فى مُلكه ذى الجلال، من الكمال والجمال، خلّد الله سلطانَه، وشيّد اركانَ مُلكه وبُنْيانه، قال الملك ومن هو ذاك بارك الله فيك وهداك، قلت امّا الحاكم على نفسه، فهو الملك لزمام جوارحه وحسّه، قد جعل خزاين القَلْب والسمع، مَعْدنًا لجواهر العَقْل والشَّرْع، فمهما اقتضاه العَقْل امضاه، وعمل بمقتضاه، وما ارتضاه الشَّرْعُ وقَضاه، كان فيه انقيادُه ورضاه، قد تحلّى بعُقود مَكارم الأخلاق، ولو كان فى أَسْمال أخلاق، واشغل نفسه بتهذيبها، واجتهد فى خلاصها من شرك عُيوبها، واهتمّ بعُيوبه، عن بعيده وقريبه، وبغيضه وحبيبه، فذاك الحاكم على نفسه، المتميّز عن بنى جنسه، واما حُكْمُه على غيره، فهو ان يكون فى سُلوكه وسَيْره، مُنْعزلا عن الناس، فى زوايا اليأس، لا يسأل عن احوالهم وعيوبهم، ولا ينظر الى ما تحت ايديهم وجيوبهم، مالكًا لزمام العُزْلة، متنعمًا بهذه النعْمة الجَزْلة، قد اتّخذ التقوى والقناعة، احسن حِرْفة واربَحَ بضاعة، قد سَلم الناسُ من يَده ولسانه، لا يدرى بشانهم ولا يدرون بشانه، فذاك الحاكم على غيره، الفائز من مُلك الدارَيْن بخَيْره، فهو الذى خلّد الله مُلكه وسلطانه، وأوضح على العالمين برهانه، فان وُجد بهذه الصفات مُوافِق، فانه لى كُفُوٌ مُكافِق، وانه كالبدر جَلىّ، وفى التقدير علىّ، وفى الصدر لله وَلىّ، فان أنْعَمَ الزمانُ بمثل هذا منالا، فنعْمَ ونعْمَ والاّ فلا لا، فجعل مَلك الختن، يتطلّب مثْلَ هذا الختَن، وارسل القُصّاد، الى اطراف البلاد، يسألون سُكّان الاكناف، وقُطّان الأطراف، عن موصوف بهذه الاوصاف، واستمروا على ذلك مدّة، كل باذلٌ جُهْدَه، حتى ارشدوا بعد زمان، أنّ المكانَ الفلانىّ به فُلان، رجلٌ اعرَض عن جواهر العرَض، فلم يكن له فى الدنيا غرَض، وهو بحُسْن الثناء موصوف، وفى كرم العبادة والاجتهاد معروف، جامعٌ لهذه الصفات، ليس له الى الدنيا واهلها التفات، مشغولٌ باكتساب الآخرة، وطَلب نعَميا الفاخرة، وهو من نَسْل المُلوك، وقد ترك وراءهم السُلوك، وسلك فى العلْم والعمل السبيلَ الاقوم، حتى كانه محمد بن الحسن وابراهيم بن ادْهم، ولشدّة ما هو لنفسه مجاهد، سمّاه الناسُ بالملك الزاهد، فاجْمَع الخاقان على مصاهرته،

وجعل التقرّب اليه قربة لآخرته، فخطب ابنته به، وكان حسن خلقه وخلقه، وعقد بينهما النكاح، وحصل الصلاح والفلاح، فوافق شنٌّ طبقة، وصار نعيم مرامها كالحديقة، ومضى على ذلك برهة، وهما في طيب عيش ونزهة، فاشتاق الحاتن، في بعض الازمان، الى رؤية ابنته، وسرور مهجته، فأمّ دارها، وقصد مزارها، لينظر حالها، وما سها عمّا عليها وما لها، فوجدها في عيش هنيّ، وامر سنيّ، فسألها عن احوال زوجها الزاهد، وكيف صبرها على عيشه الجاهد، فاثنت خيراً، ولم تشك ضيراً وضيراً، وقالت جميع ما يكدّره وباثيه، على حسب ما اريده وارتضيه، وارتفعت احوالنا بسعادة مولانا في دفاتر الامن منضبطة، وعقود حبوتنا بيمن صدقتك في نحور الرفاهية غير منفرطة، غير ان بيتنا واحد، وبسبب ذلك يتضرّر هذا العابد، فيه نبيت ونقيل، وبجوانبه ما لنا من خفيف وثقيل، وقود ونقود، وخادم ومولود، فلا يتفرغ من الغوغاء للعبادة، لانها تستدعي عزلة العبد وانفراده، وتخلية لمناجاة معبوده، ليظفر من حلاوة الطاعة بمقصوده، فاسأل احسان مولانا الحاتن بيتا يتخلّى فيه للعبادة، ومكانا نضع فيه خرثيّ البيت وعتاده، فقال حبّاً وكرامة، وقربى وسلامة، ثم اجتمع الملك بصهره الذي به فاخر، وذكر له انه أعدّ له بيتا آخر، أحدهما يكون لخلوته ومبيته، والآخر يضع فيه ما يحتاجه من عتاده وقوته، فقال الزاهد، ايها الملك الماجد، لو فعلت ذلك لتقسّم خاطرى، وتوزّع فكرى وسرائرى، ولا طاقة لى ان اتعلّق بمكانين، وما جعل الله لرجل من قلبين، وانما الزاهد، من همّه في الدنيا واحد، فانه على عدد التعلّقات، يتوزّع القلب الشتات، واذا تعدّدت الاماكن، يحتاج كل منها الى ساكن، او حافظ او ضابط، او حارس او رابط، وانا لا اعتماد لى، بحفظ نفسى ايها الولى، فكيف يكون لى اقتدار، على حفظ الاغيار، واذا تقسّمت افكارى وفسد بالى، فكيف اقتدر على اصلاح حالى، وأنّى يصلح مع فسادى، امور معاشى ومعادى، ثم انى اذا وزّعت نفسى، فقد نبّهت راقد حرصى، والحرص افعى قاتل، واسد صائل، يقتلنى بسمه، بل بمجرّد شمّه، فقال الملك الكبير، لا تهتمّ لذلك ايها الزاهد الخبير، فان لى اماكن عديدة، وقصوراً مشيدة، وحواصل مصونة، وخزائن مكنونة، الكلّ تحت تصرّفك واختيارك، لا منازع لك فيه ولا مشارك، فاجعل لكلّ جنس من قماشك، واثاثك ورياشك، وما يقوم باودك ومعاشك، مكانا على حدة، وناحية حفظ منفردة، واتخذ لنفسك مقاما، خاصّا بك لا عامّا، وانا اقيم على كل مكان حارسا، ان شئت راجلا وان شئت فارسا، فعند احتياجك الى شى، اتاك هيّنا ميسّرا من غير كدّ وعيّ، وتفرّغ انت لعباداتك، والاشتغال بامور آخرتك، واقبل على ربّك، بجوارحك وقلبك، قال الزاهد، ايها الملك الجاهد، الاغترار بالقصور، من جملة القصور، والاعتماد على الجنان، من دواعى الجنان، واذا ورد من الملك الغفور، طلب على يد بريدى القبور، فما ذا تجدى الدور والقصور، وما ذا تنفع الحصون، او يدفع كل مكان مصون، وعند حلول، ذلك الخطب المهول، تودّ النفس لو كانت القصور المتّدة، والبروج المشيّدة، اذلّ من افحوص قطاة، واقلّ من عشّ بزاة، وقد قيل، ايها الملك الجليل شعر

قميصٌ من القطن من حلّة ... وشربة ماء قراح وقوتُ
ينال به المرء ما يرتجى ... وهذا كثيرٌ على من يموتُ

واعلم ايها الحاذق، ان النفس لها خادمان، مُنيعان مُجيبان، لما تامر به سميعان، وهما الشهوة، والحرص الشديد الدعوة، اما الشهوة فرايد الاكل الكثير والشرب، واما الحرص فشديد الرعونة والعجب،

فهذا يقود الى ضبعه وهذا يسوق الى ربعه

فهما ليلا ونهارا، وسرا وجهارا، يزينان لها ما طبعا عليه، ويجذبانها الى ما خيل اليه، ويتقاضيانها حقهما، ويطالبانها مستحقهما، ولا بد للمخدوم من اقامة اود خادمه، واسترضاء انيسه ومنادمه، وقد قال، من اتقن المقال، شعر

ان الحبيب وانت ذاك هو الذى مع تيهه يحنو على عشاقه
وكذا الرئيس وانت اكبر جنسه من فاق فى الخدام من ارزاقه
يهتم ان حضروا لهم بنواله يغتم ان غابوا على اشواقه
مع ان حشمته وفايض علمه ترقى بكل منتهى استحقاقه

ولكن رضى هذين الخادمين غاية لا تدرك، ومدى قعر مقصودهما نهاية عميقة لا تملك، وقد قال سيد الانام، عليه افضل الصلاة واتم السلام، يوما وهو بين الاصحاب، كالشمس ليس دونها سحاب، والبدر لا تحجبه حجاب، ولا يملا جوف ابن آدم الا التراب، فالحرص مهلك والشهوة قاتلة، وكل منهما فى الدمار والبوار علة كاملة، وناهيك يا فخر الحق وغياثه، اخبار اللصوص الثلاثة، فطلب الملك من الزاهد، ايضاح هذا الشاهد، فقال ذكر اهل الرواية، ان لصوصا ثلاثة، كانوا على سبيل الاشتراك، متعاطين اسباب التحرم والهلاك، واستمروا على ذلك مدة، حتى استولوا من الاموال على عدة، ففى بعض الليال، ظفروا بجملة من المال، ودخلوا الى مكان داثر خال، بنية الاقتسام، وكانوا محتاجين الى الطعام، فوجدوا فى ذلك المكان الداثر، صندوقة مملوءا من الجواهر، ففرحوا وانشرحوا، وتصوروا اوليك الخاسرون انهم ربحوا، فقالوا ان اشتغلنا بقسمة هذا المجموع، اكلنا واهلكنا كلب الجوع، فالاولى طلب الطعام، قبل الاقتسام، ولو بادنى التيام، وبيسير الطعام، ثم ارسلوا احدهم الى المدينة بورقهم، لياتيهم بما يسد من رمقهم، فلما انفصل عن مكمنهما، وغاب عن اعينهما، تحركت نفسه الخبيثة، بشهوة احببت تاربثه، وقواها الحرص المشوم، لشدة الشره واللوم، ودعاه داعى الفساد، الى الاستيلاء على المال بالانفراد، فعزم على ختلهما، فوضع فى الطعام سما لقتلهما، واما هما فعلى قتله عزما، واستعدا لذلك بعد ما جزما، ليصير المال بينهما نصفين، ويصيرا فى ذلك كالاخوين الالفين، ويكون ذلك كانه وراثة، لان شر الرفقاء ثلثة، ولم يدعهما الى ذلك غير داعى الشهوة، واكد ذلك داعى الحرص واحس بها دعوة، فلما وصل ذلك بالاكل، بادرا اليه بالقتل، ثم بعد ما قتلاه، عمدا الى الطعام فاكلاه، فبردا فى الحال، وتركا ذلك المال، ولحقا صاحبهما التالف، وشيئا تليد المال والطارف، وانما اوردت هذه الموعظة، لانها على احوال الدهر موقظة،

وان كان مولانا الخاقان، فى امور دارَيْه يقظان، لكن قد قال ربُّ العالمين، وذكّرْ فان الذكرى تنفع المومنين، واعلم ان أعدى عدوّك بين جنبيك، وهى نفسك التى قط ما رَكَنَتْ اليك، فعاصِ هواها، ولا تعطها مناها، فان فى اتباعها الندمُ عاجلا، والخسران آجلا، لا بقليل تُقنع، ولا بكثيرٍ تُشبع، ولا تظنّ انها اذا اعطيْتَ مُناها شكرتْ، او اذا ذكّرتَها من برّاها ذكرتْ، بل متى امتنتَها كفرتْ، او انستَها نفرتْ، او ارخيْتَ عنانها بطرتْ واشرتْ، وان نالت منتبا، او تناولت مسّرها، انتقلتْ عنه، وطلبتْ اعلى منه، فليس لها دوآء، الا القمع عن دواعى الهوى، كما قيل شعر

النفسُ راغبةٌ اذا رغّبتَها وإذا تُردُّ الى قليلٍ تقنعُ

وكما قيل ايضا

وما النفسُ الاحيث يجعلُها الفتى فان حُمِلَتْ تاقت والا تسلّت

واياك وطول الأمل، فانه مفسدةٌ للعلم والعمل، قال الحكما، وعقلاء العلمآء، الأملُ شبكة الشيطان، وموجب الحرمان، فاجهدْ ما دام لك على النفس ملكة، ان تُخلّص نفسك من هذه الشبكة، ولا تهتمّ للأقوات، فكل ما قُدّر فيه فوات، وكلّ ما هو آت آت، وكل ما رقمه القلمُ فى القدم، واثبته قضاء الله تعالى عليك وانت فى العدم، سوآء كان خيرًا او شرًّا، او نفعًا او ضرًّا، فانت ملاقيه، وعلى كل حال موافيه، فاقطعْ قواطع الطمع، عمّن لا يضرّ ولا ينفع، الى مَن ان شاء ضرّ وان شاء نفع، ولا تجتمع بعبيد مثلك الا فى الجماعات والجمع، ولا تتقيدْ بجوع وعرى واكتساء وشبع، فقد قيل اذا شبعتَ فلا تهتمّ للجوع، فكم من شبعانَ ماتَ قبل ان يجوع، واذا اكتسيتَ فلا تهتمّ للعرية، فكم من مكتسٍ مات وثيابه جديدةٌ مطوية، واعلمْ ان طبعَ الدنيا المخالفة، كانها على المخالفة محالفة، فاذا صممت عنها يدك اليك، أقبلتْ عليك، وجاءت تهوى تحت قدميك، واذا طلبْتَها هربَتْ منك، وكلما ارتبطت عليها انحلّتْ عنك، وقد قيل، ايها الملك الجليل

مثلُ الرزقِ الذى تَطلُبُهُ مثل الظلِّ الذى يمشى معَكْ

انت لا تُدرِكُهُ متّبعا واذا ولّيتَ عنه تبعكْ

ثم اعلم ايها الخاقان، انك بمنزلة الجوبان، وان هذه الخلايق رعيّتك، نافذة فيها بسهام مراسيمها مشيّتك، وانك فى الحقيقة واحد منهم، لا تزيد بشى فى الذات والصفات عنهم، ولكن الله القديم، العالم الحكيم، وهو سلطان السلاطين، بل خالق الاولين والاخرين، رفعك عليهم، وتقدّم بامره ان يُطيعوك اليهم، فقال من له الخلق والأمر، اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر، فهم قد اذعنوا لك واطاعوك، فراعهم كما هم مراعوك، واطلب لهم اسنى المراعى واعناها، وأورِدْهم اعذبَ المشارب واصفاها، فان الملك الذى سلمهم اليك، سوف يتقدم بالسؤال عنهم لديك، وقد قال من انت خليفته على امّته، كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيّته، فكن لهم كما تُريدهم ان يكونوا لك، ودِنْ لديّانهم يدينوا لك، واعلم ايها الملك الودود، ان هذه النقود، ان لم تُصرف فى مصارفها، وتنزّل من وجوه الطاعة فى مطارفها، فانها جمرٌ تضرم، فى نار جهنم، كما قال من يقول للشى كنْ فيكون يومَ يُحمى عليها فى نار جهنّم فتُكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم

فذوقوا ما كنتم تكنزون اسمع ايها الملك الصالح، نصيحة مشفق ناصح، ولا تغترّ بالدنيا وزهرتها، ولا تنظر الى حلاوتها وخضرتها، واياك والميل الى نزهتها ونضرتها، فانك ان ملت اليها اسرتك او جبرتها بالركون اليها كسرتك، وحسبك اى اعدل نغفور، كلام الرب الغفور، ومن بيده مقاليد الامور، ان وعد الله حق فلا تغرنّكم الحيوة الدنيا ولا يغرنّكم بالله الغرور، قال الراوى، لهذه الحكم والفتاوى، فلما وعى خاقان الختن، هذه النصايح الصادقة الصادعة من الختن، امر بها فسطرت، ثم نشرت وشهرت، وعلى المنابر قريت، وعلى رؤس الاشهاد ذكرت، وابلغها ابنته وقرر لها مقدار زوجها وحكمته، وميله عن الدنيا ورغبته، فقالت هذا الذى كنت اردته، وعلى مسامع مولانا الخاقان سردته، ثم انها اقبلت على طاعة ربها وبعلها، واصلاح احوالها فى قولها وفعلها، وقضيا عمرهما فى انواع العبادة، واكتسبا ببضاعتهما فى الدارين الحسنى وزيادة، ثم اقتدى بهما الملك وعسكره، حتى انتشر فى آفاق الممالك بالعدل والصلاح خبره، الى ان اندرج الى رحمة الله تعالى ذلك الرعيل، وبقى ذكره مخلدا على صفحات الايام جيلا بعد جيل، وقد قيل فى ذلك احسن القيل،

كانوا شموسًا تضىء الدهر طلعتهم   وفى طريق المعالى يقتدى بهم

غابت فلو لا تناهم كالبدور اضا   من بعدهم تاه اهل الفضل فى الظلم

هكذا يكون طالب السعادة الابدية، والكرامة السرمدية، اذا ملكه الله تعالى زمام الرعية، ثم انه ساد فى الدنيا، يتيقظ لتحصيل السعادة الكبرى، واشتغل بما يرضى عنه المولى، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم تمت بحمد الله تعالى نوادر ملك العرب والعجم والاتراك، ويلى ذلك مباحث زاهد الانس العالم مع شيطان الجن الاثيم الافاك، ونسأل الله ونعم المسؤل، ان يحقق لنا من كرمه واحسانه السؤل، ويعصمنا بفضله عن عثرات الفضول، والصلوة والسلام على اعظم نبى واكرم رسول، وعلى آله واصحابه واكرم بالصديق والفاروق وذى النورين وزوج البتول، واخوانه من الانبياء والمرسلين صلوة وسلاما دايما ابدا تشملنا بالعطف والقبول، وتمن من الكرم والفضل على تطوعنا بالوصول،

الباب الرابع
فى مباحث عالم الانسان مع شيطان العفاريت وجانى الجان

قال الشيخ ابو الحسن ، من نوّر علمه على ميدان الفضل اشمخ راس، فلما انهى الحكيم حسيب، ذو القصد النسيب ، ما طرّزه ممّا هو ناسجه وحاك، وفصّله خيّاط تقريره على قامة المجد من خلع حكم العرب والعجم والاتراك، شكر له اخوه القيل هذا القيل، وافاض عليه من نيل نواله نول النيل ، وادرك من ذلك الانموذج علوّ علمه، وسموّ علمه ، وعلوّ حكمه، وسموّ حِكمه، ثم قال يا استاذ ، بلغنى ان بغداد، خرج منها خارج، خُلق من النار من مارج، وهبط الى مدارك الخزى عن المعارج، واصلُ شواظ ذلك المشوم، من عفريت، خُلق من نار السموم ، وان شخص ذلك الشيطان، جُبل من سخام الدخان، فلهذا ربد وجهه السواد، وتركّب سائرُ جسده من رماد، فهو جنّى نميم ، وشيطان رجيم ، قد شرع ذلك الخنّاس، واخذ فى الابليسة والوسواس ، يتعاطى ايذاء اكابر الناس، وانه فى هذه الايام ، ذهب الى بلاد الشام ، فلم يوافقه ذلك المقام، لانه مهاجر الانبياء الكرام، وهذا مجبول على سجية اللئام، وطباع الاغنام الطغام، فقام فيها بالاضطرار والاضطرام، مدّة اشهر وعدّة اعوام، واخذ فى الاضلال والتضليل ، فاضلّ خلقا كثيرا عن سواء السبيل، وتستّر ذلك الجانّ ، بحجب الانتساب الى جنس الانسان، ولبس لشق العصا ثوب العصيان ، فكمن كمون الشوك تحت ورق الورد والريحان، واحتمى فى حمى الشقائق والتعلق بشقيق النعمان، والحقّ انه من نسل العفاريت، وكان عند الجنّ مقيله والمبيت ، او من الجنّ والجنّ القازانبيين له تربيت ، فان يكن عندك من ذلك شى ، فشنّف من جواهر حكمه اذنى ، فانك حكيم الجنّ والانس، وبكلماتك قد حصل البسط والانس ، قال الحكيم ، نعم ايها الملك العظيم ، انا جهينة الاخبار، ومزينة الاخيار، وحكم الحكم، ولى فى البيان اعلا علم ، اما هذا الشخص المذكور، فانه بالفسق والفساد مشهور، ورق شرّه فى البلاد منشور، وكتاب عناده بين العباد مسطور، وبيت حسده نعم الله تعالى على خلص اوليائه بالفجور معمور، وله صفات تعيسة، واخلاق خسيسة، تأنف مردة الشياطين منها ، وانساب انساب تستنكف عتدة العفاريت عنها، وماله من دين، كما هى، لا يفى بذكره هذا الخطاب، ولا يسعه هذا الكتاب، بل ولا يقوم به دفتر وحساب ، ولكن البعرة تدل على البعير ، فقس من هذا النقير، الكثير على اليسير، وكان قد اراد نشر الفساد، ببلاد العراق وبغداد، فعاكسه التقدير واجاد، فنفى من تلك البلاد ، فوصل الى ارم ذات العماد، وتعاطى اسباب ما هو عليه من الزندقة والالحاد، فذر اصناف الفتن وانواع العناد ، وابتدع من الشرور والبدع ما يخرج عن حصر التعداد، وهو على ما هو عليه من المكائد والمجاحدة، وقصده الاعوج من تمشية اقوال الرافضة والملاحدة،

وسيوضع لذلك مختنق مشرع على حدة، بلغنى ايها الملك الهمام، انه حصل له فى ذلك المقام، مع عالم من علمائنا الأعلام، قصايا ادهته على خيشومه، واخبر بها ذلك العالم دسايس خبثه وشومه، مثل ما اتفق لعالم الانسان، مع شيطان العفاريت وجانى الجان، فى غابر الدهر وماضى الزمان، فقال الفيل العظيم، اخبرنا ايها الحكيم، بهذا الحديث القديم، قال الحكيم حسيب، حبًا وكرامة ايها الكريم الحسيب، ذكر ان فى الازمان الغابرة، كانت صنوف الجن للانس ظاهرة، تتراءى باشكال مختلفة، وتتزيا بامثال غير موتلفة، وتظهر لهم الخيالات العجيبة، والصور المموّهة الغريبة، فتضلّهم ضلالا مبينا، وتاتيهم من بين ايديهم ومن خلفهم وشمالا ويمينا، وتخاطبهم مشافهة، وتواثبهم مواجهة، ففى بعض الايام، ظهر ببلاد الشام، مهبط الوحى ومهاجر الانبياء الكرام، ومحتد رجال الرجال، من اهل الفضل والافضال، رجل من العبّاد، وافراد الزهّاد، فاق الأقران بالصلاح، وساد اهل الزمان بالورع والفلاح، وحاز شرفى العلم والعمل، فكمّل كثيرا منهم بعد ما كمل، واستمرّ يدعو الخلق الى خالقهم، ويحثّهم على الانابة والتوكل على رازقهم، ويرغّبهم فى الطاعة، واتّباع السنّة والجماعة، ويقبّح الدنيا فى اعينهم، ويحذّرهم من غدراتها فى مكمنها عند مأمنهم، وكان لنفسه المباركة نفوذ فى النفوس، يجذبها الى ما يروم جذب الحديد بالمغناطيس، ففى مدة يسيرة، تبعه طوايف كثيرة، وانتشر صيته فى الآفاق، وصفا للعباد وقت الطاعة وراق، وضربت اليه اكباد الابل، وامتلات الدنيا من العلم والعمل، فاضطرب امر المردة، والشياطين الغفدة، وتعطّلت سوق الفسوق، وخرج عرق المعاصى من العروق، وتخملت العفاريت، وتنكّست أعلام الجن العفاريت، وضلّ سبيل الاضلال كل مارد خرّيت، وبطلت زخارفهم وتمويهاتهم، وقلّت وساوسهم وتشويهاتهم، واستنبهم الناس، وكسد الوسواس، وفسد فعل الخنّاس، فلما ضلّ سعيهم، ورفع الى كبيرهم نعيهم، فاجتمع العفاريت العتاة، والشياطين الطغاة، والمردة العصاة، الى ابليسهم العنيد، وهو شيطان مريد، صورته من اقبح الصور، له اظلاف كاظلاف البقر، ووجه كالمسخ، وشكل كالرباح، وخرطوم طويل، وراس كالفيل، وعيون مشقّقة بالطول، وانياب كانياب الغول، وشعر كالشيهم، وجلد كالأرقم، وهو يلهث كالكلاب، ومن ورايه عدة الذئاب، فشكوا اليه حالهم، واطالوا فى الشكوى قالهم، وقالوا يا شيخ التلبيس، وابن عم ابليس، لقد عمرت المدارس، فبطلت منا الوساوس، وتعمّرت المساجد، بكل راكع وساجد، وقيم وقاعد، وقارئ وهاجد، فطرد كل شيطان مارد، وتمشى منها الحلال، فوقف منا الاحتيال، وامر بالمعروف، فوقعنا فى الامر المخوف، وكثرت الحجاج، فكسرت منا الأثباج، واديت الزكوات والحقوق، فطرد منا كل عقوق، وقام الحق، فنام الفسق، وعبد الله فى المغارات والكهوف، فاستدّت علينا السبل فعلى من نطوف، ولم يبق لنا على بنى آدم سلطنة، وصرنا فى بحارهم اقل من نقطة، وعند جبرهم باذكارهم اذل من ضرطة، لا وساوسنا تؤثر فى افكارهم، ولا مجالسنا تعطّل من اذكارهم، ولا تخييلاتنا تتراءى لابصار أسرارهم، فان استمرت الحال، على هذا المنوال، لا يبقى لنا فى الدنيا مقام، ولا بين جنس الانس للجن كلام، فلما وعى العفريت فحوى هذه الشكوى، وتأمّل ما فى مطاويها من نازلة احاطت بهم وبلوى، اشتعلت نيران غضبه، وتاججت شواظات لهبه، قال أمهلونى للتروى، واتركونى للتلوم والتلوى، وافتكر فى هذه

البليّة، وأكشفها لكم عن جليّة، فان الامورَ لا تُنْتج لعالمها، ما لم يتامّل من فواتحها الى خواتمها، وتحقيقُ المسايل انما يُوخَذ من محكمها وحاكمها، وكان هذا العفريتُ العاتى، الماردُ الغيرُ المواتى، تحت يده وامره من مُقتبسى بَيْلسته ومَكْره، والشياطين المَرَدة، واغوال العفاريت العَنَدة، طوايف شتّى، وأُمم لا تُحصى، وممّن فاقهم فى المَكْر والمراء، اربعةُ اشخاص كبراء وزرآء، كل منهم فى الشيطنة والبيلسة، ومعرفة طُرُق الوَسْوَسَة، كابى علىّ بن سينا فى علم الهَنْدَسة، غايةٌ لا تدرك، ونهاية لا تستدرك، فاجتمع هذا الغول بوزرآيه، ورؤساء شياطينه وكبرآيه، ثم قال لهم أفتُونى فى امرى، وساعدونى على فكرى فى مَكْرى، ووجّه الخطابَ لكبيرهم الذى علّمهم السحْر، المشار اليه فى الدهاء والمكْـر، ما رايك فى هذه القضيّة، والواقعة الرزيّة والـداعية الدعيّة، فقـال الوزير، يا مولانا الامير، وصاحب المكـر والتدبير، انّ العقلاء وذوى التجارب من الحكماء جرّبوا بامر قاطع، فى الوقايع القواطع، فقالوا شيأن لا بقاء لهما الرُوح فى الجَسَد والسَعْد فى الطالع، وهذا هو الصواب، ولكل اجَل كتاب، وما دام الاجَلِ باقيا، والسَعْدِ وافيا وراقيا، ومُدامُ السلامة ساقيا، وحافظُ العوارض واقيا، لا يَنْفع الجدّ، ولا يَدْفع الجَدّ، ولا يَنفى الجَهْد، ما أثبتَ السعْد، ولا تخرج الـروح، ولو كثرت الجروح، فاذا تمّ الاجَل، وبطل من السَعْد العَمَل، انتكس السَعْدُ وانقلب، وفارقت الروح بلا سَبَب، واذا كان ذلك كذلك، فهذا الرجل الناسك، سَعْدُه عمّال، وطالعه فى اقبال، فكل سَهْم مَكْر، فوّقناه الى نحر حياته يعود علينا، وكل رمح فكر صوّبنا سنان عامله الى شاكلة بقائه يرجع الينا، فالراى عندى ان نتربّص به الدواير، ولا نهتمّ باحتيال محتال ولا مَكْر ماكر، الى ان تنقضى مدّته، وتَسْقط من سَعْد طالعه قوّته، فعند ذلك يفيد سَعْدُنا، ولا يضيع كدّنا، فقال العفريت للوزير الثانى، يا افضل جانى، انت ما ذا تقول، وكيف تُشير ان نَصُول، فى ميدان هذا الامر ونجول، قال راىُ مولانا الوزير سديد، وكل ما اشار به فهو فيه مُجيد، ولكن كيف يُهْمَل امرُ العدوّ، ويُرْكَن مع وُجوده الى قرار وهُدوّ، واذا كـان طالعُه فى قوّة فالعماله تزيد فى قوّته، والتهاوُن فى امره مساعدة فى معاونته، ومعاونة فى مساعدته، وهذا علامة العَجْز والانكسار، ومن اقوى الادلّة فى الانحطاط والصغار، وان ربَّ الارباب، وضع عالَم الكَوْن والفساد على أسْباب، فلا بُدّ من تَعاطيها فى هذا الباب، وبَذْل المجهود فى معامَلات الاعداء والأحباب، ولم يقتصر الشارعُ على التقدير والطالع، انّ فيه حَسْم مادّة الشرايع، والتعرّض لابْطال حُكْم الصانع، فعندى ان نَبْذل الجُهْد فى حَسْم مادّتهم، ونتعاطى كَسْر شَوْكتهم، وبَذْلُ الجُهْد والجِدّ، بما تصل اليه الطاقةُ واليد، وثباتُ الاقـدام، فى اثبات الأقْدام، كما قال الشاعر وهو سلم الخاسر، فى تثبيت الجاسر شعر

مَنْ رَاقَبَ النَاسَ ماتَ غَمًّا وفـاز بالـلّـذّةِ الجَسُـورُ

وهذا الشاعر المسمّى، اخذ هذا من اخينا بشار الاعمى، من لنا بوجوده أُنس، وهو شيطان الانس، حيث يقول، ذلك الغُول

من راقبَ الناس لم يَظْفرْ بحاجته وفاز بالطيّبـاتِ الفاتكُ اللَهِجُ

فاعزموا على هَدْم ما يبنون، وهَـدْم ما يَعْنون، والأخـذ فى تمزيق جلدتهم، وتفريق كلمتهم، انّ لا اطّلاعَ لنا على مساعدة الطالع، ولا على حـدّ لبقـاء الاجَل فضـلا عن ان نقول

هذا الحدّ جامعٌ او مانع، وهذا الراى عندى اولى، ورايك يا رئيس التلبيس اعلى، ودونك يا غول، حُسْنَ هذا القول،

اذا كانت الاعداء نَملًا فانهم   اذا لم تتأّعم اصبحوا مثل ثُعبانِ

ومن هذا المقال، يا ابا الاغوال،

واللصّ ليس له دليلٌ ساترٌ   نحوَ الذى يبغى كنوم الحارسِ

والاصلُ فى هذا كله حَسْمُ مادتهم، ورَتْم جادتهم، وذلك اهلاك مُرشدهم، وافساد زاعدهم، فان قدرنا على اهلاكه، وتمزيق حبايله واشراكه، تشتّت شملهم، وتبدد جُلُّهم وقُلُّهم، فقال العفريت للوزير الثالث، وكان اخسّ عابث واخبث عايث، قل لى ايها الوزير، ما سنح لك من التدبير، فى هذا الامر المبير، والخطب الخطير، وما ذا ترى فيه وتشير، فقال لا شكّ ان الطباعَ تميل الى كل ما تسمعه، وما يُلقى الى النفس لا بدّ ان يؤثّر فيه موقعه، وما اشار الوزيران، وهما نِعْمَ المُشيران، فهو لا يخلو عن فوايد، بل هو متحلّ بعقود العوايد، وانّى لأعلم انه اثّر فى الخواطر، كما يؤثّر فى الرياض انسحابُ المَواطر، وفى الجملة للكلام تاثير فى النفس، يظهر آثاره فى الحسّ، ولهذا ترى رقيقَ الشعر، يفعل ما لا يفعله دقيقُ السحر، وجليلُ العبارة، فيها من الاشارة، ما يشجع الجبان، وينشط الكسلان، ويسخّى البخيل، وينخّى الذليل، ويستجر الارواح، ويسخر الأشباح، ويعطف القلوب، ويؤلّف بين المحبّ والمحبوب، ويُصيّر العدوّ صديقا، وغليظَ الاحرار رقيقا، وتأمّلْ يا نبيه، ما قيل على البديه، وهو شعر

وشِعرٍ اذا نادمتَ تُغرى به ٱلنَتخى   وكفّ عن الايذا وعادَ الى الاخا

انكرهُ اخلاقَ مالكه الذى   تعلَّمَ منه العِلْمَ والحلمَ والسخا

اناكَ به ما لا ينالُ بقوّة   ومالٍ وأرواحٍ ولا مجدَ أشمخا

وهذه قضيّة، تحتاج الى اعمال الرويّة، وامعان النظر، وتدقيق الفكر، وعندى الرايُ السديد، والفكرُ المُجدى المجيد، ان التعرّضَ لهذا الرجل الديّن، الداعى الى طريق الحقّ البيّن، ليس بمحمود، ولا نافع قاصده بمسعود، فانه على الحقّ، يتشبّث باذيال الصدق، ومن قصد مصادمة الحقّ اصطلم، وفى مهاوى الهلاك ارتدم، ولقد كان فى بنى اسراييل، رجلٌ من اهل التبجيل، عالما بالتورية والانجيل، مشغولا بالعبادة، باذلًا فى اقامة الحقّ اجتهاده، فتعرّض له جماعة، من اهل الفسق والخلاعة، فتعاطوا اهلاكه، وفجعوا به نُسّاكه، فقتلوه بغير حقّ، فغارَ له الدين ورقّ، فاخبرنى من لا يُتّهم بكذبه، انه قُتل سبعماية الف نفس بسببه، فذهب بسبب ذلك الصالح، من بنى اسراييل الصالحُ بالطالح، ومن كان مع الحقّ، هاديا الى طريق الصدق، فان الله تعالى معه، ومن كان الله معه منعه، وحرسه وما ضيّعه، ومن تصدّى لضياع من حفظه الله، وعزم على ابتذال من اعزّه مولاه وكلاه، فقد قصد خرابَ عُمْره وعمارته، وباعَ راسَ مال تجارته، وربح خسارته، وجنى بيده على نفسه، وحفر بيديه بير مَبْواته ورَمْسه، واسمعْ يا نعْمَ العون، ما جرى

لمؤمن من آل فرعون، حيث كان على السّداد، داعيا الى سبيل الرشاد، وقصد اهلاكه اهل الفساد، فقال وأفوّض امرى الى الله ان الله بصير بالعباد، فغلبوا هنالك وانكسروا، ووقاه الله سيات ما مكروا، وايضا لو قتلنا هذا الرجل، وكان على ايدينا له تمامُ الأجل، فلا شكّ انّه يقوم مقامه، من يلمّ ظلامه، ويزم زمامه، ويحيى بعده ايّامه، فيقيم شعاره، ويكتب ما قدّم وآشاره، فان تلامذته كثيرة، وطوايف جماعاته غزيرة، فينتظم لهم بعده الامر، ولا يضرم لنا فيهم من كيدنا الجمر، واذا علموا ان ذاك منّا، واشتهر فيهم ان ذلك الكيد عنّا، اخذوا منّا حذرهم، وصوبوا الينا عداوتهم ومكرهم، ثم أعملوا على استيصالنا، واستعدّوا لقتالنا، لانّا اهلكنا معتقدهم، وهدمنا عمادهم ومعتمدهم، ولا يمكننا بعد ذلك طلبُ المسالمة والسّلامة، وتستمرّ العداوة بيننا وبينهم الى يوم القيمة، مع ان عداوتنا قديمة، وفى الجملة عاقبة من عادى اولياء الله وخيمة، واذا تقرّر هذا المقول، وثبت بطريق المعقول، فاعلمْ ايها الغول، والشيطان المهول، ان الراى الصواب، فى هذا المصاب، ان نأتى هذا الرجل وجماعته، بافسادنا طاعتهم وطاعته، وحيث لا يتيسّر لنا المواجهة، ولا الخطاب والمشافهة، ولا الاضلال فى الظاهر، والتعادى بصورة المتجاهر، فنزيّن لهم حبّ الدنيا وشهواتها، والميل الى زينتها ولذّاتها، والركون اليها، والاعتماد عليها، ونلقى اليهم طول الامل، وبعد الأجل، فنثبطهم بذلك عن العمل، ولدعوهم الى التهاون والكسل، ثم بعد ذلك نجلو خدور عرايس الحرص على ابصار أفكارهم، وقدود موايس الشحّ وحبّ المال على اعين خيالاتهم وبصاير اسرارهم، فاذا ذاقت السنة عقولهم حلاوة حبّ الدنيا، وتمكّن فى ادمغة سويدايهم الرغبة فى الأموال والابناء، سلبوا حلاوة الطاعة، وتفرّقت منهم الجماعة، وزاغوا عن الطريق الاقوم، وراغوا عن السبيل الأمم، فنتوصّل اذ ذاك منهم الى مقاصدنا، ونوقعهم كيف ما اخترنا فى مصايد مراصدنا، لانهم هبطوا من سماء المناعة الى الأرض، واهلكوا بايديهم انفسهم اذ بغى بعضهم على بعض، فتحاسدوا، وتحاشدوا، وتدابروا، وتناحروا، وتكالبوا، وتضاربوا، وتواثبوا، وتجاذبوا، وتحاربوا، وتحازبوا، وتراعبوا، وتهاربوا، وتجالبوا، وتناهبوا، وتسالبوا، وتلاسبوا، وتقابلوا، وتقاتلوا، وتفرّقوا، وتمزّقوا، وتحرّقوا وتمزّقوا، وانحاز كل منهم الى ناحية، وأعجب كل برايه فلا تعرف منهم الفرقة الناجية، اذ قد تفرّقت اهواؤهم، وتصادمت آراؤهم، وجذبتهم اعراضهم الى الانحاء، وخلبتهم أمراضهم مع الاهواء، ومال كلّ الى صوب، وأيس منهم الى الصواب الاوب، وتعدد الخلق الدمر، ولبس كل لصاحبه جلد النمر، ثم بعد ذلك زلّوا وازلّوا، وضلّوا واضلّوا، فتمكّنّا منهم كما نريد، وتصرّفنا فيهم تصرّف السادات فى العبيد، وسلّطنا عليهم دواعى الغضب والشره، ونعبنا بشيوخهم لعب الصبيان بالكرة، فنصوّب لهم اقوالهم، ونزخرف لهم أفعالهم، كما قال من خلقهم وافعالهم، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم، ولا نقصد بذلك الا كبراءهم، وفضلاءهم وعلماءهم، وزهّادهم ورؤساءهم، وحكّامهم وحكماءهم، ولا نميل عن مكابرتهم، ولا نملّ من مصابرتهم، ونجرى فى عروقهم، ونسكن فى فروقهم، ونحرّكهم فى رعودهم وبروقهم، فان تحرّكوا الى خير سكّنّاهم، وان سكنوا عن شرّ حرّكناهم، وان عزموا الى الآخرة صدّدناهم، وان جزموا الى مواطن برّ ردّدناهم، وان أمّوا مفسدة قدّناهم، او همّوا بمعصية سقناهم، ولا بدّ لهذا العمل الكثير، من تدبير، ولبيذل جدّ فى المسير، ان يسير، وبالجملة

نَبْذُل فى ذلك غاية جَهْدنا وجِدّنا، ولا غضاضة فى ذلك علينا لانه صَنْعة أبينا وجَدّنا، وقد اخْبَر بذلك جدّنا اللعين، لمّا خالف رب العالمين، كما أخْبَر فى الكتاب المُبين، فى قوله فبعزّتك لأغوينّهم اجمعين، فاذا رآهم الناس، وقد وقع بينهم الباس، حصل لهم منهم اليأس، وتراجعوا عنهم، وهربوا منهم، وفسد اعتقادهم فيهم، بل قتلوهم بايديهم، اذ قد ظهر فسوقهم، وكسدت سُوقهم، فان شئنا اوقفنا حالهم وان رُمْنا الى الهلاك نسوقهم، واوثق ما نتوصّل به اليهم من الاسباب، فى حالة الانفراد الاعجاب، وفى حالة الاجتماع الكذاب، فان الاعجاب يَهْوى فى النار، والكَذب يُخرب الديار، ونـاهيك قصّة التاجر، مع عُبَيْد الكذّاب الفاجر، فسأل شيخ الجنّ، عن بليّة ذلك الفن، فقال ورد فى خَبَر، عن شخص مُعْتَبَر، انه كان فى مكان تاجرٌ ذو مال، وزَوْجة ذات جمال، كل يَهْوى صاحبه، ويرعى جانبه، ويفديه بروحه، ويترشف رحيق رضابه فى غبوقه وصبوحه، كأنهما زوجُ حَمام، وفىٌّ بذمام، ففى بعض الايام، قال احدهما لرفيقه، وهو يرشف من كاس عقيقه، شهد رضابه ممتزجا بخمرة ريقه، لو كان لنا عُبَيْد، يتقاضى ما لنا من حاجة وقُيَيْد، لخلصنا من جُمَيْلة عمرو وزيد، فذهب التاجرُ الى سُوق الرقيق، فوجد مع نخّاس عبدًا ذا قدّ رشيق، يُنادى عليه أبيعه بكذا، على ما فيه من أذًا، فقال وما عيبه، قال كذبه، لكنْ لا على الدوام، وانما هو مرّة فى كل عام، فقال عيبٌ هيّن، وشينٌ ليّن، فاشتراه، واتى به الى ذراه، فاستمرّ فى خدمة حسَنة، حتى اتى عليه سنة، ونسى سيّده عَيْبه، وأمن رَيْبه، وجُرّب بالأمانة يده وبالطهارة جَيْبه، فلما مضى عليه عام، كان سيّده فى الحمّام، فاتى البيتَ فى بعض الخوابج، فى صورة الجمل الهايج، شاقّا ناشرا، صارخا ثائرا، صائحا واويلاه، واسيّداه وامولاه، فسئل ما لك والك، لا احْسَنَ اللهُ حالك، فقال رمح بغل سيّدى فما تمالك ان تهالك، وسلّم الروح لخالقها وقال لوارثه تسلّمْ ما لك، فاقيم العزاء والسخام، وتركهم وجاء الى الحمّام، وهو يبكى وينوح، ويصرخ ويصيح، فسأله مولاه، ما دهاه، فقال وقع البيت، على كلّ من آويت، فلم يبق فى الدار، نافخ نار، فهلك الكبير والصغير، ونهب ما فيها من جليل وحقير، فخرج وهو يستغيث، من حديث ذاك الخبيث، فوجد اهل البيت سالمين، ورآهم من الآمنين، فلام الغلامَ على خباطه، فذكر له ما سلف من اشتراطه، ثم انه استقام، ونسى هذا الكلام، ومضى عليه عام، فاستانف ذلك الخبيث، امر الغثيث، وقال لامراة مولاه، يا فتّاه، ان كنت نايمة فاستيقظى، وخذى حذرك وتحفّظى، واعلمى ان نيّة صاحبك، ان يلقى حبلك على غاربك، لانه قد عشق عليك، ونبذ حبل حبّك اليك، وتعلّق قلبه ببنت رجل كبير، ولا يُنبئك مثل خبير، وقد حملنى على نصيحتك الشفقة، وما اسديت الىّ من احسان وصدقة، فبادرى قبل حلول الباس، ونزول الفاس فى الراس، فاثّر فيها هذا الحديث، واستشارت لما تفعله ذلك الخبيث، فقال لو ظفرت بشى من شعره، لكفيتك مؤنة مكره ونكره، فانّ لى صاحبا منجّما، استاذا معلّما، يرقى الشعور، ويجعلها فى بخور، واذا وجد الى خيشومه مساغة، ودخل البخور دماغه، صار عبدًا لك على الدوام، وحظيت عنده بالمراد والمرام، وارتقيت الى اعلى مقام، ولكن ينبغى ان يكون من شعر لحيته، النابت على ترقوته، قلت وانّى أصل الى ذاك، وقى الله اذاك، فقل اذا نام، وغرق فى المنام، فاحلقى منه بموسى، تكتفى الضرر والبوسا، وانا

انیک بموسی یحلق الشعور، فافعلی به ذلک من غیر ان یکون له شعور، فاتفقا هذا الاتفاق، وانا عا بموسی حلاق، ثم توجه الی مولاه، وقد اضمر له ما دعاه، وقال اشعرت یا ذا الفضایل، ان زوجتک البدیعة الشمایل، تغیر خاطرها علیک، وتقدمت بالاساة الیک، ولو لا انک شفوق علیّ، وعزیز ومکرم لدی، ما انباتک من اخبارها بشی، فارید ان یکون ما انهیه الیک مکتوما، الی ان یصیر عندک محققا معلوما، وقد ارسل الیها من یخطبها، فافسدها علیک وهو یطلبها، واما لها عنک بما یرغبها، فاتفق معها انها تقتلک وتستریح، وستصبح فی فراشک وانت ذبیح، وذاک یقوم بدیتک، وقد ارسل الیها من الاموال والجواهر اضعاف قیمتک، فان اردت مصداق هذا الکلام، فتناقل عندها فی المنام، لیزول الشک بالیقین، وتتحقق انی من الصادقین، فاثر هذا الکلام فیه، وخاف من مکر النساء ودواعیه، فلما اقبل العشا، واحضروا العشا، تناول من ذلک الطعام، ونهض الی الفراش لینام، واظهر بین القوم، انه غرق فی النوم، ومدّ اعضاءه واتحط، واسال لعابه وغط، فنهضت الزوجة الیه، وفتحت الموسی ودخلت علیه، ومدت بیدها الی لحیته، ووضعتها علی ترقوته، ففتح عینیه، فرای آلة الموت توجهت الیه، فما تمالک ان وثب الیها، وجثم علیها، وخرج زمام تفکره، عن ید تامله وتدبره، وخطف الموسی من کفها، وسقاها بها کاس حتفها، فلما رای فوران الدم، ادرکه لاحق الندم، وانّی یفید وقد تبدّل الوجود بالعدم، وانشد شعر

یا مهجة نزل الحمام علیها وجنی لها ثمر الردی بیدیها

ووقع القال والقیل، واشتهر امر القتیل، ووقع فی شرک الاقتناص، وعومل فی صاحبه بالقصاص، وانما اوردت هذا الکلام، لتعلم ان ما اهلک الانام، واوقعهم فی شرک الاثام، والکفر والفسوق والحرام، مثل الکذب الذی حرمه علیهم الملک العلام، وهو لنا اوثق زمام، ولجذبهم الی ما قصدناه من مرام، احکم خطام واعظم حزام، فاستحسن العفریت هذا الرای واستصوبه، واعجبه ما تضمنه من معان واستغربه، ثم قال رایت یا اصحاب، من الرای الصواب، ان اجتمع بهذا العالم الزاهد، العامل العابد، فی محافل عامّة، واسایله مسایل عامّة وخاصّة، عن اسرار دقیقة، اطالبه فیها بمجازها والحقیقة، وانا اعرف انه یفحم عن جوابی، ویلجم عند اول خطابی، فاذا عجز عن جواب المسایل، فی تلک الجموع والمحافل، تحقق الحاضرون جهله، فنبذوه من اول وهلة، واعترفوا لنا بالفضل الوافر، والعلم الغزیر المتکاثر، فصاروا لنا اوداء، وانفصل ما شهدت به الاعداء، فتراجعوا عن اعتقاده، ونفضوا ایدیهم عن محبته ووداده، وربما سعوا فی دماره، وخراب دیاره، فیکفوننا امره، ویریحون عنا شره وشره، واقل الاقسام، ان جماعة ذلک الامام، اذا راوا ما لنا فی الفضل من تجارة، وعلموا ان راس مال امامهم الخسارة، انتبهوا بالسهو، وسهوا باللهو، وانفضوا عنه وترکوه قایما، فنصل الیه کیف ما کان قایما او نایما، وهذا ان لم یکونوا سبکوه وسفکوه، کما فعل صاحب البستان والمزرعة، من الغدر والتفخید مع غرمایه الاربعة، فسال الوزرآء، عن غدیر ذلک الغدر کیف جری، قال العفریت، کان من تکریت، رجل مسکین، ینظر البساتین، ففی بعض السنین، قدم قریة منین، وسکن فی بستان، کانه قطعة من الجنان، فیه فاکهة ونخل ورمان، ففی بعض الاعوام، اقبلت الفواکه بالانعام، ونثرت الثمار عن ملابس الاشجار من الاذیال والاکمام، فالجات الضرورة ذلک الانسان، ان خرج من البستان، ثم رجع فی

الحال، فراى فيه اربعة رجال، احدهم جندى واخر شريف، والثالث فقيه والرابع تاجر ظريف، قد اكلوا واوسقوا، ونامُوا وارتفقوا، وتصرفوا فى ذاك، تصرف الملاك، وافسدوا فسادًا فاحشا خادشا، ومارشا وناوشا وناكشا، فاضر ذلك بحاله، وراى العجز فى فعاله، اذ هو وحيد، وهم اربعة وكل عنيد، فسارع الى التاخيذ، وعزم على التفخيذ، فابتدا بالترحيب والبشاشة، والاكرام والهشاشة، واحضر من اطايب الفاكهة، وطايب بالمفاكهة، وسامح بالممازحة، ومازح بالمسامحة، الى ان اطمانّوا، واستكانوا واستكنّوا، وداخلوه فى اللعب، وداعبوه بما يجب، فقال فى اثناء الكلام، ايها السادات الكرام، لقد حزتم اطراف الطُّرف، فاى شى تتعانون من الحِرف، فقال احدهم انا جندى، وقال الاخر رسول الله جدى، وقال الثالث انا فقيه، وقال الرابع انا تاجر نبيه، فقال والله لست بنبيه، ولكن تاجر سفيه، قبيح الشكل كريه، اما الجندى فانه مالك رقابنا، وحارس حجابنا، يحفظنا بصولته، ويصون انفسنا واموالنا واولادنا بسيف دولته، ويجعل نفسه لنا وقاية، وينْكى فى اعدائنا اشدّ نكاية، فلو مدّ يده الى كل منا ورزقه، فهو بعض استحقاقه دون حقه، واما الشريف فان جده هدانا، ومن النار انجانا، وقد ملكنا كرامةً وحبّا، بقوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرًا الا المودة فى القربى، وقد تشرّف اليوم به مكانى، وحلّت البركة علىّ وعلى بستانى، واما سيدنا العالِم، فهو مرشد العالَم، وهو سراج ديننا، الهادى الى يقيننا، فاذا شرّفونا باقدامهم، ورضوا بان نكون من خدامهم، فلهم الفضل علينا، والمنة الواصلة الينا، واما انت يا رابعهم، وشرّ جنس وتابعهم، باى طريق تدخل الى بستانى، وتتناول من سفرجلى ورمانى، هل بايعتنى بمسامحة، وتركتَ لى المرابحة، او لك علىّ دَين، او عاملتنى نسية دون عين، انك علىّ جميلة، هل بينى وبينك وسيلة، تقتضى تناولك مالى، والهجوم على ملكى ومنالى، ثم مدّ يده اليه، فلم يعترض احد من رفقايه عليه، لانه ارضاهم بالكلام، واعتذر عما يتطرق اليهم من ملام، فاوثقه مُحْكما، وتركه مغرما، ثم مكث ساعة، وهو على الخلاعة والرقاعة، وغامز الجندى والشريف، على الفقيه الشريف، ثم التفتَ الى الفقيه، وقال ايها العالم النبيه، انت مفتى المسلمين، والعالم بمنهاج الدين، وعلى فتواك مدار الاسلام، وكلماتك الفارقة بين الحلال والحرام، بفتواك تستباح الدماء والفروج، فمن افتاك بالدخول فى هذا الخروج، أَفْتنى يا عالم الزمان، محمد بن ادريس أَفتاك بذلك ام النعمن، ام احمد بن حنبل ام مالك، فسح لك بذلك، أَمَا سمعتَ قول مقر العلمآء ومُجلّها، ومُذل الجهلاء لجهلها، يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها واذا ارتكب مثلك هذا المحظور، وتعاطى العلمآء والمفْتون اقبح الامور، فلا عيب على الاجناد والاشراف، ولا على الجهلآء الاجلاف، ثم مد يده الى جلابيبه، واوثقه بتلابيبه، فاحكمه وثاقا، والمه رباقا، فما انجداه، ولا رفداه، ثم جلس يلاهى، الجندى الساهى، وغامزه على الشريف، ذى النسب الظريف، ثم قال ايها السيد الاصيل الجيّد، الحسيب الأيّد، لا تعتب على كلامى، ولا تستثقل ملامى، اما الامير، فانه رجل كبير، ذو قدر خطير، له الجبلة التامة، والفضيلة والمانّة، فانت يا ذا النسب الطاهر، والحسب الظاهر، والاصل الباهر، والفضل الزاهر، سلفك الطيّب اذن لك فى الدخول، الى ما لا يحلّ لك جدّك الرسول، افتاك باستباحة الاموال، أم زوجُ البتول انباك ان اموالنا لآل البيت حلال، واذا كنت انت يا طيب الاسلاف، لا تتبع سُنّة

ابايك الاشراف، من الزهد والورع فلا عتبَ على الأوباش والاطراف، ثم وثب اليه، وكتف يديه، ولم يعطف الجندى عليه، فلم يبق الا الجندى وهو وحيد، فانتصف منه البستانى كما يريد، واوثقه رباطا، وزاد لنفسه احتياطا، ثم اوجعهم ضربا، واشبعهم لعنًا وسبًا، وجمع عليهم الجيران، واستعان بالجلاوزة واصحاب الديوان، وحملهم بربائطهم، وعملائهم تحت اباطهم، الى باب الوالى، واخذ منهم ثمن ما اخذوه من رخيص وغالى، وانما اوردت ما جرى، لتعلموا ايها الوزرا، ان التفخيذ من الاعدآء بالتفاخيذ، امرٌ من السهام فى تنفيذ الاحكام واحكام التنفيذ، وهذا قبل تعاطى اسباب الببلسة، وفتح ابواب الوسوسة، فانه يقال فى الامثال، عقدة تنحلّ باللسان، لا تؤخر حلها الى الاسنان، ونعم ما ارشد، من انشد،

فكم عقدةٍ أغنى اللسان لحلّها تراخت وقد اعيَت نواجذ اسنان

ثم قال العفريت للوزير الرابع، ما ترى انت فى هذا الامر الواقع، فقال حيث تردّد الامرُ بين آرآء متخالفة، واقوال متفاوتة، وأُقيمَ على كل قيل، برهان ودليل، فتعدد النقل، وتبلّد العقل، فعميت وجوه الترجيح، وضلّت طرق التصحيح، فلا يُمكن القول باحدها، ولا الميل الى فردها، فان ذلك ترجيح بلا مرجح، وتصحيح بلا مصحح، فربما يتصوّر انشى خيرا، فيكون عقباه شرّا، ويتوهّم شرا، فيظهر قصاراه خيرا، وقد قال منزل الفرقان، على اشرف جنس الانسان، وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم وكم قضية تصورها الفكر صوابا، وذهل عما تضمنه الخطا ماءبا، وكذلك النفس تتصور شيا بصفة وهو بالعكس، ولذلك شاهد من وقايع الحسن فليس على ذلك معول، وشاهده قضية الضيف مع ولده الاحول، فقال العفريت، وكيف ذلك ايها الخريت، قال الوزير اخبرنى شخص فاضل، انه كان رجل كامل، كريم الشمايل، محبوب الخصايل، مرغوب الفضايل، عزيز الثرا، رحب القرى، عذب الموارد، مترصد للصادر والوارد، لا يسال الضيف، من اين ولا كيف، وهو كما قيل للضيف والسيف، ورحلة الرجال للشتا والصيف، فنزل به فى بعض الايام، ضيف من اصحابه الكرام، فزاد فى اكرامه، واحضر ما طاب من طعامه، فلما رفع السماط، ووضع للبسط بساط، قال لضيفه الصديق، عندنا قارورة من الشراب العتيق، كنت اذخرته لنزلك، واعددته لمثلك، وما عندى سواها، فان رايت احضرناها، وتعاطينا الراح، لطلب الانشراح، فانها مادة الافراح، كما قيل

وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام

فسمع الضيف مقاله، وتحمل جميلته ودعى له، فاشار المضيف المفضل، الى ولده الاحول وقال اذهبْ الى المقصورة، فان عندك قارورة، فهاتها واياك تنكسر، فان صدع الزجاج لا ينجبر، وما بنا ضيرها، ولكن ما عندنا غيرها، فتوجه الى ذلك المكان، فتراى له قارورتان، فرجع من وقته، ونادى لوقته، ايها الاب المفيد، عندك قارورتان فايهما تريد، فخجل من ضيفه وغضب، لئلا ينسب الى اللوم والكذب، فقال لابنه يا ابن البظرا، اكسر احدهما وهات الاخرى، فاخذ العصا وعبر، وضرب احدى ما كان تراى للبصر، فلم يجد غير وعاء واحد وقد انكسر، فخرج الى ابيه وهو من الفكر فى تيه، وقال امتثلت ما امرت، واخذت العصا وكسرت، فانكسر احدى القارورتين، ولا ادرى الاخرى ذهبت الى اين، فقال يا بنى ان

الخلل من عينيك، والخطا فی ذلك منك واليك، وانما اوردت هذا المقول، لتعلم ايها الغول المهول، ان اقوى طُرق العِلم العين، واذا حصل فى ادراكها الخلل والشين، ترای الصدق بصورة المين، والشی الواحد بالشكل اثنين، وهذا امر محسوس، لا يمكن ان تنكره النفوس، فكيف ترى تكون، وعين الفكر المصون، وهی بانواع الحجب محجوبة، وتخيلات الوهم وقضاياه مشوبة، ومرئياتها انما هی المعانی، دون المحسوس المشاهد المبانی، فعلى هذا ينبغی التامل فی عقبی هذه الحوادث، والتدبير فی قصاری هذه الامور الكوارث، ثم الاخذ فی تعاطيها، والشروع فی اسباب تلافيها، بعد امعان الانظار، وانعام التدبير والافكار، ثم اعلم ايها الرئيس الداهی النفيس، شيخ المكر والتلبيس والتدليس، ان الله القديم، القادر الحكيم، لم يخلق فی الموجودات، ولم يوجد فی المخلوقات، اعز جوهرا من الانسان، فانه فضّله على جنسی الملك والجان، واختصه بتدقيق النظر وعميق الفكر وسرعة الادراك، فهو مع عدم الحراك، يحكم وهو ساكن على ما تحت الثرى وما فوق الافلاك، وشمله بعوايده، وعوده بفوايده، ولطف به فی مصادره وموارده، فهو ارحم به من والدته الشفوقة ووالده، ووكل بحفظهم الكرام الكاتبين وملائكته، ورباهم فی حجر نعمته، على موايد لطفه وكرمه ورحمته، كما تربی الوالدة الشفوقة، والظير الرفيعة الرفيقة، ولهم العلم الغزير، والقدر الخطير، والرای والتدبير، واطلعهم على غوامض الاسرار، ودقايق الافكار، وان علمنا بالنسبة الى علمهم، وحلمنا فی القياس الى ثباتهم وحلمهم، كنسبة علم الفلاح المغبر، الى علم الطبيب المعبّر، قال العفريت، اخبرنی بذلك يا شيخ المصاليت، قال الوزير، اخبرنی شخص كبير، انه راى فی نومه فلاح، كانه خرج من بطنه مفتاح، فلما اصبح الصباح، جاء الى رجل من اهل الصلاح، يعبر المنامات، وكان ذا كرامات، وقص عليه رؤياه، وطلب تعبير ما رآه، فقال له يا رئيس، هذا منام نفيس، لا اذكر ما فيه من تعبير، الا بدينار كبير، فحصل له بشارة فناوله دينار، فقال يولد لك ولد ذكر، يكون سببا للفتوح والظفر، وكان له زوجة حامل، بقى لها ايام قلايل، فولدت ابن غلام، بعد ثلاثة ايام، فاستبشر الفلاح، بالظفر والنجاح، ثم بعد مدة، حصل للفلاح شدة، من مرض المد، واصاب قدمه، فجاء الى معبر المنام، وشكى اليه الالام، وقال يا شيخ المى، فی قدمی، ضاعف غمی، وضعف همی، فقال له الطبيب، لا باس يا حبيب، هذا داء هين، وعلاجه بين، اعطنی دينارا ذهبيا، اصف لك دواء شافيا، فاعطاه ما اشتهى، واستوصفه الدوا، فقال ضمده بعجة بيض كثيرة الابزار، وضع عليه عسلا مسخنا على النار، ففعل ذلك فبريت قدمه، وزال بالكلية المد، فافتكر الفلاح فی فعل المعبر الطبيب، وقوله المصيب، وامره العجيب، فانه بادنی عبارة عبر المنام، وباوهی اشارة ازال الالام، فرای الراحة، فی ترك الفلاحة، والاشتغال بعلم الطب والتعبير، فانه امر هين يسير، وبادنی امر حقير، يحصل المال الكثير، فباع الات الزراعة، وعزم على تعاطى ما فی الطب والتعبير من الصناعة، ولمّ كتبا ودفاتر، وكراريسا مخرومة مناثر، ووسّع اكمامه، ووضع على راسه عمامة كغمامة، وجمع عقاقير واوراق، وبسط بسطة فی بعض الاسواق، واشاع على لسان مخبر، ان فی المكان الفلانی طبيبا يعبر، وهو استاذ الزمان، وعلامة الدوران، وتلميذه فی حكماء اليونان، وفی التعبير ابن سيرين وشيخ كرمان، وتصدر كانی زيد وساسان، عاملا بما قاله شيخ البيان، شعر

الطب احسن علم يستفاد فطر بين الانام به مثل الزرازير

واجمع لذاك كراريسا منشرة — وجملة من حشيش مع عقاقير
وضع على الراس بيقارا تدوّره — كقبة النسر في وزن القناطير
واجمع معاجين من رب تخلطها — واسحن سفوفا واكحال العواوير
وسمّ ما شيت من اسماء معربة — كالشند والمند والسرخا وخنفور
وقل من الهند جا هذا ومن عدن — هذا وهذا اتى من ملك فغفور
وذا من البحر بحر الصين معدنه — وذا من البربر المسمى ببربور
فان رايت بالاستسقاء ذا ورم — فقل تورّم من لسع الزنابير
ان اقشعرّ فقل برد عراه وان — يحم قل حرّة وهج التنانير
وان اتاك مريض لا تخف واشر — بما ترى من دواء دونه البورى
فان يعش قل دوائى كان منعشه — وان يمت قل اتاه حكم مقدور
كذلك الرمل والتنجيم فاحذ على — هذا المثال وخضّ فى علم تعبير
فان اصبت فقل علمى ومعرفتى — وفى التخلف قل ضد المقادير
وان رايت فقيها ضرّ منه ولا — تنطق تقعْ معه فى فسق وتكفير
وانت تحتاج فى هذا وذاك الى — ذوق ومعرفة مع حسن تدبير

فاتفق ان زمام الامام، خليفة الانام، راى فى المنام، شيا اهاله، وغيّر حاله، فحصل له فى راسه صداع، وفى فواده اتجاع، فسمع بهذا المعبر الجديد، وانه استاذ مفيد، فارسل اليه، وعرض ما راءه عليه، فقال هذا منام، يدل على خير وانعام، وبقا ذكر الزمام، على ممر الدهور والاعوام، ولكن لا اعبر هذه الاحلام، الا بدينار تمام، فناوله دنيارا، واظهر بذلك استبشارا، فقال يولد لك غلام، بعد ثلاثة ايام، كالبدر التمام، يعيش كثير اعوام، ويخلّد ذكرك على كر الايام، فضحك الزمام، من هذا الكلام، وقل يا امام، انا رئيس الخدام، طواشى بلا شى لا زوجة لى ولا سريّة، ولا آلة ولا ترمية، فمن اين لى هذه السعادة، ولا فرحتُ بحسنى الحسين فانى بحصل الزيادة، فلا تسخر منى، وكف كلامك عنى، واخبرنى بتعبير هذا المنام، ودعْ عنك الملام، فقال حقًا اقول، وانا جربت هذا المقول، وقد عبرت لك حق التعبير، ولا ينبيك مثل خبير، فقال الزمام يا اخى دع هذا المقال، فان وجود الولد منى محال، وانا رجل بى وجع، وما بقى فى منتجع، فقال وما ذا تشكو، والمك فى اى مكان هو، فقال فى فوادى اوجاع، وفى راسى صداع، فقل يا زينَ مَنْ فاخر، أعطنى دينارا اخر، اصف لك ايسر دوا، يحصل لك منه العافية والشفا، فدفع اليه الدينار، وطلب منه دواء الدوار، وما بفواده من المر، اورثه الوهج والضرم، فقال يا ابا الفيض، ضمّد رجلك بعجّة من بيض، مصاقا اليها عسل مَشار، وبيكن مسخنا على النار، فاستشاط الطواشى غضبا، وثار كتنار شواظا ولهبا،

وعرف انه جاهل، وعن طريق العلم ذاهل، فادّبه التاديب البالغ، وردّه الى ما كان عليه من منادمة السانغ، فاستمر على كلاحته، بعد رجوعه الى فلاحته، وانما اوردت هذا المثال، يا غول الاغوال، لتعلم اننا ان اشتغلنا بمناظرتهم، اشتعلنا فى محاورتهم، لانه فى دقيق الأسرار، وعميق الأفكار، وتحقيق الأنظار، لا يقاوم احدٌ جنس الانسان، فكيف يستطيع الجان، معارضة من ايّده الله تعالى برفيع المعانى وبديع البيان، فاذا قابلناهم فى المباحث بالمعارضة، تعود مسئلتنا علينا بالمناقضة، فلما راى العفريت، خوّرَ ذلك الصغريت، وانه نكل عن المقاومة، ونكص عن المصادمة، خاف ان يكون ارآء، باقى الوزراء، تبعًا لرايه، فى عدم لقسايه، وظنهم مستحسنين لرقايه، مستصوبين لشفايه، فارخى عنان الكلام، ليقف على ما عندهم من مرام، وكان هو عزمه المباحثة، والمعابثة والمباعثة، والتصدّى للاقدام، والقاء المسايل بحضرة الخواص والعوام، ولكن مشى امام الوزرا، ليرى ما هم عليه من الآرآ، فقال للوزير الرابع نعم ما قلتَ ايها الوزير، والصواب ما اشرت من الراى والتدبير، فان الله خلقنا من النار، وهى طبعها الاهلاك والدمار، واحراق كل رطب ويابس وبارد وحارّ، والظلم والخسار، والافناء والجهل والبوار، وطلب الرفعة وعدم القرار، وافساد ما نجده من غير فرق بين نفاع وضرار، وخلقهم من تراب، واليه لهم المآب، وطبعه الحلم والسكون، والتربية والركون، والعلم والعدل، والاحسان والفضل، ومع هذا فلو خرجوا عن جادّة ما جُبلوا عليه، وتلبسوا بغير ما نُدبوا اليه، ولو ادنى خروج، وَرَعوا ما للمارج من مروج، لتحكمنا فيهم كما نختار، ولعبنا بهم كما تلعب بالكُرَة الصغار، فنحن اذا خرجنا عن دايرة طبعنا، وتخالفت اوصاف اصلنا وفرعنا، ونقلنا الى دايرة الخير عن جادّة الشر أقدام صنعنا، لا يقعُ لنا منهم صيد، ولا يوثر لنا فيهم سيف كيد، فاذا عجزنا عن الايذاء فى الظاهر، فلم يبق الا الاغوآء فى باطن الضماير، والتعلق باسباب ما يعمل اليه اليد من الحيل البواطن والظواهر، فقد قالت الحكماء واهل التجارب، ومن ابتلى من مكايد الدهر بالنوايب، ومُنى من ذلك بالعجايب والغرايب، اذا تصدى الانسان، وقصد غريمه وعجز عن مقاومته فى الحكومة والخصومة، فعليه عند ذلك العجز، بفضاطيس الخداع ومعاول الحِيَل، وليستعنْ فى ذلك باهل النجدة، وذوى البطش الشديد والشدة، فيتوصل بهم الى حسم ذلك الدآء، ولو كانوا اعدآء غير اودّاء، فتسليط بعض الاعداء على بعض، من ايمن سُنّة ومن احسن فرض، ولقد احسن من قال، واجاد المقال، شعر

تفرّقتْ غنمِى يومًا فقلتُ لها   يا ربِّ سلّطْ عليها الذيبَ والضبُعَا

ولا يوجد فى هذا الباب، لجمع شمل الاعداء اوثق من تفريق الأحْباب، ومصداقه قوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالاً ولا وضعوا خلالكم وما قويت اعضاد الاسلام فى الامصار، الا باجتماع كلمة الانصار، ولهذا قصد مَنْ نافقوا، لمّا توافقوا الانصار وترافقوا، ان يتشاققوا ويتفارقوا، فانزل عليهم واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وهذا الفنّ يحتاج الى فكر عميق، ومكر دقيق، وعقل كبير، وفعل كثير، ومصيب راى وتدبير، وسلوك فى طريق الاصطناع، كما فعلت الفارة من الخداع، حين عجزت عن مقاومة الشجاع، فقال الوزير ينعم مولانا الباقعة، بتحقيق هذه الواقعة، قال سمعت

ان بعض التجار، كان له بستان فى دار، والى جانبه حاصل، فيه المغل المتواصل، فى ذلك الحاصل اوكار، لشاطر من شطار الفار، لها عدة منافذ، والى الجهات طرق ومآخذ، احدها الى جهة البستان، والبستان كجنة رضوان، فكانت الفارة، ذات الشطارة والمهارة، تاخذ من المغلات، واطايب الطعامات، ما يكفيها غدا وعشاء، صيفا وشتاء، وفى وقت المصيف، تخرج من ذلك المنزل اللطيف، الى جهة البستان، فتمشى حوالى الغدران، وتترقى الى اعالى الاغصان، وتتمرغ فى المروج والرياض، وتتبختر فى ظلال الدوح والغياض، ثم تعود الى وكرها، وتارز الى جحرها، فكان عيشها هنيا، وامرها رضيا، ومضى على ذلك دهرها، وانقضى فى ارغد عيش عمرها، ففى بعض الاحيان، خرجت على العادة للتنزه فى البستان، فمر بسكنها افعوان، فراى مكانا مكينا، وسكنا حصينا، بالاطعمة محفوفا، وبطيب الأغذية مكنوفا، فدخله واستوطنه، وترك ما سواه من امكنة، فلما رجعت الفارة الى مكانها المالوف، وجدت به العدو الظالم العسوف، فاحاط بها من الامر المخوف، ما يحصل الذيب اذا عانقه الخروف، فاسرعت الى امها، وشكت اليها نوايب غمها، وما دهمها من نوازل همها، فقالت امها لا شك انك ظلمت احدا، ووضعت على ما ليس لك يدا، وتعديت الحدود، وعاملت مغرما بصدود، فجوزيت باخراجك من وطنك، وابعادك عن مقرك وسكنك، ومن ظلم ضعيفا عاجزا، سلط الله عليه قويا لاكزا، وقد ورد يا انسى، فى حديث قدسى، اشتد غضبى على من ظلم من لا يجد ناصرا غيرى، فلا تطيلى الكلام، ولا تتصورى انك ترجعين الى ما لك من مقام، ولا طاقة لك على مقاومة الثعبان، فدعى تعب الخاطر واطلبى لك ماوى غير ذلك المكان، فتوجهت الى ملك الفار والجرذان، وشكت ما نابها من ذلك الشيطان، وقالت انا فى خدمتك، ومعدودة من رعيتك، عمرى على ذلك مضى، وزمانى فى العبودية والاخلاص انقضى، وابى كان فى خدمة ابيك، وجدى عند جدك وذويك، لم نزل فى رق الطاعة، متمسكين بحبل سنة الولاء والجماعة، كل ذلك لامر يدهم، او حادثة نازلة تتقدم، فنستدفع ذلك الخطب بخطابكم، ونستكفى هول ذلك النازل بجنابكم، والان قد وقعت حادثة، بالالباب عايثة، وبالافكار عابثة، وللارواح كارثة، وذلك انى قد خرجت من كنى لطلب قوتى، ثم رجعت الى مبيتى، فوجدت ظالما قد استحوذ عليه، وغاصبا قد دخل اليه، وهو ثعبان، ما لى به يدان، وقد ترامیت على جنابك، استدفع هذا البلاء بك، قال ملك الفار، يا سابية الاشفار، من ترك ماله سايبا، فقد جعله ناهبا، وقال ذوو الاعتبار، واولو الاستبصار، ينبغى بل يجب على الدزدار، وحافظ القلعة والحصار، ان تكون رجله ذات عرج وانكسار، لان لا يكون ديفار، وجوده خارج الدار، وانت ايها الفارة، فرطت فى امرك، وانفرط اولى بالخسارة، وقد خاب منك المسعى، لانهم قالوا اظلم من افعى، ومن ظلم الافعوان، انه لا يكد نفسه فى حفر مكان، وتهيئة مغان ومعان، ولكنه حيثما وجد سكنا، اتخذه لنفسه مقاما ووطنا، وهذا قد عرف مكانك النزه، وهو جبار شره، فلا يزايله، ولا يقايله، ومن اين يلتقى مثل هذا الماوى، وفى المثل عرف الكلب بيت الغبيا، فالاولى ان ترتادى لك موضعا، تتخذيه مقاما ومربعا، فقالت الفارة، وقد ثارت لهذه العبارة، يا ايها السلطان، وملك الفار والجرذان، فما فايدة خدمتى وانقياد ابى، وطاعة جدى الكبير الآبى، واذا كنتم فى الدنيا لا تنفعوننا، وفى الآخرة لن تشفعوا لنا، لا

تدفعون فى الأولى، صدمات الدواهى والبلاء، ولا تحمون الاوداء، عن مواطى اقدام الأعداء، ولا ترفعون فى الاخرى، نوايب الطامة الكبرى، ولا تحلون ما لكم من اوليا، غرف الدرجات العليا، ذى فايدة لكم علينا، ونعمة منكم تسدى الينا، وما انتم الا كما قيل، فى الاقاويل،

اذا لم يكن لى منك عزٌّ ولا غنا　　ولا عند ما يغتالنى الدهرُ موبِلُ

فكلُّ التفات لى اليك تكرُّم　　وكل سلام لى عليك تفضُّل

قال ملك الفار، يا قليلة الاستبصار، العديمة العقل والافتكار، اذا اجتهدنا فى ردّك الى مكانك، وكنّا على الثعبان كجندك واعوانك، فهل تشكّين، اى مسكينة وبنت مسكين، فى ان الافعى تتوجه الى سلطانها، وتخبره بشانها، وانها أُخرجت من مكانها، وتستنصرى على سلطننا بقوة سلطانه، فيستجيش ويستغيث، ويعزى بنا ذلك الخبيث، كما فعل الرافضى العادى، العلقمى البغدادى، حين دعا انتار الطغام، لخراب مدينة السلام، ومن بعده الذميم، نابذ الذمام، من قصده دمار ديار الشام، وبوار قبة الاسلام، ولا طاقة لنا بعساكر الحيات، ونحن فى احبابهم كعساكر الاموات، فتذهب الاموال والارواح، وتتعب القلوب والاشباح، ومع هذا الامر المعلوم، حصول القصد والظفر موهوم، فبالله اتركينى واذهبى، وابغى لك سكنا غيره واطلبى، قالت هذا منزلى القديم، وميراثى عن سلفى الكريم، واين اذهب، وفيمن ارغب، ان لم تغثنى هلكت، واندعكت وانسبكت، قال لا تطيلى القول، فلا قوة لنا ولا حول، فلما أيست الفارة، المكارة الغدارة، تركت سلطانها، وسلكت طرقانها، وا[illegible]، فارشدت، شعر

لستُ الملومَ انا الملوم لاننى　　انزلتُ آمالى بغير الخالقِ

ثم غاصت فى بحار الفكر، وتشبثت باذيال المكر، واستعرضت على مرآة افكارها، وجوه الحيل، واستورت من زناد ارايها شرارات النظر فى الجدل، واخذت تتلوف فى اكناف البستان، فعثرت فى طوفها على ذلك الافعوان، نايما تحت ورده، متطوقا فى اهنى رقده، فرقيت غصنا من الاغصان، فلاح لها الباغبان، قد سقى البستان، وهو تعبان، متكيا فى الرياض على مسكبة ريحان، فاغتنمت الفرصة ونزلت اليه، وقربت منه ودارت حواليه، ثم وثبت على وجهه وهو نايم، فانتهض مرعوبا قايما، فذهبت واختفت، وبذى القدر اكتفت، فرجع ونام، وغرق فى المنام، فدخلت فى قميصه ورقصت، فاستيقظ منزعجا فراها فهربت ونكصت، ثم عاد واتكى، بعد ما غضب واشتكى، فوثبت على وجهه، وادخلت ذنبها فى انفه، فنهض مستشيطا محتدا، فراها واقفة لا تتعدى، فقصدها فهربت، ثم رجع فآبت وابت، فنام فى مستنده، فقربت منه وعضته فى يده، فانكته وآلمته، واوهجته بما اضرمته، فنفر من مرقده، واخذ عصاه فى يده، وقصدها، وقد ذاق نكدها، فهربت غير بعيد، فراى وجهها من حديد، فتبعها فمشت، ثم وقفت وارتعشت، فتمعه فى صيدها، وهو غافل عن كيدها، فتبعها وهى قايدة، حتى انتهت الى الحية الراقدة، فعند ما راى الثعبان، نسى افعال بنت الجرذان، فقتل تلك الافعى، ولم يخب للفارة المسعى، فسلطت عدوها على عدوها، وظفرت لذلك بغاية مرجوّها، وانما اوردت هذه الحكاية، لتفقوا منها على طريق النكاية، وليعلم الضعيف اذا كان له اعدآء، كيف يوقعهم فى

مصايد الدآء، واذا استعمل اللبيب، العقل المصيب والفكر النجيب، وساعده في ذلك قضاء وقَدر، نال ما امل وأَمن ما حذر، وافلح امره، وانجح فكره، وهذا اذا كان الضعيف مظلوما، والقوى ظالما غشوما، كالفارة والحيّة، وانتجت القضية، واما اذا كان القوى مظلوما، والضعيف ظالما مشوما، كما انتم عليه، مما توجهتم اليه، من معاداة شيخ الشام، المستحق للتبجيل والاكرام، والتعظيم والاحترام، فانه على الحق وانتم ظالمون، وقصد الصدق وانتم كاذبون، تريدون ان تطفئوا نور الله بافواهكم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون، فهذا امر مشكل، وداء معضل، فانّى تصحّ ابدانكم وقلوبكم مرضى، ومن بحبكم وانتم مجبولون على البُغضا، وكيف تقتفون وانتم على الباطل، وفى اى ذوق يتحلى ما مرّ بكم من عاطل، وانا اخاف، اى اجلاف، ان تستقرّ هذه القضايا، بعد ارتكاب انواع البلايا، وتحمل المشاق والتعب، واقتحام موارد الهلاك والنصب، ممّا هو اشدّ وانكى، واحرّ لعينكم وقلبكم وابكى، كما اصاب مضيف العراق، من زوجته زبيدة ذات النطاق، حين بدا منه الزنبور، على حافّة التنّور، فقال الوزرآء للعفريت، افدْنا هذا الصوت يا ذا الصيت، قال نزل فى بعض الرستاق، من بلاد العراق، فقير نحيف، على مسكين مضيف، وكان بعد ايام الخريف، والبرد الشديد، يقطع الحديد، فبعد ما طبخوا وتعشوا، سجروا التنور ليتدفّوا، واقعى كل من الحضور، يتدفا على جانب التنور، فقعد الضيف الضعيف، مقابلَ زوجة المُضيف، فظهر من تحت نطاقها، وجه ذلك الخريف الظريف، ولاح من تحت ذيل السجيف، كانه قرص رغيف، او راس قلندرى او خد حيدرى نتيف، او القمر شُقّ نصفين، او بدر من تحت ذيل حنين، فلما احسّ بحرارة النار، وظهر على وجهه الاحمرار، صار يتلمظ ويتجلى، ولسانه من الحر والدفا تدلّى، فلمحه المضيف وهو يتثاءب، فتمطى قايم رمحه ونحوه قام وتصاوب، وقد قيل، فى الاقاويل، عضوان متعاونان، وهما اليدان، وعضوان متخالفان، وهما الرجلان، وعضوان متتابعان، وهما العينان وعضوان متصاحبان وهما اليد والفم وعضوان متباغضان وهما الانف والاست وعضوان متوافقان وهما العين والاير فكان الضيف يسارقه النظر، ويترشف شفاهه بلسان الفكر، و يودّ فى مطالعة جبينه لـو اتبع العيـن بالاثر، وجعـل يغنى ويترنم، ويهيم بما يتكلم،

ليس فى العاشقين اقنعُ منى   انا ارضى بنظرة من بعيد

فتنبه امام لهوه الهاجد، وجعل يقع ويقوم وهو راكع ساجد، ويسلم على محرابه احسن التحيات، ويتشهد رافعا اصبعه بالسلام والصلوات، ثم غلبته الحيرة، فاخذ يجلد عُمَيْرة، فنظر صاحب البيت، فراى الضيف مستغرقا فى ليت وذيت، مشغولا بكُيْتَ وكيت، متاملا معنى هذا البيت

وعند المتلقى انكشف المغطّا   تثاءب كُسّها ايرى تمطّى

فاراد ان ينبه ربة الدار، على هذا العثار، لتستر حالها، وتغطى مالها، بطريقة لا يوبه انبيه، ولا يَقف ضيفه عليها، فمدّ يده الى سفود، وحرك به النار ذات الوقود، فعلق من النار

به فى الطرف، وما شعر بذلك احد وما عرف، ثم لعب ساعة بذلك العُود، واوصل فى خفية طرفه الى ذلك الشق المعهود، لتتيقظ، فتتحفظ، فشوّطها واحرّها، واحرق رأس السفود بطرفها، فالتمت وانضبطت، واحترقت واختبطت، وتحركت برجّة فضرطت، فزادت فضيحة العين فضيحة الانف والاذن، ولم يحصل من تلك الحركة الا الخجالة والغبن، وانما اوردت هذه الحكايات، لتتاملوا فى الغايات والنهايات، وان من لا يراقب، ما يأتى فى العواقب، ما الدهر له بصاحب، وهذا الرجل الصالح، القيم الراجح، ما فاق اقرانه، وساد اصحابه واخوانه، الا بشى تقدم به عليهم، وتحقق موجب تقدّمه لديهم، وذلك درجات العلم والعمل، فبذلك ساد الرجل وكمل، وقد قال مُنزل الايات، وخالق البريات، يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات، وقد برع فى انواع العلوم، واطّلع على حقايقها من طريقى المنطوق والمفهوم، وانتم عن طريقته غافلون، وعن حقيقة ما هو عليه ذاهلون، واعلموا ان طريقته واحدة وهى الحق، وطرقكم متعددة وكلها الفسق، واتّباعه على اتباعه متخالفون، وانتم فى طرايقكم القدد متخالفون، وقد قال الله تعالى فى محكم تنزيله، وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، قال بعض اهل الفضل، وكلامه فى بيان الحق فصل، ما ناظرتُ ذا فنون الا غلبتُه وما ناظرنى ذو فن الا غلبنى وانا اختشى ان ناظرت هذا الرجل الفاضل الكامل، لا احصل منه على طايل، ويُظهر فضله قصورى، فينهدم بنيان قصورى، فقال الوزراء، بعد ان اتفقت منهم الآرآء، كلمة واحدة، متفقة متعاضدة، نعم ما راى مولانا الرييس، صاحب التدليس واستاذ التلبيس، وانجب اولاد ابليس، ونحن ايضا يا باقعة، نخشى عقبى هذه الواقعة، ولقد جرى مثل هذا المجرى، بين بزرجمهر ومخدومه كسرى، فى قضية فاق فيها الوزير، مخدومه الملك الكبير، فسال العفريت الجان، وزراءه عن بيان ذلك الشان كيف كان، فقالوا بلغنا ايها الخنّاس، وملّقى الوسواس، فى صدور الناس، ان بزرجمهر الوزير، كان ذا علم غزير، وراى وتدبير، وبديهة جواب تُفحم الفكر والتفكير، وكان حكيم زمانه، وعليم اوانه، وممن فاق بالفضل والحكم ساير نظرايه واقرانه، وكان مقرّبا عند مخدومه، يزيد كل وقت فى تكريمه وتعظيمه، وتوقيره وتفخيمه، ويصغى الى نَصايحه، ويعدّ قربه من اعظم مناجحه، ويصبر على كلامه الصادع، ووعظه القارع ونصحه القادح، لما فيه من الفوايد والمنافع، والحكم والبدايع، وقد قيل من احبّك نهاك، ومن ابغضك اغراك، فكان الوزير يبادر قبل ساير الخَدَم، الى وظايف الخِدَم، ويعاجل من الليل والظلم، حتى كانه يواعق النجم، او يسابقه فى الرجم، وذلك كل يوم، فيجد مخدومه راقدا فى النوم، فيقرعه بالغفلة، وينقم عليه هذه الخصلة، ويُعلن بالندا، وينادى فى الملا، فيقول الفوز يا محبوب، وتيقظ حيث تظفر بالمطلوب، فمن باكر انجح، ومن غلّس لمطلوب افلح، ومن تخلّف فى النوم، سبقه الى المنزل القوم، وفاته المطلوب، ولا يدرك المحبوب، فاترك لذة الكرى، فعند الصباح يحمد القوم السرى، فكان كسرى يجد لهذا الكلام، انواعا من الالام، لانه كان يطيل السهر، الى وقت السحر، عاكفا على المدام، وسماع الانغام، ومغازلة الغزلان، ومعاقرة الندمان، واحيا الليل عمر ثان، فاذا نام واستراح، امتدّ نومه الى الصباح، فلا يوقظه الا عياط الوزير، وصراخ ذلك الصالح النذير، فلما

طال عليه المطال، وغلب عليه ذلك الملال، ارصد للوزير فى الطريق، من منعه عن التبكير بالتعويق، فتصدى له الرصد، واعروا راسه والجسد، واخذوا قماشه، وسلبوا رياشه، فرجع الى بيته مكرها، ولبس ثيابا غيرها، فابطا ذلك اليوم، وتخلف فى الخدمة عن القوم، فلم يجى الا وقد استيقظ كسرى من النوم، وهو جالس فى صدر الايوان، وحواليه مباشروا الديوان، وساير الوزراء والاركان، وعامة الجند والاعوان، كل فى مقامه، ضابط زمامه، فادى بزرجمهر وظايف الخدمة على عادته، ووقف فى مكانه مع جماعته، فقال له كسرى ما دعى مولانا الوزير، فى هذا اليوم المنير، الى التخلف والتاخير، وترك التبكير، وانشاده بالتكبير، قول الشاعر الخبير، شعر

بكرا صاحبىّ قبل الهجير ان ذاك النجاح فى التبكير

فقال ان الحرامى، عارضنى امامى، وتصدى فى ظلامى، فاخذ شاشى، وسلبنى قماشى ورياشى، فرجعت الى كناسى، وجددت زينتى ولباسى، فهذا سبب تاخيرى، وعدم تبكيرى، وموجب تخلفى عن وعظى وتذكيرى، فقال كسرى ما اذاك التذكير، الا الغرامة فى التبكير، فلو لا التبكير ما سُلب القماش، ولا ذهب الرياش، ولا قام الحرامى بالمعاش، فاين النجاح، فى القيام قبل الصباح، فقال بزرجمهر فى الحال واصاب، فى الجواب، ليس ذلك كذلك يا امامى، وانما بكّر قبلى الحرامى، فظفر بمقصوده ونهر نتيجة كلامى، ولم ابكر انا بالنسبة اليه، فرجع فايدة تبكيرى منى عليه، فاعجب كسرى من خطابه، وسرعة بديهته فى جوابه، وانما اوردت هذا المقول، بين يدى امامنا الغول، وشيخ المردة المهول، ليعلم ان كسرى وان كان عالما، فاضلا حاكما، اذعن لكلام وزيره، واتبع راى مشيره، وانصف من نفسه، اذ ادرك الوزير بفهمه، ما لم يدركه هو بحسه، فاسترسل معهم العفريت فيما هم عليه، والتخلف عما ندبهم اليه، وقال فباىّ الحبايل نصيدهم، وبىداية اىّ الوسايل نكيدهم، فقال احد الوزراء بالنساء، فانهن زمارة المتخد وطبل الفتن والطبل لا يُضْرَبُ تحت الكساء، هن اعظم وسايلنا، واحكم اوهاقنا وحبايلنا، وناهيك ما قاله العزيز العليم، الذى جبلهنّ على غير تقويم، وفطرهنّ على الكيد ان كيدهن عظيم، وجعل كيدنا بالنسبة الى كيدهن ضعيفا، فقال ان كيد الشيطان كان ضعيفا، وقال سيد السادات ورئيس الروسا، ما تركت بعدى فتنة اضرّ على الرجال من النساء، وقال اكرم ولىّ، ومن قدره الرفيع علىّ،

ان النساء شياطينٌ خُلقن لنا نعوذ بالله من شرّ الشياطين

وقال، من اجاد فى المقال

وما حزّ اعناق الرجال سوى النسا واىّ بلاء ما لهنّ به ابلا

وكم نار شرّ احرقت كبد الورى ولم يك الا مكرهن لها اصلا

فانهن اشراك الاشراك، واوهاق الازهاق، واسواق الفساق، ومراصد المصايب، ومصايد النوايب، وحسبك يا ذا المكر والدهى ما دها، تلك الحكيم حتى سها، واذعن لزوجة الرييس اذ نبّهته على ما عنه نها، فسال العفريت عن تلك الحالة، وبيان ما فيها من مقالة، فقال ذكر ان حكيما من

العلماء، وعليما من الحكماء، اولع بضبط مكر النساء، وشرع فى تدوينه صباحا ومساء، وصار يجوب البلدان، ويطالع لذلك كل ديوان، يكتب ما يكون وما كان، ويحرر من ذلك الاوزان، بالمكيال والميزان، ويسبر غور ما يصل اليه، ويثبت فى دفاتر لحفظ ما يقف عليه، فنزل فى بعض الاثناء، على حى من الاحياء، فصادف ذلك النفيس، بيت الرييس، فتلقته امراة ظريفة، ذات شمايل لطيفة، وحركات رشيقة خفيفة، وقابلته بالترحاب، وتنحت للدخول الباب، فاقبل عليها، وترامى لديها، فانزلته فى صدر البيت، واخذت معه فى كيت وكيت، كانها معرفة قديمة، وخدينة كريمة، وكان زوجها غايبا، وقد قصد جانبا، فشرعت فى نزل الضيف، لئلا تنسب الى بخل وحيف، فاخذ يطالع فى ديوانه، ويسرح سوايم طرفه فى طرف بستانه، يشغل اوقاته، ويتفكر ما فاته، ليتعادى اثباته، فقال له ضرة الريم، ما هذا الكتاب الكريم، ايها الفاضل الحكيم، فقال شى صنعته، وكتاب الفته، هو فى الغربة انيسى، وفى الوحدة جليسى، فقالت يا ذا الحكم والحلم، ما ذا فيه من فنون العلم، فقال سرٌ مصون، وامرٌ مخزون ودرٌّ مكنون، لا يجوز ابداوه، ولا يحل افشاوه، قالت يا ذا الشكل الظريف، والوصف اللطيف، والعلم المنيف، هذا التعريف، لا يليق بالتصنيف، فان فايدة التصنيف الاشتهار، وثمرة العلم الانتشار، ودونك ما قاله اللبيب، فى مخاطبة الحبيب،

انلنى من رضابك يا حبيبى   فما للشهد دون الذوق لذة

وما اخذ الله على الجهال ان يتعلموا، حتى اخذ على العلماء أنْ يُعَلِّموا، فقال الامر كذلك يا زين البدور، ولكن هذا علم يصان عن ربات الخدور، قلت ان الله الجليل الذات، الجميل الصفات، ذكر المسلمين والمسلمات، والمومنين والمومنات، وما منع نساء الانصار، الخيرات الاطهار، ان يسالن المصطفى المختار عليه الصلاة والسلام، عن غسل المراة فى الاحتلام، ولا ان ياتين معه المخاصمة فى السوال عن الحايض والمستحاضة، فجمح فى ميدان الامتناع، وأصرّ على الممانعة والدفاع، وقال يا حصان، هذا سرٌّ يصان، لا سيما عمّن فى دينه وعقله نقصان، فغراها هذا المقال، على الالحاح فى السوال، وزادت فى اللجاج، ومادت فى الاحتجاج، وترامت لديه، واقسمت بدلالة الدلال عليه، فقال هذا علم لم أُسبَقْ اليه، جمعتُ فيه مكر النساء، وحكايات من اجاد منهن ومن اسا، ومن تعاطت لطايف الحِيَل، وخفيّ الفعل وخفيف العمل، ومن دعت بدهاها، حتى بلغت مناها، ومن وقعت فى الشدايد، فاحتالت بدقيق فكرها لتلك المكايد، وتخلصت من شرك المصايد، فلما سمعت، ما قال ووعت، ضكت وجهها، واعربت تقهقها، وتمايلت تمايل القضيب، وقالت سرٌّ عجيب وامر غريب، وضيعة عمر حاصل، فيما لا تحته طايل، واشغال فكر وبال، فى جمع امر محال، لقد ركبت المشاق، وكلفت نفسك ما لا يطاق، ونسفت الرمل بالكربال، وغرف البحر بالغربال، ووزن الطود بالمثقال، وتحميل الدَّبا الاثقال، فارجع عن هذا الغلط، ولا ترم فى ذلك الشطط، فان مكر ربات الخدور، لا يدخل ضبطه لبشر تحت مقدور، فقال لها انت غبيّة، وعن هذا الكلام غنية، وان كنت فاضلة ذكية، انا قد بلغت فى ذلك الغاية، واحطتُ به بداية ونهاية، ووقفت على مجمله ومفصله، فلم يشذ عنى شى من اخره واوله، فسلّمت، وما تكلّمت، وغالطت، وما باططت،

وسايست وما راوست، وخوّضت اليه هذا التحقيق، وسلكت معه غير هذا الطريق، حتى كان هذا الكلام، فى هذا المقام، كان شيا فريا، وصار نسيًا منسيا، ثم نزلت من برج المنازلة، واخذت تلك الغزالة فى المغازلة، وانتهى بها المقال، الى هذا السوال، فقالت ايها اللبيب الماهر، ما معنى قول الشاعر،

يهددنى بالرمح ظبىٌ مهفهفٌ ‏ ‏ ‏ لعوبٌ بالباب البرية عابثُ
فلو كان رمحًا واحدًا لاتقيته ‏ ‏ ‏ ولكنه رمحٌ وثانٍ وثالثُ

فالرمح الواحد قامته، والرمح الثانى ما حوته راحته، فقل لى يا ابا الحارث، ما هو الرمح الثالث، فقال ذلك النبيه، قيل ما يظهر من تثنّيه، فانه من لين اعطافه، وسرعة انعطافه، تراه العينان، كانه رمحان، وقيل ما يظهر من ذلك المهفهف، عند هزّة الرمح المثقف، فانه يتراى للعين، ان الواحد فى شكل الاثنين، ولهذا نظير، فى اليوم المطير، واحسن مثال، عند رشق النبال، وفى تدوير الجمس، وفتل الصولجان، عند سرعة الدوران، وقيل كان معه رمحان، فقدّه واحد وهما اثنان، وعندى يا دُميَة القصر، انه ليس المراد الحَصْر، وانما المراد التكثير، يا ضوءَ البدر المنير، لان عطفه كلما انهزّ هزّه، حصل فى صدر المتيّم وخزه، ورمح قامته لا يزال يتثنى ويتقصف، فتارة يميل واخرى يتثقف، ولطعن العشاق يخطر ويتهفهف، فالمتيَّم لا يبرح من قده فى طعنات، كما لم يزل من سهام جفنيه فى نخزات ووخزات، وهو من المجاز المرسل، اذ المراد الطعن من ذلك الاسل، وكان قصده ان يسرد الاعداد الى الغاية، ويبلغ بها الى ما لا نهاية، فيقول وثان وثالث ورابع، وخامس وسادس وسابع، فلم تسع القافية، يا من وصلها شافية، ورضابها عافية، ونظير هذا يا حُرّة، ان تستغفر لهم سبعين مرة، وليس المراد الحصر، يا دقيقة الخَصْر، ويا عَيْن العين، فى السبعين، حتى لو زاد على هذا العدد، غفر لهم الواحد الاحد، بل المراد انه لا يغفر زللهم، بدليل قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، فقالت يا صاحب البيان وربّه، انما اعنى بالرمح الواحد زُبّه، فافصحت له فى الكلام، بما لها من مرام، كانها ثالث بنات همام، فخجلت عين الرجل واستحت، لما افصحت عن مقصودها واوضحت، فقالت حُيِّيت وحُيِّيت، لا تستحى واصنع ما شئت، فحركت بهذا الكلام العابث، من الشيخ الحكيم الرمح الثالث، فمد اليها يد الفاجر العايث، وذهب لب ذلك الرجل الحازم، وراودها مراودة العازم الجازم، وصارت تلك اللاعبة بين الاطماع والمناعة، تتثنّى وتتقصّف، فتارة تتقشف، واخرى تتخشف، وبينما هما فى المجاذبة، والمداعبة والمطايبة، وهى تنزو وتلين، وتصعب وتستكين، تراى زوجها من بعيد، فقالت جاء زوجى وهو عنيد، فسُلب القرار، وطلب الفرار، ووقع ذلك الحكيم النبيه، فى فتنة فيها الحليم سفيه، ودهمه ما هو اهم مما هو فيه، من دواعى العشق ودواعيه، ونسى العشق والعشيق، وطلب الخلاص من المضيق، واظهر صورة حاله، ما غنّاه الشاعر فى قاله،

سالت مجربًا علما طبيبا ‏ ‏ ‏ خبيرا بالوقايع مستفادا
وقلت الشهد احلى ام رضاب ‏ ‏ ‏ ام النيك الذى للروح حاذا
فقال لتنسينّ وحق ربى ‏ ‏ ‏ اذا لزّ الخرا هذا وهذا

واشتغل الحكيم بنفسه، وخاف حلول رمسه، وكان فى طرف البيت صندوق مقفل، عليه ستر مسبل، ففتحت له الصندوق، ووعدت له باخفايه عن زوجها الحقوق، وامرته بولوجه، ليكفى من زوجها شرّ خروجه، فشكرها صنعها وامتثل، واندس فى ذلك اللحد الضيق ودخل، فقفلت عليه اغلاقه، واحكمت وثاقه، ثم تلقت زوجها بالترحاب، ودخلت معه بالملاطفة فى كل باب، وقدمت له ما اكل، وانشرحت له فركب وركل، ثم قالت اخبرك يا حبيب، بوقوع امر غريب، وحادث بديع عجيب، وهو انه قدم حكيم، عالم حليم، فاضل عظيم، فاكرمت نزله، وبوّاته منزله، وكان معه كتاب، فيه العجب العجاب، فسالته عما حوى، فقال جمعت فيه مكر النسآ، فقلت هذا شى لا يحصى ولا يحصر، ولا يجمعه ديوان ولا دفتر، فلم يسلم الىّ، ولا عوّل علىّ، وذكر انه انهاه، ولم يدع من مكر النساء فنًا الا اودعه اياه، فلم يسعنى الا انى غازلته، وداعبته وهازلته، فطمع من لين محاورتى، وحسن مجاورتى، فى مراودتى وسلب عقله ولبه فى مزاورتى، وطلب منى ذاك العقوق، ما هو اعز من بيض الانوق، وبينما نحن فى العيش الرغيد، واذا بك قد اقبلت من بعيد، كل ذلك والحكيم يسمع قولها، ويحقق حالها وحولها، وقد ايس من حيوته، وايقن مواتاة وثاته، وحلول فواته، فلما سمع الزوج هذا الكلام اضطرب، وزمجر واصطخب، وقال ابن ذلك الفاسق، الفاجر المنافق، ام والله لاذيقنه كاس التلف، ولالحقنه بمن سلف، فقالت ها هوذا فى الصندوق مختفى، فخذ ثارك منه تشتفى، فنهض وصاح، هات المفتاح، وكان قد سبق من زمان، بين الزوجين عقد رهان، انه من فتح منهما الصندوق غلب، واثام لصاحبه بما منه طلب، فلما ذكرت له حكاية الحكيم، شده عن عقد الرهن القديم، وذهل لشدة الغيرة، ووفور الحيرة، وتوجه الى الصندوق، فبمجرد ما فتح القفل المغلوق، صاحت عليه غلبتك يا معشوق، فأدّ ما ثبت لى عليك من الحقوق، فتذكر عقد المراهنة، ولم يشك فى ان كلامها كان مداعبة، فضحك بعد ما كان عبس، والقى المفتاح من يده وجلس، ولعنها ومكرها، ولعبها وشكرها، ثم اصطلحا، وانشرحا، وزادا نشاطا ومرحا، ثم خرج فى ضروراته، يتوجه الى حاجاته، فاقبلت تلك العروس الى الحكيم المحبوس، واخرجته من الاعتقال، وذكرت له هذه المناقلة والانتقال، وقالت ايها الحكيم العظيم، هل كتبت هذه الواقعة فى كتابك الكريم، فقال لا والله الرحمن الرحيم، وانى قد سلمتُ اليك، وتبتُ الى الله على يديك، وانما اوردت هذا المثال، لاعرض على شيخ الضلال، وامام الاغوال، ان النساء فى هذه الحركة اعظم متشبّث واحكم شبكة، وهن اسلب للب الرجال، واصعب من فتنة المسيح الدجال، خلقهن اعوج، وخُلقهن اعوج، ورايهن غير سديد، والرجال لهن اذلّ عبيد، وهن وان كنّ ناقصات عقل ودين، فهن الكاملات فى سلب الدين المتين، والفكر الرصين، وهل اخرج ادم من جنة الماوى، الا فتنة صدمته من قبل حوا، وما قتل هابيل قابيل، الا بسبب الزوجة كما قيل، وكذلك من اوتى الايات فانسلخ منها، وقد عرف كل ذلك ابداء وانهاء، وغالب من عصى الله واساء، انما كان سبب كفره وكفرانه النساء، فلا تعدلوا عن هذا الراى المتين، ولا تتعرضوا لهذا الرجل فانه على الحق المبين، ولا تتصدّوا لمعارضته وسوءاله، فربما يكون مجالكم اضيق من مجاله، وانما

لا نقدر على منابذته، ويظهر جهلنا وعجزنا عند مباحثته، فقال ساير الوزراء، هذا الراى اصوب الآرآء، فانا الى الان ما بارزناهم بالمخاشنة، وانما كنا ناتيهم بالمخادعة والمحاسنة، فنزين لهم الباطل، ونحلى لهم العاطل، ونشوّه وجه الحق، ونسوّد طلعة الصدق، الى ان ظهر هذا الرجل ونحن على ذلك، فوقف فى طريقنا وارآهم الدرب السالك، وعلا شانه، ووضح برهانه، ونحن على ما نحن عليه من الاغواء، والقايهم فى مهاوى الاهوآء، والحرب بيننا وبينهم سجال، فلو كاشفناهم بسوء الفعال، انكشف عندهم زيف نقدنا، وبطل ما كنا نساله بجهدنا، فاذا ظهر لهم الحق من الباطل، وتميّز الحالى من العاطل، اخذوا حذرهم، وضبطوا امرهم، وبارزوا بالعداوة، ومرّوا بالملوحة بعد الحلاوة، ثم ظفرنا بهم موهوم، ونصرنا عليهم غير معلوم، فلا نظفر الا بالندامة، ونرضى اذذاك بغنيمة السلامة، ونستمرّ على هذا العار الى يوم القيمة، وقد قيل شعر

لا تسْعَ فى الامر حتى تستعدّ له   سعىٌ بلا عدةٍ قوسٌ بلا وتر

فعند ذلك استشاط العفريت غضبا، وطار شرار لهيبه اشتعالا ولهبا، وقال لقد عظمتم شان هذا الانسان، واوهنتم بل اهنتم جانب اخوانكم الجان، وضيعتم حقوق الاخوان، وابطلتم حركات السعالى والغيلان، ونسيتم فتن جدكم الاعلى الباقية على مر الزمان، ونحن ادق حيلة، واجل جماعة وقبيلة، واوسع فكرا، واسرع مكرا، واقدم وجودا، واعظم جنودا، واغزر علما، وادراكا وفهما، ولا ارى لكم همة صادقة، ولا عزيمة موافقة، وانا ما قلت لكم ما تقدم من القول، الا لاخبر ما فى فرايض هممكم من الرد والعول، فلا اقوالكم سديدة، ولا افعالكم رشيدة، ولقد حل بكم الصغار، وسيحوكم من الانس الصغار، واما انا فلا بد لى معه من المباحثة، والمنافسة والمنافثة، والقاء المسايل، والابحاث فى الرسايل، من غير وسايط ولا وسايل، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة فاعلموا ذلك وحققوه، ثم امعنوا النظر ودققوه، وهذا هو الراى الذى صممت عليه، فليتوجه كل منكم بقلبه وقالبه اليه، وليقل فى ذلك غث رايه وسمينه، وليسوق هجان قوله وهجينه، ولا يدّخر شيا من ارايه، فلا بد لى من لقايه، واعلموا ان الوادى الخرار، الذى هو الى جهة جار، لو اتفقت الآرآء على صرف جريانه الى جهة اخرى، وان يسد عن هذه الجهة المجرى، فانهم لو قصدوا ذلك من اسفل الوادى، لسخر منهم الحاضر والبادى، ولا يتهيا لفاعله ما يتمناه، حتى يسد طريق الماء من اعلاه، وانتم ان قصدتم معالى الامور، واعلاك روس الجمهور، ثم تقيدتم بالاراذل، وتعبدتم الاكابر بالاوغاد والاسافل، فانكم اذا اغمار، وقد ضيعتم فى غير حاصل حاصل الاعمار، وقد قيل

اذا كنت لا بد مستتربا   فمن اعظم التل فاستترب

وما الدجين كالرصاص، والجروح قصاص، ولا يكتفى الرئيس الا بالرئيس، ولا يقابل النفيس بالخسيس، واى فخر للملوك، اذا نازلوا السوقة والصعلوك، وقد قيل شعر

الم تر ان السيف يُزرى بقدره   اذا قيل هذا السيف امضى من العصا

وما انتفى صناديد قريش يوم بدر، بدون اكفايهم فى النسب والقدر، وما ذا يفيد

بيلستكم ، وتجدى شيطنتكم ووسوستكم ، وانتم اولو النزعارة ، وذوو الشطارة والدعارة ، اذا ذبرتم من الانس ، وغلبكم اضعف جنس ، وهم اقصر اعمارا ، ونحن اطول اطوارا ، لم نزل نصادم الجبال ، ونقتحم الاهوال ، ونظهر كيف ما شينا فى بابات الخيال ، ومن قبل جدنا اللعين ، جادل رب العالمين ، فقال فى حق جدكم انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ، وقال لاغوينهم اجمعين ، وقال لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين وهم يموتون وهو من المنظرين وعلى كل حال نحن اقوى منهم واجرى ، واعرف بطرق الخزى والمكر وادرى ، وبالجملة الحكم على الشى فرع عن تصوره ، والشخص لا يجزم بحكم على شى الا بعد تقرره وتحرره ، وهذا الانسان ، الى الان ، لا سبرناه ولا خبرناه ، ولا عرفنا ولا عرفناه ، فكيف تقطعون له بالغلبة ، وتفضلونّ علينا مصيره ومنقلبه ، وان لم تفصحوا بالعبارة ، فقد دللتم على ذلكم بالاشارة ، وكنيتم والكناية ابلغ من التصريح ، ولوحتم وتلويحكم اصرح من الصريح ، هذا ونحن كم اضللنا من حكيم ، وازللنا من عليم ، وافسدنا من عقايد ، وعقدنا من مفاسد ، وارصدنا لهم من مصايد ، واوصدنا عليهم من مراصد ، وابطلنا من طاعات ، وعطلنا من خيرات ، واخبطنا من صلوات ، واحبطنا من زكوات ، وضيّعنا من حجات وصدقات ، وضيعنا من ميراث ونفقات ، واسقطنا من اعمال صالحات ، وكم لنا فى الشر من سوق ، ومن سوق الى فسوق ، والقاء فى حرام ، وتسويل بمظالم واثام ، وكم لنا من احكام أحكام ، على القضاة والحكام ، يستحلون بها السحت والحرام ، وياكلون بها اموال الايتام ، ويستبيحون بها الدماء والفروج ، وكم دخلنا فيهم فاخرجناهم من الاسلام خفى خروج ، وكم لنا فيهم من مصايب بعصايب ، وحواصب مناصب ، وكتايب نوايب ، وعجايب نواصب ، وغرايب نوادب ، نسلبهم بها دينهم ، ونمنعهم اعتقادهم الحق ويقينهم ، وكم لنا فى سكونهم الى الطاعات من حركات ، وفى ركونهم الى الخيرات من السقطات ، وكم حببتُ لهم الطاعات من همم ، فبردتها وساوسنا فحصل منها فى احشايهم الضرم ، وفى وجود خيرهم العدم ، وفى صحة ايمانهم السقم ، وفى شباب صدقهم الهرم ، وفى سكون امانيهم الضربان والالم ، وفى دايرة حلالهم الحرام والحرم ، وكم وكم وكم وكم ، ونحن الان على ما كنا عليه ، وهذا هو الذى طبعنا عليه ، وندبنا اليه ، دابنا عن الحق اضلالهم ، وعن الصراط المستقيم ازلالهم ، والى الباطل دلالتهم واذلالهم ، نزين لملوكهم الاجتراء ، ولكبرايهم الافتراء ، ولروسايهم الازدرا ، ولعلمايهم المرا ، ولزهادهم الريا ، ولتجارهم الربا ، ولامرايهم سفك الدماء ، ولنسايهم السلاطة والزنا ، ولخواصهم الغيبة والنميمة ، ولعوامهم الخوض فى جريمة ، ولمشايخهم قول الزور ، ولنسايهم الوقاحة والفجور ، وهذا دابنا ودابهم ، ولم تزل اوهاقنا ورقابهم ، فان قلنا ان نصل بهم هذا الواصل ، فان هذا تحصيل الحاصل ، وان قلنا نستانف عملا جديدا ، فانا لم نترك فى ذلك ما ينبغى مزيدا ، وقد بلغنا فى كل ذلك الغاية ، وما نحن ملابسون منه ما ليس وراءه نهاية ، ولم يبق الا المقابلة فى المقاتلة ، والمباشرة بالمكاشرة ، والمفاتحة فى المقابحة ، والمكالحة فى المناطحة ، فلما سمع الوزراء هذا الكلام ، عرفوا ان اسباب دولتهم اذنت بانصرام ، غير انهم لم يقدروا على المخالفة ، فما وسعهم الا المطاوعة والموالفة ، ليلا ينسبهم الى غرض ، فيصيبهم منه عرض او مرض ، فحسنوا له راى المصادمة ، ومباحثة العالم والمقاومة ، واتفقت الاراء على ان يراسلوا العالم

اولا، فانتخبوا من يصلح ان يكون مرسلا، فيحمله العفريت من الرسالة، ما يتضمن من الحماسة والبسالة، حسبما براه رايه التعيس، وفكره المدبر الخسيس، وكان فى شياطينه المردة، وغيلانه العتاة العندة، عفريت من الجن مارد مسن، اسمه صن ابن صن، قد اضل عقايد، وازل قواعد، وتشرب بعض بنى ادم، وغمس منهم طوايف فى نار جهنم، بعد ما غطسهم من المعاصى فى يم، لا يمنعه وجوم، من الهجوم، ولا يخاف الرجوم، من النجوم، طالما اطار البواعق، فى المشارق، واضرم فى الغرب بوارق بوايق، وملا ما بين الخافقين من صواقع الصواعق، وفوح نتان الوساوس، وفشاء الصربان فى المجالس، فانهض للشرور الفتن كل قاعد وجالس، فكم له توفيق بين الحرامين، وتفريق بين الخلانين، وسفك دماء بين الاخوين، والقاء البغضا بين المحبين، والعداوة بين الالفين، والعربدة بين السكارى، والحروب بين المسلمين والنصارى، وبالجملة فقد اثبت بالوسوسة والتلبيس، حقوقا كثيرة على ذرية ابليس، فانتدبه العفريت الملم، الى هذا الامر المهم، وامهلا الى ان انسلخ اهاب الضوء ثم طارا فى عنان الجو، حتى وصلا الى سفح الجبل، متعبد ذلك العالم البطل، الذى ملا الدنيا بالعلم والعمل، ثم كمن العفريت فى مغارة، وارسل رسوله بالسفارة، يقول ابلغ عالم الانس، صاحب الكرامات والانس، ومقرب حظيرة القدس، من شيخ العفاريت، الطغاة المصاليت، اعلم انه من قديم الزمان، وبعد الحدثان، اضللت كثيرا من الناس، بالمكر والخداع والوسواس، وفى امثالى نزلت قل اعوذ برب الناس، وابن عمى هو الوسواس الخناس، وكان من جنس بنى ادم، كذا وكذا الف عالم، خدامى ومعى، وجندى وتبعى، منهم روس الزهاد، وعلماء العباد، وعلى محبتى مضوا، وباتباع اوامرى انقضوا، فانا فتنة العالم، واعدى اعداء بنى ادم، الشيطان الرجيم، وابليس الذميم، اسم ذاتى، ووسم صفاتى، انا مقتدى الشياطين، وراس العفاريت المتمردين، ومحل غضب رب العالمين، خُلقتُ من مارج من نار، وطُبعتُ على القاء البوار والدمار، رجوم النجوم انما أعدّت لاجلى، وعتاة الغواة لا يحمل راسها الى مواطى رجلى، الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب اية صبغتى، وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم طراز خلعتى، اسجد لمن خلقت طينًا مقام مقالى، لاحتنكن ذريته الا قليلا مجال جدالى، لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبًا مفروضا منشورى القديم، يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا مرسومى الكريم، الشياطين تستمد من زواجر مكرى، والاعور اللعين يستفيد من ضماير فكرى، لم تتم فتنة فى الزمان الغابر الا ولى شركة فيها، ولا حدث محنة لنبى ولا ولى الا وانا متعاطيها، جدى ابليس، نهض بجدى التعيس، والى نحو ادم هوى، فعصى ادم ربه فغوى، وانا قمت بالتسويل، حين قتل قابيل هابيل، وملت بقوم نوح عن اتباع النصوح، وارشدت المجوس الى عبادة النار ووضع الناووس، واضللت عادًا وثمود، وشدادًا ونمرود، ودللت على عبادة الاصنام، فى البيت الحرام، وعلى كيفية القاء ابراهيم، نار الجحيم، وهديت قوم لوط، الى الخوض فى الثلوط، ومحاشم الشروط، وسولت لاولاد يعقوب، وحاولت فى قضية ايوب، وتصديت لامر سمعيل، وعارضتُ ابنها وهو مع الخليل، وانسيت يوشع قصة الحوت، وساعدت على صاحب الحوت، وجلست بالعصيان، على تخت سليمن، وحضرت وقعة طالوت، وساعدت عليه جنوت، وانا كنت انعون، لهامان وفرعون، وحسن ضبطى، قتل موسى القبطى، وانا فتنت داود، واغريت قارون

واليهود، وسلطتيهم على الوالدة والمولود، ودللت على نشر زكريا، وذبح يحيى، وجريت على قتل الانبياء والاولياء، وتوصلت بتزيين الوسواس، لقاتلي الذين يامرون بالقسط من الناس، ودعوت الى عبادة العجل قوم موسى، وساعدت على التفريق والاضلال بين امة عيسى،

وكم اغويت من رهبان بما زخرفت من صلبان

وقد بلغني عن جمع، من مسترق السمع، وظن ذلك على اذني، ووعاه خاطري ووقر في ذهني، وانا اسارق النجوم، واسابق الرجوم، ان لي اسماء، تذكر في السماء، منها الغليظ الرقبة، وشيخ نجد وارنب العقبة، والمقيم في الطشت البيضة، والمغرى على نقض العهد بني قريظة، والمحرض على احد وبدر، من الصناديد كل جليل القدر، والمشهر في احد الندا، والملقي العرب بالردة الى الردى، والمتسبب في قتل عمر وعثمن، واعلاك على امير الشجعان، والمغرى في وقعة الجمل وصفين، والملقى الفتن بين جنود المسلمين، وان شرّي يزيد، ويفيض من الحجاج والوليد، وان في تكثر البدع، بين اهل الجماعات والجمع، ويظهر من الفتن، ما بطن، ويغلب من التتار، واهل البوار والخسار، انواع الضرور والجدال، الى حين ينبع الدجال، وتستمر هذه الامور، الى يوم البعث والنشور، وفي الجملة والتفصيل، انا شيخ التكفير والتضليل، وتلك صنعتي من المبتدا، وحرفتي الى المنتهى، ثم انك انت نبعت في هذا الزمان، وظهرت في هذا المكان، تريد ان تهدّ ما بنيته، وتعوّج بصلاحك ما بفسادي سوّيته، وترد كلامي، وتعاكسني في مرامي، وانا كنت في قديم الزمان، من قبل ان توجد انت في المكان، ناديت في بنيه، وشهرت بين ذويه، قولي

كلوا واشربوا وازنوا ولوطوا وقامروا الا واسرقوا سرا وخوضوا الدما جهرا

ولا تتركوا شيا من الفسق مهملا مصيركم عندي الى الجنة الخضرا

وكانوا قد سمعوا واجابوا، واطاعوا وانابوا، وشملي بهم منتظم، وامري بتفريق كلمتهم ملتئم، اسهم مراسيمي المسمومة نافذة في المشارق والمغارب، وسيوف مناشيري المشومة قاطعة في الاعجام والاعارب، كم لي في الاطراف، والافاق والاكناف، من قاض ونايب، ومانع من الخير حاجب، واميـر وصاحب، ووزير وكاتب، ومشير وحاسب، وجليس ونديم، وتابع وخديم، وناظر وعامل، وناقص وكامل، وكم لي من جاني، يجمع بتفريق قلوبهم نقد سويداهم الى بابي، وكم لي في المدارس، ذو وساوس، وفي الجوامع، والبيع والصوامع، من مذكر وواعظ، وامام وحافظ، ومقرى وعابد، وشيخ وزاهد، وكم لي في الزوايا، من خبايا، وفي اصحاب الروايات من روايا، وفقيه في النادي، فاق الحاضر والبادي، يعلم لي في الشيطنة اولادي، وفي البيلسة حفدتي واجنادي، واما ساير الفساق في الافاق، وسكان الاسواق، وقطان الجبال والرستاق، ورحالة الصحارى والاوراق، فكلهم لي عشاق، واني رويتني مشتاق، وسل عني ارباب الحانات، وسكان الخانات، وبالجملة غالب الطوايف، وارباب الوظايف، على باب خدمتي واقف، وعلى طاعة مراسيمي ليلا ونهارا عاكف، مناى منائم، ورضاى رضائم، وان خالف بعضهم سرهم نجوائم، الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم، وانت الان جيت برزقك وسالوسك، وطامتك وناموسك، تبدد عني عساكري، وتشرد من بين الانس عشايري، وتفرق

جموعى، وتخلى من الفسق والفساق ربوعى، من غير ان تشاورنى، ولا تخبرنى ولا تحاورنى، ولا تبحث معى ولا تناظرنى، وها قد جيت اليك، ونزلت كالقضاء المبرم عليك، اريد ان اناظرك فى انواع من العلوم، واسئلك عن حقايقها من طريقى المنطوق والمفهوم، بمحضر من الجن والانس، وساير نوع الحيوان والجنس، فيظهر انذاك جهلك، فينبذك ترهك واهلك، ويتركك معتقدوك، وينتقل عنك ويتراجع مريدوك، وافسد بين العالم صيتك واتلفه، فاجعل بيننا وبينك موعدا لا تخلفه، فلما وصل رسول العفريت، الكافر الصفريت، الى الشيخ العابد، العالم الزاهد، الجاهد المجاهد، فعند ما وقع نظر الشيخ عليه، ووصلت سهام لحظاته اليه، كاد ان ينماع كالملح، واى نقوم للفساد الصلح، فبهت الذى كفر، واخذه الدهشة والخور، وغلب عليه الانبهار، وكاد ان يحترق من الانوار، فقال له الشيخ مالك وما لك، ما احالك وغير حالك، وما موجب دخولك علىّ، وانت غير منسوب الىّ، فقال كف عنى انوارك، واطو عنى اسرارك، حتى اقول، فانى رسول، فما لى طاقة برويتك ولا سواغ، وما على الرسول الا البلاغ، فقال رسول اى تعيس، وشيطان لعين، فقال محبك العفريت، شيخ المصاليت، المشقوق الحوافر، الواسع المناخر، المسلوب المفاخر، ابو السعالى، الكافر الغالى، قد اقبل اليك فى جمع كثير، وعدد من الجن غزير، وروس العفاريت، وعتاة المصاليت، وطغاة المغانيت، وقد حملنى اليك رسالة، تتضمن من الخبث هسالة، ان شيت اديتها، وان شيت رديتها، فقال قل ما تريد، وابلغ ما معك عن ذلك العنيد، واوجز ما تقول، فلعن الله المرسل والرسول، فابلغ الرسالة واداها، واسال فى اوديتها موّداها، فقال الزاهد واذا اردنا ان نهلك قريةً امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا والله ما لكم شبه فى هذا الكيد، الا الحمار فى الوحل والحمام فى شبكة الصيد، قل لمرسلك ارى قدمك، اراق دمك، واقوالك اغوى لك، وافعالك افعى لك، وسوالك أسواء لك، وخبالك اخبا لك، فاولى لك اولى لك ولعن الله اولى لك، لا شك ان الله تعالى اراد دماركم، وان يمحو اثاركم، ويخلى من دياركم دياركم، فيريح البلاد من فسادكم، والعباد من عنادكم، واما انا فاول الخلق، واحقر الداعين الى الحق، ولكنى بعون الله وقدرته، والهام الحق وقوته، لى من العلم والفضل ما اجيبه، ويقتله من خوفه فى جوفه وجيبه، وسيظهر فى الجمع وعلى روس الاشهاد عربه وعجيبه، وسيبين الله فى سنن الحق فروضه، ويكشف صحيح الامر ومريضه، وان ادّعى بدعاء طويله وعريضه، فان الله تعالى قتل نمرود العاتى ببعوضة، يريدون ليطفيوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون اما سمع ذلك المغبون، وعلم اللعين المجنون، انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم بربهم مشركون فمتى اراد يحضر، ويسير نفسه وخصمه ويخبر، ويصحب معه من يريد، من كل جنىّ عنيد وشيطان مريد، فان الحق يحق ويبطل الباطل، ويتميز فى حلبة السباق الحالى من العاطل، ورد على هذا الجواب الرسول، وكشف عن الحقيقة قناع المقول، ثم ان العفريت المخذول، سال الرسول عن اوضاع الشيخ الزاهد، واحواله فى المساجد والمشاهد، وما شاهده من اموره وحكاياته، وحركاته وسكناته، واخلاقه ومعاملاته، وكيفية هيئته وصورته، وما شاع عنه فى قومه من سيرته، فقال رايت رجلا سعيد الحركات، كامل البركات، صورته جميلة، واوصافه نبيلة، وهيئته جليلة، بدنه نحيل،

وفضله عريض طويل، وكلامه الصادع على امثالنا ثقيل، وقذف الله فى قلبه الفزع، واخذه نوافض الرعب والهلع، فقال والله ان هذه الاوصاف، لعبقة الاعراف والاعراف، وستطرحنا وراء جبل قاف، وانها لنتيجة الفلاح، وعلامة الفوز والنجاح، وانهم لهم المنصورون، وحزب الله هم الغالبون، ولقد ندمت على مراسلته، وكان الاولى سلوك طريق مجاملته، ولكن الشروع ملزم، ولا بد ان اتم ما عليه اعزم، فواعده الى وقت معلوم، وحضر واحضر من جنده كل جنى ظلوم، وعفريت غشوم، ومتمرد مشوم، ومخلوق من قبل نار السموم، واجتمع من بنى آدم عند الشيخ تلامذته، واحبابه المخلصون وجماعته، وكانوا الجم الغفير، والجمع الغزير، واشترطوا بعد ما خبطوا واختبطوا، وحلوا وارتبطوا، انه ان اجاب الشيخ سوالات العفريت، وسرى فى نارهم سريان النار فى الكبريت، لا يظهر بعد ذلك اليوم، لبنى ادم احد من اوليك القوم، بل يكونوا عن الابصار مختفين، وتحت الارض وفى الجزاير والخرايب كزنادقة بغداد منتفين، وان عجز الشيخ عن جواب سواله، يهلكه العفريت مع خيله ورجاله، ثم شرع العفريت فى الرسايل، والقاء المسايل، فقال اتعلم على كم قسم، وما العرش والجسم، وهل العالم موجد، واذا كان فهو واحد او متعدد، فقال الزاهد الامام، العالم على ثلثة اقسام، الاول مفردات العناصر كالتراب والماء والنار والهوآء ونسمى بالاستقصات، والمركبات من هذه الاجزاء مفردة، لا تستمر على حالة واحدة، ولا تخلو من حركة وانتقال، ودابها التغير من حال الى حال، الثانى الاجرام العلوية كالسموات وكواكبها المضية، وهى متحركة بالبروج، وحركتها قسرية اذ ما لها عن مركزها خروج، فهى متحركة من بعض الجهات، ساكنة كالفصوص فى الرصعات، وتوصف فى حركاتها بالصعود والهبوط، والصعود والسقوط، والشرف والوبال، والرجوع واستقامة الحال، والاحتراق والانصراف، والانحطاط الى الحضيض والاشراف، ويحكم عليها بالافتراق والاقتران، والتربيع والتثليث والتسديس فى السيران، والمقابلة والرجعة، وبطو السير والسرعة، وينسب اليها، ما يحدث فى العالم السفلى، من جزئى الوقايع والكلى، ومن نحوسة وسعادة، ونقصان وزيادة، وخير وشر، ونفع وضر، وتاثر وتاثير، وقليل وكثير، وانحراف واعتدال، وحدوث وزوال، وصحة وسقم، وسكون والم، ووجود وعدم، فبعض من لم يعرف الطريقة، ينسب اليها هذه الاشياء على الحقيقة، وذلك لقصور فهمه وقلة العقل، كقول الجاهل انبت الربيع البقل، وبعض من لم يكن له ادراك، يزعم ان هذا اشتراك، ولا يسند هذه الحوادث اليها، ولا يعول فى ذلك ابدا عليها، لا بالحقيقة ولا بالمجاز، ولا يسلم فى ذلك طريق الجواز، لكن المحققون من العلماء، والراسخون فى العلم من حكماء الفقهاء، يسندون هذه الحوادث والتاثير، الى قدرة اللطيف الخبير، والصانع القدير، الفاعل المختار، الذى يخلق ما يشآء ويختار، فاذا نسبوا هذه الافعال، الى غير ذى الجلال، انما يجعلونها فى ذلك الباب كالالات والاسباب، كتاثير الخبز فى الاشباع، والنار فى الاحراق والاينضاج، وكفعل الماء فى الارواء، وانما ذلك كله بتقدير صانعها، وما اودعه فيها من خواص بدايعها، كخاصية الاسهال المودعة فى السقمونيا، وخواص الجبر وغيره الكاينة فى المومياء، والاسكار فى الخمر، والاحراق فى الجمر، وقد راينا القوة النامية، عقيب الامطار الهامية، والشمس حامية تهيج وتنمو، وتموج وتزكو، وهذا الصنع البديع، اذا حلت الشمس فى برج الحمل وقت الربيع، واذا نقلت الى برج

الاسد، احترق ذلك الجسد، وعند نقلها الى الميزان، ينقلب هواء الزمان، وكذا اذا تحولت الغزالة الى برج الجدى، فكانه بلغ فى محله الهدى، فتموت انذاك قوة الزمان، وتضعف لذلك قوى غالب الحيوان، وكل هذا مشاهد محسوس، لا يمكن ان تنكره النفوس، خواص وضعها خالق الكون، يستفاد بعضها من الطعم والريح واللون، وبعضها لا يدرك ما اودع فيه، الا بارشاد خالقه ومنشيه، هكذا جرت سنة العزيز الوهاب، ان الاحكام والوقايع تناط الى الاسباب، وقد يتخلف منها الاثر عن المؤثر، ليعلم من ذلك وجود القاهر المدبر، وانها مقهورة تحت الامر، ومقسورة قسر العقل مع الخمر، ولو لا ذلك اى شر رجيم، لما تخلفت النار عن احراق ابراهيم، ولما ولدت مريم عيسى، ولاغرق البحر بنى اسرايييل وموسى، وكم من اكل وهو جيعان، وشارب وهو عطشان، ومدثر يتدفا وهو بردان، والفلك الاعظم محيط بهذه الاجرام، ونسبتها اليه كنقطة فى بحر طام، متاثرة بتاثيره، دايرة بتدويره، يتصرف فيها، على حسب ما انشاه باريها، وصرفه فيها منشيها، فاطر السموات والارض، جامع الخلايق ليوم العرض، وكما هى محاطة من الدايرة الفوق، كذلك هى محيطة بالكرة التحتا، القسم الثالث العقول والنفوس الملكية، وهى اشرف من الاجرام العلوية، ومقام هذه العقول، فى مقام عزيز الوصول، يسمى اعلى عليين، وجواهرها لا توصف بتحريك وتسكين، ولا بهذه البساطة والتركيب، وامرها بديع وشانها عجيب، واما العرض فما لا يقوم بذاته، وهو فى العالم كالالوان والاكوان والطعوم واصواته، والروايح والقدر وارادانه، واما الجسم فما تركب من جوهرين واكثر، وما قام بنفسه يسمى الجوهر، واما موجد العالم فهو واحد لا يثنى احد لا يتجزى، ولو لم يكن للعالم صانع، لكان العالم اتبع ضايع، وهل رايت مصنوعا بلا صانع، وسقفا مرفوعا بلا رافع، وهل نفى الصانع الا مكابرة، ولا يجحده الا النفوس الكافرة، قال العفريت فما الدليل على وجود الصانع، العقل ام النقل ام احدهما متبوع والاخر تابع، فقال العالم قد اطبقت العلماء، واجمعت الحكماء، ان العقل دليل على وجود الصانع، مستبديا بالدلالة والشرع له تابع، وكما هو الدليل التام على وجود الذات، هو الدليل المستقل على اثبات الصفات، وهى صفات الكمال، وما يليق بالذات من صفات الجمال ونعوت الجلال، قال العفريت فما الدليل على وحدانيته، قال الزاهد كل من العقل والشرع كاف فى دلالته، قال العفريت فما المراد من عالم الكون والفساد، فقال العالم معرفة امور المبدا والمعاش والمعاد، فقال العفريت ايما افضل العقل، ام النقل، فقال العالم كل منهما حجة الله، فقد استعبد بهما من عباده من براه، وذلك ان الله الذى ارشدنا الى الدين القويم، وثبت اقدام توحيدنا على الصراط المستقيم، نبيها ان المقصود، من الدخول الى دايرة الوجود، معرفة موجدنا المعبود، كما قال من يقول للشى كن فيكون، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدو ن، اى ليعرفون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون، ثم طلب مراضيه، بما تبرز به اوامره وتقتضيه، وذلك هو الرشاد، يا ذا المكر والعناد، الى المعارف الالهية وما به نظام المعاش ونجاة المعاد، وليس لنا دليل فى العلم والتعريف، سوى طريقين مرشدين الى التوقيف، على امور المبدا والمعاد وما بينهما فى دار التكليف، احدهما ما جُبلنا عليه وما اكتسبناه من العقل، وثانيهما ما بلغنا من الاخبار الصحيحة والنقل، لا مدخل له فى اثبات

المعارف الالهية، ولا فى وجود الصانع الا بطريق التبعية، فالعقل المكرم هو فى هذا الباب مقدم، وهو حجة الله القاطعة البالغة، واصل براهينه الساطعة الدامغة، وبواسطته استعبد عباده الكملة، والى من خصه به ارسل رسله، ثم العقل قد جوز ارسال الرسل، ولا يرد ما يقوى به لتوضيح السبل، والنقل لا ياتى بما يناقض العقل، وانما يرد بما يوكد به قضاياه ويصقل مرايا احكامه احسن صقل، ونظير ما حصل للعقل بالشرع من الاستيناس، ما يحصل للكتاب من معاضدة السنة والاجماع والقياس، ولو ورد المنقول، بما يناقض المعقول، لاشبه فرعًا توجّه لهدم ما له من اصول، ثم اذا اقبلت مواكب الاوامر الالهية على لسان الرسول، خضعت جماجم العقول منقادة بزمام الانقياد والقبول، سامعة لما يرد منها، مطيعة لما يصدر عنها، فتارةً يظهر للعقل ما فى الاوامر الشرعية من الحكم كنار على علم، وتارة يعجز عن الاطلاع على ما تضمنته الاحكام النقلية من الحكم، فاذا ورد الشرع بحكم وكان للعقل فى حكمته ادراك، ايّده واكّده واستمسك به فى تصرفاته اقوى استمساك، وان لم يكن له فى ادراكه مدخل، نادى بلسان العجز والتسليم سبحان من لا يُسْئَل عما يفعل، والحاصل ان سلطان المعقول، فى ممالك خليفة الشرع وولاياته معزول، ومن جملة ما ورد من السمع، على لسان عدوك صاحب الشرع، الصادق فى المقال، مما ليس للعقل فيه مجال، احوال المعاد ومبداها ما يطرا على العباد، فى حد هذا الكون من الفساد، قال العفريت اخبرنى يا هذا، الانسان مخلوق مما ذا، وما الادمية، والنفس الانسانية، وهل هى واحدة، او متعددة، ومآلها الى اين، بعد وقوع البين، فقال العالم الانسان مخلوق يا مصفعة، من هذه العناصر الاربعة، التى مرّ ذكرها، وتبيّن امرها، التراب والماء، والنار والهوآء، فاذا تمازجت، واعتدلت اذ تزاوجت، حصل لها من التركيب، امزجة ثمانية على الترتيب، والادمية عبارة عن القوة المميزة بين الحسن والقبيح، والفاسد والصحيح، والحق والباطل، والحالى والعاطل، والخير والشر، والنفع والضر، والمميزة لهذه الاشياء الفارقة، يقال لها النفس الناطقة، وهى ثلثة انواع، يا خارج الطباع، احدها الروح الطبيعية قايمة بالكبد، وهى من الاغذية تستمد، والثانية، الروح الحيوانية، ومقامها القلب، اى كلب، وللابدان منها الحراك، واستمدادها من حركات الافلاك، الثالثة الروح النفسانية، ومقامها فى الدماغ ومنها الحركات الذهنية، فالقوة النامية القوية، تطلب غذاءها من الروح الطبيعية، والقوة المميزة تطلب ما يسعدها فى الدارين من الروح النفسانية، ويبعدها فى المقامين عن الاسباب الشقية، واستمدادها وقوتها من الاجرام العلوية، واعلى مقامات هذه النفس الحكمة، فالحكمة اوفى منحة واوفر نعمة، وقد قال تعالى يوتى الحكمة من يشاء ومن يوتى الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرًا وما يذكر الا اولوا الالباب، ومصير هذه الارواح الى عالم الغيب لاجل الثواب والعقاب، وقيل حقيقة نفس الانسان، ايها المارد الشيطان، لطيفة روحانية، ودقيقة ربانية، لها تعلق ربانى، بقلبه وقالبه الجسمانى، وهى المدركة العالمة، العارفة الداعمة بها يتكلم اللسان، وتبصر العينان، وتسمع الاذنان، وتبطش اليدان، وتمشى الرجلان، وهى المخاطبة والمعاتبة، والمثابة والمعاقبة، والمطلوبة والمطالبة، ويطلق عليها لفظ القلب تارة ولفظ الروح اخرى، ويقال لها النفس مرة ولفظ العقل ايضا، وابن ادم هو المخصوص بهذه الكرامات، وبهذه النفس دون ساير الحيوانات، وان كان يطلق على الجميع اى

نفسًا بالاشتراك، لكن هذه النفس الناطقة والنطق هو الادراك، واختلف ايضا بل تحيرت الالباب، في صنع رب الارباب، وتاهت الافكار والفطن، في كيفية تعلقها بالبدن، ولا يحصل لاحد على هذا وقف، الا بطريق الولاية والكشف، وهذه النفس لما كثرت صفاتها، وتضادّت نعوتها، تخالفت اوصافها، حتى قسموها فقالوا انواعها ثلثة ناطقة وشهوانية، وغضبية ردية، فالناطقة مسكنها الدماغ، ولها فيه مساغ، والكبد مسكن الشهوانية، والقلب مسكن الغضبية، فاية نفس غلبت اختيها، جذبت احوالهما وصفاتهما اليها، وهذا يا اتعس زوبعة، كالعناصر الاربعة، فانها اذا فسد مزاجها، وعدل عن الاعتدال ازدواجهما عسر علاجها، واستحال المغلوب الى الغالب، وعجز عن المعالجة الطالب، فسد البنيان، وانهدم الاركان، وقيل هما روح ونفس، بغير لبس، وهما ضدان، بل هذان، لا يجتمعان، ولا يرتفعان، فطبع النفس يا لئيم، طبعك طبع الشيطان الرجيم، كالنار في جوهرها، وخاصة عنصرها، ينسب اليها الصفات الذميمة، والخلال الغير المستقيمة، كالجهل والغضب، والحدّة والصخب، واللوم والسفه، والطيش والشره، والحمية والشهوة، والنزق والجفوة، والحسد واللجاج، والحقد والاحتجاج، والحرص والبخل، والتوانى والكسل، والحمق والخيانة، والفجور وعدم الامانة، والترفع والريا، والمخاصمة والمرا، وساير الاخلاق الذميمة، والاوصاف المشومة الملومة، والملكات الجنية، والحركات الشيطانية، كالنار في احراقها وحدتها، واستشاطتها وشدتها، ودخانها ولهيبها، واهلاكها وتعذيبها، واقدامها، واعدامها، واكلها ما تجده، وما وصلت اليه تفسده، وطلب العلو والغليان والغلو، وطبع الروح، اى اتحس مجروح، طبع الماء، في النشو والنماء، ينسب اليه كل خلق كريم، وطبع سليم، صافى الجوهر، ما لامسه تطهر، شيمته الاحياء والعلم، والصدق والحلم، والتفويض والتوكل، والتسليم والتحمل، والاحتمال والتربية، والصبر والتودية، والارواء والسكون، والاعطاء والركون، والبذل والرضا، والفضل والحيا، والعدل والتواضع، والعفة وعدم الترافع، والسلامة والسهولة وسرعة الانقياد، واللين والوداد، والرقة والصفا، والكرم وعدم الجفا، الى ساير الاخلاق المحمودة، والاوصاف المطلوبة المودودة، فايتها قويت غلبت، وجذبت الاخرى اليها وسلبت، وصيرتها على طبعها، واستخدمتها في ربعها، فكم من شيطان، ترى في صورة الانسان، ومن انسان، غلبت عليه اخلاق الجان، ومن جان، في سيرة انسان، ونظير هذا الروح والبدن، يدركه ذوو العقول والفطن، فان الروح من عالم نورانى، لطيف سماوى، والبدن من عالم ظلمانى، كثيف ارضى، فايهما غلب على صاحبه، جذبه الى مركزه وجانبه، قال الله تعالى وعز كمالا، وجل جلالا، يا عيسى انى متوفيك ورافعك الىّ ومطهرك من الذين كفروا وقال جل عليًا، ورفعناه مكانا عليا، وقال لو شينا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فالانبياء عليهم السلام صارت اجسادهم ارواحًا، والكفار مثلك صارت انفسهم ظلمانية اشباحا، وقيل يا زوبعة، الانفس اربعة، امارة وهى نفس مثل الكفار الطغاة، ولوامة وهى انفس العصاة، وملهمة وهى انفس المخلطين، ومطمئنة وهى انفس الانبياء والمومنين، والحق يا جاحده، ان النفس واحده، ولما تجلت في ملابس الصفات، وتكثرت لها الاخلاق والسمات، نوعوها، وبمقتضى التنويع فرعوها، تنزيلا للتنويع في الصفات، منزلة التنويع في الذات، فيقال كانت نفس هذا شيطانية، فتاب فصارت رحمانية،

وكانت نفسه ابية، فصارت دنية، قال الله من براها، ونفس وما سواها، فالهمها فجورها وتقواها، قد افلح من زكيها، وقد خاب من دسيها، قال العفريت اخبرني ايها الباصر، عن كيفية ترتيب هذه العناصر، فقال بحسب الخفة واللطافة، والثقل والكثافة، فكل عنصر كان اثقل، فهو احط من الاخف واسفل، فعنصر التراب اثقل، فكان اركد من الكل وانزل، ومن فوقه عنصر الماء، وفوق عنصر الماء عنصر الهواء، وفوق هذه الثلاثة عناصر، عنصر النار وهو بها محيط داير، وكذلك كل عنصر محيط بما تحته، وقد حققت هذا وعلمته، قال العفريت اخبرني عن اقرب الاشياء اليك فقال العالم الاجل، اقرب الاشياء الاجل، قال اخبرني بابعد اشياء عنك فقال العالم الاكبر، ما لم يقسم ولا يقدر، قال اخبرني عن الشي الممكن عوده فقال الدولة ان زالت، وتغيرت واستحالت، يمكن ردها، ولا يستحيل عودها، قال اخبرني عما لا يمكن عوده، ولا يحصر بعد الذبول عوده، فقال عصر الشباب، محال الاياب، قال اخبرني عما لا يمكن بالاكتساب، ولا ينال الا بتوفيق الملك الوهاب، فقال العقل الغريزي، فانه وهب عزيزي، قال اخبرني عما لا يمكن ضبطه، ولا ينضبط ربطه، قال الدهر اذا ولى، والسعد اذا تخلّى، قال اخبرني يا ذا الجد، عن الهزل الذي يراد به الجد، فقال ابراز حكم الامثال والايات، خصوصا على لسان الحيوانات والجمادات، قال اخبرني عما لا يمكن الاحاطة به، ولا الوقوف على معرفة كنهه، فقال عظمة صانع الكاينات، وخالق الموجودات، تعالى ان يحاط به علما، وتقدس ان تدرك عظمته معرفة ووهما، ولهذا قال سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، لا يحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وهذا مصداق قوله تعالى وما قدر الله حق قدره فلما طالت المقاولة، وانتهت الى هذا المقام المجادلة، اقبل الليل، وحل بالعفريت وجنده الويل، وتصدع المجلس، وقام العفريت وهو ايس، وتواعدوا على الصباح، عند قوله حيّ على الفلاح، ان تجتمع الوجوه الصباح، لردّ جواب الشياطين القباح، فتفرقوا وقد احاط بالعفريت الوهم، ونفذ في احشايه من سهام الذل اقطع سهم، وبات لا يقر له قرار، ولا ياخذه اصطبار، وساوره الافتكار، وثاوره الهم والاعتكار، والغم والبوار، والضيق والدمار،

الى ان اضاء الصبح كالحق مقبلا ... وولى ظلام الليل كالجهل مدبرا

فجمع من كان بالامس حاضرا، ومن سمع بحضورهم ولم يكن ناظرا، من جموع الانس، والجن من كل جنس، واخذ كل مقامه، وابتدا العفريت كلامه، وقال ما منبع الصفات الحميدة، والشمايل السعيدة، المارّ ذكرها، القارّ امرها، وهي يا هذا، نتيجة ما ذا، فقال العالم المحقق، العامل المدقق، هي ثمرة العقل القويم، الهادي الى الصراط المستقيم، ويكفي العقل من التشريف، انه مناط التكليف، له الله يخاطب، وبه يثيب ويعاقب، واياه يكرم ويعاتب، وبه ياخذ وبه يعطي، وتابعه يصيب ولا يخطي، فكلما كان العقل اتمّ، كانت محاسن الاخلاق اعمّ، وكلما كان راي العقل اصوب، كان في اقتناء مكارم الاخلاق ارغب، فقال العفريت فهل هو نوع واحد، ام طريقه متعدد، فقال الشيخ العقل نوعان، وحكمه واحد لا يختلف فيه اثنان،

فاحدهما العقل العزيزى المنيف، وهو مناط التكليف، بحدثه الله الرحمن، ويتدرج الى حين بلوغ الانسان، فيكمل اما بالسن او بالاحتلام، فيجرى انذاك عليه قلم الاحكام، ويدخل فى حيز المخاطبين من ذوى الاحتلام، ويترتب عليه الحساب والعقاب من الحلال والحرام، والثانى يحصل بالاكتساب، والتجربة فى كل باب، ولهذا يقال ان الشيوخ اكمل عقلا من الشباب، وقيل من بيضت الحوادث سواد لمته، واخلقت التجارب لباس جدته، وارضعه الدهر من وقايع الايام اخلاف درته، واراه الله تعالى لكثرة ممارسته، تصاريف اقداره واقضيته، كان جديرا برزانة العقل ورجاحته، فهو فى قومه بمنزلة النبى فى امته، قال بعض الحكماء كفى بالتجارب تادبا وبتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مراة العقل وقال

الم تر ان العقل زين لاهله ولكن تمام العقل طول التجارب

قال العفريت ما فايدة العقل فقال العالم فايدته الارشاد، فى بيدآء الجهالة الى جادة الرشاد، والاهانة فى الشدايد، والوقوع فى مصايد المكايد، وحصول الخلاص، من شرك الاقتناص، واجابة الاغاثة، عند الاستعانة والاستغاثة، ومديد المعونة، اذا انكسرت من الحبل السفينة، فى بحر الملامة، والخلاص الى بر السلامة، والاغناء من كنز القناعة والصبر، عند استيلآء نوايب الفقر، قال فمن العاقل فى العالم، ومن يطلق عليه هذا الاسم من جنس بنى ادم، فقال العاقل من يحتمل اذا ضيم، ومن هو فى الغضب حليم، فاذا اعطى شكر، واذا منع صبر، ويعفو اذا قدر، ويستهون امور الدنيا، ولا يغفل عن امور الاخرى، قال العفريت ما الفايدة فى حب الدنيا، والرغبة الى ما فيها من الاشيا، ولاى معنى، غلب الحرص والهوى والرغبة فيها على اهلها فقال العالم، لاجل قيام العالم، وانتظامه على النهج الاقوم، وبقاية المطلوب، الى الاجل المضروب، الذى قدره موجده القديم، الذى انشاه اول مرة وهو بكل خلق عليم، ولا بد من ان تتم كلمته، وتنفذ مشيته، ولو لا الحرص والامل، لبطل العلم والعمل، فانهما بحجاب الغفلة يغشيان اعين البصاير، ويغطيان طرق استدلال الاسرار والضماير، فلذلك ذهلت العقول عن التامل فى العواقب، واشتغلت بالتهايها عما يجب عليها ان تراقب، ولو لا طول الامل، لما ارجى العمل، ولا انتظم امر المعاش، ولا اهتم لادخار قوت ورياش، ولا افتكر صاحب اليوم فى احوال الغد، ولا ارتفعت المعاملات فما داين احدا احد، ولا زرع زارع ولا غرس غارس، ولا بنى بان ولا اخضر يابس، ولا يفرط انذاك نظام العالم، وبانفراطه تنقرض امور بنى ادم، قال العفريت اخبرنى عن اصل الانسان، ومم جوهره وجوهر الملك والجان، فقال الشيخ اما جوهر الملك فن العقل المحض، براه رب السماوات والارض، ولذلك لا يصدر من الملايكة، الا الشيم المباركة، من الطاعة لمولاهم، والانقياد لاوامر من انشاهم، ومن امتثال ما يرد من امر مرسوم، وما منهم الا له مقام معلوم، لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون واما جوهر الجان، واصلك يا اخس شيطان، فمن الاخلاق الذميمة، والصفات المشومة، فلهذا لا يوجد منكم الا المكر والبيلسة، والشيطنة والوسوسة، واخس بصفاتكم من صفة، ولم يكن بينكم وبين الخير معرفة، فانتم اى اخس بغيض، والجس مهيض، مع الملايكة فى طرفى نقيض، واما جوهر الانسان، فمهما اشتملت عليه صفتا الملك والشيطان، فمن غلب عقله شهوته، والبس من مكارم الشيم خلعته، فانمحلت ظلمات نفسه فى انوار الطاعة، وتحلت

صفات ذاته من سنن الابرار فی جماعة، وخط رسم اسمها قلم الكرام الكاتبين، كلّا ان كتاب الابرار لفی عليين، وما ادريك ما عليون، كتابٌ مرقوم يشهده المقربون، فهو وان كان بجثمانه مع الانس، له حضور وانس، لكنه بسره فی عالم الملكوت انيس حظيرة القدس، فهو بصفاته المباركة، اشرف من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله، واستولت على قلبه حجب الغفلة، فانغمس فی ابحر الشهوات، واستحوذتم انتم عليه بذميم الصفات، واشقاه القدر السابق، ولم يعقكم عن التصرف فيه عايق، فهو بالنهار ساه، وبالليل لاه، واستحوذ عليهم الشيطان فانسيهم ذكر الله اوليك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون فهو اخس من اراذل الحيوانات، واردى من اذل الجماعات، فقد خاب مآبا، وتعس انقلابا، ويقول يوم القيمة يا ليتنى كنت ترابا، قال الراوی فلما انتهى الكلام، الى هذا المقام، امسك العفريت عنانه، واخرس الله لسانه، وظهر فضل الزاهد وعلمه، ووفور حكمه وحلمه، وانه اصاب، فيما اجاب، ولزم العفريت، ومن معه من الجن والعفاريت، وطوايف المردة والشياطين، والعندة المتمردين، وذوی الابلاس، والوسواس الخناس، ما شرطوه على انفسهم من التخفی وعدم الظهور، والتفرق فی الخرايب والكفور، فتفرقوا واختفوا، ومصلبين ومجدعين انتفوا، وسكنوا الخرايب والحمامات، والخانات، فلم يظهروا بعد ذلك للانس، وحصل بذلك منهم للانس الانس، واستراحوا من مشاهدة طلعتهم القبيحة، واستمرت الى يوم القيمة من تلك القبايح مستريحة،

الباب الخامس

فى نوادر ملك السباع ونديميه امير الثعالب وكبير الضباع

قال الشيخ ابو المحاسن، الجانى ثمار الفضل على احسن ورد وآس، فلما انهى الحكيم، هذا الباب العظيم، عن عالم الانسان والشيطان الرجيم، تنبّه اخوه الملك على غزارة حكمه، وافرغ عليه خلَعَ احسانه وكرمه، وغمسه فى غدير فضله ونعمه، ثم امره بان يقوى الطباع، ويذكر نوادر الوحوش والسباع، لتنبسط النفس وترتاض، وتتحلى بعقود عقيد هذا الاحماض، فقبل ارض العبودية بشفاه الادب، وانتهض لاداء ما عليه من المراسيم وجب، وقال كان فى بعض الغياض، اسد مرتاض، عظيم الصورة، كريم السيرة، وافر الحشمة، عالى الهمة، كثير الاسماء والالقاب، غزير الخدم والاصحاب، كبير بين الامرآء والحجاب، والوزرآء والنواب، يدعى فى اطراف مملكته، وجوانب ولايته، بحيدرة وبيهس، وضيغم والدوكس، والصعب والضرغام، والعنبس، والطيشار وكهمس، والغضنفر الهرماس، والغضبان وابا العباس، الى ساير الاسماء، والالقاب والكنى، وكثرة الاسماء، تدل على شرف المسمى، وهو مطاع فى ممالكه وولايته واقاليمه، مترشف بثغور الامتثال شفاه امثلته ومراسيمه، وله من خواص الندمآء، وكبراء الجلساء، نديمان كندمانى جذيمة، يلازمان حضرته ويلجان حريمه، احدهما ثعلب يدعى ابا نوفل، والاخر ضبعان يسمى اخا نهشل، طبعهما لطيف، وشكلهما ظريف، ومحاضرتهما مرغوبة، وصحبتهما مطلوبة، وكان فى خدمته دب هو وزيره، ومعتمده ومشيره، كافل امور مملكته، ومدبر مصالح رعيته، والملك مفوض امور الرعية اليه، ومعتمد لما يعلم من كفايته عليه، ومشغول ليلا ونهارا بمعاشرة نديميه، فاتسع خيال الوزير، واخذ فى مجال التفكير، الى ان النديمين، لكونهما ناصحين قديمين، ربما يصدر عنهما عند الملك ما يحط منزلته، ويفسدان للحسد الذى لم يخل منه جسد صورته، واستحوذ عليه الخيال، واتسع فى ميدانه المجال، فكان خايفا على وظيفته ومنصبه، مترقبا منهما ما يكون عزله بسببه، فنشا من ذلك فى خاطره جساوة، اورثته قساوة، وجذبته الى عداوة، وقر ذلك فى قلبه وتاكد، ونال عليه من الدهر الامد، فكان يترقب لهما الفرص، ليوقعهما من الغصص فى قفص، ويسابقهما قبل ان يشيا به، ويتغدى بهما قبل ان يتعشيا به، ويقول لا بد من تنظيف الطريق، قبل حصول التعويق، وقد احسن من قال واتقن،

ومن لم يُزِحْ عن دَرْبه الشوك قبل ان   يطاه فلا يعتبْ اذا شاك رجلَهُ

واقل الاقسام، ان يبعدهما عن حضرة الملك الهمام، فاتفق ان في بعض الاسحار، تجاذب الملك ونديماه اطراف الاسمار، واثر فيهم السهر، لطيب السمر، في ضوء القمر، وحلاوة ما جنوا منه من ثمر، عاملين بما قيل شعر

متى ما اصادف من احبّ بخلوة　　اصرّح بما ارجوه من متكتّم

يقول فاصغي او ابتّ فانثني　　ليسمع قولي كالنقا المترنّم

اسامره لا ان امل حديثه　　وآمُره كلّ الامور سوى نمر

فاخذت الملك عيناه، فاستند الى متكاه، فانحل من طرفه وكاه، فلم يتمالك ابو نوفل ان ضحك، لمّا غنّت زمارة رمازة الملك، فتنبه من ضحكه، وتعجب من جراته وفتكه، ثم استمر متناوما، لينظر ما يصدر منهما، فابتدره، اخو نهشل وزجَرَه، وقال ويلك ما ذا رايت، واى عجب سمعت ووعيت، حتى ترتبك، في الضحك، اما علمت، وقرات وفهمت، ان الضحك بلا سبب، من قلة الادب، وان الحشم، وساير الخدم، ومن نادم الملوك وجالسهم، يحترم امورهم ويعظم مجالسهم، سوآء غابوا او حضروا، ناموا او سهروا، قاموا، او قعدوا، استيقظوا او رقدوا، وقد قيل رُفع قلم العتاب، والضبط والحساب، عن الصبى والمجنون، والعاشق المفتون، وكذلك السكران، والنايم لا سيما السهران، وعذر النايم يا مسكين، اوضح من عذر الباقين، فان النوم اخو الموت، وفيه ما ليس في غيره من الفوت، وقد قال صاحب الشرع، الذى زكى منه الاصل والفرع، حفظه الله بجنود الصلاة والسلام وحرسه، يعتذر عن النايم العين وكاء السه، وقال ذو الصدق والتصديق، في رفع قلم التكليف، وعن النايم حتى يفيق، وانما اعتبر الشرع احوال النيام، وساواهم باليقظى صونا لبعض الاحكام، نحو من خمس وعشرين مسئلة، ضبطها من الفقهاء الكملة، وقد طالعت في كتاب الاخلاق، ان الله الكريم الخلاق، حيث جعل جنسا من الامم، في طبايع وصفات متساوى القدم، فلا يعيب احد احدًا ولا يزدريه، ولا ينقم عليه عيبًا هو فيه، على الخصوص اذا صدر من الملوك شى يعاب، فلا يحمل ذلك منهم الا على الفضل والصواب، وكل ما كان في غير الملوك معتبة، واذا صدر من الملوك يعد منقبة، ويجب على من جالس الملوك، وكان له في خدمتهم سلوك، واختصوا بمحاضرتهم، واستسعدوا بمناظرتهم، ان لا يبصر منهم الا المحاسن، ولا يخبر عنهم الا الاحاسن، وقبل من جالس الملوك بغير ادب جلسه، فانه خاطر بروحه وعرض للبلاء نفسه، وقال الله الاعظم، في كتابه المحكم، لنبيه صلى الله عليه وسلم، فاستقم كما امرت ولهذا قال عليه السلام شيبتنى هود واخواتها وما ساد احدٌ في العجم والعرب، الا بسلوك طريق الادب، وقال عليه الصلاة والسلام ادبنى ربى فاحسن تاديبى فقال المغفل، ابو نوفل، اذا طهر القلوب من الخيانة، وعاملت اليد بالامانة، وتنقى العرض من العيوب، وكان اللسان غير كذوب، وزكت النفس بالحلم، وعرت عن الجهل بلباس العلم، يصلح لها ان تسخر بكل احد، وتفتخر على اكبر ما يكون ولو انه الاسد، وانا اذا طار بهذه الصفات ضيرى، فلا علىّ اذا ضحكت على غيرى، قال اخو نهشل لا تقل ذاك لا، واستعذ بالله من العجب والخيلا، واعلم يا ذا الذامات، ان الجاهل يعرف بثلاث

علامات، احديهما يا محبوب، ان يرى نفسه عارية عن العيوب، الثانية يا رفيق الخيم، ان يرى نفسه اعلم من الغير، الثالثة ان يرى انه انتهى، في فنون العلم والنهى، وبلغ اعلى المراتب، وهذا من اكبر المعايب، وقال الحكماء اذا رايت نفسك عاريا عن العيوب، وتصديت لتتبع عثرات الناس بالعيوب وفتشت عن عيوبهم الجيوب، فانت حينئذ غارق في بحر العيوب، وبالذى انت خائبه مطلوب، وانظر يا ذا السكينة، ما قاله الامام مالك رض حين دخل المدينة، وقيل لم يدرك من الفضل اثارا، ولا من الفضلاء غبارا، من راى لنفسه مقدارا، وما دمت انت بهذه الصفة، لم تشم رايحة المعرفة، وقيل ليكن جل مطلوبك، حرصك على تفقد عيوبك، وقم في ذلك على نفسك وذاتك، مقام حسادك ورقبايك وعداتك، وقال ذو الهدا، وما قال سدا، شعر

لكلّ فتى خرج من العيب ممتل   على كتفه منه ومن اهل دهره

فعين عيوب الناس نصب عيونه   وعين عيوب النفس من خلف ظهره

فقال ابو نوفل لقد صدقت، ونصحت اذ نطقت، فجزاك الله عنى خيرا، ووقاك ضرا وضيرا، ولكن يا اخى وقعت هفوة، على سبيل السهوة، وحصلت زلة، على غفلة، واللفظ اذا خرج من غير نظر، كالسهم اذا رُمى عن الوتر، لا يمكن رده، ولا وقوفه وصده، كما قيل شعر

القول كاللبن الحلوب ليس له   ردٌّ وكيف يردّ الحالب اللبنا

ولكن الذنب والاجترا، اذا لم يشتهرا، لا يتوجه العتاب، ولا يستحق مرتكبهما العقاب، اذا استغفر واناب، وانا وان وقع منى الخطا، امن بحمد الله من سوء الجزا، ومن المواخذة بالجريمة، وان كانت عاقبتها وخيمة، لانها بينك وبينى، وانت بمنزلة روحى وعينى، ورفيقى وصاحبى، ومراع حقى وجانبى، فسرى عندك مصون، وامرى عن الاشاعة مخزون، وقد قالت الحكماء وذوو التجارب، لا تودع السر الا عند صاحب صديق صدوق، محب شفوق، وانت هو ذاك الموثوق، فاطرحه في سويداء قلبك في سفل الصندوق، فان استمر سرى عندك ساكنا، صرت من وبال عاقبته امنا، ولا يبعد ذلك من شفقتك، وسابق صدقتك، ووفايك بالمروة، وقيامك بحقوق الاخوة، واسال احسانك ان لا تخيب لصاحبك مرجوه، فقال اخو نهشل، العجب لابى نوفل، كيف يغفل، اما سمعت يا عاقل قول القايل، من علامات الجاهل، ان يقرض ماله بالتلف، ثم يتقاضاه بالفضاضة والعنف، وان يودع سره، وخفاياه وامره، عند من يحتاج ان يتضرّع اليه، ويقسم في اخفايه واستكتامه عليه، ثم يحلفه ان لا يبديه، ولا يذكره لاحد ولا ينهيه، وقد قالت الحكماء لا تستودع لاحد سرا، فان فعلت انتك السرا، لان كتمانه قيد هم وعنا، وابداوه كيد هلاك وبلا، وقيل شعر

كل علم ليس في القرطاس ضاع   كل سر جاوز الاثنين شاع

لم يقصد بالاثنين، الا الشفتين، وقال الشاعر

اذا ضاق صدر المرء سر نفسه   فصدر الذى يستودع السر اضيقُ

وكل سر تحرك به اللسان، انتشر في الكون والمكان، وناعيك يا سامر، قصة الحرامى مع الطامر، قال ابو نوفل، كيف تلك يا اخا نهشل، قال بلغنى ان رجل من الحرامية، واللصوص القرارية،

كانت نفسه ذات الخيانة، تحرضه على الدخول من حواصل الملك الى الخزانة، فانها لروية الخزانة مشتاقة، ولمعانقة فاسق التحرم عشاقة، وكان جاهدا فى ان يعطيها، من متمناها ما يرضيها، ولكن كانت نجوم الحراس بالرصد، ولرجوم ذلك الشيطان كل معد، وكتم هذا السر عن الاخوان، ومضى عليه برهة من الزمان، وهو يكابد اكتتامه، ويخاف من السوء اختتامه، والمقدر كاين، والخايف خاين، الى ان طفح عليه ما قصد، وغلا خمر سره فى قلبه وقذف بالزبد، فطلب صاحبا يتلفظ به اليه، ويعتمد فى اكتتام سره عليه، واختلى فى حجرته، فرصه برغوث فى حجرته، فمد يده اليه، وافشى بسره معتمدا عليه، وقال فى خاطره، عند افشاء سرايره، لا لهذا لسان، يقدر على البيان، وعلى تقدير ان لو كان، فانه مثل ولدى، تربى من دم كبدى، ولحم جسدى، واطلع على عورتى، فلا يقصد عثرتى، ولا يكشف سرى، ولا يهتك سترى، ثم ادنى فاه، حتى واتاه، وقال يا ابا طامر، وكاتم السر فى السراير، انى عزمت كالمنهمك، على الدخول الى خزاين الملك، لاستصفيها، وآخذ ما فيها، فاكتم هذا السر عنى، وامصص ما شيت من الدم منى، ثم طرحه فى سراويله، واستمر فى نيته على اباطيله، ثم قصد فى بعض الليالى، ما كان يحاوله على التوالى، ويرصده فى المكامن، من دخول الخزاين، فلاحت له فرصة فانتهزها، واستعمل دقايق صنعته وابرزها، وانتقل من ذلك الى المبيت، ولجأ تحت سرير الملك كالعفريت، والملك نايم على السرير، على الفراش الحرير، معانق الظبى الغرير، وخرزة التاج على راسه تقد، كانها سراج منقد، فقصد اللص اخذها، واقتطاعها وفلذها، فامهل القوم، الى ان غرقوا فى النوم، وبينما هو متفكر فيما به، خرج البرغوث من ثيابه، ودخل الى جسد السلطان، وقص بلسان القرص عليه ما كان من شان، فنهض الملك من مرقده، فراى نفاطة على جسده، فطلب النور، لينظر الامور، وحضرت الجوار، فراين برغوثا طار، ونزل تحت السرير، فقصوا اثره فى المسير، فوجدوا الحرامى الكسير، فربطوه كالاسير، ووقع فى اليوم العسير، بالامر اليسير، وصار كما قيل شعر

مشى برجليه عمدا نحو مصرعه ليقضى الله امرا كان مفعولا

وانما اوردت هذا المثل، لتعلم يا ابا نوفل، ان سرًّا فى الفواد، لا يومن عليه الجماد، فضلًا عن متحرك من حيوان، ونعوذ بالله ان كان، من جنس الانسان، وقد قيل فى المثل للحيطان اذان، ومن امثال العجم الاوباش، للديوار اكواش، فلما انقضى هذا الكلام، وكان الاسد استوفاه ووعاه على التمام، وقد اثار فى احشايه لهبا، فنهض من مرقده ممتليا غضبا، واستحال وتحول، وامر بابى نوفل، فقبضوا عليه، ووضعوا الغل فى رقبته والسلاسل فى يديه ورجليه، وامر الى السجن برفعه، بعد التنكيل به وصفعه، فتشوش خاطر صديقه، وجليسه ورفيقه، ثم انفض المجلس النظيم، ودخل السلطان الى الحريم، فتوجه اخو نهشل، الى السجن المقفل، ولام صاحبه ابا نوفل، وزاد فى التعنيف، وقال ايها الاخ الظريف، الم تعلم، ان الشخص اذا تكلم، ينضبط كلامه عليه، ويعود محصول ما يلفظه اليه، وقد قال الرب الحميد، ما يلفظ من قول الا لديه رقيبٌ عتيد، وان كثرة الكلام، تضر بالنفس اكثر ما يضرّ بالبدن الطعام، وكل هذا المصاب، انما جاء من الاعجاب، وكثرة الكلام والغرور، وعدم التامل فى عواقب الامور، وقال الشاعر

ما ان ندمت على سكوت مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا

وقال حكماء الهند، وبراهمة السند، ما دام الكلام فى الفواد، لم يبد منه على اللسان باد، ولم ينصب منه سايل حرف، من صدفة الاذن فى وعاء ولا ظرف، فهو كالبنت البكر، المشهورة الذكر، كل احد يخطبها، ويميل اليها ويطلبها، ويتمنى ان يراها، ويتشوق لقاها، فاذا القى الى المسامع، ووعاه كل ناظر وسامع، فهو كالعجوز الشوهآء، الملازمة صباحا ومساء، كل احد يفرّ منها، فاذا تكلمت اسكتت وان سلمت اعرض عنها، وقال بعض الحكماء اللسان اسد، وهو حارس الراس والجسد، فان حبسته حرسك، وان اطلقته افترسك، وقال ايضا الكلام ما لم يبد اسيرك فاذا تكلمت به كانت اسيره وقال ايضا بعض حكماء الملوك انا على ما لم اقل اقدر منى على ما قلت وقال عيسى عليه السلام العافية عشرة اجزآء تسعة منها فى الصمت الا بذكر الله تعالى وواحد فى ترك مجالسة السفهآء وقال نبى الثقلين، وامام الحرمين، الصمت حكمة وقال عليه السلام البلآء موكل بالمنطق وقال الحكماء ايضا السكوت يستر عيب الجهل ويعظم حرمة الملوك ولقد اذيتّ نفسك، وتسببت فيما يوجب حبسك، واقلقت ودودك، واشمتّ حسودك، ولقد كانت حصتى من بلايك، وما دهاك من شدة عنايك، اعظم من كل حصّة، وقصتى فى ذلك اعجب قصة، اذ انت رفيقى وزميلى، وفى حضرة الملك ومنادمته عديلى، نشانا على ذلك، وسلكنا فى الموافقة والمرافقة اقوم المسالك، وانت كنت المرجو لمخافى، والابى فى مثاقى، ومشتكى حزنى، ومشتفى شجنى، ومحرم اسرارى، واعظم استارى، وراوية اخبارى فى اخبارى، وزاوية اسفارى فى اسفارى، ومن اين القى مثلك صديقا، واجد رفيقا شفيقا، وانت صاحب السرا، ومصاحب الضرا، وانشد يقول شعر

ومن اين القى بعد سبعين حجة رفيقًا كمن راضعته قهوة الصبا
اديبا اريبا لم امل مقامه ولا ملنى يومًا حكيما مهذّبا

ويعزّ علىّ، ويعظم لدىّ، ان اراك فى هذه الحالة، ثم اجرى سحايب دموعه الهطالة، وانشد

وما على الحرّ انكى ان يرى خدنًا فى محنة ضاق عنها دونه الحيل

ولقد تحيرت فى هذا الامر المهول، وما ادرى قصاراه الى ما ذا تؤول، ولبلة هذا الغمر الصراح، عما ذا يسفر فيها الصباح، فانتكى لذلك ابو نوفل وبكى، وتضرع الى الله واشتكى، وقال يا اعز الاصحاب، واحب الاحباب، لقد اثر عندى ما قلت من الكلام، اكثر مما اصابنى من الالام، كيف يغتفر احد الجانبين، ويطلق لاحد المقيدين، وانى يعتذر بالقضاء والقدر فى احد القضيتين، وهل شى فى عالم الكون والفساد، خارج عما قدره الله تعالى واراد، وكلنا فى هذا سوية، والعبد مقهور مع المشية، وتلى الجد اذا اقبل، ولاحظ بسعده وتفضل، وكل حركة تصدر من العاجز، يعجز عن مقاومتها البطل المبارز، وكل قول يتفوه به الجاهل، يدع دليل معانيه ادلة العقلاء فى فى مجاهل ومذاهل، ودعاميص ذوى الاراء المصيبة النواهل، تلقى من عقنقل الحيرة فى مجاهلها مناهل، ويصير كل وجه اليها قابل، وكل لسان بها قايل، وقوام كل سعد وقبول اليها مايل، وانشد شعر

واذا السعادة لاحظتك عيونها   نَم فالمخاوف كلهنّ امانُ

واصطد بها العنقاء فهى حبايلٌ   واقتد بها الجوزآء فهى عنانُ

ونعوذ بالله من ليل السعد اذا ادبر، وصبح الخمول اذا اسفر، فان اللبيب، اذذاك يخطى ما كان يصيب، ويفعل العاقل، ما لا يرتضيه باقل، وكان جهد النفس، زيادة فى العكس، وانشد شعر

واذا تولى الجد يحتاج الذكى   فى رايه قبل الزوال سراجا

وانقلاب الدهر وانعكاس الزمان شيمة معهودة، وخصلة معدودة، كما قيل شعر

ومن ذا الذى ما غرّه صرف دهره   فاضحكه يوما ولم يبكه سنة

وانا كنت غافلا، وان لم اكن جاهلا، وقد يكون الشخص عما تحققه ذاهلا، وذلك لما كان صودنى الزمان، والفتهُ من سالف الدوران، من ارخآء العنان، ونيل الامانى والادمان، واسبال ذيل النعم، والاحسان الدايم والكرم، فمشيتُ على ما كنت اعهده، وفى نفسى اجده، وايضا كانت لذة عشرتك، ونعيم محبتك، وحسن مرافقتك، وعز موافقتك، انسانى كلّ بلية، وامنت بذلك كل رزية، فدهانى من التنكد، ودهمنى على غفلة من التورع والتبدد، مثل ما اصاب ذلك الهدهد، فقال اخو نهشل، اسرد ذلك المثل، قال ابو نوفل ذكروا ان الله مجرى الخير، علم بعض عبيده الصلحاء منطق الطير، فصاحب منها هدهدا، وازداد ما بينهما توددا، ففى بعض الايام، مر بالهدهد ذلك الامام، وهو فى مكان عال، متلفت الى ناحية الشمال، وهو مشغول بالتسبيح، يسبح الله بلسانه الفصيح، فناداه يا صاحب التاج، والقبآء الديباج، لا تقعد فى هذا المكان، فانه طريق كل فتان، ومطروق كل صايد شيطان، ومقعد ارباب البنادق، ومرصد اصحاب الجلاهق، قال الهدهد انا عرفت ذلك، وانه مسلك المهالك، قال فلاى شى عزمت على القعود فيه، مع علمك بما فيه من دواهيه، قال ارى صبيا، واظنه غبيا، نصب لى فخا، يروم لى فيه زخا، فقد وقفت على مكايده، ومناصب مصايده، وعرفت مكيدته ابين فى، والى ما ذا تنتهى، وانا اتفرج عليه، واتقدم بالضحك عليه اليه، واتعجب من تضييع اوقاته، وتعطيل ساعاته، فيما لا يعود عليه منه نفع، ولا يفيده فى قفاه سوى الصفع، واسخر من حركاته، وابله من يهمّ على خزعبلاته، فتركه الرجل وذهب، وقضى حاجته وانقلب، فراى الهدهد فى يد الصبى، يلعب به لعب الخلى بالشجى، ولسان حاله، يلهج بمقاله، شعر

كعصفورة فى كف طفل يهينها   تقاسى حياض الموت والطفل يلعب

فلا الطفل ذو عقل فيرثى لحالها   ولا الطير مطلوق الجناح فيذهب

فناداه وقال يا ابا عباد، كيف وقعت فى شرك الصياد، وقلت لى انك وعيت، ورايت من مكره ما رايت، قال اما سمعت ان الهدهد اذا نقر فى الارض يعرف مسافة ما بينه وبين الماء ولا يبصر شعيرة الفخ وذلك لينفذ ما كتبه الله تعالى وقدره من قضايه وقدره وناهيك فى قضية القضاء والقدر، قصة ادم ابى البشر، عليه السلام واحتجاجه مع موسى الكليم، عليهما الصلاة والتسليم، لما جرت

عليه احكام القضاء والقدر، غطى حجاب نسيانه على فهمه فلم ير جمال طلعة مصلحته عين البصيرة ولا البصر، فتمشت مشية الله السابقة فى علمه، وجرى ما لم تدركه فحول العقول فى ميدان ارادته من سوابق حِكَمه وحكمه، وانشد يقول شعر

يا سايلى عمّا جرى　　والعين مبصرة القَدَرْ
اوما سمعت بان اذا　　نزل القضاء عمى البصرْ

وانا لما اغتررت بحدة بصرى، ذهلت عما يجول فى فكرى، فتغطت حدقة استبصارى، فوقعت فى فخ اغترارى، ثم قال ابو نوفل، وقد اثر فيه ملام اخى نهشل، وانشد يقول شعر

دع عنك لومى فان اللوم اغراء　　وداونى بالتى كانت هى الداء

وانما اوردت هذه الحكاية، لتخفف عنى ما فى تقريعك وتوبيخك من نكاية، وتعلم ان الامور كلها، جلها وقلها، جارية على حسب ما قضاه الله تعالى وقدره، وزبره فى سابق علمه فى اللوح المحفوظ وسطّره، وان كانت الاحكام فى هذا الباب، تضاف الى العلل والاسباب، ولا شك فى هذا ولا ارتياب، فقد مر ان الذهول، اشغلنى عن الفصل بالفصول، وان كان هذا العذر غير مقبول، فان الجهل لا يكون حجة، ولا يخلص السالك الى سواء المحجّة، وقد طال الكلام، والحق بيدك والسلام، واما الان فجلّ المقصود، اللطف المعهود، وبذل المجهود، وتذكر سابق العهود، وقديم الصداقة، واكيد المحبة والعلاقة، وتعاطى امور عطف الخواطر الملكية، ورجوعها الى ما كانت عليه من الصدقات السنية، والعواطف الملوكية، واقل الاقسام الخلاص من هذه البلية، وعلمك قد احاط، يا اوثق مناط، الى شخص وحيد، بين ملازمى الخدمة فريد، لم يكن لى اخ سواك، وانت مشتكاى وانا مشتكاك، وهذا اوان الفتوة، وزمان المروة، وعدم التخلى عن الاخوان، والانبعاث بالهمة الثابتة الاركان، والسعى فى خلاص الصاحب القديم، من مخاليب هذا البلاء العظيم، واسالك بسالف الخدمة، والمودة ذات القدمة، ان لا تذكر ما سلف من التقصير الموجب للتلف، فانى معترف، انى للذنب مقترف، وانشد شعر

جاوزت فى اللوم حدًّا قد اضرّ به　　من حيث قدرتَ ان اللوم ينفعه

وانى اذا تفكرت، وتصورت ما وقع وتذكرت، وان كان قد مضى، يضيق بى الفضا، واغرق فى عرق الحيا، وتسودّ فى عينىّ الدنيا، فكانه فى هذا القبيل، عنى قيل، شعر

كانّ فوادى فى مخاليب طاير　　اذا ذُكِرَتْ ليلى يشدّ به قبضا

وهذا القدر من الايلام يَكْفى، فانى استحلى عنده مرارة حَتْفى، ثم علا زفيرُه وشهيقُه، وبدا من لهيب قلْبه بريقُه، ومن وادى جفنه عقيقُه، حتّى خيف عليه غريقه وحريقه، ورقّ له عدوُّه وصديقُه، وبكى لبكايه فريقه ورفيقه، وقال له اخو نهشل، اعلمْ ايها الاخ المفضّل، انى لم اقُل ذلك الكَلام، للعذل والمَلام، فضلا عن ايحاش قلب وايلام، لكن لمّا تالّم جنانى، أُجْرى الله ذلك على لسانى، ولم يكن لذلك الحديث باعث، ولا قصد عايث او عابث، ولكن وفور المحبّة وفرط الصدق، اوجب التلفظ بذلك النطق، وكيف لا ادرك دقايق هذه المعانى، وانا لها من ثمار فضايلك

جانبی، واما بذل الاجتهاد، من اهل الوداد، فهل يخطر ببالك، غير ذلك، وبابى الله والاخلاق الكريمة، وما علمته منى من همة وشيمة ونهمة وسيمة، وفواضل فضايل من فوايح خصايلك اقتبستها، وشوامل شمايل من روايح اصايلك احتبستها، ان اتخلف عن التعلق باعدابها، او اغلق ابواب مقاصدها فى وجوه طلابها، وانا ان لم ابذل مجهودی، واصرف موجودی، فى مساعدة خلی وصديقى، وصاحبى ورفيقى، واراعى حق المروة، والصداقة القديمة والاخوة، والا فای فايدة فى وجودی، لوالدى ومولودى، وطارقى وتلميدى، وصديقى وودودی، وقد قيل اربعة اشياء فرض عين، فى شريعة المروة على المحبين، وكذلك على الاحباب، وساير الاصحاب، الاولى المشاركة فى النوايب، وتعاطى دفعها من كل جانب، الثانية اذا ضل احدهم عن طريق السداد، يردونه الى سبيل الرشاد، ولا يتركونه على غير الصواب، بل يستعطفونه بالطف خطاب، الثالثة اذا صدر من احدهم نوع جفا، يتلافونه بالوفاء والصفا، ولا يتركونه على ذلك، ولا ينسون الوفاء القديم بالجفاء الحادث، فربما يتفرع على ذلك ما يوكده من العوايق والحوادث، الرابعة لا يواخذون المقصر فى حالة الغضب، بل يرجون عقوبته الى ان يطفى اللهب، فربما يتعدى بواسطة الغضب الحد، فيقع بسبب ذلك بين الاخوان نكد، ثم ان ابا نوفل، قال لاخى نهشل، المبادرة اولى الى التلافى، لئلا يسابق حسودى الى تلافى، وهذا المصاب انما جاء بغتة، واخذ قلوبنا واسماعنا بهتة، فاعمل فكرك القويم، وتوجه الى التدارك بقلب سليم، فقال ها انا اذهب الى الفوز بهذا المطلب النافع، واقوى العزيمة واجتهد فى دفع الموانع، واول ما ابتدى بقصد الملك، وانظر ما يصدر قولا وفعلا منه فى هذا الامر المشتبك، فابنى على ذلك ما يناسبه، واجاريه فيما يميل خاطره اليه ولا اجاذبه، ثم توجه الى الملك ودخل عليه، فوجد الدب جالسا بين يديه، وقد بلغه قصة النديم، وانه قد حصل به فى العذاب الاليم، فاغتنم الفرصة، وبادر ليتم على ابى نوفل القصة، ويتعاطى فى امره قصه وحصه، فاراد اخو نهشل ان يفتتح الكلام، ثم افتكر فى انه ربما يعاكسه الدب فى المرام، وانه اذا قام فى المناقشة، فلا يمكنه مقابلته بالمعارضة، وان سكت فالسكوت كالرضى، وان وافق فعلى غير مراده مضى، فامسك عن الكلام، وراى السكوت مقتضى المقام، ثم امعن النظر، واجال قداح الفكر، فراى انه ان فل المجلس، من غير ان يفصح بشى وينبس، ربما يفوت المقصود، او يسابق بالمعاكسة عدو او حسود، لا سيما مثل الوزير الرفيع الخطير، صاحب الراى والتدبير، وهو عدو قديم، وفى طرق الخزى نظيره عديم، واذا بارز الملك بكلام، ربما يقع من قلبه بمقام، كما قيل شعر

اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فيتلقاه الملك بقبول، فيصول كما يختار فى ميدان الفتك ويجول، فتتعقد الامور وتتعضد، وتتعقف الاخلاق الاسدية وتتعرد، فراى الاولى المبادرة فى الكلام، والوقوف فى مقام الشفاعة انسب بالمقام، فان عارض احد عرف ان جوهر كلامه عرض، وان اعتلق احد فى ذلك علم ان سبب علته مرض، ويعلم ببديهة العقول، ان شفاعته فى حق صاحبه اقرب الى القبول، لانها خالية عن الفضول، وانه ليس له غرض، ولا هى لاجل عرض، وكان الملك قد سمع كلامه، بعد معرفته مرامه، والقايه على ابى نوفل عذله وملامه، فكلامه بلا شك مقبول، وما لاحد عنه عدول، وكان الدب منتظرا خروجه

من عند الملك، حتى يختلى بالكلام معه وينهمك، فادرك اخو نهشل هذا المرام، فوقف فى مقام الدعاء وبادر بالكلام، وقال بعد اداء وظايف الدعاء، والقيام بما يجب من مراسيم الثناء، العلوم الشريفة، والآراء المنيفة، محيطة ان من عادات الملوك العظام، واخلاق السلاطين الكرام، العفو عن الجرايم، والاغضاء عن العظايم، لا سيما اذا صدر ذلك عن احد من المخلصين، والعبيد المتخصصين، على سبيل السهو والخطاء، لا على سبيل العمد والاجتراء، وانشد شعر

من ذا الذى ما ساء قط　　ومن له الحسنى فقط

وكان العبد الاقل، ابا نوفل، الواقع فى الخطر الخطير، المعترف بالذنب والتقصير، متوقع من صدقات مولانا الملك عفوها ومراحمها، وما اعتاده من حلمها الشامل ومكارمها، وتحتم على المملوك القيام بالشفاعة، دون ساير الخدم والجماعة، اذ كان رفيقا نديما، ومصادقا قديما، ولم يقصد المملوك بذلك الا سوق الحسنات الكثيفة، فى دفاتر حسنات الصدقات اللطيفة، وقصد الخير، وذهاب الاسى والضير، وانتشار صيتها فى الافاق والاطراف، بالعلم والحلم والعفو والصفح والفضل والعدل والالطاف، فلان الاسد من هذا الخطاب، وقد عرف ان قصد الشافع انما هو الثواب والصواب، فاطرق مليا، ولم يجر من الاجوبة شيا، فتاثر الدب الخبيث، والعدو القديم لهذا الحديث، وخاف ان يفوت المنا، وان يكون السكوت رضى، والاطراق علامة الحلم، والسكون فى الحرب دليل السلم، ومن فوت الفرصة، وقع فى غصة، ومتى يقع ابو نوفل المحتال، فى مثل هذا الاعتقال، وما اشرف مقال من قال، شعر

وان رايت غراب البين فى شرك　　فانبح وكل ودم الافراخ فى عنقى

وقد قيل شعر

اذا كانت الاعداء نملا فانهم　　اذا لم تطام اصبحوا مثل ثعبان

وناعيك برغوث اذا صدته ولم　　تجد فركه ابشر بليلة سهران

وبا ما تقاسى من اذاه وترصه　　على ضعفه ان صار داخل اذان

فانبرى وانبرم، وتصدى للمعاكسة ذلك البرم، وغطى دسايس لومه بنقوش الكرم، وقال اعلم ايها النديم القديم، واوفى خديم، انه الواجب على جميع الخدام، ان يكونوا فى الصدق متساوى الاقدام، ولا يقدموا على نصح الملك غرضا، ولا يطلبوا سوى رضاه على النصيحة عوضا، ولا يصادقوا الخاين، ولا يصدقوا المباين، ولا يواطئوا الخاطى، والمذنب المتعاطى، ولو بالكلام الواطى، ولا يخفوا الخيانة والجناية، ولا يرعوا فى ذلك ادنى رعاية، فمساعد السارق سارق، ومعاضد المارق مارق، والقيام مع الجانى جناية، واخفاء الخيانة نكاية، وفى هذا الكلام كفاية، ومن اعتذر عن جناية جان، لا سيما اذا كانت فى حق ملك او سلطان، فهو شريك فيهما، بل اعظم جرما من متعاطيها، لان عظم الجناية، يا ذا الدراية، انما هو بحسب المجنى عليه، وان ذلك الوهن عايد اليه، لا على مقدار الجانى، وانت لا تجهل هذه المعانى، ولهذا قال، بعض اهل الافضال، ان معاصى العباد، يا ذا الرشاد، ليس فيها صغيرة، وانما كل ما يخالف الامر كبيرة، وذلك بالنظر الى جناب الآمر، العظيم القاهر، تعالى وتقدس فقال اخو نهشل، كلام مولانا الوزير هو المفضل، وما اشار به هو الصواب المعدل، ولكن يا مولانا الوزير، علمك الخطير خبير، اننا كلنا محل الخطاء

والتقصير، ولا يسع الصغير منا والكبير، الا الحلم الغزير، والعفو عن كثير، وقل لى من هو البرى عن الهفوة، والذى لا يتوقع من الملك عفوة، وان لم تنفع الشفاعة، فى الجانى وذوى الخلاعة، ومخـالف سنة الجماعة، فالمحسن لا يحتاج الى شفاعة، ومن لم يجبر المكسور، وياخذ بيد العثور، فما يجد عند انكسـاره جـابرا، ولا اخذ بيده حين يعثر عاثرا، وقد قيل من مثلك الفضيل، وصاحب الادب الجزيل، شعر

اذا اصبحت فينا ذا اقتدار وامرك فى رقاب الخلـق جار
اقلْ واقبل عثـارا واعتـذارا فمن يقبل يُقَل عند العثار
فمـا زال الصغار تروم عفـوا وغفران الكبـاير من كبار

واحسن العفو يا ذا السلوك، عفو السلاطين والملوك، لا سيما اذا عظم الجرم، وكبر الاثم، فان العفو اذاك صادر، من ملك ذى سلطان قادر، مع قوة الباعث على المواخذة، وقدرة شاملة نافذة، وغير الملوك، من العاجز والصعلوك، عفوه انما هو عجز وخشية، او لتمشية غرض مشية، والملوك انما يوثر عنهم الخلال الحميدة، والخصال الشريفة السعيدة، فقد قسم الحكماء والحكام، ما يقع من الذنب والاثام اربعة اقسام، فاسمع ياكبير، هفوة وتقصير، وخيانة ومكروه، وحرروا ذلك وضبطوه، وذكروا لكل جزاء وقرروه، فجزآء الهفوة العتـاب، وبه نطق الكتـاب، وجزآء التقصير المـلامة، على ما اورث من ندامة، وجزاء الخيانة العقوبة، فان فى ارتكابها للعاقل صعوبة، واعظم بعقابها مثوبة، وما يرتكب المكروه، الا الغافل المعتوه، وجزاوه ايضـا مكروه مثله، وهذا على مقتضى العقل وعدله، والـذى صدر فى سـابق القدر من المتخلص ابى نوفل، انما هى هفوة بها زل، وجزاوه على هذا الحساب، انما هو العتاب، وقد استوفاه وزيادة، وفى هذا لمولانا الملك الارادة، فان شاء عـاقب على الذنب اليسير، وان شاء عفا عن الجرم الكبير، والهفوة لا يكاد يسلم منها الخواص، فضلا عمن هو فى شرك العبودية والاقتناص، ولان يوثر الفضل عن الملك، وعلى طرق عفوه يسلك الدرب المنسلك، خير من ان يوثر عنه لنفسه الانتقام، ويخلد ذلك على صفحات الايام، ولا شك ان سيرة العفو والفضل، افضل من القصاص والعدل، وذلـك هو الاليق بالحشمـة، والاوفق للحرمة، والاجدر لناموس السلطنة، والابقى على مر الـدهور والازمنـة، ولقد كان جماعة من عظمـآء الملوك والاكابر، يبتهجـون بمن يتعاطى الذنوب والاجـرام من الاصاغر، لا سيما لمن يتعرض لذات الملك ونفسه، ويستعين بطوايف على فساده من ابنآء جنسه، فاذا قدروا عليهم عفوا، وتلذذوا بالصفح والاحسان واشتفوا، وحسبك يا ابا جهينة، ومن فضله اعذب مزينة، واقعة ابن سليمان، المتخلدة على مسر الزمان، وما تضمنت من مكـارم الاخـلاق، التى تعطرت بها الافاق، فتوجه الاسد اليه وسال وقال اخبرنا يا ابا نهشل، كيف كان ذلك المثـل، قال لما انتهت ايام بنى امية، وتطرزت خِلَع الايام باعلام الدولة العباسية، واشرق بصبح طلعة ابى العباس السفـاح، فى دياجير الدهر ايمن صباح باحسن فلاح، اختفت نجوم افلاك بنى اميّة، وكـواكب من بقى من تلك الزواهر المضية، وكان منهم ابراهيم بن سليمان، بن عبد الملك بن مروان، وجعـل السفاح يتطلبهم، ويرغّب من يدرى بهم ويرهبهم، الى ان ظفر سليمان، وكان من امره ما كان، فحكى انه كان بالحيرة، مختفيا وهو فى حيرة، قال ففى بعض الايام، ترايت وانا على سطح سواد اعلام، فوقع فى

نفسي، وغلب على حدسي، انها بسببي، وقد جات بطلبي، فتنكرت في الحال واختفيت، وخرجت من الحيرة والى الكوفة اتيت، فدخلتها خايفا اترقب، ولم يكن لي فيها مترصد ولا مترقب، ولا صديق اركن اليه، ولا صاحب اعوّل عليه، فصرت في تلك البلاد، كالشاعر الذي انشد في بغداد، شعر

بغداد دار لاهل المال منعمة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق

ظللت حيران امشي في ازقتها ... كانني مصحف في بيت زنديق

فادّاني المسير، الى باب دار كبير، منظره جليل، وداخله دهليز طويل، ليس فيه احد، من الحجاب والرصد، فدخلت اليه، وبه مكان فجلست عليه، واذا برجل وسيم، جميل الشكل جسيم، على فرس جواد، معه طايفة من الاجناد، فدخل الى الدهليز من الباب، وفي خدمته غلمانه والاصحاب، الى ان نزل عن دابته، وانفرد عن جماعته، فلما راءني في وجيف، قال من الرجل قلت مخيف، على دم وقد استجرت بدبارك، ونزلت في جوارك، فقال اجارك الله، فلا تخف من سواه، ثم ادخلني حجرة لطيفة، تشتمل على اشياء ظريفة، قد جعلها مضيفة، فمكثت عنده حولا، اصول في نعمته صولا، واجول في مكارمه جولا، ولا يسئلني فعلا ولا قولا، بل كان يركب من الاسحار، وينزل اذا انتصف النهار، وذلك كل يوم، ولا ياخذه عن ذلك سنة ولا نوم، فسالته في بعض الايام، ونحن في اعلى مقام، عن ركوبه ونزوله، وموجب تنقله وحلوله، فقال ان ابراهيم بن سليمان، بن عبد الملك بن مروان، قتل ابي صبرا، واورثني لذلك نكدا وضرا، واوهج في فوادي لهبا وجمرا، وقد دارت على بني امية الدواير، وبلغني انه في الكوفة مختف حاير، فانا كل يوم اركب اليه، واطوف عليه، لعل الله تعالى يوقع به، لاشفي قلبي بقتله من كربه، فاخذ بثاري، واكشف عني عاري، واطفي لهبي، واخذ ثار ابي، قال ابن سليمن، فتعجبت من قضاء الرحمن، وكيف ساقتني ارجلي، الى شبكة اجلي، وامشاني القدر برجلي، الى من هو داير على قتلي، فاستحيت منه ومن الله، وكرهت عند ذلك الحياة، فسالت الرجل عن اسم ابيه، لاتحقق ما يبديه وينهيه، فاخبرني فعرفته، وتذكرت اني انا قتلته، فقلت يا هذا قد وجب علي حقك، وانا غريمك ومسترقك، وقد قرّب الله خطاك، وانا لك متمناك، فقال وما ذاك، فقلت انا ابرهيم، الذي على طلبه تهيم، وانا قاتل ابيك، فافعل ما يرضيك، وخذ بثارك، واطف نارك، واشف اوارك، فقال كانه ضال بك الجفا، واضر بك الاختفا، فاردت بالموت الخلاص، واعتللت بدعوى القصاص، فقلت لا والله، الذي علم السر واخفاه، بل قلت الحق، وفهت بالصدق، وخلاص الذمة في الاولى، اخفّ من قصاص الاخرة واولى، انا فعلت بابيك الاذى، في يوم كذا ومكان كذا بسبب كذا، قال فلما علم ذلك مني، وتحقق انه صدر عني، احمرت عيناه، وانتفخت شفتاه، وقامت عروقه، ولمعت بروقه، وازبدت شدوقه، واطرق الى الارض، وكاد ياكل بعضه بعض، وجعل يرجف ويرعد، وينهض ويقعد، ويزأر كالاسد، ويتململ كريشة تقلبها الريح في قاع البلد، واستمر على ذلك زمانا، يتامل ما يفعله اساة واحسانا، الى ان سكنت رعدته، وبردت همته، فامنت سطوته، وقهر جدي سورته، ثم اقبل عليّ، ورفع راسه اليّ وقال اما انت فستلقى ابي غدا، فيقتص منك جبار السما، واما انا فلا اخفر ذمتي،

واضيع جوارى وحرمتى، ولا يصل اليك مكروه منى، ولكن قم واخرج عنى، فلست آمن نفسى عليك، فانى لا اقدر بعد اليوم ان انظر اليك، ثم دفع الى الف دينار، وقال استعن بهما فيما تختار، فلم آخذها ولا نظرت اليها، وخرجت من داره ولم اعرج عليها، ولم ار اكرم، من ذلك الرجل ولا احلم، ولا اعظم مكارم منه ولا احشم، وانما اوردت هذه الحكاية، وقا الله مولانا الملك شر النكاية، ليعلم ان الذنب الكبير، يستدعى العفو الكثير، ممن قدره عظيم، وحسبه جسيم، ونسبه كريم، كما قيل فى محكم الكتاب الحكيم، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم فقال الوزير ناموس السلطنة وحرمتها، وابهة الملك وحشمتها، لهما شروط، كل منهما محرر محوط، لا بد من اقامة اركانها، وتشييد بنيانها، يجب على الملوك ذلك، ويفترض القيام به على سلاطين الممالك، والاخلال برعايتها وهن فى الولاية، فلا غنى عن العمل بها ومراعاتها احسن رعاية، فمن ذلك ان لا يسامح جماعة، ولا يغفل عنهم ولا عن كيدهم ساعة فساعة، ولا يركن اليهم فى اقامة ولا سير، فانه ما يصدر عنهم للملك ولا للمملكة خير، منهم من يُعزل عن منصبه، من غير وقوف لعزله على سببه، ومنهم من يوالى اعداء الملك، فانه ذو اجتراء منهمك، ومنهم من يراعى مصلحة نفسه، ويقدمها على مصلحة مخدومه فى حالتى رخايه وبأسه، ومنهم من يفشى سره، ولا يراعى خيره وشره، ومنهم من يطلب على خدمته مكافاة، فان لم يكافى ترك الموافاة، ومنهم من يتعرض لسقطة، لموجب سخطة، ومنهم من ينتقص حرمته، ويتهتك عظمته، ومنهم من ذو الطبع اللئيم، المفسد فى الحريم، ولا شك ان ابا نوفل، المهمل المغفل، قد ارتكب بعض هذه الصفات، وهو ملتبس ما فى هذه الحركات، وهذا يَدُلّ على لوم اصله، وشوم محله، وسوء طويته، وفساد نيته، ومن اكرم اللئيم فهو الملوم، وهذا امر معلوم، كما قيل

اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمرّدا

قال اخو نهشل الفقير، لا تقل ذا ايها الوزير، فان ابا نوفل عبد خديم، ومخلص قديم، وظريف نديم، ومحرّم صدوق، ومقدّم شفوق، امين ثقة، ذو وفاء ومقة، مجرب ناصح، وجليس صالح، لم يعلم مولانا الملك عليه الا الخير، ولم يزل يسير فى طريق العبودية احسن سير، ولم يطلع عليه بشى يشوبه، ولا يشينه فى داريه ولا يريبه، بل هو ملازم وظايف عبوديته، مباشر لما يجب عليه من شرايط خدمته، لم يصدر منه ابدا غش لمخدومه، ولا خروج عن امتثال اوامر مرسومه، فان صدر منه هفوة نادرة، او سهوة بادرة، او جفوة سادرة، فحلم مولانا الملك لا يقتضى، بل لا يرتضى، اطراح هذه الاوصاف المتعاضدة، لاجل هذه الزلة النادرة الواحدة، وقد قيل شعر

فان يكن الفعل الذى ساء واحدًا فافعاله اللاى سررن الوف

مع انه قد حصل له من كسر الخاطر، ومن احتراق القلب والجفن الماطر، ما لا يجبره الا العواطف السلطانية، والمراحم الشريفة الملوكية، ونظرة من الحنو والعطف، وذرة من الشفقة واللطف، تكفيه ومن الم الجفاء تشفيه، وبعد شدة الممات تحييه، والا فلا نعرف احدا، يجبر وهن ذلك المكسور ابدا، وللاراء السلطانية مزيد العلو، ولعالى مقامها درجات السمو والعطف والحنو، ثم

هشف قبلا على الدب، وقد حفر في طريق مكيدته لايقاعه الجب، اما انا مع قلة البضاعة، واحتقار مقامى بين الجماعة، اقمت نفسى بما وجب عليها فى مقام الشفاعة، ولا اقصّر منها ولا ارجع عنها، واحرزت خصل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها، واسال صدقات مولانا ابى اللمّاس، المساعدة فى انجاز هذا الالتماس، وان يكون شريكا فى احراز هذا الخصل، والوصول الى انواع الفضل من هذا الفضل، وان يرد عنا فتنة، ومن يشفع شفاعة سيئة، وارجو من وزير الممالك، ان لا تقع مخالفة فى ذلك، فان من سكن الكرم فى ربعه، ولا يصدر منه الا ما يليق بكرم طبعه، واللئيم يتكلّف بل يتعسّر عليه ويتعسّف، اذا شرع فى مكارم الاخلاق، وتعاطى منها ما لم يقسمه له مقسم الارزاق، فترى وجوه محاسنها، فى مكامنها، تستر منه بنقاب النشوز، وابكار خدورها الحسان فى قصورها تتراى لعينه الحولاء فى صورة اشوه عجوز، فلا يطاوعه لسانه فى طيب المقال، ولا يبعثه جنانه الى مباشرة حسن الفعال، كما قيل شعر

يراد من القلب نسيانكم وتابى الطباع على الناقل

والناس على دين ملوكهم، سالكون طرايق سلوكهم، وحيث كان مولانا الملك مجبولا من الشفقة الكاملة، والمراحم الشاملة، فكلنا يجب على ذمتنا، ويلزم ذمة همتنا، ان نتخلق باخلاقه العلية، ونتشبث باهداب شمايلها المرضية، ونتعاون جميعا على التزين بملابسة ملابسها البهية، ونستضى بل نهتدى فى دياجير المعاش بدرارى افلاك صفاتها الزكية، فان العبد فيما يتعاناه، مجبول من طينة مولاه، وان الله جل وعلا، لا يضيع اجر من احسن عملا، قال فالجم الدب الساقطة، بما فعله معه من المغالطة، ثم امسكوا عن الكلام، وانتظروا ما ذا يصدر من الضرغام، فلم يبد خطابا، ولا انبى جوابا، سوى ان قال، صلوا فى الرجال، ولا تبدوا ولا تعيدوا، ولا تنقصوا فى هذه القضية ولا تزيدوا، حتى امعن فيها النظر، واستشير فيها مصيب الراى والفكر، فمهما استقرّ عليه الراى، وارشد الى اتباعه هداى، اطلعتكم على سر حاله، وتقدمت اليكم بامتثاله، فلما انصرفوا توجه اخو نهشل الى الحبس، وذكر لاخيه ما جرى بينه وبين ذلك النحس، ثم قال له ابشر بالنجاح، والصلاح والفلاح، فقد رايت فى جبين الملك للفوز انوار الصباح، ولا شك ان الله الغفور، يجرى على يدى ولسانى من الامور، ما يجلب السرور، ويذهب الشرور، فكن اوثق صبور، وان حصل فى الطريق، عقبة تعويق، فلا يكن فى صدرك حرج، فان وراءها باب الفرج، لان الظفر مقرون بالصبر، والعسر مشفوع باليسر، وقد اجاد، صاحب الانشاد، شعر

اصبر على ما جرى من سابق قدما فراكب الصبر بالامهال يلحقه

فشكر له جميل سعيه، ثم عرض على مشير وعيه، فقال كنت ارى ان هذه القضية توخّر، ويرجى السعى فى امرها ولا يذكر، وسبب ذلك ان الطالع قد ادبر، والحظ عن المساعدة قد تاخّر، واذا تحرك الشخص والسعد ساكن، وتبسّم الدهر وهو باك، وطلب شكر مسالمته وهو شاك، فهو كقاطع البحر بالمراكن، والبانى على شبكة اماكن، لا يصلح له عمل، ولا ينجح له امل، فيشبه اذاك الحمار، المعصوب العينين فى المدار، يقطع بالمسير زمانه، ولا يفارق مكانه، كذلك من تعاطى الاعمال، والسعد غير عمال، فلا يستفيد، الا التعويق والتبعيد، ففى تلك الحال، ينبغى

الامهال، لا الاقبال، الى ان يتوجه السعد بالاقبال، فعند ذلك مد الشباك، وصد السماك، فان السعد اتاك، واندهر واتاك، وناعيك قصة كسرى القديم، مع وزيره بزرجمهر الحكيم، فسأل اخو نهشل، بيان ما نقل، اخوه ابو نوفل، فقال بلغني ان كسرى اراد التنزه، فثنى الى حديقة عنان التوجه، وطلب الحكيم بزرجمهر، وجلسا تحت دوحة زهر، على بُركة ماء، اصفى من دموع العشاق وانقى من قلوب الحكماء، ثم طلب طايفة من البط، لتلعب قدامه في البركة وتنغط، وجعل ينادم وزيره، ويتلقف منه حكمه المنيرة، ويتفرج على الطير وهو يلعب، ويتامل في انواع حكم الصانع القديم ويطرب، وصار يعبث بالخاتم في اصبعه، ويسرح في رياض الصنع سوايم منظره ومسمعه، فسقط الخاتم من اصبعه وهو ساه، وشاهد بزرجمهر هذا الامر فما ابداه ولا انهاه، فالتقمته بطة، وغطّت في الماء غطة، وكان فيه فص ثمين، وكسرى به من المغرمين، فلما سود قلم الاقتدار، بياض النهار، واكمل مشقه على قرطاس الاقطار، اذن كسرى للوزير بالانصراف، وقد اسبغ عليه نعم الالطاف والاسعاف، ودخل كسرى الى الحرم، وافتقد من اصبعه الخاتم، فلم يتذكر ما جرى له، ولا وقف على كيفية الحالة، فارسل يطلب الوزير البارع، وسال منه عن خاتمه الضايع، وكان الوزير قد نظر في الطالع، فراى ان الكلام في امر الخاتم غير نافع، فلو تكلم بصورة الواقع، ذبح جميع البط وما وجد لان الطالع مانع، فكتم امره وكلمه بكلام لحقيقة الحد جامع مانع، ثم انصرف وذهب، واستمر كسرى على الطلب، ولم يزل بزرجمهر يراقب الاوقات، وينظر في احوال الساعات، الى ان استقام الطالع، وزال من السعد المانع، وتيمن الفال، وحسن البال، وحال الوبال، فتوجه بزرجمهر الى خدمة مخدومه، واخبره بما كان مخفيا من امر الخاتم في جيب مكتومه، وانه سقط من اصبعه، وهو على البركة في موضعه، فبادرت بطة، الى الغطة، فاختطفته وابتلعته، بعد ما التقمته، فاحضروا البط جميعه، وذبحوا من عرضه واحدة بديعة، فوجدوا الخاتم في حشاها، ولم تحوج الى ذبح سواها، ثم سال كسرى الحكيم الاديب، لم لم يخبره بهذا الامر الغريب، في اول وقوعه وصدوره، وما موجب تاخيره، فقال كان اذذاك الجد في انعكاس، والسعد في انتكاس، والطالع في سقوط، والنجم في هبوط، واما الآن فالطالع استقام، والسعد كالخادم اقام، ونجم السعود قد حال، عنه الهبوط والوبال، وفي استقامة السعد، واقباله من بعد، يفعل الشخص ما شا، فالدهر معه جار سواء جارا او ماشا، وانما اوردت هذا التنظير، لتعلم ان معاندة التقدير، امرٌ خطير، وخطب عسير، فربما يفرغ الانسان جهده في المبالغة، ويكون الامر فيه ممانعة ومراوغة، فينعكس المرام، ولم يحصل سوى اضاعة ايام، ولم اذكر هذه المفاوضة، الا على سبيل العرض لا المعارضة، لما اعلم منك من وفور الفضيلة، وان مقاصدك على كل حال جميلة، قال اخو نهشل الامر كما زعمت، واشرت به ورسمت، ولكن اختشيت ان لم ابادر، يسبقني عدوّ غادر، او حسود ماكر، او مبغض مكابر، فينهي الى المسامع، ما ليس بواقع، فلم نشعر ايها البطل، الا وقد ولج قلب الملك انواع من مكر ودخل، فيصير كما قيل شعر

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

لا سيما وقد تقرر في الامثال، عند غالب الرجال، ان الدعوى لمن سبق، لا لمن صدق، وبالجملة يا ابا عويلة، اذا كانت مقاصد الشخص جميلة، فان الله تعالى ينجحها، ولا يفضحها، ويدبرها، ولا

يدهرها، وان كان في الظاهر، وعند البادى والحاضر، يظهر في بعض القضايا نوع غم وغم، لكن ذاك السر لم يقف عليه الا مدبر العالم، واذا فوض الشخص الامور، الى العزيز الغفور، الذى هو مدبر الطالع والغارب، وفى الحقيقة رب المشارق والمغارب، وعلم ان مقاليد الامور بيد تدبيره، وان ملوك الارض تحت تصريف تقديره وتسخيره، استراح في كل المطالع، واخلص التوكل فنجاه الله من كل الوقايع، واوصله الى ما رام من المطامع، وحسبك قصية الناصح الاستاد، مع الخاين جاسوس بغداد، وهى طويلة ضايلة، في مجلدة كاملة، وايضا لم ابادر بمفاتحة السلطان، في امرك يا اعز الاخوان، الا ليلا انسب الى تهاون وتوان، وما من شروط المروة، والصداقة والاخوة، ان يتخلف الفطن، في مثل هذا الموطن، عن مساعدة الاصحاب، ومعاونة الاحباب، لا سيما صديق مثلك، وحبيب متسم بفضلك، وانى لا ادع من انواع الاجتهاد، وما يحسن بيانى في الاصدار والايراد، شيا الا فعلته، ولا امرًا الا قدمته، ولا فكرا الا استعملته، ولو بذلت في ذلك روحى ومالى، وخيلى ورجالى، وانى مباكر باب الملك، وملازمه كاحسن من سدك، فان رايته مكرما مقامى، مصغيا الى كلامى، خاطبته بما يليق، وسلكت في الشفاعة وحلو العبارة اوضح طريق، وان شاهدت في خلقه شكاسة، وفى طبعه شراسة، وصعوبة وشماسة، سلكتُ سبيل حسن السياسة، وفى الجملة استعمل علم الفراسة، وفى كل حكم نظيره وقياسه، واستعين بالاقرباء والاوداء، واغالط المعارض والمناقض من الاعداء، واقصد النجح واراقبه، واراقب السعد واخاطبه، واسلك مع كل احد ما يناسبه، فالعدو اقتله، والحسود اختله، والعذول اقتله، والمحب احتله، والمبغض ابتله، ومن تصلّب في المدافعة امتله، الى ان ينقضى هذا الامر، وينطفى منه الجمر، ويقبل مبشر الامانى بالطبل والزمر، ثم انه بات مفكرا، وبادر الصباح مبكرا، وام ابواب السلطان، قبل ساير الخدم والاعوان، فوجد الدب قد سبقه، وجلس من عين المكر في الحدقة، وقد فوق سهم الكيد، وصوّبه الى شاكلة الصيد، ولم يبق الا اطلاقه، ليشق من المرمى وثاقه، فقبل النديم الارض واعلن سلامه، وقطع على ابى حميد كلامه، وعارض ملامه، وناقض مرامه، وقال ادام الله ايام السعادة، واعوام الحسنى وزيادة، المستمدة من بقآء مولانا السلطان، وعمّ دهره المتخلّد على تعاقب الزمان، واوطى قمم الامم مواطى قدمه، واطاب بتطييب حيوته معايش عبيده وخدمه، كانت المواعد الشريفة، والاراء المنيفة، سبقت بالتسامل في امر عبدهما القديم، وخديمها الفقير العديم، وجالب سرورها ابى نوفل النديم، مع ما كان لايحا، وعلى صفحات الرضى واضحا، من شمايل الاخلاق الملوكية، ومكارم الشيم السلطانية، ان مراحمها ستاخذ بيد العاثر، وتقيل عثرته بحسن الماثر، بحيث يشرح الخاسر، ويربح الخاسر، والمملوك يسال مراحمها، ويرجو مكارمها، ان لا تخيب ظنّه، وان تجبر بتحقيق ظنّه وهنه، وان تجرى مماليكها وعبيدها، على ما عودها من الصدقات قديمها وجديدها، ثم انشد، والى الرضا ارشد، شعر

ارجو ابا العباس ان يروى لنا عن ثغره الضحاك نورٌ يقتبسْ
فاقرا تبسم ضاحكًا من قولها متهللا نحوى ولا تقرا عبسْ

فتبسم ابو العباس ابتسامة، ظهرت منها للرضى علامة، فاشتعل الدب من الغيظ، وكاد يتمزق من الغيظ، وعلم ان عقد امره انفرط، ونجم سعده من فلك السعى سقط، وانه لم يكتسب من

مكايد القساوة، الا هاتك العداوة، وانكشف عند مالكه ما وطاه من مغطى، وقرا كل احد حديث ذلك الموطا، وغلب عليه الوجد في الحال، فخرج عن دايرة الاعتدال، وسكر من خمرة العداوة فطفح وشطح وعربد فقال كل من ستر على اعدآء الملك، فهو في الخيانة والجناية مشترك، وكل من شفع في الجانى، فهو في قيد العصيان عانى، بل هو اشد من المباشر، اذ هو معاشر للمتعاطى ومكاسر، والابقاء على المعصية شرٌ منها، والرضى بكفر الكافر فتنة يفرّ عنها، وما اظنك ايها النديم، العارف القديم، لمعرفة هذا القدر عديم، فان ابيت الا الاصرار، ومساعدة الفجار، ومعاونة الاشرار، فانت حينئذ مستخف بهيبة ولى نعمتك، منتقص حرمة مالك رقبتك، طالب لابتذاله، مستهون بمقام جلاله، راض بتسليط الانذال، والاوغاد الارذال، على انتهاك حرمته، وابتذال استار حشمته، ونحن لا نرضى بهذا الدمامة، ولا كيد للمتخالف ولا كرامة، فعند ذلك استشاط الغضنفر، وتاثر لكلام الوزير وتغيّر، وزار وهمر، وزئر زئرة وزمجر، وكاد ان يثب على ابى جمهر، ثم انه تماسك، وتناسى الغدر وتناسك، وقال يا ابا سلمة، كبرت كلمة، غيبة الاصحاب، والنميمة بين الاحباب، وساءت حركة، وبئست ملكة، تناسى الحقوق، وتحاسى العقوق، واطراح جانب الصديق الصدوق، والرفيق الشفوق، واضاعة خدمة الخديم، لا سيما النديم القديم، ولم تزل الاصاغر، تستمطر مراحم الرؤساء والاكابر، ولم تبرح الملوك، تعطف على مسكينها الصعلوك، انسيت ما قلت لك، في حقيقة من ملك، وهو شعر

ليس المليك الذى تشقى رعيته وانما الملك مولى يحفظ الخدما

وايضا لم تزل الاصحاب تساعد اصحابها، وتستعطف عليها ملوكها واربابها، وترفع بحسن السفارة من ساير الدهشة حجابها، ويثبتون بذلك الاجر العظيم، والثواب الجسيم، والثناء العاجل، والجزآء الآجل، في صحايف مخاديمهم، ويعدون ذلك اعظم معاليمهم، ويبذلون في ذلك الجهد، ويبلغون فيه غاية الكد، وذلك مما يجب عليهم، ويتقدم بالمحافظة عليه اليهم، وقد قيل شعر

يستعطفون الاكابر، يستعبدون الاصاغر يحيون رسم الاوايل، يعلمون الاواخر

واى فايدة واستفادة، ايها الوزير ابا قتادة، في رعية ملك لا تتفق قلوبهم، ولا تستتر بينهم عيوبهم، ولا تطهر بالصفاء جيوبهم، ولا يتساوى في الوفاء حضورهم وغيوبهم، تراهم في الغيبة يغت بعضهم بعضا قتا، ويرعون لحومهم قتا، كبهايم لاقت في مرعاها قتا، وفي الحضور تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى، ثم ان كان اخو نهشل، ساعد اخاه ابا نوفل، فذاك شى يجب عليه، ويندب اليه، فانه صاحبه القديم، وجليسه القويم، وان تخلى عنه، فما ذا يرجى منه، وحجر النوايب هو محك الاصحاب، وجمر المصايب يظهر من تبر الصداقة اللباب، وقد قام في هذه النوايب، بعدة اشياء كلها عليه واجب، اولها القيام بحق اخيه، والسعى في خلاصه من هذا الامر الكريه، ثانيها ساق الى صحايفى الحسنات، وقصد لى رفع الدرجات، ثالثها طلب رضا خاطرى، وما يشرح صدرى ويسر سرايرى، رابعها مباعدتى عن الاثام، وخلاص ذمتى من الوقوع في الحرام، فربما يحملنى العنود، والخلق الشرود، على التعدى في الحدود، خامسها اشتهار اسمى بالفضل، وعدم المواخذة بالعدل، فيشيع في الافاق، عنى مكارم الاخلاق، سادسها انتشار صيتى بحسن الوفاء، والقيام بحقوق الاخوان وعدم الجفاء، سابعها انه غرس في قلوب الاماثل محبته، وزرع في ارواح الافاضل مودته، وان كان صدر

من ابى نوفل ما صدر، فانه اعترف بالذنب وعنه اعتذر، فنعمل معه بالظاهر، والله تعالى يتولى السراير، كما قيل شعر

اقبل معاذير من ياتيك معتذرا ان برّ عندك فيما قال او فجرا

فقد اطاعك من ارضاك ظاهره وقد اجلك من يعصيك مستترا

ولو بلغت هذه الحكاية، غاية الشر ونهاية النكاية، ما تدانى واقعة الملك الصافح، عن عدوه المؤذى المسافح، فقبل الدب الارض، وقام فى مقام العرض، وسال الملك بيانها، ليعلم بحسن التصريف فرزانها، ويقيس عليها اوزانها، فقال ذكر ان بعض السلاطين، تصدى له عدو من الشياطين، يحرض عليه الاعادى، ويفسد عليه الحاضر والبادى، ويجتهد فى اقامته ومسيره، فى ازالة الملك عن سريره، ويغرى به العساكر، فيقابله ظاهرا بالنواكر، وباطنا بالمواكر، وما فسد منه ما فسد، الا بدواعى الحقد والحسد، فجعل الملك يسترضيه بالهبات فلا يرضى، ويستدنيه بالصلاة ولا يزيده صلاته الا بعدا، كما قيل

الى كم يدارى القلب حاسد نعمة اذا كان لا يرضيه الا زوالها

فاضطر الملك من اموره، واشتغل لايقاعه بنذوره، وجعل ينصب له شرك الوقيع، ويجتهد فى ايقاعه بكل دان وشاسع، وذلك الباغى احذر من الغراب، واسهر من طالع الكلاب، والملك لا يقرّ له قرار، ولا يطيب له عيش بالليل ولا بالنهار، فكان من احسن الاتفاق، ان علق ذلك الطاغى ببعض الاوهاق، فحمل الى حضرة الملك، وهو فى قيد البلاء مشتبك، فلما راه فى قيد النكد، بادر الى الارض فسجد، وقال الحمد لله المغيث، حيث امكن منك اى خبيث، اترى هذا فى المنام، فهو اضغاث احلام، ام سمح الزمان، باهل العدوان، وانا يقظان، ثم شرع فى السب والتجديع، والتوبيخ والتقريع، واقسم بفالق الاصباح، وخالق الارواح، ورازق الاشباح، ليفعلن مع ذلك النباح، من النكال والجراح، ما فعله المصطفى صلى الله عليه وسلم مع سواة اللقاح، وليذيقنه كاس الباس، وليجرعنه من خمر المنية امقر كاس، ثم امر الجلاد، ان ياتيه بما له من النطع والسيف والعتاد، فعلم ذلك الزنديق، انه وقع فى المضيق، وانه لا ينجيه اخ ولا صديق، ولا افتداء بشقيق، ولا حميم وشفيق، فضلا عن مال ومنال، او خيل ورجال، فلما غسل يده من العيش، استنبوته الخفة والطيش، فشرع فى السباب، ودخل من انشتم فى كل باب، ورفع بفاحش الكلام الصوت، وقال ما بعد الموت موت، فسال الملك احد الوزراء، ما ذا يقول من الافتراء، هذا الظالم المجترى، الباغى المفترى، فقال يدعو بدوام البقاء، ورفعة مولانا الملك والارتقاء، ويقول ما احسن العفو عند المقدرة، واللطف والكرم ايام الميسرة، وان لم يكن ثم مجال للمعذرة، ولو جعل العفو شكر القدرة كان اولى، واعلى مقاما فى مكارم الشيم واحلى، كما قيل شعر

ما احسن العفو من القادر لا سيما لغير ذى ناصر

ويترحم على اسلاف مولانا السلطان، الذى كان شيمتهم العفو عن ذوى العصيان، وكان ذلك منتهى لذتهم، وغاية امنيتهم، وما اجدر مولانا الملك ان يحيى مكارم سلفه،

ويجعل العفو كلمة باقية في خلفه، ولا زال يقول، من هذا المقول، حتى لان له قلبه القاسى، ورق قلب الملك الجاسى، فامر باطلاقه، ومنّ عليه باعتاقه، وكان احد الوزرآء، واركان الامراء، شخص يعاكس هذا الوزير، ويناقضه فيما يراه ويشير، وبينهما مرّت اسباب عداوة، احلى في مذاق طبعهما من الشهد والحلاوة، كل مترصد للاخر زلة، متوقع لايقاعه في شبكة البلاء غفلة، فحين راى شقة الحال، نسجت على هذا المنوال، وجد فرصة للمقال، فتقدم وقال، ما احسن الصدق وايمن كلام الحق، خصوصا في حضرة المخدوم، وهذا امر معلوم، عدو مبين، وحسود مهين، لم يترك من انواع العداوة شيا الا تعاناه، ولا من الشر والافساد صنفا الا وعيّاه، قد اهلك الحرث والنسل، وبدل جنتى الصلاح من الفساد بخمط واثل، الى ان امكن الله تعالى منه، وحان تفريغ الخواطر الشريفة عنه، ثم انه في مثل هذا المقام، بين الخواص والعوام، يثلب الاعراض، من الامراض، ويجهر بالسوء من القول، ويصرف في الخناء وانسب ما له من قوة وحول، كيف يحل السكوت عن جرايمه، وتغطية مساويه وعظايمه، فضلا ان تتجلى سياته في خلع الحسنات، وتتحلى شوهاء سواخط ادعيته بملابس احسن الدعوات، ومع هذا يطلب له التوقع والخلاص، والاطلاق من شرك الاقتناص، وهو على ما هو عليه، من الاساءة المنسوبة اليه، ام والله يا مولانا الامام، والسلطان الهمام، ما قال الا كذا وكذا من قبيح الكلام، وتناول العرض المصون بالسب والدعاء والملام، فتغير خاطر الملك وتشور، وتعكر صافى خاطره وتكدر، ثم قال ايها الوزير ذا الصدق في التحرير، والله وحقك، ان كذب هذا الوزير عندى خير من صدقك، فانه بكذبه ارضانى، والى طريق الحق هدانى، واصفى خاطرى من الكدر، واطفا ما كان تلهب من غيظى من شرر، ونجانى من دم كنت اريقه، ولا يهتدى الى كيفية استحلاله طريقه، فاصلح بذلك ذات البين، وصار المتعاديين احسن محبّين، وخلّد ذكرى بجميل الصفات، وسلك بى طريقة اجدادى الرفات، واما انت فكدرت عيشى، واثرت غضبى وطيشى، واسمعتنى الكلام المر، ومسّنى منك الضرّ، واما انا فقد اعتقت هذا واطلقته، فلا ارجع في ايذايه وقد اعتقته، وقد ثبت لهذا الوزير علىّ حقوق، لا ينكرها الا ذو عقوق، ولا يسعها الاوراق والرقوق، فكذبه عندى خير من صدقك، وباطله احلى على قلبى من حقك، ولهذا قال ذو الافضال، ما كل ما يعلم يقال، وانما اوردت هذا الكلام يا كرام، لتعلموا ان السلطان بمنزلة الامام، واركانه تبع له في القعود والقيام، ولا يتم الايتمام، الاّ بالاتفاق، بين الرفاق، فاذا كان الجماعة مجتمعين، طايعين لامامهم مستمعين، استقام القيام، وانتهوا من جميل التحيات الى السلام، ولا يقع لهم انتظام، مع مخالفتهم لحال الامام، هذا قايم وهذا قاعد، وهذا راكع وهذا ساجد، وهذا نايم، وهذا هاجد، وايضا السلطان بمنزلة القلب والراس، وبمنزلة الاعضاء روساء الناس، وباقى الرعية خدم للراس والاعضاء، منتظرين لما تبرز به المراسيم من الزجر والامضاء، فاذا اتفقت الاعضاء واصطلحت، انتظمت امور كل من الراس والرعية وانصلحت، واذا وقع اختلاف وتباين في الاعضاء، صار كل من الراس والقلب والرعية مرضى، ولقد صدق من قال صلى الله عليه وسلم وارضى، المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وخلاصة هذا الكلام، ان قصدى ان تكون احوال رعيتى على النظام، لا يقع بينهم شقاق، ولا تنافر ونفاق، واما ابو نوفل فيكفيه حياوه وخجلته، فقد انتهت وتمّت عقوبته،

واخذ حذّه حذّه، ولا يليق بكرمى ان ارده، وهذا الذى ورثته عن اسلافى، وهو الخلق اللايق بمحاسن شيمى واوصافى، فلما سمع الوزير هذا الكلام، وجرح فواده نصل هذا الملام، ندم غاية الندم، وعلم انه قد زلت به القدم، وانه لا حاجته قضا، ولا على صديقه ابقا، ولم يستفد بما ابداه من تهجم، سوى اظهار معاداة ابى النجم، وانه ان تخلص من حبسه وكربه، ورجع عند الملك الى منادمته وقربه، لا بد ان يتصدى لمعاداته وثلبه، ولا يفيده بعد ذلك افعاله، ولا يسمع فى ابى نوفل اقواله، فانصرف من عند الملك الطيشار، لا يدرى اين يضع قدمه من الافتكار، حتى وصل الى منزله، واختلى فى فكره بعمله، وذرع للمتخلص من هذه الورطة طرقا، وتفرقت روّاد افكاره فى منازل الخلاص فرقا، فادّى مصيب الرواد من الارآء، ومفيد القصاد من السرّآ، الى السعى فى مصالحة ابى نوفل، وازالة ما وقع من الغبار فى وجوه الصداقة فتخلل، ثم ادى افتكاره، واورى من زند رايه شراره، الى ان الذى وقع منه قد اشتهر، وعلم به اصحاب البدو والحضر، فاذا ناسب من بعده الصلح، فذلك فى غاية القبح، اذ كل من فى حجره حجز، يتحقق ان ذلك خور وعجز، فصار يتردد بين هذه الأفكار، ويتامّل ما فيهما من تحقيق الأنظار، وتدقيق الأسرار، فبينما هو فى لجج الافتكار، يلطمه الموج ويصدمه التيار، دخل عليه صفى صافى الوداد، وهو ظبى اغرّ يدعى مبارك الميلاد، ذكى الجنان، فصيح اللسان، دقيق النظر، عميق الفكر، ذو راى صواب، وشفقة كاملة على الاصحاب، فراه مطرقا الى الارض، فى فكر ذى طول وعرض، فسلّم عليه، وتقدم بالسوال اليه، عن تشوّر باله وتوزّع حاله، فطلب الوقوف على ما نابه لينظر فى عاقبة مآله، فاخبره بموجب ذلك، وانه قد سدت فى وجهه المسالك، فقال مبارك الميلاد، يا صحيح الوداد، انت قد زعمت ان مولانا السلطان، ترك ابا نوفل الندمان، واطرحه اطراحا لا رجعة فيه، وانه بعد اليوم لا يذكره ولا يدنيه، او ان عثرته لا تقل، وغصته لا تزول وقصته لا تزال، هيهات، يا ابا النزهات، الملوك ان لم يعرفوا حقوق خدّمهم، ولم يثبتوا فى ديوان احسانهم قدم قدمهم، خصوصا هذا الملك العظيم، الذى انفس شيمه تحيى العظم الرميم، ونحن قد رجينا عمرنا فى خدمه، واذاقنا برد عفوه وحلاوة كرمه، وغدا ارواحنا انما هو غوادى حلمه، وروايح شيمه، مع ان ابا نوفل، لم يقع فى محذور معضل، يوجب تناسى نعمه، وابتذال حرمته وحرمه، وانه استغفر واناب، واعتذر وتاب، واعلم ايها الوزير الاكرم، ان ذوى النهى والحجر، اذا ارادوا الشروع فى امر، يتاملوا فى مبداه، غايته ومنتهاه، وهذا التقرير، كالجلوس المقصود من عمل السرير، فانما تنبعث لصنعته النفوس، اذا علمت بحصول الرفعة عليه من الجلوس، وقد قيل شعر

فهياك والامر الذى ان توسعت　　موارده ضاقت عليك مصادره

امّا بلغك يا اخى واكرم سنخى، حكاية التاجر البلخى، قال الوزير، اخبرنى بكيفية هذا التنظيم، قال مبارك الميلاد، بلغنى من احد العباد، ممن نقل الميلاد، انه كان فى مدينة بلخ تاجر، كثير العروض والمتاجر، عريض المال والجاه، غزير الضياع والمياه، تكاثر نقوده الرمال، وتباهى خزاينه معادن الجبال، وتفاخر جواهره درر البحار، وتسامى بضايعه تلال القفار، تراجع عنه الحظ، وعامله الزمان بعادة طبعه الفظ، وادبرت عنه من الدنيا القوابل، ونزلت بساحة موجوده بالاعدام

النوازل، ووّلت وفود معايشه فكادت تقدّ السلاسل، فصار كلما عامل معاملة انعكست عليه، حتى نفد جميع ما بين يديه، فلم ير لنفسه الا التغرب عن وطنه، والاقامة في سكن غير سكنه، فاخذ بعضا من المال، وخرج من بلاد الشرق الى بلاد الشمال، وداوم في الارض على الضرب، حتى انتهى الى بلاد الغرب، فاقام بها دهرا، يتعاطى معاملة وتجرا، الى ان زاد ماله واثرى، ورجع اليه، بعد ما ذهب من يديه، ثم اشتاق الى بلده، ورؤية زوجته وولده، فتجهز اليهما، وسار حتى نزل عليهما، واراد الدخول الى داره، فاوقفه مشير افتكاره، الى اعمال النظر، في حادثات القضاء والقدر، شعر

للكون دايرة من قبلنا صُنعت لا في تصيق ولا من دهرك اتّسعتْ

والسر في جيب غيب الله منكتم فلست تدرى يد التقدير ما صَنَعتْ

فراى ان يدخل مسيا، متنكرا مختفيا، ويتوصل الى داره، ويتجسس احوال كباره وصغاره، وما حدث عليهم من الحوادث، وتقلبات الزمان العابث، فتوجه لما اظلم، الى داره وهو يترنم، شعر

بالله قل لى خبّرك فلى زمان لم اركْ

الى ان وصل الى الباب، وما عليه حاجب ولا بواب، فراى الباب مقفلا، والقنديل عليه مسبلا، وكان يعرف للسطوح دربا خفيا، فاستطرق منه وارتفع مكانا عليا، واشرف من الكوة، فراى ربة البيت المرجوة، فوق سرير الامان، معانقة فتى من الفتيان، كانهما لفرط العناق، كانا ميتين من الم الاشتياق، فبعثتهما قيامة التلاق، فتلازما والتفت الساق بالساق، ولسان حال كل منهما، يروى عنهما، شعر

عانقت محبوب قلبى حين واصلنى كانني حرف لام عانقت الفا

فتبادر الى وهمه، لغيبوبة عقله، ان ذلك الشاب الظريف، معاشر حريف، افسد زوجته، مغتنما غيبته، وانه في تلك الليلة، استعمل قوله، شعر

لا تلق الا بليل من تواصله فالشمس نمامة والليل قوّاد

فسل السكين، وقصد قتل ذلك المسكين، وصمم على النزول الى البيت، واثارة الفتن بكيت وكيت، ثم استتاب وهمه، واسترآب عقله، واخذ يتفكر، ويتامل ويتدبر، واستحضر احوال قرينته، وانها في العفة مجبولة من طينته، وانه لم يعلم عليها الا الخير، وعدم ميلها عن حلالها الى الغير، وطلب قبل الفضيحة، لزوجته طريقة ممدوحة، فان مدة غيبته طالت، وزوجته ان كانت خانتها حالت، فلا بد اولا من الوقوف عليها كيف استحالت، ثم كفّ عن الذبح، ونزل من السطح، وقصد جارة داره، ودارة جاره، وطرق بابها، واستنطق كلابها، فخرجت اليه عجوز، كانت الى داره تجوز، وسالت من هو وما مراده، ومن اين اصداره وايراده، فقال انى رجل غريب، ليس لى بهذه البلدة قريب، وبلادى ارض مكة، كنت اتردد الى هذه السكة، واعامل التجار، وان في هذه المحلة لى مجير وجار، من التجار، كنت اوى اليه، وانزل في قدومى عليه، اسمه فلان، وقد مر

عليّ زمان، وعاقني عنه نوايب الحدثان، والان قدمتُ الى هذا المكان، وقد قصدت داره، ولا ادرى اى الجراد عاره، فلم اعرف له خبرا، ولا رايت له عينا ولا اثرا، فهل تعرفين كيف حاله، والى ما ذا آل مآله، فقالت نعم، زالت عنه النعم، والجاته الحال، الى الترحال، فرحل منذ سنين، وكنا فى جواره من الآمنين، وانقطع عنا خبره، وعن زوجته عينه واثره، وضاق عليها منتشره، فدعتها الضرورة والاعدام، الى عرض حالها على الحكام، فاذن لها قاضى بلخ، فى ابطال نكاحها بالفسخ، ففسخت نكاحها واعتدت، وطلبت نصيبها واستدت، ولقد اوحشنا فراقه، وآلمنا اشتياقه، غير ان زوجته قامت مقامه، وافاضت علينا احسانه وانعامه، وفى متشوقة الى رويته، متشوقة الى مطالع طلعته، متلهفة على ايام وصاله، متاسفة على ترشف زلاله، فلما وقف على صورة الحال، سجد شكرا لله ذى الجلال، وحمد الله على الثبات، فى مثل هذه النايبات، وانما اوردت هذا المثال، لتعلم فضيلة التامل فى المآل، والتفكر فى عواقب الاحوال، قال الدب دعنا من هذا الكلام، والاخذ فى الملام، واسعدنى فى التدارك، فانك نعم المشارك، قبل انفلات العنان، وانقلاب الزمان، وخروج زمام التلافى من انامل الامكان، وانتقال حل عقدته من اللسان، والبنان الى الاسنان، فقال مبارك الميلاد، الراى يا ابا قتاد، المبادرة الى الصلح والصلاح، ليحصل النجح والفلاح، والاخذ فى المصافاة، وسلوك طريق الموالاة، والعمل به باطنا وظاهرا، والاستمرار عليه اولا واخرا، ومحو اثار العداوة، وتناسى اسباب الجفاء والقساوة، واستيناف المودة الصافية، والمحبة الوافية، وصرف الروح نحو دروس فقه الخلة الكافية والشافية، حتى يقول من راى وسمع الحمد لله آلت العاقبة الى العافية، واعلم انه لا يصفو لك صاحب، وخاطرك للتكدر عليه مصاحب، ولا يخلص لسك صديق، ولبن خلوص محبتك اياه مذيق، والقلوب فى المحبة تتجازى، ان حقيقة فحقيقة وان مجازا فمجازا، وكل شى بمقدار وميزان، وكما تدين تدان، وقلما يوجد من تحبه ويبغضك، وتربه ويرفضك، وتصفو له ويتكدر، ولا تتغير عليه ويتغير، ودونك يا ذا الكرامات، ما قاله صاحب المقامات

وكِلتُ للخلّ كما كال لى   على وفاء الكيل او بخسهِ

وقال، من احسن مقال

والعين تعرف من عينى محدثها   ان كان من حزبها او من اعاديها

وانا ما اقول هذا الكلام، الا من قول خير الانام، عليه افضل التحيات واكمل السلام، الارواح جنودٌ مجندة، فما تعارف منها ايتلف، وما تناكر منها اختلف، وانما يقع التعارف من الجهتين، والتناكر من الطرفين، ولا تغالط نفسك، وتكابر حسك، ان يحبك من تكرهه، ويزينك من تشوهه، و يقربك من تقصيه، ويقيمك من ترميه، ويرفعك من تضعه، ويأخذ بيدك من تدفعه، كما قيل، فى الاقاويل، شعر

والناس اكيس من ان يمدحوا رجلا   ما لم يروا عنده اثار احسان

واعلم ان غالب الاخوان، فى هذا الزمان، مسلوب الانسانية وان كان فى زى الانسان، من احسنتَ اليه اسا، ومن ترفقتَ له قسا، ومن نفعتَه ضرك، ومن امنتَه غرك، ومن سكنت اوامه بزلال فضلك حرك، وقد اجاد، صاحب الانشاد، شعر

جزى الله عنا الخير من ليس بيننا ولا بينه ودّ ولا نتعارف
فما سامنا خسفا ولا شفنا أذى من الناس الا من نودّ ونالف

واذا كان هذا فيمن تحسن اليه، وتسبغ ملابس افضالك عليه، فكيف يكون حال، من تضمر له النكال، وتتمنى وقوعه فى شرك العقال، انّى تراه يصفو لك، ويتقاضى سولك ومامولك، وهو مترقب غيلة غولك، متوقع منك ان يصير مقتولك، فما ذا عسى تبلغ منه سوالك وسولك، وترى من محبته ومودته مومّلك ومحصولك، وانما اوردت هذه المقامات، وان كانت من فضلات علمك ورشحات قلمك اتتنا متقدمات، الا لتتعاطى اسباب الصلح اولا فى نفسك، ثم تستعمل الوسايط فيه من ابنآء جنسك، وتنسى قبيح المقصود، ويصفو الورد والمورود، كما قيل

فان القلوب مرايا الصفا كما السيف مرآة وجه الذوات

قال الدب انا القى اليك الزمام، فى هذا المقام لنيل المرام، الى يد تدبيرك، واكتفى فى رعى رياضه برايد رايك وتقديرك، فان فكرك نجيب، وسهم رايك مصيب، فافعل ما تختار، واذقنا من ارى رايك المشار، فقال تقسم اولا باللطيف الخبير، انك اصفيت الضمير، من الغش والتكدير، وكرعت من موارد الصفاء الزلال النمير، ونفضت يد المودة والاخاء، من علاقات البغضاء والشحناء، حتى يجيب سعيى، ولا يخيب دعيى، وابذل مجهودى، فى نيل مقصودى، وابنى على اساس، واسلك مع الناس مسلك الناس، فبادر الى اليمين باليمين، واشهد عليه الكرام الكاتبين، انه صقل مرآة محبته من صدا المداهنة، وجلا طريق مودته عن غبار المباينة، وانه يكتفى من غدير الغدر بما جرى، ويذوى حديث الشحناء فلا سمع الواشى بذاك ولا درى، فليبذل مبارك الميلاد، جهده فى الصلح وسعيه المعتاد، وعقدا على ذلك العهد، وتوجه مبارك الميلاد من بعد، فقصد منزل ابى نهشل، فراه من نار تمومه فى مشعل، وقد غرق فى بحر الافكار، هايم لا يقر له قرار، فسلم عليه، وتقدم بالسوال عن حاله اليه، وانسه بالمحادثة، وذكر له الزمان وحوادثه، وتذاكرا ما وقع من الدب، وكيف اظهر نواقض الحب، وبارز بالعداوة، وابرز بادنى حركة موجبات القساوة، ثم اخذ اخو نهشل فى العتاب، وفتح لمبارك الميلاد من جهة صاحبه وعتابه الباب، فاعترف عن صاحبه، بان الظلم فى جانبه، وانه كان حصل له من الوهم الكاذب، ما اورثه الوقيعة فى جانب الصاحب، وانه ندم على ذلك، واعترف بان فعله حالك، ولم يسعه الا الاعتذار، وجبر ما وقع لابى نوفل من الانكسار، بالسعى فى مساعدته، والقيام معه فى جماعته، والتوجه الى حضرة المخدوم، والتلافى بمرهم التصافى ما سبق من جراحات الكلام والكلوم، ثم اذا حصل من الخواطر الشريفة الاقتضا، واثمر فى رياض العفو لجانى الخدم فواكه الرضا، يستانف سوق المحبة عقود المبايعة، ويروج تاجر الصداقة على مشترى الحشمة فى مظان رغباتها بضايعه، الى ان يتزايد الوداد، ويتاكد بين الجميع عالم الاتحاد، وانهض يا رئيس الاصحاب، وانيس الاحباب، شعر

فالعمر اقصر مدة من ان يدنّس بالعتاب

ثم نهضا جميعا، واتيا ابا نوفل سريعا، فوجداه فى احرج مكان، واوحش زمان، محفوفا بالاحزان، منكوفا بالاشجان، وما حال من جفاه احباه، واقصاه مولاه، وصار وهو جار، غريم السلطان، فسلما عليه،

وجلسا اليه، واعتذر مبارك الميلاد، بعد اظهار تباشير الوداد، ان موجب تقصيره، في السوال عنه وتاخيره، ان قلبه الوامق، وطرفه الوادق، لم يتناوشا على رويته في تلك الحال، ولا سمحت قدمه بالتقدم اليه وهو مشغول البال، ثم تفاوضا في اسباب الصلح، وقصدا ابواب النجح، فتجاذبوا اطراف الطرايف، وتفكهوا على موايد التحف واللطايف، ولا زالوا ينسجون خلع الوفاق، ويمزقون شقق الشقاق، الى ان انعقدت اطراف المحبة والوداد، وانحلت عقود الحقود والمكياد، وتحقق كل احد من كبير وصغير، ومامور وامير، وجليل وحقير، بحصول خالص المحبة بين النديم والوزير، شعر

ولما ان تراى الفجر يحكي جبين الحب او راى اللبيب

توجه الوزير ومبارك الميلاد، واخو نهشل وروس الاجناد، مع ساير الامراء والوزراء، والاعيان والكبراء، حتى وصلوا الى السدة العلية، والحضرة السلطانية الملكية، فقبلوا ارض الطاعة، ووقفوا في مقام الشفاعة، وذكروا من الدعاء والثناء، ما يليق بجناب الملوك والعظماء، وذكروا النديم ابنا نوفل، بما يستعطف به الخاطر المفضل، حتى عطفت عليه مراحمه، والمحت من جريدة الانتقام جرايمه، وسمح باحضاره لديه، ليسبل ذيل العفو والكرم عليه، ثم يشمله ثوب الرضا، وخلع العفو عما مضى، فاسرع نحوه البشير، بما اتفق من الجماعة مع الوزير، ثم وصل القاصد، وهو له مراصد، فتوجه منشرح البال، منبسط الامال، حتى دخل على الحضرة كالدولة والاقبال، وقبل الجدالة، ووقف في موقف الخجالة، لا يرفع طرفا، ولا ينطق حرفا، فرسم بالتشريف والخلع، ليرفع عنه التخويف والهلع، فتضاعفت الادعية الصالحة، والاثنية الفايحة، شعر

بغادية من ذكره قد تمسكت بطيب ثنا يحيى الزمان روايحه

واقيمت حرمته، واستمرت عليه وظيفته، ثم ان الملك انتقل عن المجلس الغاص، الى مجلس خاص، واجتمع بالخواص، وعمم الخطاب لكل ناس، ومحدث وقاص، فقال ليعلم الوزير والنايب، والامير والحاجب، والصديق والصاحب، والجندي والكاتب، والمباشر والحاسب، والراجل والراكب، والاتي والذاهب، وليبلغ الشاهد والغايب، ان مقتضى الرياسة، في الشرع والسياسة، على ما قدره حكماء الملوك، وسلكوا بعباد الله تعالى احسن السلوك، ان كل واحد من الغني والصعلوك، لا سيما من له من الامر شي، او نوع مباشرة على ميت اوحي، له مقام معين لا يزايله، ومكان مبين لا يقايله، ذلك الحي القيوم، ذو الملك الديموم، حكاية عن متصرفي ملك الديموم، وما منا الا له مقام معلوم، وعلى هذا جرت سننه، وورد كلامه وتمت كلامته، وبه امر الشرع، والانسان مدني بالطبع، فالواجب على كل من اقامه الله، في خدمة ملك ولاه، او سلطان علاه، ان يلازم مقامه، ويلاحظ في صف جماعته امامه، ويراقب ما يصدر عنه، فقد قيل اياك وما يعتذر منه، فاذا رام ان يتكلم بكلام بحضرة الامام، او بحضور احد من الخواص والعوام، يسبر كلامه اولا بمسبار التفكر والتدبير، ويعتبره بمعيار التامل والتبصير، ثم يسبكه في بوتقة الفصاحة، ويسكبه في قالب الملاحة، ويصوغه بالات حسن الانسجام، ويرصعه بجواهر مقتضى المقام، فاذا صيغ على هذه الصياغة، وقعدت على صورة سكته نقوش البلاغة، واخرج له غواص الفكر من بحر المعاني والبيان، فرايد افكار لم

تظفر بها اصداف الاذان، وخرايد ابكار لم يفتر عنها فحول الاذهان، ازدانت بها من حور جنان الجنان، ومقصورات خيام الدهور والازمان، انسات لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان، فاختلب ببهايه القلوب والارواح، واستلب بروايه الاموال والاشباح، واستمال الخواطر، وسحب الايادى المواطر، وصار الدهر من بعض رواته، واشتاق ما يرويه عنه معلقة باذان نباته، وان وقع منه والعياذ بالله ما يورث الندم والحزن، واخرج سهم الكلام من قوس العجلة لا اكتال ولا اتزن، حصل فى سوق خاطره وباطنه الغُبْن والغَبَن، واصابه ما اصاب نديم فغفور الختن، فنهضوا الجماعة وللارض قبلوا، وعن كيفية هذه القضية سالوا، فقال الملك ذكر المخبرون، واخبر المذكرون، انه فى قديم الزمن، كان عند فغفور الختن، ندمان، كامل المعانى فى البيان، ذو نعمة جزيلة، وصورة جميلة، وفضايل فضيلة، مبرز فى العلم، كامل المودة والحلم، محبوب الصورة، مشكور السيرة، طاهر السريرة، ثقيل الراس خفيف الروح قد جال وجاب، وبلا الاعداء والاصحاب، وترشح لمنادمة الملوك والامراء، ومجالسة السلاطين والوزراء، وهو خصيص بملك الختن والصين، مقبول عند الملوك والسلاطين، اتفق له فى بعض الليالى، انه كان عند جناب ملكه العالى، وعنده جماعة من العلماء، وطايفة من الاخصاء والندماء، وهم يتعاطون كوس اللطايف، ويتواطون على ما فى الدنيا من طرف وطرايف، ويتذاكرون عجايب الاقطار، ويشنفون المسامع بخصايص الامصار، فقال النديم، رايت فى بعض الاقاليم، من الاراضى الخامية، والبلاد القاصية، حيوانا كبيرا سريع السير، متردد شكله بين شكلى الجمل والطير، يضرب به فى الذبذبة المثل، فيتعاطى التعلل فى الكسل، ان يقول له احمل، يقول انا طير وان قيل له طِرّ يقول انا جمل، وذكر ان اسمه النعام، وساير اوصافه على التمام، فتعجب الحاضرون من هذه الصفات، والاشكال البديعة والهيات، واعجب من هذه الصفات، انه ياكل الجمرات، ويلتقط الحصيات، ويختطف الحديدة المحماة، من النار ويزدردها، ولا يتالم لذلك فمها ولا جسدها، ويذيب كل ذلك معدته، ولا يتاثر له نسنه ولا ترقوته، فانكر بعض الحاضرين هذا المقال، لكونه ما شاهد هذه الاحوال، ولا راى ولا سمع خبر طير ياكل النار، ويبتلع الاحجار، ونسبوه الى المجازفة فى الاخبار، فتصدى لاثبات ما يقول، بطريقى المعقول والمنقول، ولم يسعف كلامه القبول، على ما الفته منهم العقول، لان الحيوانات، بل وساير الجمادات، اذا اتصلت بها النار، محت منها الآثار، وهذا طير من الاطيار، من لحم ودم فكيف لا تحرقه النار، فاتفق الجمهور على تكذيب هذه الاخبار، وقالوا المثل المشهور، انما هو موضوع على لسان الطيور، فيمن يتردد بين الامور، فيقال هذا الفقير، كالنعامة لا يحمل ولا يطير، ومثل هذا المشرب، يا شيخ المشرق والمغرب، قولهم طارت به عنقاء مغرب، فقال النديم، افاضل الحكيم، انا رايت هذا بالعين، فلم يزدهم الا تاكيد المين، وقالوا قد لزمت الغلط، فوقع من اعينهم بهذا الكلام اذ قالوا هذا كذب وسقط، فحصل لذلك النديم، من الخجالة والندم امر عظيم، واستمر فى حصر حتى منعه السلطان من الدخول الى القصر، وصار بين الاصحاب، يشار اليه بالكذاب، فلم يسع ذلك الاستاد، الا السفر من تلك البلاد، والتوجه الى العراق وبغداد، واخذ من طير النعام عدة، واستعمل عليها رجالا مستعدة، ونقلها الى الصين، فى عدة سنين، تارة فى البحر واخرى فى البر،

وقسى انواعا من البوس والضر، وتكلف جملا من الاموال، وتحمل مع المشاق منن الرجال، فما انتهى به السير، الا وقد مات غالب ذلك الطير، فوصل الى حضرة ملك الخطا، واشتهر فى المملكة ان النديم الفلانى اتى، فاجتمع الناس لينظروا، وامر الملك الخاص والعام يحضروا، واحضروا النعام، فى ذلك المحضر العام، وطرح لها الحديد المحمى، فخطفته، والجمر والحصى فلقفته، فتعجب الناس نذلك، وسبحوا الله مالك الممالك، وعلم الصغار والكبار، انه يخلق ما يشاء ويختار، وشمله الملك بمزيد الانعام، واعتذروا اليه عما مضى من ملام، وزادت رفعته، ونفذت كلمته، اذ قد ثبت مدعاه، وحقق بشاهد الحس معنى ما ادّعاه، ففى بعض الاوقات، تذاكروا ما فات، وانجر بهم الكلام، الى حديث النعام، فقال النديم، ايها الملك الكريم، انى تكلفت على هذه الاطيار، كذا وكذا الف دينار، وقاسيت من المشقة فى الاسفار، وعاينتُ من شدايد الاخطار، ما لا تقاسيه عيدان النار، واستمرت فى هذا العذاب المهين، فى سجن المشاق بضع سنين، حتى بلغت تحقيق مرامى، وتصديق كلامى، ولو لا عناية مولانا السلطان، لما ساعدنى على مقصودى الزمان، ولما زال عنى اسم الكذاب، الى يوم الحساب، فتبسم السلطان وقال لقد اتيت بمحاسن وما قصرت ولكن، كلمة يحتاج فى اثبات تصديقها، والخروج عن عهدة تحقيقها، الى صرف المال الجزيل، وتجشم مشقة السفر العريض الطويل، وتحمل مِنَن الرجال، وركوب الاخطار والاهوال، وازعاج الروح والبدن، واضاعة جانب كبير من العمر والزمن، لاى معنى يتفوه بها العاقل، ولما ذا ينطق بها مستمع او ناقل، وانما اوردت هذا المقول، ليعلم ارباب المعقول، من جلسآء الملوك العظمآء، وروسآء الامرآء والزعمآء، خصوصا خواصّ القدمآء، وعوام الندماء، ان شيئا يحتاج فيه الى تعب النفس، وقيد وانكال وحبس، ثم استعمال منن جماعة، واصحاب يتقدمون الى الشفاعة، لا ينبغى للعاقل ان يحوم حوله، ولا يعقد ابدا عليه فعله وقوله، فتقدم مبارك الميلاد، وبذل فى اداء وظايف الدعآء الاجتهاد، وقال انما كان عاقبة هذا الامر، واطفاء نايرة هذا الجمر، واداوه الى انتظام عقود السعد، واشتماله على جميع الخواطر من بعد، بمياس الخواطر الشريفة، وشرف ملاحظتها المنيفة، وتوجه مساعدتها لخدمها، وشمول عواطفها على عبيدها وحشمها، واقبال طالعها السعيد، ولو لا ذلك لما انتظم لنا شمل ايها العبيد، فالمنة لهذا كله للصدقات الشريفة، والجميلة لعواطف مننها المنيفة، ونظير هذا الشان، ما جرى للخارج على الملك انوشروان، فسال الملك المطاع، عن هذا المتاع، فقال ذكر فى التواريخ، يا عالى الشماريخ، ان كسرى انوشران، جاءه احد الملوك بالعصيان، وانتدب لمحاربته طايفة من الاعوان، فتوجه كسرى اليه، ووثب وثوب الاسد الضارى عليه، وراى التوانى فى امره والتاخير، من جملة الاخلال والتقصير، وقابله قتلا، وقاتله قيلا، للمصنف شعر

اذا استحقرت ادنى من تعادى بما لك من يد وندىً وطاقة

فما استحقرت ان اهملت الا امورك وهو ذا عين الحماقة

فلما توافقا، واصطدما وتثاقفا، انكسر ذو الطغيان، ونصر الله انوشروان، وقبض على العدوّ وحصل الامان والهدوّ، وخُصّ طايرهُ، وتفرقت عساكره، وخُمل وقد سيم خسفا وكسرا،

الى الملك العادل كسرى، فتقدم بالاحسان اليه، وجعل العفو شكر القدرة عليه، وبالغ معه فى اللطف والاحسان، وانزله عنده فى بستان، ترتع النزاعة فى ميادين رياضه، وتكرع الفكاعة من ريحين حياضه، وافاض عليه من خلع الانعام، وادرارات الافضال والاكرام، ما ازال دهشته، واحال وحشته، وابدا استعباده، وابعد استبعاده، فلما حصل انسه، وهدات نفسه، اخذ فى تنجيزه، وابلاغه الى ما منه وتجهيزه، فابى الا الاقامة، والتلبث بدار الكرامة، وسال الصدقات، وما لها من عميم الشفقات، مجاورة محلها، والاقامة تحت ظلها، واغتنام مشاهدتها، والتشرف بميامن طلعتها، مدة ايام، فانها محسوبة من العمر العزيز باعوام، فاجابت مسئوله، واستنجزت ماموله، وكان فى ذلك البستان، نخلة كنخلة مريم، قد يبست من الهرم، ولما تعاورتها يد القدم، فلم تصلح الا للضرم، فارسل يسال الصدقات الجزلة، ان يهبه تلك النخلة، فاستنزل كسرى عقله، واجاب قصده وسوله، ووهبه تلك النخلة، فكان كل يوم يتوجه اليها، ويسند ظهره ويعتمد عليها، وهو فى ارغد حال، وايمن مآل، فبعد عدة شهور، طلب الى التوجه الدستور، فاستدعاه، واكرم مثواه، واجاب قصده ومتمناه، واسبغ عليه نعمه وفضله، وساله عن موجب سواله النخلة، وسبب طلبه الاقامة، ثم سواله التوجه بالسلامة، فقال اما سبب الاقامة بهذا البلد، فلجوار مولانا الملك الامجد، والاستسعاد بمشاهدة وجهه الاسعد، فان طالعه قوىّ سعيد، ومجاورته للسعادة تفيد، ويحصل منها لمجاوريه المزيد، فاردت ان يكون لى منها نصيب، ويلاحظنى منها سهم مصيب، شعر

فان تلمم بقفر عاد روضا   وان تمرر بملح صار شهدا

وان يخطر ببالك نحس نجم   يعد فى الحال من رأياك سعدا

فصرت مشمولا بميامن ظلها، مغمورا بفايض وابلها وطلها، واما طلبى النخلة اليابسة، فانى تفالت لها من حظى مساعدة ومناحسة، فكنت اتردد اليها، واعول فى ذلك عليها، فما دامت فى تحول، كان جدى وسعدى فى تحول، الى ان رايتها قد احضرّت، واطلعت واسبكرّت، فاقبل سعدى وحيا، وعاد بعد ان مات حيا، وساقطت على نخلة سعدى من ثمرات السعادة رطبا جنيا، فعلمتُ ان طالعى الهابط حاد الى الاوج، ورسول حظى دخل فى دينه ناس الابناس فوجا بعد فوج، وارمل جدى ازدوج، ببكر الامال فكان لها احسن زوج، كل ذلك لى احسن مالك، بسعد فالك، وجوار دار جلالك، ومشاهدة انوار جمالك، واستماع كلامك وانتجاع كمالك، فمن بعد اسعاد السعد كل سهم امل فوقته، ونحو شاكلة قصد اطلقته، اصبت الغرض، وحزت جوهره بلا عرض، فاذا اسعف السعد النفس، لا يسعفها معه نحس، وانما ذكرت هذا القول، يا ذا الكرم والطول، ليعلم الحضار، والسادة النظار، ان استقامتنا وسعدنا، وانتظام امورنا وجدنا، انما هو بالتفات الخواطر الشريفة، وشمول احوالنا بملاحظاتها المنيفة، واستدامة بركاتها، وميامن حركاتها، كما قيل، فى ذا القبيل شعر

تلقى الامان على حياض محمد   ثولاء مخرفة ونيب اطلس

لا ذى تخاف ولا لهذا جرأة   تهدى الرعية ما استقام الريس

وكما ان الرعية لا يستقيم حالها الا بالملك الراعى، فانها كالرعية لا ينتظم لها امر الا بالراعى كما قيل شعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

كذلك الملك ذو الدرجات العلية، لا يصير ملكا الا بالرعية، ولو لم يكن العاشق مشوق، لم يكن المعشوق معشوق، ولو لم يوجد الراسق بالامل مسوقا، لم يصر الملك المامول مرموقا، وعنى عن هذا المعنى، من فى رياض المعانى اعنى، شعر

واحقر صبّ فيك يهدى سناؤه كاعظمهم اذ من هواك تعظّما
فلا تحتقره ان تملكت قلبه فلولا الهوى ما كنت ملكا مفخّما
ففى موقف العشاق منك وظيفة لكل فلا يبغى لها متقدّما
وكل له وجد يليق بحاله وكل له حال بعشقك مغرما
الم تر ان الله اوجد حكمةً ذبابا وعقبانا وبقا وضيغما
فكل له نفعٌ وضرٌ مخصصٌ فسبحان من قد خصّ طورا وعمما

والله تعالى لكمال قدرته، واسبال ذيل رحمته، خلق الكبير الاعلى، محتاجا لخدمة الصغير الادنى، وجعل الحقير الادنى محتاجا لرحمة الكبير الاعلى، ولهذا اعظم الخلق من خلق الخلق، واحوج الخلق الى الخلق وهو غنى عن الخلق، وقيل ايها الملك السنى، الانسان بطبعه مدنى، وبمقدار كثرة الرعية، واشتراكهم فى الصفات المرضية، وانقيادهم لاوامر مالكهم السنية، تصير درجة الملك علية، كما كان فى زمن نبى الله سليمان، صلوات الله عليه وسلامه، وتحيته واكرامه، ولقد جرى فى عصره بين الطيور، مفاوضة بين اللقلق والعصفور، فسال ملك الاساد، تلك المفاوضة مبارك الميلاد، فقال بلغنى يا سلطان الاسود، ان نبى الله سليمن بن داود، عليهما السلام كان فى سيرانه، مع خواص اركانه، فمرّ بذلك الذلب، على شجرة دُلب، للقلق بها عش قد بناه كاحسن عش، وقد استوكر فى عشه عصفور، واحتمى بجواره من موذيات ابى مذعور، فكانا يتخاصمان ويتقاولان، ويتواصمان ويتصاولان، فوقف النبى الكريم، واستوقف الجند العظيم، ليسمع ما يقولان، وينظر كيف يجولان، فسمع اللقلق يقول، وهو يجول ويصول، ويخاطب العصفور، بمجمع من الطيور، اشكر لى حسن الصنيع، حيث انزلتك فى حصنى المنيع، لا حية ترقى اليك، ولا جارح ينقض عليك، ولو لا ان لك عندى مناخا، ما ابقت لك الحية نتنا ولا فراخا، وانما سلمتم بجوارى، وبقربكم من دارى، فوثب ابو محرز، وتوسط الجمع وهو يجمز، ونادى بين الاخيار، انسيت ابا خديج اى جار، وانا فى المدار، حول هذه الديار، آناء الليل واطراف النهار، التقط النمل الكبار والصغار، ولو لا انا حارس مناخك، ما ابقى لك النمل اثرا ولا لفراخك، فكل منا محتاج الى جاره، مغتبط بجواره، امن به فى سربه ومطاره، فارفع بيننا هذا النكد، ولا

يمنّ احدٌ منا على احد، فالحقوق ما تضيع بين الجيران، كما تراعى بين الاصحاب والاخوان، وكما تدين تدان، ومع هذا فكلنا نصلّى على نبى الله سليمان، ملك الانس والجان، وسلطان الطيور والحيوان، فانه بحسن عدله اعتدل الزمان، وبيمن فضله صلح الكاين والمكان، فنحن ايضا كذلك، نشكر رب الممالك، اذ منّ علينا بهذا السلطان المالك، ملك الوحوش الاكابر، وكاسر السباع الكواسر، المشفق على الضعفاء والاصاغر، فلم يخل من فضله سبع ولا طاير، ثم نهضوا فوقفوا، ودعوا للملك وانصرفوا، اخر هذا البـاب، والله اعلم بالصواب، والحمد لله رب العالمين، وصلـى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

الباب السادس

فى نوادر التيس المشرقى والكلب الأقرقى

قال الشيخ ابو المحاسن من لمدون ارض الفضل من فضايله رواس، وفى مشحون بحر الفضل من فواضله مراس، فابتهج الملك بهذا الكلام، وارتاح لما تضمنه من الحكم والأحكام، واستزاد اخاه من عقود هذا النظام، فقبل الارض فى مقام الخدام، وقال بلغنى يا ملك الانام، ان راعيا كان يرعى ثلة من الاغنام، وحيلة من المعز الجسام، وفى ماشيته تيس مطاع، كلها له اتباع، وهو قديمها، وقايدها وزعيمها، وابونتاجها، وحمو نعاجها، واصله من الشرق، لم يكن بينه وبين ابليس فى الشيطنة فرق، اسمه الذميم، التيس الزنيم، وكان بواسطة الفحولة والكبر، والتقدم فى الحضر والسفر، يستطيل ويصول، وينطح الكباش والفحول، فيجرح ضعيفها، ويطرح نحيفها، ويضرب بخالصها لفيفها، الى ان اباد اعيانها، واعجز رعيانها، فطال منه العقوق، فذهب به الراعى الى السوق، ليبيعه ويستريح، ويخلص الماشية من شره ويريح، فبينما هو يطوف، واذا برجل مهول مخوف، طويل القامة، كبير الهامة، كانه زبنى القيامة، شثن اليدين، ازرق العينين، اسود الخفين، بثوب وسخ، وطرطور سنخ، وسطه محزوم، بسير مبروم، فصادف الراعى، وهو فى السوق ساعى، فمد يده الى التيس، وقال بكم هذا يا ابا الكيس، فوقع بينهما الاتفاق، ووقع الزنيم فى شبكة الرباق، فتامل شكل القصاب، وصورته القاضية بالعجاب، فراى رجلا كانه من الشياطين، معلقا على وسطه عدة سكاكين، فداخله الرعب، ورجف من الرعب، وادرك بالفراسة، انه سيهلكه ويجذف راسه، وقال ظنى والظن يخطى ويصيب، انى وقعت مع هذا فى يوم عصيب، وانه قاصد هلاكى، ومقيم علىّ البواكى، فالاولى الاحتراز، والتاهب قبل زمان الجزاز، فان حصل خير، فما فى الاحتراز ضير، وان وقع على الاهلاك العزم، فاتلقى سيفه بما اعددته من ترس الحزم، فوزن الجزار الثمن، وشحط الزنيم بالرسن، واتى به مطابخ، فقطعها الى مسالخ، فشم رايحة الزهومة، واحس من الجزار نكده وشومه، فلما دخل المسلخ، وراى القصابين هذا يذبح هذا يسلخ، واللحم شفات، على الجدران معلقات، وانهر الدماء كدموع العشاق جارية، وجلود الغنم وروسها واكارعها كل كاشية، هذه الكاشية فى ناحية، وهذه الكاشية فى زاوية، فرجف قلبه، وزاد رعبه، والتجى الى الله تعالى، وتاب اليه عما وطا عليه من الذنوب وملا، فما عتم القصاب المصارع، ان شد من المشرقى الاكارع، وجدله على الجدالة، واخرج لذبحه الالة، فلما راى هذه الحالة، تحقق ما كان ظنه فاستحضر باله، وايقن انه هالك لا محالة، فنظر الى القصاب، واذكر ما قيل فى حق الساب، وهو شعر

نظروا اليک باعين محمّرة   نظر التيوس الى شفار الجازر

فوجد السكين كليلة، ليس للذبح بها حيلة، فطلب المسن ليحدها، ويريح ذبيحته ان حدّها، فتركه وذهب للمسن، وقد تحقق الزنيم ما كان ظن، فتنفس له البلاء، وارتخى عنه عقد القضاء، فتمطى فى رباط الاكارع، فرقه بحيل قاطع، ثم وثب، وقصد الهرب، وخرج من الباب، وصاحوا عليه فراب، فلم يلتفت الى الصوت، وفرّ فرار من عاين الموت، وطلب الخلاء، وطريق الفضاء، فادى به الذهاب، الى بستان جوار بيت القصاب، فدخل البستان، وامتد فى الجريان، والقصاب وراءه بهيئته المهولة، والسكين فى يده مسلولة، وكان قبل هذا الزمان، بين زوجة القصاب وصاحب البستان، ما يكون بين الخرفاء والاخدان، فكانت كلما وجدت فرصة، جعلت للبستانى من نفسها حصة، وتنزل من بيتها الى بيته، وتعمر سراجها من فتيلة قنديله وزيته، واتفق ان فى تلك الحال، طلب كل من المحبين الوصال، وكان زمان اشتغال اللحام، بالمعاملة مع الخاص والعام، فلاشتغال وهاه، لا يتردد فيه الى اهله، فاغتنمت الزوجة غفلة الرقيب، ونزلت من بيتها الى الحبيب، فكان المحبان امنين، وقد تعانقا تحت دوحة نايمين، فاتفق ان الهارب من الموت ودواعيه، اخذ على مكان هما فيه، والقصاب يتبعه رافعا يده، والسكين فى يده مجردة، فلم يشعر الا وزوجها رافع الصوت، واقف على راسهما وبيده الة الموت، وما شعر بدواعيهما، حتى عثر عليهما وفيهما، فقفزا من مكانيهما، مفتضحين فى مكامنهما، فاشتغل القصاب بنفسه، والتهى بنكجته عن تيسه، وكان الناس تابعيه، فوقفوا على ما وقع فيه، وقامت الغوغا، وتعدت للفارّ من البلا، نقوش النجساة من الردا، فلم يزل فى ميدان الجرى، ذاهلا مما جرى، حتى وصل الى ثغرة خرج منها الى الصحرا، فانقطع عن ذلك الجنى تابعه، ولم يوجد من شياطين الانس رابيه وسامعه، فانتهى به التسيار، فى تلك الصحارى والقفار، الى جبل فاوى فيه الى غار، كان ياوى اليه مع المواشى اوان الامطار، فامسى فيه تلك الليلة الى وقت الاسفار، شعر

فلما راى الليل العبوس صنيعه   تبسّم فافترت تباشير فجره

فلما اصبح الصباح، خرج الى السراح، وهو فى نشاط ومراح، وجعل يرتاد انيسا، ليكون جليسا، اورفيقا صالحا، اوصديقا ناصحا، يتالف به فى الغربة، ويمسح بانامل توانسه من ثقل الكربة، ما يحصل على جبين راحته من عرق القربة، وبينا هو ينشر البيد ويطوى، اذ سمع نباح كلب يعوى، فترجى الخير، وزوال الضير، ثم قصد نحوه، فراه مقبلا من فجوة، فناداه اهلا باحب الاحباب، واعز الاصحاب، المفضل على كثير ممن لبس الثياب، فلما دنى منه بادر الى عناقه، وتباكى لاليم فراقه، فتعانقا تعانق المحبين، وتباثا مباثة من مضه البين، ثم قال له اعلم يا لطيف الحركات، وكثيف البركات، ان كلامنا غريب وكل غريب للغريب نسيب، وانا قد تفرست فيک، وما تكاد فراستى تخطيک، انک رفيق صالح، وشفيق ناصح، واحسن مليح ممالح، وفى طريقة اخوان الصفا قيم راجح، وان كانت الجنسية بيننا مختلفة، لكن القلوب بحمد الله تعالى موتلفة، وكم لک من اياد سابقة، وصدقات متناسقة، وكم حطتنا فى المراعى، وبتنا فى الحظاير نايمين وانت لحفظنا ساعى،

تحرسنا من الغداة الى الرواح، ومن المساء الى الصباح، فاخبرني ما شانك، واين مكانك، وما اسمك، وما صنعتك ورسمك، ومجيك من اين، وما حاجتك في البين، قال اما اسمي فيسار، واما مكاني فبلاد التتار، وصنعتي راعي، وسبب مجيئي ضياعي، ولي صاحب اسمه اقرق، من دشت قفجاق ابن شقرق، كنت في خدمته، راعي ماشيته، فاضللت رعيتي، وضيعت حق خدمتي، فانا اطلب ولي نعمتي، لامحو من وصمة الجفا شيمتي، فهذا شاني وجل بغيتي، قال الزنيم انا من حين شاهدت في وجهك الانوار، علمت انك يسار، وانك معدن الذكاء، والالقاب تنزل من السماء، واما طلبك لصاحبك ورعيتك، فانه دال على كمال مروتك، ولا ينكر لك الوفاء، فان بينك وبين الوفاء مقام الصدق والصفاء، لم يقع بينكما قط بعدٌ ولا جفا، وشهرتك بحمد الله بجميل الصفات، التي قل ما تجتمع في زكي الذوات، ولا تصفو الا للاولياء، والبررة المبرزين الانقياء، من المسكنة والقناعة، والجراءة والشجاعة، وحفظ العهود والوفاء، وكسر النفس والصفاء، وعدم الحقد والحسد، واطراح العجب والنكد، والحراسة والسهر، وقيام الليل الى السحر، والتودد الى الناس، حتى قال فيك ابن عباس، كلبٌ امين خيرٌ من صاحب خوون وعندك من التهذيب، وقبول التعلم والتاديب، ما يصير صيدك مذكّى، وسنك كالشفرة مزكا، وفي شانك يا ذا الوفاء والمنفعة، قال الحرث بن صعصعة، شعر

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني ويحفظ عرسي والخليل يخون

فيا عجبًا للخل يهتك حرمتي ويا عجبًا للكلب كيف يصون

ومن هذا الضرب، ما رواه احمد بن حرب، عن ذي العتاب، منادم الكلاب، ان الكلب يكف مني اذاه، ويكفيني اذاء سواه، ويشكر قليلي، ويحفظ مبيتي ومقيلي، فهو من بين الحيوان خليلي، فقال احمد بن حرب تمنيت والله ان اكون مثل هذا الكلب لاحوز هذه الصفات، وارقى هذه الدرجات، وارجوا الله تعالى ان يعطفك عليّ، ويقلب بقلبك ووجهك اليّ، بحيث ترغب في صحبتي، وتميل الى مصادقتي، فترى انذاك مني بحمد الله تعالى من الاخوة والصداقة، والمروة والرفاقة، ما تنسى به كل صديق، وتفضل الصاحب الجديد على العتيق، فتترك ساير اصحابك، وتلتهي بي عن اوليايك واحبابك، خصوصا بني ادم، الذي انت بهم اعلم، من افنيت عمرك في خدمتهم، والقيام بحقوقهم وحفظ حرمتهم، وحراسة مواشيهم ودورهم، وكمال فضلك في حياطة بيوتهم وقصورهم، ورعاية رعيانهم، وصيانة اهلهم وجيرانهم، مع قناعتك منهم، بما يفضل عنهم، من كسرة خبز الشعير، او عظم يابس كسير، او فضلة مرقة قدير، واضاعتهم حقوق خدمتك، ونسيانهم موجبات شفقتك، حتى لو وصل فمك الى زادهم، والى شي من عتيد عتادهم، رموك بالحطب، ورضوا راسك بالحجارة والخشب، ولو ولغت في انائهم، او شربت من مايهم، ما قنعوا في تنظيفه، وتطهيره في تشطيفه، بمرة ولا مرتين، ولا اكتفوا في ازالة لعابك بالعين، بل دوّنوا الغسل بالحساب، وعفروا الوعاء بالتراب، ويعدون ذلك من التعبد، ولا يرعون ما لك من تحبّب وتودد، وانا ارجو ان ترتفع منزلتك، وتعلو درجتك، ويساعدك رب العرش، حتى تصير سلطان السباع وملك الوحش، واجتهد في هذه القضية، الى ان ابلغ هذه الامنية، واكون السبب في ذلك، الذي

ان تملك الممالك، فان لك علىّ حقا قديما، وفضلا جسيما، طالما نمنا امنين فى ظل حراستك، ورعينا مسرورين مكنوفين بحياطتك، واجلنا منك فى الخاطر، ما قال الشاعر،

بقاؤك فينا نعمة الله عندنا   فنحن باوفى شكرها نستديمها

قال يسار يا اخى جميع ما قررته صحيح مقبول، داخل فى الفصل خارج عن الفضول، ولكن انا من جنس السباع، مجبول على ما لهم من الطباع، ومع هذا فانا عدوهم، وبسببى يزول هدوهم، وانا لم اعادهم الا فيكم، ولا لى وادى الا فى ناديكم، فان تربيتى بينكم، وعينى مراقبة عينكم، وانا اليكم اقرب منى اليهم، ومعولى عليكم دون معولى عليهم، وعلى هذا وجدت اباى واجدادى، ونشات من حين ميلادى، والخروج عن طريقة الاباء، دليل على العقوق والاباء، وهو امر مذموم، وهذا شى معلوم، وقد قال صاحب الشرع الحب يتوارث، والبغض يتوارث ولكن يا سليم الطباع، وخصيب الرباع، قولك تصيير سلطان السباع، سخرية بى واستهزاء، ولا استحق منك هذا الجزاء، فان معنى هذا القيل، امر مستبعد بل مستحيل، انا يا طاهر نجس العين، فانا من اين وهذا الهوس من ايمن، فان اردت اعانتى على ذلك، وتكلفت لى برياسة الممالك، فكلانا فى هذا الهوا سواء، وان صممنا على ذلك فما لجنوننا دواء، وهذا الوسواس، من خيالات الافلاس، وفى مثل هذا الحال، قال من صدق فى المقال

لا خيل عندك تهديها ولا مال

وانا اعلم انما تتكلم بما يطيّب خاطرى، ويسر سرايرى، ويقربك فى الحسب من ضمايرى، قال المشرقى، لا تقل ذلك يا تقى، فانى شاهدت فى جبينك مخايل السعادة، ومن شمايلك تتعاشر السعادة، وقد قيل، يا فضيل،

المرء يطير بهمته كما يطير الطير بجناحه

وانا ارجو الله تعالى ان ييسر لى القيام، بجميع ما قلته لك يا امام، وان اجلسك على السرير، واقيم فى خدمتك الكبير والصغير، وارفع راية مراسيمك، وانفذ اوامرها فى ممالكك واقاليمك، واجعل جنود الوحوش تحت رايتك، واقاليم القفار تحت ولايتك، ولكن بشرط ان تتبع ما اراه، ولا تخرج عن طوره ولا تتعداه، وتعمل بكل ما اشير اليه، ومهما ارشدتك اليه تعول عليه، فقال انا نوع يديك، وجميع امورى منك واليك، فقل فانى سامع، ولامرك طايع، فانهض وعانى، هذه الامانى، عسى يصير هذا الباطل حقا، وينقلب هذا الكذب صدقا، وقل ما تقتضيه، لاتبعه وارتضيه، قال تترك ما انت عليه من الاخلاق السبعية، والاوصاف الكلبية، من الحرص والشره، والكلب والنره، والنفس المنمّرة، والطبيعة المذمرة، وتصوم، عن الدماء واللحوم، وعن تمزيق الحيوانات، وتفريق الجماعات، وتحمل النفس على التلبس بالاخلاق الجميلة، والاوصاف الفضيلة، من العفة والكرم، والعفو عمّن ظلم، والقناعة بالنبات، عن لحوم الحيوانات، ومعاملة الكبير والصغير، بالفضل الكثير والبذل الغزير، وتلافى خاطر الخطير والحقير، ليسهل العسير، وينقاد لك المامور منهم والامير، وهذا الامر عليك يسير، وهذا لانك طالما جرحت جراحهم، وكسرت جوارحهم، واصطدت سارحهم، وابدت بارحهم، فهم منك متخوفون، والى ابداء الضرر متشوفون، فاذا راوا

شيا خلاف العادة، وعلموا ان ولايتك فيها الحسنى وزيادة، واصابوا الخير، من مواقع الضير، وراوا ما سر، من مواضع الضرر والشر، تشرب محبتك الكبير والصغير، وانهاك الى ذرال من الوحوش العيسو والنفير، فيتخذك الغريب حبيبا، ويصير البعيد قريبا، فتصيد بالمحبة ارواحهم، كما كنت اولا تبيد اشباحهم، واذا ضرب صيتك الارض، ونثر درره بالطول والعرض، وتسامعت بك الوفود، وتحققوا انك عدلت عن خلقك المعهود، اقبلت اليك منهم الجنود، وزان جيد جنودهم من جواهر محبتك عقود، وانعقدت بينكم بالمحبة، واولاء عقود العهود، فتوفرت انذاك جنودك، وعلت على روس الاقران راياتك وبنودك، وجعلوا ذراك ماواهم، وحماك مصيفهم ومشتاهم، مع ان هيبتك فى قلوبهم مركوزة، واسنة مخافتك فى احشايهم من قديم الزمان مغروزة، واعلى من فيهم يخافك ويخشاك، ويتوقى مكانك ويتحاشاك، قال يسار، اعلم يا خير سار، ان حبال الامال، ومطامع الخيال، ما لم تتعلق بمامول، ولم ترتبط باطراف سول، فالنفس ساكنة، والروح مطمئنة هادنة، والقلب فرح، والخاطر منشرح، اذ الطمع تعب وشين، والياس احدى الراحتين، ومتى تعلقت بذيل المطامع مخاليب الامال، وتلفت الى حصول شى طامح الخيال، وقامت النفس فى تحصيله، وتحركت الجوارح لنيل ماموله، وانبعثت الهمة الى ادراكه، وتعلق القلب بسير فتراكه، توزعت الافكار وتفرقت، وتمزعت الخواطر وتمزقت، وركب لذلك كل صعب وذلول، وتقاذفت النفس فى كل مخوف ومهول، وتقلدت بحمايل قول القايل، شعر

اذا همّ القى بين عينيه عزمه ونكّب عن ذكر العواقب جانبا

ثم اذا لم يحصل المامول، ولم يبلغ النفس والعياذ بالله السول، مع بذل هذا الجهد، والمبالغة فى السعى بالكد، ومقاساة التعب، ومعاناة النصب، ترادف النكد، وتضاعف السهد، وصارت النفس لهذا البدد، كان فى جيد حيوتها من فوات المقصود حبل من مسد، فلا تزال بين تقسيم خاطر، وتشويش ضماير، وفكر غايب وهم حاضر، وهذا الامر الذى عزمت عليه، وهممت بالترقى الى الوصول اليه، الى عدم الحصول، اقرب منه الى الوصول، وانا اخاف، وذا غير خاف، ان يغرنا الطمع فى هذه الحركة، وينتزع من فراغة اوقاتنا البركة، ولا تحصل الا على مثل ما حصل لمالك الحزين من السمكة، فقال الزنيم، نبثنى ايها العليم، بذلك المثل القويم، قال بلغنى انه كان فى مكان مكين، ماوى لمالك الحزين، وفى ذلك المكان، غياض وغدران، تضاهى رياض الجنان شعر

حكى بانها قدّ القضيب تمايلا فجُنّ وفى هذا الجنون تفنُّنا
فدار عليه النهر وهو مسلسل فقيّده اذ قد جنى وتجنّنا

وفى مياهه من السماك، ما يفوق سابحات السماك، فكان ذلك الطير، فى دعة وخير، يزجى الاوقات، بطيب الاقوات، وكلما تحرك بحركة، كان فيها بركة، حتى لو غاص فى تلك البحار والغدران لم يخرج الا وفى منقاره سمكة، فاتفق انه فى بعض الاناء، تعسر عليه اسباب الغذاء، وارتج لفوت قوته ابواب العشاء، فكان يطير بين عالم الملك والملكوت، يطلب ما يسد الرمق من القوت، فلا يفتح عليه بشى من اعلا السماك الى اسفل الحوت، وامتد هذا الحال، عدة ايام وليال، فخاض يوما

فى الرقراق، يطلب شيا من الارزاق، فصادف سمكة صغيرة، قد عارضت مسيره، فاختطفها، ومن بين رجليه التقفها، ثم بعد اقتلاعها، قصد الى ابتلاعها، فتداركت زاهق نفسها، قبل استقرارها فى رمسها، ونادت بعد ان كادت، ان تكون بادت، ما البرغوث ودمه، والعصفور ودسمه، اسمع يا جار الرضى، ومن عمرنا فى صونه انقضى، لا تعجل فى ابتلاعى، ولا تسارع فى ضياعى، ففى بقائى فوايد، وعوايد عليك عوايد، وهو ان ابى قد ملك، هذا السمك، فانكل عبيده ورعيته، ووجب على الكل طاعته ومشيته، ثم انسى واحد ابوى، واريد منك الابقاء علىّ، فان ابى نذر النذور، حتى حصل له بوجودى السرور، فما فى ابتلاعى كبير فايدة، ولا اسدّ لك رمقا ولا اشغل معدة، فتصير مع ابى الفضيل، كما قيل شعر

وانقرنى فيمن احب وما استغنى

فالاولى ان اقر عينك، واعرف ما بين ابى وبينك، فاكون سببا لعقود المصادقة، وفاتحا لاغلاق المحبة والمرافقة، ويتحمل لك الجميلة، والمنة التامة والفضيلة، واما انا فاعاهدك ان اعتقتنى، ومننت على واطلقتنى، ان اتكفل لك فى كل يوم بعشر سمكات، بياض كبار ودكات، تاتيك مرفوعة، غير مقطوعة ولا ممنوعة، يرسلها اليك ابى، مكافاة لما فعلت بى، من غير نصب منك ولا وصب، ولا كد تتحمله ولا تعب، فلما سمع البلشون، هذا المجون، اغراه الطمع فا ابتلع فسها ولّها، ثم قال لها، اعيدى هذه الرمزة، فبمجرد ما فتح فاه بالهمزة، انملصت السمكة منه بجمزة، وغاصت فى الماء، وتخلصت من بين فكى البلاء، ولم يحصل من تلك المطاع، الا قطع الاطماع، وانما اوردت يا ذا الدراية، هذه الحكاية، لتتامل عقبى هذا الامر قبل الشروع فيه، وتتدبر منتهى اواخره فى بواديه، فقد قيل اول الفكر اخر العمل قال المشرقى، اعلم يا مرتقى، ان مبنى الامور فى مجاريها، وقواعد ما اُسّس عليه مبانيها، تقدير خالقها وتدبير باريها، وما حكمه وقضاه، واحكمه وامضاه، لكنه كتمه واخفاه، فلا تدركه العيون والابصار، بل ولا البصاير والافكار، فانه علم الغيب، وجهلنا به ليس بعيب، لانه تنزه احدا صمدا، قال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا، ولكنه قيل شعر

على المرء ان يسعى ويبذل جهده ... وليس عليه ان يساعده الدهر

فان نال بالسعى المنى تمّ امره ... وان غلب المقدور كان له عذر

وان الله العلى الاعظم، قد وضع اساس بنيان العالم، على الاسباب، وفتح لتعاطى الاسباب الابواب، فقال ذو الجلال والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا وقال فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وقال القايل شعر

اذا ما كنت فى امرٍ مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم

يرى الجبناء ان العجز حزمٌ ... وتلك خديعة الطبع اللئيم

فطعم الموت فى شىء حقير ... كطعم الموت فى شى عظيم

وقال عليه الصلاة والسلام، علو الهمة من الايمان، والمرء يسعى فى تحصيل مرامه، ولا يترك

شئ من اسباب قيامه، فان ساعده القدر بقدرته، وانقاد اليه مرامه بشعره، فكان مصادمه مساعده، ومقاومه معاضده، كما قيل شعر

واذا اراد الله نصرة عبده   كانت له اعداوه انصارا

فيساعده انذاك الكون والمكان، ويمضى سهم اوامره رامى القضاء من قوس الزمان، ويقيض له المساعد، ويتعبد له المقارب والمباعد، وحسبك يا ذا الصولة، ما اتفق من السعد لعماد الدولة، فـلـه يسار، عن سرد هذه الاخبار، قال كان رجل صياد، له ثلثة اولاد، كانهم حمك، وقوتهم السمك، تقلبت بهم الاحوال، حتى صار بهم على جمال، وانتهوا فى الرياسة، وساسوا الخلق احسن سياسة، فانتشر امرهم، وطاب فى الدهر ذكرهم، وما ملكوه العراقان والاهواز، وفارس وسرتها شيراز، اكبرهم ابو الحسن على بن بويه الملقب بعماد الدولة، وكان فى السلطنة ذا صولة وجولة، ولما انتهت ايام خموله، واتصل بالسعد اسباب وصوله، حل ركابه بشيراز، وصعد الى حقيقة الملك من المجاز، وفدت عليه الوفود، واحاطت به جموع الجنود، وطالبه اهل المراتب، بالرواتب، والرفاق، بالانفاق، والروامك، بالجوامك، والاجناد، بالارفاد، وارباب الولايات، بالخلع والجرايات، واصحاب الاقامات، بالنفقات والانعامات، ولم يكن فى خزاينه، من ظاهر المال وباطنه، ولا فى ذخايره، من ظاهر الرفد وضمايره، ما يسد رمقهم، ويرد شرقهم، فتراكمت همومه، وتصادمت غمومه، وتوالت افكاره، وتجاذبه من بحر الحيرة ردوره وتياره، لان امره كان فى مباديه، وليل سعده فى عواديه، وقد قصرت عن طول الطول اياديه، واشرف امره على الاضمحلال، ووقع فى يوم لا بيع فيه ولا خلال، فدخل الى مكان خال، وهو مشغول البال، فاستلقى فيه على ظهره، وغرق فى بحار فكره، فبينما هو يلاحظ السقوف، وافكاره بين تردد ووقوف، واذا بحية عظيمة، جثة جسيمة، خرجت من السقف ودرجت، وفى مكان ولجت، فوثب واقفا، ورتب خايفا، ليلا تسقط عليه، ويصل اذاها اليه، ودعا الفراشين، وجماعة فتاشين، وامرهم بنصب السلم، والفحص عن الارقم، وتتبع اثارها، واطفاء شرارها، فصعدوا الحيطان، وحفروا ذلك المكان، وخرقوا سقفه، فانفتحت لهم غرفة، كانت مخباة لمن تقدمه، وضع فيها ديناره ودرهمه، وفيها جملة صناديق، محكمات التوثيق والمغاليق، فاطلعوه على تلك الخبية، والتهوا عن طلب الحية الجبية، فامرهم فنقلوها اليه، ووضعوها بين يديه، فان فيها من الذهب النضار، خمسماية الف دينار، فعرف ذلك عناية ربانية، ومواهب صمدية رحمانية، فصرف المال فى اصلاح حاله، وبذره فى مزارع قلوب خيله ورجاله، فثبتت اوتاده، واستقامت اجناده، وقويت سواعده واعضاده، فكان امره قد اشفى على الزوال، وعقد نظامه قد قارب الاضمحلال والاختلال، وكان من تمام هذه السعادة، وتعقيب هذه الحسنى بالزيادة، ان الملك المذكور، بعد هذه الامور، وحصول هذا السرور، وانتظام مصالح الجمهور، اراد تفصيل قماش، وخياطة خلع ورياش، فطلب خياطا ثقة، ليقلده هذه المنطقة، فارشد الى خياط ماهر، شكله زاهر، وفضله ظاهر، وحذقه فى صناعته باهر، الا انه اطروش، حقل سمعه بدبا الوقر مدبوش، فما يصل ملك الكلام الى سريره صماخه الا بزمر وطبل وجاوش، فدعاه واجلسه بين يديه، وطلب القماش ليعرضها عليه، فتصور الخياط انه سعى به اليه، بسبب وديعة كانت لصاحب البلد لديه، وانما طلبه ليطالبه، فاما يوديها واما ان يعاقبه، فتقدم باليمين، مثل المصارعين، واقسم بالله

خالق المخلوق، ورازق المرزوق، انها اثنى عشر صندوق، لم يشعر بها مخلوق، وانه لا يدرى ما فيها، وانها مختومة بختم معطيها، فتعجب عماد الدولة من كلامه، وسجد لله شكر انعامه، ثم وجه معه من اتى بها، ودخل الى بيوت ما فيها من ابوابها، فكان فيها من الاموال، نفايس القماش الغال، جمل متكاثرة، واصناف متواترة، فاستولى على ذلك كله، وثبت بواسطة المال فى ركاب الملك واطى نعله، وانما اوردت هذا التنظير، يا ذا الراى والتدبير، ليعلم ان مسبب الاسباب، وميسر الامور الصعاب، اذا دبر مصالح عبده، وشمله باحسانه ورفده، هون عليه كل عسير، وصغر عنده كل كبير، وانت بكل هذا بصير، قال بسار صدقت، وصوابا نطقت، ولكننى نظرت الى الدنيا، ورزت احوال اهلها السفلى والعليا، ورايت كلما زاد الشخص حرصا وطمعا، ازداد لنفسه عبودية وتبعا، وللدنيا رقا، وللاخرة رشقا، فصارت قيوده اثقل، وحسابه اشد واطول، وهمومه اتم، وغمومه اعم، وان الواثق الى الدنيا، والراكن الى ما فيها من اشيا، كالجاعل له من السحاب حصنا، ومن الحباب كنا، واى وقاية تحصل من السحاب، وايوآء يصدر من الحباب، ومن تامل الدنيا بعين التبصر، وتفكر فى تقلباتها بمصيب العقل والتدبر، عد جمعها شتاتا، ووصلها انبتاتا، ومجيئها ذهابا، وشرابها سرابا، واقبالها ادبارا، ونسيمها اعصارا، وعطاءها اخذا، وعهدها نبذا، وصلتها فلذا، ووهبها نهبا، وايجابها سلبا، وحربها سلما، ووجودها عدما، وكثرها قلا، وعزها ذلا، وضحكها نباحة، وطلاقها راحة، فلم يكن عنده احسن من فراقها، ولا ارمن من طلاقها، والقناعة منها بالكفاف، والرضى منها بالعفاف، كما سالك الفلاح، صاحب الماشية واستراح، فقال الزنيم، اخبرنى كيف ذاك يا حكيم، فقال ان مخدومى الذى كنت عنده، احفظ ماشيته وعبده، كان ذا ثروة عظيمة، واموال كثيفة جسيمة، وكان ماشيته لا تزيد فى القياس، على الف راس، فان حصل من النتاج المعهود، ما يزيد على هذا القدر المعدود، تصدق به اوباعه، او وهبه لبعض الجماعة، ولو اراد لجعلها الوفا مولفة، واضعافا مضعفة، وكان فى الجيران، والاصحاب والاخوان، من هو اقل منه مالا، واقصر باعا واضيق مجالا، له الالوف من المواشى، وكذلك من الخدم والحواشى، وهم كل وقت فى ازدياد، وتضاعف الاعداد، من الاصول والاولاد، ومخدومى لا يقصد الزيادة، وان زاد شى اباده، فقال له الراعى وكان عليها اشفق ساعى، يا مخدومى ما لك لا تريد، ان تزيد، مواشيك وحواشيك، وتكثر بالرفق والرفد فواشيك، وبالورود والاصدار غواشيك، فان المواشى تزداد فوايدها، وتتوفر عوايدها، باعتبار زيادة اصولها، وادرار منافعها ومحصولها، وجيراننا كانوا اقل عددا من هذا المقدار، فصاروا بالتوفير اكثر عددا فى الاغنام والابقار، فزادوا على مواشينا، بعد ان كانت اوساطهم كحواشينا، ولا اعرف لهذا موجبا، ولا ادرى له سببا، غير الاهمال، وقصد تضييع الاموال، فقال مخدومى، هذا محيط به معلومى، ولكن ايها الولد، اعلم ان انواع العدد، احاد وعشرات، والوف وميات، فالالف غاية الاعداد، اذا اعتبر بالتعداد، والشى اذا جاوز غايته، وتعدى نهايته، اخذ فى النقص، واذا بلغ مداه تراجع بالنكص، وقد قيل الشى اذا جاوز حده، شاكل ضده، ومن لم يقنع بالقليل، لم يرض بالجزيل، ولقد احسن المقال، وصدق من قال، شعر

وما الدهر الا سلم فبقدر ما يكون صعود المرء فيه هبوطه

وهيهات ما فيه نزول وانما　　شروط الذى يرقى اليه سقوطه
فمن كان اعلى كان اولى تهشما　　وفاء بما قامت عليه شروطه

وكثيرا ما رايت، سمعت ووعيت، عن اصحاب الالوف، القاصدين الازدياد المالوف، نزلت الوفهم الى الواحد من الاحاد، فاستولى عليهم لذلك الهموم والانكاد، فتكدرت خواطرهم، واشتغلت ضمايرهم، فاما انا فلم اعلم ان الغنى نقص، ولا جارى حلبة مداه نكص، واذا عدى غايته، الزمته نهايته، وكبحت جامح طرفه، وكففت شامخ شرفه، تطلبا للراحة، ورغبة فى الاستراحة، شعر

فكم دقت ورقت واسترقت　　فضول العيش اعناق الرجال

وانما اوردت هذا التمثيل، لتعلم يا ذا التفضيل، انى ما دمت خادما، وفى صف الخدمة قايما، ولم اتعدّ طورى وهو مقام الخادميّة، الى ما ليس لى وهو مقام المخدومية، فانا مستريح، ولغيرى مريح، ونفسى مطمئنّة، وجوارحى عن ضيق السعى مرتحنّة، واصحابى احبابى، واحبابى اصحابى، والخواطر صافية، والمحبة وافية، والصداقة باقية، ومياه الود فى رياض الارواح ساقية، وفى عروق الاشباح واقفة جارية، فاذا رمت مع وجود هذه الحسنى الزيادة، وقصدت التعدى الى ما ليس لى به عادة، فانا بين امرين، متقلب على جمرين، اما عدم الحصول، والانقطاع عن الوصول، فتضاعف المنكدات، وتترادف المقسمات، وبحسبها تصل الهموم، وتحصل الغموم، كما مرّ سالفا، وذكر انفا، واما الظفر بالمراد، على حسب ما يراد، فبقدر ذلك يقع الصداع، ويقوم التحاسد والنزاع، واول ذلك معاداة الاصحاب، ومعاداة الاحباب، ومقاساة الاتراب، وحصول الضغاين، وبروز الكماين، بواسطة الترفع عليهم، وصدور المراسيم وتقدم امتثالها اليهم، فالاولى بحالى، التفكر فى مآلى، والاليق بشورى، ان لا اتعدى طورى، ولا اتورط فى هذا البحر العميق، والبير الغميق، ولا اخرج عن سوآء الطريق، فتهوى طير الهوان فى مكان سحيق، شعر

وانى يسار خايف ان يردنى　　زمانى بما لاقى يسار الكواعب

قال المشرقى ابو زنمة، ما احسن هذه الكلمة، وايمن هذا النظر، وارصن هذه الفكر، وادق معانى، هذه المبانى، ولكن اذا رفعك الله من يضعك، واذا عطاك من يمنعك، وقد قال ذو الجلال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا مانع لما اعطيت شعر

وكل الناس يطلب المعالى　　ونفس الحر تابى ان تُضاما

فلما بلغ بهما الكلام، الى هذا المقام، قال يسار اعلم يا فحل الفحول، وامام المعقول والمنقول، انى ما بالغت فى الامتناع، الا لاقف على ما فيك من طباع، واسبر ثبوت قدمك، وثباتك ورآء كلمك، فلقد وجدتك فى هذا الامر الخطير، فوق ما فى الضمير، وفى مواقف الاختيار، اثبت جنانا من ابن الليث الصفار، فانهض لقصدك وحركتك، على خيرة الله وبركته، فانى وضعت عنان جموح هذا المرام فى يد تدبيرك، وجعلت واسطة هذا العقد جوهرة تفكيرك، وسلك نظامه ونظام قلادته جودة تصويرك، فانك اهلٌ لذلك، وبرايك تقتدى المسالك، فابتهج ابو زنمة بهذا المقال، ووثب قايما فى مقال الخدمة وقال، حيث انشرح صدرك لكلامى، فسترى فى وجهك مجانس

قیامی، وانا اعلم ان معبودک، سیبلغک مرامک ومقصودک، ولکن یجب التیقظ، وقبل الشروع التحفظ، اما التیقظ فالامور یجعلها الملک مقتدا، ولا یغفل عنها ابدا، منها الثبات للنوازل الحرکات، والاقدام، حیث تزل الاقدام، والمصابرة، علی المکابرة، والمحامد، فی الشدائد، حتی تتوجه الیک المسار، وتندفع المضار، وتاتیک الامور علی حسب ما تختار، واما التحفظ فمن مواد شرور، متلبس بها الجمهور، منها الحقد، والملال، والکذب فی المقال، والحسد والاختیال، فان الحقود وقود، والحسود لا یسود، والکذوب یذوب، والملول لا یطول، والمختال مغتال، فباقی النصایح، الزکیة الروایح، تاتیک بالسعد، فیما بعد، وانا الان، اقدم للبیان، واذکر الاهم، وما فایدته اعم، قبل الشروع امام المقصود، وهو توکید مواثیق العهود، فانه اذا حفتک الجنود، واحاط بک ارباب الرایات والبنود، وانت جالس علی السریر، فی خدمتک المامور والامیر، والکبیر والصغیر، یعسر علی استیفاء الخطاب، واستیعاب الجواب، ولا یلیق بعظمتک، ومقام حرمتک، اطالة الکلام، ولو اقتضاه المقام، خصوصا بحضور الخاص والعام، ولو کان المتکلم اعز الخدام، واقرب الالزام، فلا اقدر ان اتجرا علیک، وانهی جمیع ما اریده الیک، لان قصد الخادم اقامة حرمة مخدومه، والمبالغة فی حفظ ناموسه وتعظیمه، وکثرة الکلام تمنعه، عن هذا القصد وتدفعه، واما فی هذا الوقت، فان کثیر کلامی لا یورث شیا من المقت، فلا حرج، علی کلامی کیف ما خرج، قال یسار بارک الله فیک، وابقاک لذویک، فما ادق نظرک، واحسن فی عواقب الامور فکرک، واصوب غوصک علی جواهر الانتقاد، واغرب بوصک الی زواهر الاعتقاد، فقل ما بدا لک، مما یزین حالی وحالک، فان حرمتی حرمتک، وحشمتی حشمتک، فان عظمتنی فقد عظمت نفسک، وان وفرت مالی فقد زدت کدسک، والخادم اذا لم یقصد رفعة مخدومه، ویعد ذلک من اکبر همومه، ویسعی فیه ساعة فساعة، وفی کل مکان وعند کل جماعة، والا فیدل ذلک علی خساسة مقداره، وقصور نظره ولوم نجاره، ورکاکة همته، وابتذال حرمته، فقال ابو زنمة، اول شرطی یا ذا العظمة، ان لا تقرب الموذیین، ولا تلتفت الی الاشرار المغتابیین، ولا تضیع الاوقات، فی الاصغاء الی القتات، ولا تسمع کلام واش، وتعد کلامه اقل من لاش، ثانیها ان لا تعجل فی فصل الحکومات، بل تتعاطاها بالتفتیش والالتفات، الی ان تتجلی صورتها، وتتعین حقیقتها، فاذا وضحت لدیک، وتجلت مخدرة حقیقتها علیک، اجهد فیها بالصدق، واعمل بما یقتضیه الحق، ثالثها ان لا تعوّد لسانک الفحش والبذاءة، فان فی ذلک علی الملک اسواء اساءة، فان الکلام یوثر فی القلوب، وینفر من قبیحه الطالب والمطلوب، وقد قیل شعر

جراحات السنان لها التیام ولا یلتام ما جرح اللسان

وقیل ان عیسی علیه السلام، مرّ بجماعة فی بعض الایام، فصادفوا کلبًا اجرب، فقال له سلّمک الله اذهب، فقال کلّ من اصحابه، مما کان معبی فی جرابه، من الاستنقاص، وطلب البعد عنه والمناص، وما سلموا الی عیسی حاله، بل سالوه عن کلامه له وما دعا له، فقال انی عودتُ لسانی، ببیان ما فی جنانی، وهو المقاصد الحسنة، وترک الالفاظ والعبارات الخشنة، وقیل انه مرّ فی بعض الاوقات، ومعه جمعات بکلب من الاموات، ملقی علی مزبلة فی جملة القاذورات، فوضع کل منهم

يده على خنصره، وتكلم فى رايحته عند شمه، فقال عيسى عليه السلام ما احسن بياض اسنانه، فقيل له عما سمع من بيانه، فقال عودت لسانى بلفظ الخير، وان لا يتكلم بما فيه ضير، وكما يجب على الملك كف اللسان الفصيح، عن الكلام البذى القبيح، وكذلك يجب عليه، ان لا يصغى اليه، ويتامل قول الشاعر

وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق بهْ

فانك عند سماع القبيح ... شريك لقايله فانتبهْ

فبهذا الامر يا مخدوم، لكل احد على العموم، واما اكابر السلاطين، والملوك الاساطين، فهم اعلا مقاما، ان يكون الفحش لهم كلاما، وان يجرى فى مجالسهم، او يسمع من محادثهم ومجالسهم، وكل ملك اعتاد مجلسه فاحش الكلام، اختل نظامه ومقته الخواص والعوام، ونفرت منه قلوب الرعية، وبحسب رغبة الرعية تكون الممالك مضية، واذا نفرت قلوب الرعية كرهوه، وتوقعوا غيره ليقوموا معه وينصروه، فاذا لم يوجد عقدوا الحقود، واستمروا اذلاء كاليهود، والبغضة كامنة، والحسايف باطنة، فتتقدم العداوة وتتقدم، وتتاكد وتتازم، واذا قدمت العداوة ذهبت من الصداقة الحلاوة، فلا بد يوما من الايام، ان تبرز راسها من جيب الانتقام، واذا وجدوا فرصة، وثبوا عليه وقصدوا قصة، كما جرى للفويرة، مع الهريرة، قال يسار، بيّنْ لى هذه الاخبار، فقال ذكر شخص معتبر، من رواة الخبر، ان فى القديم، كان رجل عديم، وعنده قط رباه، واحسن ماواه، فكان عنده كالولد الاعز، واكرم من ابن الفرات عند ابن المعتز، وكان القط قد عرف منه الشفقة، والف منه المودة والمقة، فكان لا يبرح من مبيته، ولا يسعى لطلب قوته، فحصل له الهزال، وتغيّر ما له من امر وحال، لا عند صاحبه ما يغذيه، ولا له قوة على الاصطياد تغنيه، الى ان عجز عن الصيد، فصار يسخر به من اراذل الفار كل عمرو وزيد، وصار كما قيل شعر

خلت الرقاع من الرخاخ ... وفرزنت فيها البيادق

وكان فى ذلك المكان، ماوى لرييس الجرذان، وفى جواره مخزن لسمّان، فاجترا الجرذان، لضعف ابى غزوان، وتمكن من نقل ما يحتاج اليه، وصار يمرّ على القط امنًا منه ويضحك عليه، الى ان امتلا وكره من انواع الماكل والمطاعم، وحصل له الفراغ من المخاوف والمزاحم، واستطال على الجيران، واستعان بطوايف الفيران على العدوان، فاتفكر الجرذان يوما فى نفسه، فكرا اداه الى حلول رمسه، وهو ان هذا القط وان كان عدوا قديما، ومهلكا عظيما، لكنه قد وقع فى الانتحال، وضعف عن الاصطياد لقوة الهزال، وقوتى انما هى لسبب ضعفه، وهذا الفتح انما هو حاصل بحتفه، ولكن الدهر الغدار، ليس له على حالة استمرار، فربما يعود الدهر عليه، ويرجع صحته وعافيته اليه، فان الزمان، الكثير الدوران، ينهب ويهب، ويعطى ما سلب، ويرجع فيما وهب، كل ذلك من غير موجب ولا سبب، واذا عاد القط الى ما كان عليه، يتذكر من غير شك ساعتى اليه، فيثور قلقه، ويفور حنقه، وياخذه لاذاى والانتقام سهره وارقه، فلا يقر لى معه قرار، واحتاج بالاضطرار، الى التحول عن هذه الدار، والخروج عن الوطن المالوف، ومفارقة السكن المعروف،

امرٌ صعب، مشوم الكعب، فلا بد من الاهتمام، قبل حلول هذا الغرام، والاخذ فى طريقة الخلاص، قبل الوقوع فى شرك الاقتناص، ثم انه ضرب اخماسا لاسداس، فى كيفية الخلاص من هذا البأس، فاداه الفكر الى اصلاح المعاش، بينه وبين ابى خراش، ليدوم له هذا النشاط، ويستمر بواسطة الصلح بساط الانبساط، فراى انه لا يفيده، ما يريده، الا بزرع الجميل، من كثير وقليل، خصوصا فى وقت الفاقة، فانه اجلب للصداقة، وابقى فى الوثاقة، ثم بعد ذلك يترتب عليها العهود، ويتاكد ما يقع عليه الاتفاق من العقود، وهو ان يلتزم الجرذان، ان يقوم لابى غزوان، فى كل غداة، من طيب الغداء ما يكفيه لغداه وعشاه، لان الشبع فى الدرس، قال خير النوال ما وقيت به النفس، الى ان يصح جسده، ويرد عليه من عيشه رغده، ويكون ذلك سببًا لعقود الصداقة، وترك العداوة القديمة المساقة، وان تشترط دوام المحبة، وازدياد المودة والصحبة، وان لا يقصد، ابو الهيثم ابا راشد، بشى من الاذى والشرور والمفاسد، ويعمل هذا الهر، بما قال الشاعر

ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا   من كان يالفهم فى المنزل الخشن

ثم ان الجرذان، جمع من الخبز والاجبان، واللحم القديد، والطعم اللذيذ، ما قدر على حمله، ونهضت قوته بنقله، وقدم مقام الهر، وسلم عليه سلام مكرم مُبِرّ، محب قديم، وصديق حميم، وقدّم ما معه اليه، وترامى بكثرة الاشتياق والتودد عليه، وقال يعزّ علىّ، ويعظم لدىّ، ان اراك يا خير جار، فى هذا الضرر والاضطرار، ولكن العاقبة الى خير، وسيقبل السعد باحسن طير، فتقدم ايها الحبطل، وتناول من هذا الماكل، فاذا سددت خلتك، كلمتك بشى استشير به خدمتك، فانه قد قيل شعر

ان الصداقة اولاها السلام ومن   بعد السلام طعام ثم ترحيب
وبعد ذاك كلامٌ فى ملاطفة   وتضحك ثغر واحسان وتقريب
واصل ذلك ان تبقى شمايلها   بين الاحبة تاييدٌ وتاديب
لم تنس غيبًا ولم تملك اذا حضروا   قد زان ذلك تهذيب وترتيب
ان الكرام اذا ما صادقوا صدقوا   لم يثنهم عنه ترغيبٌ وترهيب

فتناول القط من تلك السرقة، ما سد رمقه، وشكر للجرذان تلك الصدقة، ولما اكل فمه استحبت لحدقة، ثم قال انشد، ما انت ناشد، يا ابا راشد، قال ان لى عليك من الحقوق، مثل ما للجار الصدوق، على الجار الشفوق، واردت ان يتاكد الجوار بالصداقة، وتترقى الى درجة المحبة باحسن علاقة، وان كانت بيننا عداوة قديمة، فنترك من الجانبين تلك الخصلة الذميمة، ونستانف العهود، على خلاف الخلق المعهود، وتدبير الامور، على مصلحة الجمهور، وتبنى القاعدة فى البين، على ما يعود نفعه على الجانبين، واذكر لك شيا يحملك على ترك خلقك القديم، ويرشدك فى طريق الاخآء الى الصراط المستقيم، وهو ان اكلى مثلًا ما يغذى منك بدنًا، فضلا ان يظهر فيك صحة وسمنا، ولكن ن امتنتنى مكرك، واعملت نظرك وفكرك، ثم رغبت فى صحبتى، وعاهدتنى على سلوك طريق مودتى، واكدت اى ابا غزوان، ذلك بمغلظات الايمان، الى ان استوثق باستصحابك، وابيت آمنا فى مجيك وذهابك، ولو كنتُ بين مخالبيك وانيابك، فانى التزم لك فى كل يوم،

اذا استيقظت من النوم، بما يسد خلتك، ويبقى مهجتك، صباحا ومساء، وغداء وعشاء، وان قلت ان ذلك شى مجهول، فانا اقدره بنظير هذا الماكول، فان هذا الغداء، يكفيك عشاء وغداء، وما قصدت بذلك الا رعاية لحق الجوار، ولقد انستني بتسبيحك بالليل والنهار، واظن وظنى لا يخيب، انك ان تبت الى الله ورجعت من قريب، وكففت عن اذى الجيران، وعففت عن اكل الفيران، ثم اعلم يا اسد الحيوان، ان لى من هذه المونة عشر مخازن، قد اعددتها لمثلك، وانا اقدمها لنزلك، وادخرها لاجلك، والقصد ان اكون آمنًا من سطواتك، ساكنا فى صدمات حركاتك، وذلك انما يعلم بتاكيد الاخاء، وتاييد المحبة والولاء، فلما راى الهر، هذا البر، اعجبه هذا النعم، واطربه هذا النغم، واقسم طايعا مختارا، ليس اكراهًا ولا اجبارا، وانه لا يسلك مع الجرذان، الا طريق الامان والاحسان، وانه لا ينوء، اليه بقصد سوء، بحيث تتاكد المحبة، وتزداد يوما فيوما الصداقة والصحبة، فرجع الجرذان، وهو بهذه الحركة جذلان، وصار كل يوم ياتى ابا غزوان، بما التزم به من الغداء والعشاء، كل صباح وعشاء، الى ان صح القط واستوى، وسلمت خلوات بدنه من الخوى والخوا، وصارت المحبة تنعقد كل يوم عقدا مجددا، ويزداد كل منهما فى الاخر محبة وتوددا، وكان لهذا القط ديك صاحب قديم، وصديق نديم، كل منهما يانس بصاحبه، ويحفظ خاطره بمراعاة جانبه، فحصل للديك تعوق، عن زيارة الصديق، فغاب عنه مدة، وكل منهما للفراق فى شدة، فلم يتفق لهما لقاء، الا وقد حصل للقط الشفاء، وزال الشقاء، فسال الديك صاحبه بما ذا صارت علته ذاهبة، وذاك الهزال، باى شى زال، فاخبره باحوال الجرذ ابى جوال، وانهى امره من الاول الى الآخر، وبالغ فى الشكر فى الباطن والظاهر، وانه كان سبب حيوته ونجاته من مخاليب مهلكته، وانه لم يكن مثله فى الاصحاب، وقد صار اعز الاصدقاء والاحباب، فغار الديك على الصاحب القديم، واخشى ان يفسد ما بينهما المفسد الذميم، فضحك مستغربا، وصفق بجناحيه متعجبا، فقال له مم تضحك، فقال من سلامة باطنك، وانقيادك لمداهنك، وحسن صنايعك، مع المنافق مخادعك، ومكارم اخلاقك، مع ناقض ميثاقك، واصغايك لهذا الخبيث، بمشوه الكلام ومموه الحديث، ومن يامن لهذا البرم، الواجب القتل فى الحل والحرم، المفسد الفاسق، الموذى المنافق، الذى خدعك حتى آمن على نفسه، واستطرق بذلك الى التمكن من اذاه وحسده، فتسلط فى الاذى كما يختار، وانهمك فى الشر امنًا منك البوار، كل ذلك بسببك، ومكتوب فى صحايف كتبك، مع انك لست بمشكور، ولا بالخير مذكور، وانما الذى شاع وذاع، وملا عنك الاسماع، انك ستحل عقده، وتنكث عهده، وتنقض الايمان، وتجازى بالسئة الاحسان، وانه لم ير منك ما يسره، وهو متوقع منك ما يضره، واعظم من هذا انه الذى وحشر فنادى، وبالشرق بادى، فقال انه احياك بعد الموت، وردك بعد الفوت، ولو لا فضله عليك، وبره الواصل اليك، لمت هزالا وجوعا، ولما عشت اسبوعا، ولكنه اشبع جوعك، وجلب هجوعك، واستنقذ من مخاليب المنية بعد نعابك رجوعك، فشفاك وعافاك، وصفا لك وصافاك، وكفاك المونة وكافاك، وانه كافيته مكافاة التمساح، وجازيت حسناته بالسيات القباح، ولم يكن لاحسانه اليك، ونعما من به عليك، سبب ولا علاقة، سوى طهارة نفس زكت اخلاقه، ولم يكن لاسانك اليه، سبب

تنقم به عليه، الا ما اسداه مكارم شيمته الواصلة اليك، وفوايد نعمته السابغة عليك، وقد اشاع هذا كله، فى الشوارع والحارات خصوصا هذه المحلة، ثم اقسم بمن عطفه عليك، وساق فضله اليك، وجعلك محتاجا الى نواله، واسبل عليك لباس صدقاته وافضاله، ليستوفين منك ما صنعته، وليحفظن عليك ما عليه ضيعته، وليوقعنك فى طوى بلية، يعجز عن خلاصك منها كل البرية، فليريحن منك جنس الفار، وليخلدن ذكر هذه القضية فى بطون الاسفار، وبالجملة فهل سمعت ان جرذا صادق هرة، او اتفق مرافقة بينهما فى الدهر ولو مرة، ومناصحة القط والفار، كمصادقة المآء والنار، شعر

فانت كواضع فى المآء جمرًا وانت كمودع الريح الترابا

فلما سمع القط هذا الكلام، تألم خاطره بعد ايلام، وما صدق ولكن ظن، واشتغل خاطره لامر عن، وتلهب واشتعل، ومن يسمع يخل، وقال للديك جزاك الله عنى خيرًا، وما اكثر شفقتك طيرا، ولكن من قال، لك هذا المقال، قال انت محب، وعلى مودة الجرذان مكب، وقد قال سيد العرب والعجم، صلى الله عليه وسلم، حبك للشى يعمى ويُصم، وقال الشاعر

وعين الرضى عن كل عيب عيية كما ان عين السخط تبدى المساويا

ولقد غرك بلقيمات من الحرام، والسحت المنغمس فى الاثام، وجعلها بمنزلة حبة الفخ، فلا تشعر بها الا وانت فى المسلخ، قد وقعت ولا رفيق ولا اخ، هناك يعرف تحقيق هذا الكلام، ولكن انت الان راقد مثل النيام، والكلام ما يفيد، ولا بد ان الله تعالى يجرى ما يريد، وما فى اضاعة الكلام طايل، وكانك انت القايل، شعر

ظن العذول بان عذلى ينفع قل ما تشا فعلىّ ان لا اسمع

وما قلت لك هذا الكلام، الا من فرط الشفقة والغرام، ورعاية لحق ما يجب علىّ من القيام، وحفظًا للصداقة القديمة، والمودة التى سحايبها ديمة، وانا لو غششت كل احد ما خطر لى ان اغشك، وانا لا استشهد على صدقى الا بقينك الساكن عشك، فترجح جانب صدق الديك، كفاك الله شر من يوذيك، وقال القط فى خاطره، بعد ما اجال قداح ضمايره، هذا الديك من حين انفلقت عنه البيضة، وسرحت انا واياه من الصداقة فى روضة، ما وقفت له على كذب، ولا سمعت عنه انه لزور مرتكب، مع انه مومن امين، بين ظهور المسلمين، وهو بالصدق قمين، وما حمله على هذا الا المحبة، وقديم المودة والصحبة، وهو ابعد من ان يكذب ويخدع، واى قصد له فى ان يغش ويتصنع، وتردد ابو هريرة، فى تيه الحيرة، بين الديك والغويرة، ثم قال للديك، وقاك الله شر اعاديك، فكيف اعرف صدق هذا الخبر، وهل للدلالة على سوء طويته علامة تنتظر، قال نعم ورب الحرم، علامة ذلك انه اذا دخل عليك، ونظر اليك، ان يكون منخفض الراس، مجتمع الانفاس، متوقعا حلول نايبة، او نزول مصيبة صايبة، او شمول بلية غايبة، متلفتا يمينا وشمالا، متخوفا نكالا ووبالا، طايفا يتنقب، خايفا يترقب، وذلك انه خاين، والخاين خايف وهذا باين، وبينما هما فى المحاورة، والمناظرة والمشاورة، يتجاذبان القيل والقال، دخل المفسد ابو جوال، وهو غافل عن هذه الاحوال، فراى ابا يقظان، يخاطب ابا غزوان، فخنس وتهقهر، وتوقف

وتشور، وهو غافل عما قضاه الله وقدر، فاشمأزّ لرويته الديك واشمعلّ، وانتفض واجرألّ، فارتعد الجرذ من شيخ الديكة، لما راى منه هذه الحركة، وانتفش وانزوى، وتقبض وذوى، واشبه بغداديا بلع الدوا، ونظر يمينا وشمالا، كالطالب للمفر مجالا، والقط يراقب احواله، ويتميز حركاته وافعاله، فتحقق ما قاله ابو سليمن، ونظر الى الجرذان، نظر الغضبان، وهمّ واكفهرّ، ورقصت شواربه وازبار، فاضطرب الجرذان، وطلب الامان، فنسى السنور العهود والايمان، ونبض عرق العداوة القديمة والعدوان، وظفر على الجرذان، وادخله فى حيز خبر كان، واخلى منه الزمان والمكان، وانما اوردت هذا التنظير، ايها الصاحب البصير، لفايدتين، جليلتين عظيمتين، احديهما الاعلام بالتحقيق، ان العدو العتيق، لا يتاتى منه صديق، ثانيتهما الاعلام، ان الواجب على الحكام، الا يعجلوا بالانتقام، فربما يورثهم الاستعجال، الندامة فى المال، فى حالة لا يفيد، العذل والتفنيد، وعند ذلك، لا يمكن التدارك، بل اذا نقل اليهم، واورد عليهم، ما يثير غبار الغضب، ويحمى من نار السخط اللهب، لا يفلتون زمام التثبت والتفكر، من انامل التانّى والتدبر، خصوصا السلاطين، والملوك الاساطين، فان قدرتهم واسعة، واطراف اوامرهم شاسعة، واوهاق اختيارهم طويلة، ومرامى المراد لمرامهم منيلة، واذن الكون لاوامرهم سميعة، وعين المكان لمراسيمهم مراقبة مطيعة، فمهما ارادوا من النفع اوصلوا، ومهما اختاروا من الشر فعلوا، وذلك فى كل حين، ممسين او مصبحين، ولذلك قالوا القاضى، لا يحكم حكما الا وهو راضى، ولا يحكم وهو غضبان، ولا مشغول الخاطر ولا غرثان، واذا وجدوا طريقا الى الخير بادروا اليه، واذا قصدوا ايقاع الشر توقفوا لديه، ولا يهملوه بل يسبروا غوره الى ان يقفوا عليه، فربما يكون من مداخلة عدو او حاسد، او يتعاطى من غرض فاسد، ثم اعلم يا ذا التبصرة، والفضل والتذكرة، انه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، فلما وعى يسار، هذا الحوار، قال ما ازكى هذه النصايح، واذكى هذه الروايح، وانا اقبل عليها واقبلها، ولا ازايل مرتشف سمعى مقبّلها، وعلى ذلك اعاهدك، ومهما رايت غيره اعقدك، فانه للملك عين المصلحة، وللملك زين ومسلحة، وايضا فاشترط ما بدا لك، مما يزين حالك، ويصون مالك وملك، قال واريد ان تكون حرمتى موثرة، وكلمتى معتبرة، ومنزلتى على اقرانى مرتفعة، ومكانتى فى الممالك متسعة، بحيث تكون مزيّتى ظاهرة، ورفعتى لاكفايى باهرة، وكلامى فى محل الاصغاء والقبول، متصلا بالنجاح فى السول والمسئول، فان حسن العهد، وحفظ الود، ورعاية الحقوق القديمة السابقة، والخدمة المستمرة اللاحقة، دليل على كمال المروة والوفا، ونهاية الفتوة والصفا، لا سيما من الملوك والاكابر، فى حق خدمهم الاصاغر، فهى الحقيقة رفعة الخادم وحرمته، من رفعة مخدومه وعزته، وكل من رفع قدر خدمه، وحافظ على حفظ حشمه، ومنع جنابهم، ورعى حاضرهم وغايبهم، فانما حفظ اطراف حشمته، وراعى جانب عظمته وحرمته، وكل كبير امتهن خدامه، واذل جماعته وقوامه، ولم ينزلهم منازلهم ولا عرف فضايلهم، وساوى باواخرهم اوايلهم، فانما اضاع مكانة نفسه، ولم يفرق فى الفكر بين يومه وغده وامسه، وانما لم يصغ الملك كلام وزيره، واستقل باوضاع ناصحه ومشيره، فابتذله وانتهره، واستقله واحتقره، خصوصا فى الجامع والمحافل، بين العساكر والجحافل، فاى حرمة تبقى له عند البقية، من ساير الخدم

والرعية، واى مرسوم وكلام، يسمع له عند العوام، فيتكدر خاطره، وتتغيّر سرايره، فيدعو ذلك العباد بالله الى شق العصا، اذ صار على باب مخدومه معلقا كالخصا، وقدره فى المكانة وقوله فى البلاغة، صار كالزيف فى الصاغة، والفسو فى الدباغة، وناهيك ايها الخبير ما قالته لامها الزاغة، قال يسار، اخبرنى بذلك اى جهينة الاخبار، قال ذكر ان زاغة، فى بلد مراغة، انتشى لهما فرخة، انتشر لها بين الطيور صرخة، بما افرغت فى قالب الجمال، وتربت يتيمة بالدلال، وجمعت من فنون الكمال، فلما بلغت مبلغ الزواج، خطبها من صنوف الطير الازواج، وترادفت عليها الخطاب، ودخلوا على امها فى ذلك من كل باب، فكانت تانى عليهم، ولا تلتفت الى بذلهم ولا اليهم، الى ان بلغ خبرها الى بومة، كريهة الوجه مشومة، بينها وبين ام الزاغة صداقة قديمة، فخطبتها لابنها، وان كان الطير عبنها، فاستشارت ابنتها، واظهرت فى ابن البومة رغبتها، وقالت اى ربيبة الخير، قد رغب فيك اصناف الطير، فكنت ادافعهم، واسوّف بهم واما نعهم، وقد اشتهر صيتك بين الكبراء، وخطبك منى الاعيان والروساء، وانا على المطاولة، والرد والمقاولة، وقد استحييت منهم، واختشيت غايلة ما يصدر عنهم، ولم افعل ذلك، الا رعاية لحالك، وخوفًا من زوج ظالم، بقدرك غير عالم، يستضعف جانبك، ويكره اهلك واقاربك، ثم لا تقدر على مقاومته، وتتعب فى مرافقته ومفارقته، لا سيما ان صار بينكما معاشقة، فيصير نكاحكما كنكاح الدماشقة، كل يضمر السوء حالة المعانقة، وكل يا احسن الطاير، معنىٌ بما قال الشاعر،

رايت الذى لا كلّه انت قادرٌ   عليه ولا عن بعضه انت صابر

ونعوذ بالله من اختلاف الوداد، وان يصير نكاح اهل السنة كنكاح اهل بغداد، فان صادفتما فى محاّة، مثل ابى بكر الربانى ودلّة، او مثل الفرغانى وعُلى، او جارة تشبه عيشة تَلّلى، خرجتما من يدى، وزدتما نكدى، فكنت لهذه الامور، اخشى تقلبات الدهور، وارد خطاب الجهور، وقد خطبك يا كريمة، ابن صاحبة قديمة، وهى البومة الفلانية، وهى صاحبة هنية، واخلاق ابنها رضية، وهو شخص فقير، ضعيف الحال حقير، نقلبه فى ايدينا كما نريد، ونتصرف فيه تصرف الموالى مع العبيد، لا فى الطير جنس يحبه، بل كلهم يكرهه ويسبه، ولا له ناصر علينا، ولا جارحٌ يدلى به الينا، فهو تحت طاعتك كما تحبيين، وفى ربقة ارادتك كما تريدين، لا كالحمام يتطوق بطوق الفخر، ولا كالهدهد يضع على راسه تاج الكبر، فما رايك فى هذا الامر، فقالت الزويغة، مقالة بليغة، وهى شعر

حفظت شيا وغابت عنك اشياء

ما اصنع بزوج ممتهن، وبغض الاجناس ممتحن، مكسور مهجور، متطير منه بين الطيور، هذا يخطفه، وهذا ينتفه، وهذا ينقره، وهذا ينسره، وهذا ياسره، وهذا يكسره، واذا لم يكن للزوج حرمة، ولا نفوذ كلمة، خصوصًا عند زوجته، واهل بيته وعشرته، فاى قدر يكون له عند غيرها، وانى ينشر بالسعد جناح طيرها، وقد قال رب السموات والارض، ومالك الطول والعرض، والبسط والقبض، والرفع والخفض، الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وقال من جعلهم قوامين وذاتنا منعوجة، وللرجال عليهنّ درجة، ومقدار المراة بين جيرانها واهلها، لا

يعرف الا بمقدار حرمة بعلها، وانا كيف يبقى حالى وبالى، وما على وما لى، بين جيرانى وصواحبى، واهلى واقربى، اذا كان زوجى ذليلا مهينا، محتقرا بين الناس حزينا، والله لا يكون لى بزوج، ولو بلغ راسه الى الاوج، ولا امدّ اليه باعى، ولا يرفع له فى مركب الزوجية شراعى، وانما اوردت هذا المثال، يا شبه الغزال، لابين انه اذا لم يكن لى فى دراك عزة، ولا يرفع مكانتى ومكانى نشاط وهزة، فلا يرجونى الصديق والموافق، ولا يخاشنى العدو والمنافق، فيختل امرى، ويضيع فى غير حاصل عمرى، واذا ما اتّصل مرسومى، تعدّى الوهن الى مخدومى، فقال يسار ابشر ايها الوزير المشفق، والكبير المحقق، والحكيم الماهر المدقق، بالدرجة العلية، والمرتبة السنية، والكلمة المقبولة، والوظيفة الفاضلة لا المعصولة، ولكن انا ايضا لى عليك شروط، تربن عقودها المتعلقات فى المروط، هن لدار السعادة ابواب، وللترقى الى درج المعالى اسبابه، ومثلك لا يدل على صواب، وهى ان تتقلد العمل، مبسوط الامل، بجميع ما قررته، وتتعاطى ملازمة جميع ما حررته، من اقامة ناموس المملكة، ورعاية شرايط السلطنة، ومحافظة جانب مخدومك، والانهاء الى مسامعه جميع ما فى معلومك، وتقديم مصالحه على مصالحك، ومعاملة رعيته بالجيد فى نصايحك، وكفه عن المظالم، والعدول به عن طرق المآثم، والغيرة على دينه، واعتقاده ويقينه، اكثر من الغيرة على دنياه، وفى الجملة لا يكون عملك الا لله، بحيث لا تكون من قبيل لم تقولون ما لا تفعلون، واياك والرشا والبرطيل، والدخول لغرض الدنيا فى الاباطيل، وتوق ظلم الرعية للاغراض الدنية، او الاعراض الدنيوية، واتق دعوة المظلوم، وان يصل سهامها الى ذات المخدوم، واعلم انه ان بنينا اساس الامور، على قواعد الظلم والشرور، فنحن من الخاسرين، ومن الذين ظلموا والله لا يحب الظالمين، وسيقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين بل ابن الامور على اساس التقوى، فانك بالتقوى تقوى، وبروايتها تروى، فمن تحلى بالقضايا العاطلة، وتشبث باذيال الامور الباطلة، ولم يقصد وجه الله فى حركاته وسكناته، وادخل شوايب الريا والسمعة فى اعماله وطاعاته، لا يمشى له حال، ولا يصلح له مال ولا مآل، ويصيبه ما اصاب السايح، الذى ادعى اخلاص العمل الصالح، ثم شرع فى حركته، واخلص فظهرت اثار بركته، فلما قصد الاغراض الدنية، فسد ظاهره، بفساد النية، فسال المشرقى، عن حال ذلك الشقى، فقال كان فى اقصى بلاد الصين، طوايف غير ذوى عقل رصين، انبت لهم فى بعض الجبال، زراع القدرة ذو الجلال، فى رياض النزاهة والكمال، شجرة ذات بهجة وجمال، اصلها فى ارض الملاحة ثابت، وفرعها من اصل الملاحة نابت، وغصنها الى سماء العلاء واصل، وورقها كعقود الجمان بالبهاء متواصل، لا سموم الصيف يذبل زهرتها، ولا عواصف الخريف تذهب نضرتها، ولا صرصر الشتاء يعرى اغصانها، ولا لواقح الربيع تذوى افنانها، فاعجب بحسنها اهل تلك الديار، واشربوها اشراب بنى اسرائيل عجلا جسدا له خوار، ثم تغالوا فى حبها، وتهالكوا على قربها، فعبدوها كما عبدوه، واعتقدوا فيها ما اعتقدوه، واستولى على عقولهم الشيطان، وصار يخاطبهم من الشجرة واحد من الجان، فزادهم فيها اعتقادا، وعمهم بعبادتها كفرا وفسادا، فقدم تلك البلاد فقير من السايحين، وهو من عباد الله الصالحين، فلما راى تلك الحالة، افزعه ذلك وهاله، واخذته غيرة الاسلام، وغضبة دعته الى القيام، فاخذ فاسا وقصدها،

ليقطع ساقها وعضدها، فلما قرب اليها، واراد وضع الفاس عليها، سمع منها صوتا خوفه، وعن مراده اوقفه، فقال ايها الرجل الصالح، والقادم السايح، فيم ذا الهمة، وعلام هذه العزمة المهمة، وما قصدك بهذه الصدمة، فقال غرت لله، ايها المضلّ اللّاه، شجرة تُعبد من دون الرحمن، ولا يغار لهذا الشان انسان، فلاقطعنّك ايتها الشجرة المضلة، ولاجعلنّك حطبا ومُثلة، فانك قد اضللت كثيرا من الناس، وفعلت ما لا يفعله الوسواس الخناس، وانك لا تنفعين ولا تضرين، سوى انك الى النار تجرين، فقالت ايها الرجل الزاهد، الصالح العابد، انا ما اذيتك ولا ضررتك، وان رايت نفعتك وبررتك، وحاشاك ان توذى من لا اذاك، وانا اعلم ايها الرجل الكبير، انك غريب وفقير، وما اقدمك على هذا الباس، الا الغربة والافلاس، فكف عن هذا الامر، واطفى نايرة هذا الجمر، وارجع الى منزلك، واشتغل بطاعتك وعملك، وانا اوصلك كل نهار دينارا، ذهبا نضارا، كاملا وافيا معيارا، يأتيك هنيئا ميسّرا، كل صباح مبكرا، اذا استيقظت من رقدتك، تجده تحت وسادتك، وهذا هو الانيق بحالك، وافرغ لخاطرك وبالك، واخلص لك من ورطات المهالك، واذا اصلحت مع الله سريرتك، وطهرت من ادناس الدنيا سرك وسيرتك، فاترك الناس ولو كانوا جيرتك، او اهلك وعشيرتك، وعليك بخويصة نفسك، فاذا انقذتها من الورطات فامسك، وقد قال منزل القران ليحرسكم، يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم، فلما سمع بالدينار، الهاه الطمع والاغترار، فبردت همته، وضعفت في الله قوته، وتركها ورجع، وترك القيام وهجع، فلما اصبح الصباح، وجاز بالصلاة الفلاح، بادر الى الفراش، وطلب المعاش، فوجد الدينار، كما ذكره الشيطان واشار، فالتقفه وابتهج، وتحقق انه فتوح باب الفرج، واستمر على ذلك اسبوعا، والذهب عنده مجموعا، ثم بعد ذلك قصد الفراش، بسرور وانتعاش، فلم يجد شيا من الذهب، فتحرق قلبه والتهب، فاخذه الحنق والقلق، فاخذ الفاس وانطلق، فلما قرب من الشجرة، نادته بالفاظ عكرة، قف مكانك، واذكر شانك، وقل لي فيما ذا جيت، فلا خُيّبتَ ولا حييت، فقال جيت لاقتلعك، ومن الارض اقلعك، غيرةً على الدين، وقياما بحق رب العالمين، فقالت كذبت، انما غرت وسببت، وقمت وقعدت، وبرقت ورعدت، لفقدك الذهب، الذى عنك ذهب، وانما كانت الغيرة الصحيحة، والقومة المليحة، الناهضة النجيحة، القومة الاولى، فانها كانت والحق قد تجلى، فلو قامت الخلايق لردك، واجتهدوا في منعك وصدك، لما ظفروا بك، ولا قاموا بحروبك، واما الان، فهذه الغضبة، غضبة الفاجرة القحبة، التى حصلت بواسطة عدم الدينار، فهى التى اثارت منك ما اثار، فلو دنوت منى خطوة، او تقدمت من مقامك رَتْوة، دققت عنقك، وشققت زقك، وقد قلت انى لا اضرّ ولا انفع، ولا اجلب ولا ادفع، فاما المنفعة يا صلمعة، ابن قلمعة، فانك رايتها، في الدنانير التى لقيتها، فتقرر النفع، يا صفع، واما المضرة، فقسها على المنفعة يا ابا مرة، فان الذى له قدرة على المبرة، ربما يقتدر على الايذاء والمضرة، وان شيت تقدم، وجرّب لتعلم، واخبر واسبر، وانظر كيف انثر، منك الراس، بهذا الفاس، وتحقق وتصدق، ان كتفك، حَمَلَتْ حتفك، فبهت الرجل وتحيّر، وخاف وخار وقبقر، وانقطع حبل رجايه، وافلت يتلفت الى ورايه، وانما ذكرت هذا لتعلم، ايها الوزير المكرم، ان كل امر لا يقصد به وجه الله، فان عقباه الندم وان حَسُن

اولاه، وكل قصد ليس لغرض صالح، فان شجرة غراسه لا تثمر الا الفضايح، فترك الشروع فيه اولى، ومحو صورته عن لوح الضمير اجلى، ومن لم يترك ما لا يعنيه، وقع فيما يعنيه، وحصل به من الفضيحة والايلام، ما حلّ بذلك المفسد في مدينة السلام، فسال الزنيم المشرقى البصير الافرقى، كيف كانت تلك الفضيحة، لياخذ منها لنفسه النصيحة، قال كان في مدينة بغداد صانع حرير، استاذ خبير، له جار، سنى الجوار، وزوجة تخجل البدر عند الكمال، والشمس قبل الزوال، وذاك الجار الجانى، يدعى ابن الفرغانى، ففى بعض مناره، لمح زوجة جاره، فتعلق قلبه بها، فاخذ يلهو بها، واشتعل من هواها نار احشايه بمحبوبها، الى ان افسدها، والى الضلال ارشدها، وكان الزوج مغرما بها، فوجد على حالها منبها، فصار يراقبها من كلفه، ولا يغفل عنها لشدة شغفه، ويجتهد في كفها عن الخيانة، وان تحفظ الغيب وتودى الامانة، ففى بعض الاوقات، راى في بعض الطرقات، صيادا ومعه طير، قد اوثق رجليه بسير، فساله عن طيره، والى اين قصده في سيره، فقال هذا من الجوارح، السوانح لا البوارح، يحكى الصوادح، ويباكى النوايح، وفيه سر عجيب، وامر غريب، وهو انه اذا كان في بيت، وراى فيه على صاحبته كيت وكيت، اخبر زوجها خبره، وقص بجره وبجره، وقد رغب فيه رييس يشتريه، فانا ذاهب به اليه، اقدمه لديه، وامتنّ به عليه، فرغب فيه الحريرى واشتراه، واتا به الى داره، وقال لزوجته اكرمى مثواه، واحسنى ماواه، فانه يخبر بكل ما راه، وهو من احسن صفته، واعجب اموره وحكاياته، ومهما فعلت زوجة الانسان، ذكره على وجهه كما كان، فقالت نحن بحمد الله في بركة، امنون مما ينقل عنا من حركة، فان راى شيا يهوله، لا يكتمه عنا بل يقوله، فتركه الزوج وذهب، فدخل الحريف الملتهب، فراى المراة وحدها، والطير عندها، فاخذ في المهارشة، ومد يده للمناوشة، فقالت كف يدك واحفظ الزمام، فانه قد حصل علينا رقيب نمام، فكف يدك يا حبيب، لئلا نصاب ولا نصيب، وتفكر في قول الشاعر المصيب،

اذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقلْ　　خلوتُ ولكن قُلْ عليّ رقيبُ

فقال واين الرقيب، يا ست الجار والحبيب، قالت هذا الطير، ليس غير، فان له خواص عجيبة، وفيه اشياء لطيفة عجيبة، منها انه نمام، ومهما راه او سمع من الكلام، فانه يفض عنه الختام، ويذكره لصاحب البيت على التمام، فقهقه بصوت عال، وسخر منها وقال، صدق سيد المرسلين، الذى قال النساء ناقصات عقل ودين، ثم اقسم بحيياتها، وحسن ذاتها وصفاتها، ليولجنّ القضيب في الكثيب، بمراى من ذلك الرقيب، حتى اذا فرغ من امره، يمسح في منقاره راس ايره، ليعلمها، صحة ما اوهمها، ثم حاورها وغلبها، وساورها وقلبها، وحلّ الصدر السدكة، وتعلقت الحلقة بالسكة، وامتزجت الالف العربية، بالكاف الكوفية، والتهم زرّ الوردة النصيبية، شفاه الوردة النسرينية، واستمر في اخذ وعطاء، بلا غطاء ولا وطاء، كانهما افواج الحجاج، او ثباج الامواج، في شيل وحط، وقبض وبسط، وهرج ومرج، ودخل وخرج، واستمر من نحو هذا التصريف في بحث الرفع والجر، ومن علم المطاردة والركوب في صنعة الكرّ والفرّ، ومن علم الزندقة والالحاد، في عالم الحلول والاتحاد، الى ان دفق الابريق العقيق، في قدح اللجين شراب الرحيق، وقد انشد الحريف، هذا النظم الظريف، وهو شعر

لو تنظر الرقبا وقد عانقته والشمع مشتعلٌ وبابى مقفلُ
طورا اشاعده وارشف تارة واضمه من بعد ما اتأمل
واذا تغشى ذيل ثوبى بان لى من جيبه شئ؟ عليه المقتل

فلما سال الميزاب بما جرى، وقضى زيد منها وطرا، نهض ليبير قسمه، حسبما ميزه وقسمه، وادنى من منقاره غرموله، وكان للطاير مدة لم يتناول ماكوله، فتصوره قطعة لحمة، قدمها اليه طعمة، فانشب مخالبه فيه، فاستغاث بملاء فيه، وكاد ان يغمى عليه، واستعان بحبيبة قلبه اليه، فاقبلت المرأة، كالحدأة، فاشار عليها، ان تكشف عن ساقيها، وترى الطير بظرها وحمرته، فربما يلتهى به ويترك آلته، فتكشفت وادنته اليه، وعولت فى خلاص صاحبها عليه، فوثب لشدة قرمه، وتاثير الجوع والمه، ليلتم ذاك الفلم، فانشب مخاليب رجله الاخرى، فى فلم تلك البظرا، فاشتبكا، وفى البلاء اشتركا، وبينما هما فى تعاطل الكلاب، واذا بالزوج قد دخل من الباب، فراءهما على تلك الحال، من الاشتباك والاعتقال، ونقل الطير ما قال، بالافعال دون الاقوال، فصح قوله وفعله، وفعل معهما ما يجب فعله، وانما اوردت هذا البيان، لاعلم اشرف جنس الحيوان، ان الشروع، فيما ليس فيه منفوع، يجب الابعاد عنه، والفرار منه، وعدم الاصغاء اليه، والتوجه والاقبال عليه، ولهذا قال النبى النبيه، من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه، قال المشرقى، ما بقى يا تقى، الا ان ترتقى، فلقد طال البيان، وضاع الزمان، شعر

فانهض هديت الى ما رمته عجلاً فالدهر عات وللتاخير آفات

وكانت هذه المحاورة، تحت ظل شجرة، فيها وكر حمامة، وكان لها بالبلد اقامة، فى برج رجل من اهل الزعامة، ثم اختارت العزلة، واحتسبتها نعمة جزلة، فاختارت هذا المقام، ولهما فيه عدة اعوام، فسمعت جميع ما قالاه، من مبداه الى منتهاه، فلما وعت ما اتفقا عليه، وتداعيا اليه، اخذت تضرب اخماسا لاسداس، وتتامل فيما يتجلى من عرايس معانيه من القدم الى الراس، وتجيل فى صور مبانيه قداح النظر، وتلاحظ سيرة محاويه بلوامح الفكر، وتجوز مذاهبه، وتروز عواقبه، وتقيس مداركه بمعارجه، وتميس فى مداخله ومخارجه، فادى تايد فكرها، ورايد نظرها، الى انه ربما يكون لهما شان، وعلو مكانة ومكان، فان محاورتهما، وما مر من مناظرتهما، كانت منطوية على ذكاء وفطنة، وتجارب وحكمة وعلو همة، صادرة عن فكر مصيب، ورأى له فى السداد اوفر نصيب، ولم يبق لهما فى القدر، الا مساعدة القضاء والقدر، واذا كان الامر كذلك، فلا يليق فى قطع هذه المسالك، المبادرة الى التعرف بهما، والتقرب الى خواطرهما، ومساعدتهما على ما هما فيه، ومساعفتهما بما تصل اليه اليد وتحويه، لانهما فى حالة الشدة، وزمان الانفراد والوحدة، محتاجان الى المساعدة، والمساعفة والمرافدة، وفى مثل هذه الحالة تظهر الفضيلة، ويتحصلان المنة والجميلة، وتقع مساعدتى احسن موقع، ويتميز لى عندهما ارفع موضع، فانه اذا علا شانهما، وارتفع بدون معاونتى قدرهما ومكانهما، واجتمع عليهما الجنود، واقبل اليهما الوفود، وكثرت الحفدة والاتباع، وتكاثفت العساكر والاشياع، فما يظهر لمن يتقرب اليهما، ويتراءى لديهما، اذذاك كبير فايدة، ولا كثير عايدة، ثم انها توكلت على الرحمن، وصدحت على الاغصان، بقولها

على الطاير الميمون والبشر والسعد　　سموتّ الى العلياء نهدًا على نهد

ثم هبطت، والى بين ايديهما سقطت، كما قال الرييس شعر

هبطت اليك من المحل الارفع　　ورقاء ذات تعزز وتمنع

وقبلت الارض، ووقفت في مقام العرض، ولزمت شرايط الحشمة، وادت مواجب الخدمة، وهنّات نفسها والكون، بسلطنة يسار ذات الصون، وقالت انى لكما نعم العون، وموطنى فى هذه الشجرة، وانا لاوامركم موتمرة، وقد وعيت ما قلتماه، وما دار بينكما وذكرتماه، ورايته صادرا من مشكاة السعادة، مشرقًا بانوار السيادة، سهامه نافذات فى قلب الغرض، وسيستعبد جواهر الرعايا بادنى عَرَض، فان حسامه منطبق لفصل القصد، وشانه سيبلغ اعلى اليمن والسعد، وها قد جيت مبادرة، واردة منهل الطاعة وصادرة، فامرا لامتثل، وانظرا لاحتفل، وتحكما لاتبع، وتكلما فانى سميع، فان اشرتما فالقصد قاف، وان استنشرتما فراى كاف، وان خبرتما فالحزم واف، وان استنهضتما فالعزم شاف، وان استخدمتما فالعبد خادم صاف مصاف، فلما رايا من الحمامة، هذه الكرامة، تبسم الزنيم وتفأل، واشرق وجهه وتهلل، وتيمّن بطلعة الورقا، وعلم ان امرهما يرقى، وقال ليسار، هذا من علامات اليَسار، وجبر الانكسار، والخروج الى اليمين من اليسار، وعنوان السعود، وحصول النجح والمقصود، فان مسبب الاسباب، العزيز الوهاب، تبارك وتعالى، وجل جلالا، هو مسهل الصعاب، ومفتح الابواب، واذا اراد امرًا هيا اسبابه، وفتح على الضعيف طاقته وبابه، ووسّع رحابه، وسدّد الى مرامى المرام لمراميه نشابه، وحصول مثل هذا الصاحب الصّادق، والرفيق الموافق، والمعين المصادق، ادل دليل، على ان الله الجليل، ييسر هذا المطلوب، ويظهر هذا النجح المحجوب، ثم انهما استشارا الحمامة، فى كيفية نيل الزعامة، والشروع فى هذا الامر، والتوصل الى دعوة زيد وعمرو، وطريقة اشتهاره، وتعاطى اسباب انتشاره، فقالت انا من جنس الطير، ومشهورة بينهم بالخير، ولهم الىّ سكون، وعلى مناصحتى اعتماد وركون، فالصواب، فى فتح هذا الباب، دعوة الجمهور، من الطيور، وانا به زعيم، وفى الرسالة حكيم، فان اقتضى الراى الرفيع، توجهت ودعوت الجميع، بعد التخبير والتشهير، بين كل صغير منهم وكبير، ان ابا الجراء السلطان وابا الجداء الوزير، وقد وقع الاتفاق، فى الآفاق على هذا الوفاق، فليبتهج ساير الطيور، بهذا الفرح والسرور، وليُبقرا على روس الجمهور، هذا المثال والمنشور، وليبادر الى الخدمة بالحضور، ولا يتخلف احد من آمر ومامور، والحذر الحذر من المخالفة، وعدم الانقياد والموالفة، فقد طاب الوقت وراق، وزال المقت والشقاق، والمسارعة فى اقرب زمان، لياخذوا لانفسهم الامان، ولا يركبوا من التعويق، سوى متن مسافة الطريق، فاعجب الملك والوزير، من الهديل هذا الهدير، فكتب بذلك بطاقة، وحملتها الحمامة باحكم وثاقة، ثم اخذت الى الجو، ووقيت من الجوارح السو، ثم هبطت الى مجمع الطير، وهو نادى الندا والخير، فرات منها خلقا كثيرا، وجمعا غزيرا، فسلمت سلام المشتاق، وعانقت عناق العشاق، فترحبوا بمقدمها، وسالوا عن مغرب احوالها ومجمعها، وقدموا يد الضيافة، واظهروا السرور واللطافة، فبثتهم كثرة الاشواق، وما عانته من الم الفراق، وقد حرضها شدة الشوق، وساقها اليهم اشد سوق، وبعثها ايضا باعث، وهو من احسن

الوقايع وايمن الحوادث، وذلك ان شخصا من أُصَلاء بنى سُلاق، الحاكم على بنى زَغار وبنى بَراق، تولى سلطنة السباع، ومالكية الذياب والضباع، مضافا الى ذلك الحكم على الطيور، والقيام بسياسة امور الجمهور، واقام له فى ذلك وزيرا، كافيا ناصحا مشيرا، يدعى ابا زنمة المشرق، من نسل تكابك الأرتقى، وهو من الفحول وكبراش الوعول، وقد ارسلوني الى الجماعة، يامرونهم بالدخول فى رياض القناعة، ليحصل لهم الرعى والرعاية، والرفاهية والحماية، ويامنوا صيد الصايد، وكيد الكايد، ثم شرعت تبث الكبير والصغير، ما شاهدت من مخايل الملك والوزير، وحسن شمايلهما، ويمن خصايلهما، وما هما عليه، ونسبا اليه، من الشجاعة والدين، والعقل المتين، والفضل المبين، والقناعة والعفة، والمجد الذى لا يدرك وصفه، وان الملك المعلوم، قد عفّ عن تناول اللحوم، وقد قنع بما يسد الرمق، من حشيش النبات والورق، وقد تكفل برفع المظالم، وردع الظالم، واجرآء مراسيم العدل، واحياء مواسم الفضل، فان انابوا واجابوا، ربحوا واصابوا، وطالوا وطابوا، وان ابوا وصبوا واعتزوا للمخالفة وربوا، ثم عكسهم الدمار واركسهم، فلا يلوموا الا انفسهم، فصدقوها من اول وهلة، والرايد لا يكذب اهله، لانهم كانوا بها واثقين، ولكلامها فى الحوادث مصدقين، فما وسعهم الا الطاعة، والتوجه الى خدمة الملك فى تلك الساعة، وبعد ما تبادروا بالتصديق، طاروا بالفرح ودخلوا الطريق، واستصحبوا من الخدم والتقادم، ما يصلح للمخدوم من الخادم، فلما قربت الديار، ودنوا من ولاية الملك يسار، تقدمت الحمامة وسبقت، واخبرت الملك والوزير بما نقلت ورتقت، فاستبشروا بما تقدم، وبادر الوزير لملاقاة المقدم، فتلقاهم بالاحترام والتوقير، واكرم الكبير منهم والصغير، ومشى معهم بالاكرام والحرمة، واوقف كلا منهم فى مقام الخدمة، وحين استقر بهم المقام، افتتح الوزير الكلام، فاثنى على الله تعالى، وضاعف التحية على نبيه ووالى، ثم امتدح الملك الذكى، بثناء يخجل المسك الذكى، وذكر بعد ذلك، ما يتعلق بسياسة الممالك، وان الله منّ بالملك عليه، وساق سلطنة الوحش والطيور اليه، وذكر مقام كل من الطيور، وما وظيفته بين اوليك الجمهور، فاطاع الكل وتابعوا، وعلى ما اقترحه عليهم بايعوا، وانشدوا شعرا

وتحن اتينا طايعين ولم نكن عصاة فرُم غير الطيور عساكرا

ولما انقضى الوطر من قضايا الطير، اخذوا فى استدعاء جموع الغير، من وحوش الكواسر، والبهايم الجواسر، والهوام النواشر، والجوارح النواسر، وارسلوا من تلك الجماعة الحمامة، وقلدوها فيه طوق الزعامة، فتوجهت نحو الوحش، والى كل قارح من الصيد وجحش، وكانوا بذلك قد سمعوا، وللمشاورة فيه قد اجتمعوا، فبلغت الحمامة الرسالة، واظهرت ما فيها من بسالة، وكان اخر ما وقع عليه الاتفاق، الوفاق وعدم النفاق وقصد الارتفاق، والتوجه الى خدمة الملك يسار صحبة الرفاق، وقالوا لا شك ان الكلب بالوفآء مشهور، وحسن الرعاية والحراسة مذكور، ويقدر ان يرعانا من الانسان، ويحمينا من السباع ومؤذى الحيوان، واوصافه مذكورة فى الكتاب، وناهيك بفضل الكلاب، على كثير ممن لبس الثياب، فتقدم خُزَر، من بين تلك البُزَر، يدعى رئيس الارانب، محبّب الى الاقارب والاجانب، وهو مشهور بالحصافة، موصوف بالذكاء والظرافة، والمعرفة التامة، والتجربة المفيدة العامة، بعيد الفكر فى العواقب، سديد الراى حازم مراقب، وقال يا معشر الاصحاب، واولى الابصار والالباب، كيف خفى عليكم، ولم

يتضح لديكم ، عاقبة هذه الامور ، وما فيها من عكوس وشرور ، وهل يصلح للرياسة ، واقامة السلطنة والسياسة ، اهل النذالة والخساسة ، المتصف بالقذاقة والنجاسة ، اوما علمتم ان من افحش السباب ، الشتم باخس من الكلاب ، اوما سمعتم فى كلام مالك ازمة القلب ، فى حق من عامله بالسلخ والسلب ، فمثله كمثل الكلب ، اوما قال صاحب الشرع ، فى حق ما ولغ فيه الكلب بالسبع ، ثم التعفير بالتراب ، وهو مذهب كثير من الاصحاب ، وان لا يطهر بالدباغة الاهاب ، لا اصل تقى ، ولا وصف نقى ، ولا نسب ضاهر ، ولا حسب طاهر ، ولا وجه زاهر ، ولا شكل باهر ، فان كنتم نايمين انتبهوا ، واعرضوا عما قصدتم اليه وانتهوا ، فلعن الله زمانا ، صار فيه التيس وزيرا والكلب سلطانا ، فتصدى الهديل للجواب ، وقال لا شك ولا ارتياب ، ان المستحق للسلطنة الامام العادل ، والشخص الكامل الفاضل ، ولا يقدح فى هذا الفصل ، دناءة الاصل ، فقد قال القيوم الحى ، يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، وكل من اتصف بالهمة العلية ، والاوصاف السنية ، ومكارم الاخلاق والشيم ، وانتشر بها صيته بين الامم ، يستحق ان يراس بين العرب والعجم ، واما الانساب ففى نص الكتاب ، قال من بقوله يهتدى المهتدون ، فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، وقال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب ادبا ‏ ‏ فسوف يغنيك ذا عن النسب

ان الفتى من يقول ها انا ذا ‏ ‏ ليس الفتى من يقول كان ابى

واما الاوصاف ، فلا شك ولا خلاف ، فى ان الكلاب ، فضلت على كثير ممن لبس الثياب ، وما ذاك الا لاوصاف اختصنيا ، واذ اتقنتها واقتصتها ، وهى مشهورة ، وعن الكلاب مسطورة ، ومن جملة محاسنهم ماثورة ، واما الاوصاف الذميمة ، فيمكن صيرورتها مستقيمة ، وذلك بحسن التاديب ، والتربية والتهذيب ، والتمرين والتشذيب ، حتى يصير نابه مُذَبة ، وهذا ما فيه مِرْية ، ويجتزى بالفاكهة والبطيخ ، عن اللحم السليخ ، وبالخبز الشعير ، عن اكل لحم الحمير ، وناهيك يا ابا وثاب ، ما قيل فى الكلاب ، ولابسى الثياب ، شعر

وما ضر اهل الكهف ايمان كلبهم ‏ ‏ ولكنهم زادوا يقينا على هُدَى

وما ذا افاد العلم بلعام وهو من ‏ ‏ بنى ادم لما الى الارض اخلدا

وهذا السلطان قد عاهد الرحمن ، ان لا يمزق حيوان ، ولا يذوق لحمان ، وان يقنع بالكفاف ، ويسلك طريق العدل والعفاف ، وما ذاك لعجز صدر عنه ، ولا لوهن طرا عليه بل سمت همته عن ذلك ترفعا ، وسلك طريق الملوك فى احياء هممها ومعاليها تطبعا ،

وبضدها تتبين الاشياء

فان اجبتم كان لكم الحظ الاوفر ، وان امتنعم فقد اعذر من انذر ، وبلغ من حذر ، وما قصر ، من بصر ، والعاقل من يتبصر عيوبه ، ويسلك من الخلق الجميل دروبه ، وقد قيل لامير النحل ، ذاك الاسد الفحل ، كرم الله وجهه ، وجعل له الى الرضوان احسن وجهة ، يا امير المومنين ، وابن عم سيد المرسلين ، ممن تعلمت الادب ، قال من قليل الادب يعنى اذا رايت فى احد خلقا ذميما او وصفا فسد ، بادرت الى انتقاد نفسى ، وتاملت فى حدسى وحسى ، هل انا محلى ، بذلك الوصف ام لا ،

فان لم يكن اجتهدت ان لا يكون، وان كان أبعد عنه عرضى واصون، وحسبك يا ذا الرنبة العلية، استنكاف اللص العاقل من قول تلك الزانية، فقالت الخزز للحمامة، اخبرنى بذلك الاستنكاف يا ذات الكرامة، قالت الحمامة ذكر رواة الاخبار، عن شاطر من الشطار، قد بلغ فى الشطارة، واللصوصية غاية المهارة، يسرق الوعم من الخاطر، والرابحة من الطيب العاطر، والنوم من اجفان الوسنان، واللماظة من اسنان الجيعان، ويأتى على كوامن الغيوب، فضلا عن خزاين الجيوب، ويلف الرخيص والغالى، والوضيع والعالى، وقد اعجز المقدم والوالى، ففى بعض الاوقات، قصد جهة من الجهات، وبينا هو فى المناقشة والمناعرة، غشيه الوالى مع العسس والجلاوزة، ومعهم امراة بغى، قد خرجت عن الصراط السوى، وهم يضربونها، وعلى اشنع حالة يسحبونها، وهى تستصرخ المسلمين، وتستغيث ايمة الدين، فلما احس بهم، نكب عن دربهم، وولاهم عطفه، وانزوى فى عطفة، وانتظر حتى يمرّوا، فسمع الامراة وهم بها قد اضروا، وهى تصيح، بلسان فصيح، وتقول يا اهل الاسلام، وامة خير الانام، انجدونى، وارحمونى واسعدونى، لا سرقت ولا نقبت، ولا اختلست ولا سلبت، ولا طمعتُ فى مال احد ولا نهبت، ولا وقفت لاحد فى درب، وانما استنفق من حاصل دار الضرب، وذلك ملكى وحوزى، وثمرة لوزى وجوزى، باشارة سهام لحاظى الملوزة، من قسى حواجب بالجمال متوزة، وسفارة نظام الفاظى المعززة، المشبه باب طريقها دررا فى العقيق والرحيق مغرزة، فما لى على احد ثقل، ولا طمعت فى مال احد فيحصل له منى ملل، فلما سمع قاصد الحرام، هذا الكلام، افاق، وصفا خاطره وراق، وتنبّه لقبح صنعته، وان الزوانى تتأنف من حرفته، وتستنكف مما هو مفتخر فضيلته، فقال لعن الله فعلًا تنتقصه الخواطى، وتبا وسحقا لمتعاطيه من متعاطى، ثم عاهد الله التواب، ورجع اليه من صنعة الحرام وتاب، وانما اوردت هذه المناقب، يا شيخ الارانب، لتعلم ان العاقل من يتصفح جرايد اعماله، ويتامل صحايف حركاته وافعاله، وان هذا الملك صفى شراب صفاته من كدورات الهوى براووق المراقبة، ونقى رياض ذاته من شوك الاخلاق الذميمة بمنكاش المعاتبة، بقدر طاقته وامكانه، وهو مثابر على ذلك فى غالب ازمانه، ولا يكلف الله نفسًا الا وسعها، وليس لك ان تتعرض بان النفس لا تغير طبعها، وليس الاكمه كالارمد، ولا المستطيع كالمقعد، ولا سحبان كباقل، ولا العاقل كالمتعاقل، شعر

ليس التكحل فى العينين كالكحَل

وتحتج يا مسكين، بواقعة السلطان محمود بن سبكتكين، مع وزيره حسن الميمندى، بسبب القضية الواقعة لابن الجندى، فسال ابو عكرشة، اما عكرمة، عن هذه الواقعة، ليتبين من التمثيل مواقعه، فقال ان السلطان محمود، ذا الطالع المسعود، الذى فتح بلاد الهنود، جرى بينه وبين وزيره مباحثة، وقع فيها عن دقايق العلوم منابثة، فى ان الطباع هل تقبل التغيير، ام لا تستحيل عما جبلها عليه الفاطر الخبير، فقال الوزير، نعم تقبل التغيير، بواسطة التاديب، وحسن التشذيب والتهذيب، وقد شاهدنا الطباع، من الوحوش والسباع، بواسطة التعليم، تركت الخلق الذميم، واكتسبت الوصف المستقيم، فجريان هذا الامكان، احرى ان يوجد فى جنس الانسان، وقال ابن السلطان المظفر، لا تتحول الطباع ولا تتغير، ولا يمكن صرفها عما جُبلت عليه ولا يتصوّر،

وقال من ليس فى كلامه اشتباه، فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، وقال القايل شعر

وتابى الطباع على الناقل

واستمر هذا الكلام، بينهما عدة ايام، الى ان ركب السلطان، وقصد السيران، والوزير فى ركابه، بين خدمه واصحابه، فرايا من بُعد، شابًا من اولاد احد الجند، وهو جالس، على فرع شجرة يابس، يريد قطعه، لما عدم نفعه، وقد جعل ظهره الى طرف الفرع، وهو عمال بالمنشار فى اصله للقطع، فتامل السلطان والوزير، فى هيئة ذلك الظبى الغرير، ثم قال السلطان للوزير بين الاعيان، وطبع هذا ايضا داخل فى الامكان، وهو يقبل التغيير والتعليم، ويمكن استحالته بالتاديب والتفهيم، فلم يحر الوزير جوابا، لا خطا ولا صوابا، ثم اشار الى بعض خَوله، ان يذهب بذلك الشاب الى منزله، فلما نزل من الركوب، احضر ذلك الشاب المرغوب، الغافل المحبوب، ثم طلب له مودبا، حاذقا مهذبا، وامره ان يجتهد فى تعليمه، و يبالغ فى تاديبه وتقويمه، ويوقفه من العلوم على دقيقها، ويسلك به الى خفايا طرقها وطرايقها، فاشتغل بتربيته ليلاً ونهارا، وبذل مجهوده فى ذلك سرا وجهارا، الى ان برع فى انواع العلوم، وضبطها من طريقى المنطوق والمفهوم، ولما فرغ من العلوم اعلاها، وانهاها من مبتداها الى منتهاها، شرع به فى علم ادريس وهو علم النجوم النفيس، واستطرد منه الى علم الرمل المنير، وتوسل به الى ان توصل الى اخراج الضمير، فاتقن هذه العلوم، لا سيما اخراج الضمير الموهوم، فلما اتقن ذلك، وسلك فى ادق المسالك، احسن الوزير اليه، واستصحبه الى الملك ودخل به عليه، فقبل الارض، وادّى من شرايط الخدمة النافلة والفرض، وقال للسلطان محمود، ان هذا هو ذاك الشاب المعهود، وقد برع فى العلوم، وفرع الى استخراج الضمير المكتوم، وقد بدلت بلادته بالذكا، وصار فواده كابن ذُكا، فان اقتضت الآراء السلطانية سبرته، واعتبرت فهمه بعد ما اختبرته، فادخل السلطان يده فى كمه، ونزع خاتمه من بصمه، واطبق يده عليه ليسبر منتهى علمه، وينظر ما قاله الوزير، فى كيفية هذا التبديل والتغيير، ثم اخرج يده من كمه، وقال ليظهر نتايج علمه، وليخبرنا بما فى كفى، عن حواس العيون مخفى، فتقدم الشاب، ورفع الاصطرلاب، ووضع اوضاع الحساب، وخط ذلك التقى، اشكال الحيان والنقى، وساير الاوضاع، من الطريق والاجتماع، ثم نظر وسبر، وعبس وبسر، وقدر وافتكر، وقال دل الشكل والله اعلم، ان ما حواه الكف المكرّم، شى من المعادن، محفوف بسودد او سواد، وهو فى افضل الاشكال لانه مستدير، وفى احسن الالوان لانه مستنير، وفى دايرته قطر ومركز، وفى وسطه ثقبٌ لمعزز، وهو ثقيل، اما فى الثمن او فى التحصيل، ثم تامل بعد الوقوف، فى ان هذا الموصوف، ما ذا يكون، فقال كانه والله اعلم فردة طاحون، فضحك السلطان الكبير، وخجل لذلك الوزير، ثم قال السلطان ان الله السبحان، ان يكون باقل كسبحان، وانما اوردت هذه المسايل، لئلا يتعرض قايل، يستدل بمثل هذا الدليل، على ان الطباع لا تقبل التغيير والتحويل، بل الطباع تتغير، ومن ذا الذى يا اعز لا يتغيّر، فسبحان من لا يحول ولا يزول، الذى وضع عالم الكون على الانتقال والحول، وكل لجلال عظمته مخبت، يمحق ما اراد وينبت، ويمحوا ما يشاء ويثبت، ومذهب اهل النبات، فى

المحو والاثبات، ان الكافر قبل الاسلام، كافر عند الملك العلام، وبعد ما انخرط فى سلك المومنين، صار مومنا عند رب العالمين، وعلى هذا التقرير، ايها الفاضل الكبير والعالم النحرير، فالملك يسار، نظر بعين الاعتبار، وتنصل من رذايل الاوصاف، وتخلق باخلاق الاشراف، من التلبس بالعدل والانصاف، ولولا نيته الصالحة، ما صارت صفقته فى المبايعة رابحة، ولا كفة فضله راجحة، ولا زايلة النكد، ولا اضاعة احد، والاعمال بالنيات، وعلى مقدار النيات العطيات، وجنس هذا الملك، فى الاوصاف المتباينة مشترك، فانه قد جمع بين خصايص الحيوان، حتى كانه سبعٌ بهيمة انسان، كما قيل شعر

جمع الكلب فى حُلاه صفات   فهو سبعٌ بهيمةٌ انسانُ

وكما قيل ايضا

يكاد اذا ما ابصر الضيف مقبلا   يكلمه من حبه وهو اعجم

وانا يا مولاى، اعرض عليكم هذا الراى، وهو شاهد عدل، وحكم فصل، وهو ان يقع الاتفاق، على واحد منكم من خُلّص الرفاق، من تحققتم حسن آرايه، وصدقه فى انبايه، وصحة دينه، ورصانة عقله ويقينه، فانطلق فى ركابه، الى حضرة الملك وجنابه، فيكتحل بانوار طلعته، ويشمله ميامن رويته، ويطالع جميل صفاته، ليسكن الى فضيل حركاته، وينتقل من علم اليقين، الى عين اليقين، فيزول باليقين الشك، ويظهر خلاصة الذهب بالحك، ثم ياخذ لكم العهد والميثاق، بما يقع عليه الاتفاق، وما ترضونه وترونه من الصواب، ويرد عليكم بذلك الجواب، فان وافق قصدكم، توكدون عليه عهدكم، وتتوجهون بقلوب مطمئنة، وخواطر فى حصول المرام مستكنة، والا فترون رايكم، فيما عليكم وما لكم، فاستصوبوا هذا الراى واسترضوه، واستغربوا لطيف معناه واستحسنوه، وانتدبوا لهذا الامر الخطير، من يصلح ان يكون عند الملوك السفير، فوجدوا ظبيا طيب العناصر، قد عقدت على غزارة فضله الخناصر، من اعقل الجماعة واذكاها، واحسنها رايا وادهاها، فقلدوه الزعامة، وارسلوه مع الحمامة، على ان يجتمع بالملك يسار، ويعاهده على ما يقع عليه الاختيار، ثم يسمع اقواله، ويشاهد افعاله، ويميز احواله، ثم يرد عليهم الجواب، فيميزوا ما فيه من خطاء وصواب، فيبنوا عليه، ويرجعوا اليه، فتوجه الظبى والحمامة، مستصحبين الامن والسلامة، فلما قربت الديار، سبقت الحمامة الى خدمة الملك يسار، واخبرت بصورة الاخبار، وان الظبى فى العقب، مُقبل بما يحبه الملك ويحب، فامر الملك الوزير، ان يتلقى الظبى الغرير، مع جمع الطير الكثير، فتقدم الوزير وقال، اسال مولانا الملك المفضال، ان صدر من هذا القاصد خطاب، ان يُشار الى برد الجواب، فان ذلك اعلا للحرمة، وادنى للحشمة، واقوى لناموس الملك والرياسة، وارعى لطاووس الياسق والسياسة، فان كان ذلك الجواب، متحليا بعقود الصواب، كانت سعادة الملك الملهمة، وفى خدم الملك من تصدى للامر وابرمه، فان خرج عن طريق الجادة، فلا ينسب الى الملك تلك الزيادة، بل يتلافاه الملك بكرمه، ويكون الخطاء منسوباً الى خدمه، فاجابه الى ما سال، وتقدم الوزير للملاقاة مع ساير الخول، فتلقوا الظبى بالترحاب، وفتحوا فى وجهه للكرامة اوسع باب، ومشوا معه حتى وصل الى الحضرة، وشاهد تلك الحشمة والنضرة، فقبل الارض ووقف، وعرف مقدار

الملك واعترف، وادّى الرسالة، وبيّن للملك ما فيها من رقة وحلاوة، فقابله الملك بما يليق بحشمته، واجلسه بالقرب من حضرته، وخاطبه بما اذهب دهشته، وانسه بملاطفات جلت وحشته، وسأله عمن خلف وراءه، واستقصى فى التفحص احواله وانباءه، فبلّغ عبوديتهم وضعفهم، وان الاخلاص والطاعة شملت جماعتهم، وفتح فم الدعاء بلسان ذلق، وخطاب طلق، وكلام غير معقد ولا قلق، واطال فى الدعاء، واطنب فى الشكر والثناء، وسال شمول المراحم، وكفّ كف المتعدى والمزاحم، فانهم انبسطوا وانشرحوا، وابتهجوا باستيلاء هذا الملك وفرحوا، وشكروا لله هذه النعمة، وانّى يفون بشروط العبودية والخدمة، ثم سال اخذ الميثاق، وتاكيد العهد بالايثاق، بالامان والاطمينان، لمن وراءه من الوحوش والغزلان، فاعطاهم الامان، وشملهم بالاحسان، على ان لا يراق لهم دم، ولا يهتك لهم حرم، وانهم يرعون حيث شاؤا، ويسرحون حيث ذهبوا وجاؤا، وان الملك يسار، حاكم ساوق وزُغار، وخليفة براق وكوباك والتتار، قد عاهد الملك الجبار، ان لا يتعرض لوحش القفار، ولا لاحد من اجناس الاطيار، حتى ولا لحيتان البحار، ولا يريق دما، ولا يقصد لهم اذى ولا المسا، ويرعى جانبهم، ويقضى ماربهم، ويحفظ شاهدهم وغايبهم، ويمنعهم من مناويهم، ولا يسلط عليهم من يوذيهم، ما داموا تحت طاعتى، وفى جوارى وذمتى، فقبّلت الغزالة بشفاه العبودية خد الجلالة، وقالت هذا كان المامول، وجُلّ القصد من الصدقات والمسؤل، والذى جئى لاجله، فقد حصل من صدقات الملك وفضله، ولكن العلم العالى محيط، ان وحوش البسيط، اقوام اضعاف، ليس بينهم ايتلاف، وهم طوايف كثيرون الاختلاف، اجناس متفرقة، وانواع متمزقة، ليسوا كقطايع الغنم مجتمعين، ولا كحشار الخيل ممتنعين، ولا بعضهم لبعض متبعين، لم تزل العداوة بينهم قايمة، وعيون الصلح والاتفاق عنهم نايمة، لا يضبطهم ديوان، ولا يحصرهم حسبان، ولا يمنعهم من التعدى سلطان، القوى يكسر الضعيف ويمزقه، والشاكى يستطيل على الاعزل ويفرقه، ولاجل هذا المعنى، لا يمكن اجتماعهم فى مغنى، بل البعض فى قلل الجبال متوطن، والبعض فى سرب التلال متحصن، وبعض متشبث بذيل الكهوف والمغارات، وبعض فى الاجام والاكام خوف الغارات، وكل يخاف حلول البلاء، قد اتخذ لذلك القاصعاء والنافقاء، واستعد بفنون الكيد، خوفا من جوارح الصيد، واذا كان الامر كذلك فاجتماعنا متعسر، وحفظنا فى الملك غير متيسر، فلا بد من ترتيب قاعدة، تعم منها جميع الوحوش الفايدة، ويشمل امنها غايب الملك وشاهده، والا فالحاضر آمن، وقلب الغايب غير مطمئن ولا ساكن، فليفتكر للرعية فى ضابطة، تكون الحرمة فيهما للقريب والنائى باسطة، فالتفت الملك للوزير، وقال اجب هذا السفير، فقال الزنيم، يا احسن ريم، هذه الافكار، من قصور الانظار، وعدم التامل والاستبصار، والا فان السلطان، فى كل مكان، كلمته عُليا، ووجوده كالشمس فى الدنيا، فكما ان الشمس اذا استوت، وعلى سرير كبد السماء احتوت، عم فيض شعاعها الجبال والاكام، والتلال والاجام، وانتشر على البحر والبر، واشتهر على الفاجر والبر، فربت الازهار والاثمار، وشبت مشاعل الكلا فى القفار، وطبخت الغلال وفواكه الاشجار، وصبغت فى كوامن المعادن جواهر الاحجار، كما قيل . شعر

كالشمس فى كبد السماء محلها   وشعاعها فى ساير الافاق

كذلك الملك العظيم، اذا انتشر صيت عظمته وعدله في ساير الاقاليم، شمل فضله الشريف والوضيع، وبلغ جود وجوده الدنى والرفيع، وردع عدله النابع والعاصى، ووسع نواله الدانى والقاصى، وانه كانغمام الصيّب الصبيب، على الربع لخصيب، والديمة المنبثقة، والمزنة المغدقة، اذا انتشرت فى الآفاق، وصارت لامر عبد عهادها للاستغراق، فروت لخصيص واليفاع، وعمّت الوهاد والتلال والبقاع، وخاطبها ظمان الرباض، وعطشان الغياض، شعر

امطرْ عليَّ سحاب جودك مرّة وانظر اليّ برحمة لا اغرقُ

هذا ومتى انتشر فى الاطراف، انكم التجاتم الى هذه الاكناف، وتطرز بشمول الصدقات السلطانية من ملابس طاعتكم الطراف والاطراف، منعت العواطف الملوكية، والخواطر الشريفة السلطانية، عوادى المعادى، وكفّت اكف المصادم والمصادى، فلا يجترى احدٌ على التعرض لكم، ولا يخطر ببال خائف ان يقطع سبلكم، قال الرسول، الامر كما يقول، مولانا الامير، وما احسن هذا التقرير، ولكن مع المراحم السلطانية، وصدقات العواطف الملوكية، وحسن الطوية، واحسان النية، فلا بد من السياسة، وضبط الرياسة، وقواعد الملك فى الحراسة، من ضابط يبنى عليه الملك لامره اساسه، لا يتميز به كبير دون صغير، ولا يختص برعايته جليل غير حقير، فان من احسن اوصاف الملوك والاكابر، ان لا يغفلوا عن تفقد احوال الصعاليك والاصاغر، ولا يقتصروا فى ذلك على نوع دون جنس، كما يفعله لغلبة الهوى بعض حكام الانس، مع انهم مسيولون عن جليلها وحقيرها، ومحاسبون على كبيرها وصغيرها، وفى شانهم قد قال من فى ضبط حركاتهم وملكاتهم استقصاها، ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها، وقد تنبه لهذا الفعل الرجيح، ايها الوزير النصيح، والمنطيق الفصيح، انوشروان وهو من الكفار، واشتهرت عنه قضية الحمار، فسال الوزير، بيان هذا التقرير، فقال الريم، بلغنا ايها الكريم، ان انوشروان، بالغ فى نشر العدل والاحسان، ومعاملة الرعية، كبيرا وصغيرا بالسوية، وبذل فى ذلك جهده، واستنهض لمساعدته كَدَّه وكدَّه، واختشى ان يمنع المتظلم الفقير، بواب بسبب حاجب او كبير، لغرض او عَرَض، او ارتشاء من فى قلبه مرض، فيمشى مدلس البراطيل، من خوف الاباطيل، ويضيع بحث صارخ لحق فى اوقات التعطيل، فاداه قايد اجتهاده، وانتهى به رايد مراده، الى ان يعقد فى طاق مبيته، ومجتمع خاطره عن تشتيته، من محاذى السرير، حبل من الحرير، ويربط طرفه الادنى فى حلقة الباب، حيث لا حاجب ولا بواب، وهو مكان مجتمع الجمهور، ولا يمنع احد فيه من الوقوف والمرور، وان يشد فيه اجراس، من خالص الذهب لا النحاس، بحيث انه اذا حرك الحبل، صوتت الاجراس صوتا اخرس الطبل، ثم امر منادياً، ان يرفع صوتا عاليا، بان من كان شاكيا، فعليه بتحريك ذلك الحبل، ليقع الظالم فى الكبل، و ينتصر المظلوم من بعد ومن قبل، فاشتهرت هذه العادة، وذل بها فى الدنيا السعادة، وعظم صيته، وخمدت عفاريته، وانتصفت صفاريته، ففى بعض الظهاير، عند قايلة الهواجر، وانوشروان فى مبيته قد طاب، اضطرب الحبل والاجراس اشد اضطراب، ففز انوشروان مذعورا، وتصور المحرك مظلوما مقهورا، فابتدر بطلبه، لينظر فى ظلمه وسببه، فتبادروا الى احضاره، واستكشاف اخباره،

واذا هو حمار جرب، بنيان جسمه من الجرب خرب، ومتن ظهره من الحكة نقب، وقد هد عمارة عمره هادم الهرم، والهب حشيش حشاشته من الجوع حاضى الضرم، يحمّله صاحبه ما لا يطيق، ويقطع عنه قوته وعليقه، يوذى به ولا يداويه، ويدور به ولا يداريه، فتطلب مالكه وعتبه، ثم زجره وضربه، ثم امر بالنداء فى الاسواق، وامتد ذلك حتى بلغ الافاق، وعم الضواحى والرزداق، ان يسلك بما ملكت اليمين الارفاق، ولا يقصر عليها فى الانفاق، وكل من عنده دابة قد استعملها فى صباها، واستوفى فى خدمته قواها، يراعى حقوقها اذا كبرت، ولا يضيع ما قدمت بما اخرت، وصك وجه ذلك الرجل صكا، وكتب عليه بغرض حماره صكا، وانما ذكرت هذا المثال، فى معرض ما يقال، من ان عدل السلطان، خير من خصب الزمان، وايضا فان قصد الملك اذا كان صالحا، كان امره فى جميع الازمان ناجحا، وسخر الله له من يرشده الى قصده، ويعينه الى امور معاشه ويحيى ذكره من بعده، وتدر على يده سحايب البركات، ويجرى منها على غير قصده احسن الخيرات، وحفظ كل من اليه ينتسب، ورزقه كل ذلك من حيث لا يحتسب، وحاصل هذه المقدمة، ان المسئول من الصدقات المعظمة، انه اذا ترامى على ابواب عدلها شاكى، او تعلق باسباب معدلتها متظلم باكى، تتصدى ع بنفسها لكشف ظلامته، ولا تترك الغير فى فصلها لاقامته، وان الفقير من جماعتنا، والضعيف من اهل طاعتنا، اذا مست الحاجة به الى بث شكوى، او رفع بلوى، يتقدم الى شكواه بلا واسطة، ليامن فى امره المغالطة، ويصادف مسقطه لا تاسطه، ويتساوى فى مشرب العدل والانصاف، ومراى الفضل والالطاف، الظباء والاسود، والذيب والعتود، والعقاب والعصفور، والحمام والصقور، ولا يتقدم فى الدعاوى، من حيث التساوى، الوجيه على الخامل، ولا النبيه على الخامل، ولا الكبير على الصغير، ولا الجليل على الحقير، فان اقتضت الاراء العالية، تولية عامل فى ناحية، فليكن ممن له شفقة تامة، ورغبة فى رحمة الرعية عامة، ويعرف ذلك بمن جربته العلوم الكريمة، وتحققت ان نيته فى رعاية الرعية مستقيمة، قد صارت له الشفقة ملكة، وكل من العدل والانصاف قد ملكه، ولا تولى احد لغرض، او من فى قلبه من الى المساكين مرض، وان الطبيعة اذا اعتادت عادة، والسجية اذا جعلت لها بعض الاوصاف قلادة، سواء كان ذلك مذموما او محمودا، مقبولا عند العقل والشرع او مطرودا، فانها تبرزه فى غالب الاوقات، ولا يتخلف من ملابسته فى اكثر الحالات شعر

العين تعرف من عينى محدثها   ان كان من حزبها او من اعاديها

وكل قضية لا يساعدها القلب، فمبناها على العكس والقلب، ونظيرها يا رييس المدارة، قضية من زوجته امه وهو كاره، فسال الوزير من السفير، تقرير هذا النظير، فقال كان شاب، من الغراب، قصدت امه تاهله، فزوجته بامراة ارملة، ولم يكن له احتياج، ولا رغبة فى الزواج، ولكن فرّ من العقوق، وكتب على نفسه الحقوق، فلما عقدت الوليمة، وصممت العزيمة، وجمعت النساء والرجال، ارسلت امه الى جار لهم قوال، استاد فى صنعته، ماهر فى حرفته، فدعته الى الجمع، ليبتهج بحسن غنايه السمع، فيشغل الوقت، ويذهب المقت، ويحصل للحضور، النشاط والسرور، فتخلف وانى، وعن الحضور نبا، فسئل عن تصلفه، وسبب تخلفه، فقال بلغنى ان الزوج الخاطب، غير طالب ولا

راغب، واذا كان كذلك فلا يغني الغناء الا العناء، ولا يوثر في القلوب والاسماع، بل تنفر عند سماعه الطباع، فكل شي لا يصدر عن رغبة القلب، فان اجابه لا يفيد الا السلب، فيضحك على القايم والقاعد، ويسخر منى المصادر والوارد، ويروح تغزلي في البارد، وانما ذكرت ذلك، لاعرض على اراء المالك، انه اذا وتّى امر الرعية، الى احد من الخاصكية، ينظر الى شفقته، وبسبر وفور مرحمته، ثم يوليه عليهم، ويتقدم بالطاعة اليهم، فيستقيم انذاك فعالهم وفعله، ويظهر في حركاته وسكناته عدله، وليس العدل في كل القضايا تساويها، ولا اجراوها على نسق واحد يحويها، بل معرفة مقاديرها، وبيان تقريرها في المبادى وتحريرها، ثم اجرايها على مقتضى مدلولها، وردّ فروع كل مسئلة الى اصولها، ووضع الاشيآء في محلها، وايصال الحقوق الى اهلها، ومعرفة منازل اربابها، واوضاع اصحابها، ومراتب طلابها، فمن لم يحقق هذه الامور، اضاع مصالح الجمهور، فاعطى غير المُحقّ، ما لا يستحق، ومنع الحق عن المستحق، وقد قيل يا ابا السعود، ان حقيقة الجود، اعطاء ما ينبغى، لمن يبتغى، والا فكان كالباذر في السباخ، واشبه في امره اجير الطباخ، الذى لم يعرف معنى العدل، فقصده فوقع في الجدل، فسال الغزال شيخ الاوعال، عن هذا المثل، فقال كان عند بعض الاشياخ، من الطباخين اجير طباخ، له رغبة مُنْهِمة، على معرفة طبخ الاطعمة، وكيفية ترتيبها، وصنعة تركيبها، وكان مغرما بذلك، يسلك فيه كل المسالك، ويرد فيه الموارد، ويتبع كل صادر ووارد، ففى بعض الاناء، وقف على طبيب من الاطباء، فسمعه يقول، ان اصلا من الاصول، العدل والتسوية، بين الاطعمة والاغذية، والعقاقير والادوية، فمن لم يستعمل الاستواء، في درجات الغذاء والدواء، ضلّ عمله وغوى، واصل هذا المزاج، ولا ينكره الا ذو لجاج، فان العناصر الاربعة، منها المضرة والمنفعة، وقد تولّد منها السوداء والبلغم، والصفرآء والدم، فمتى اعتدلت هذه المتولدات، صحت الابدان والذات، ومتى عن الاعتدال عدلت، امرضت وقتلت، وكذلك النير الاعظم، والكوكب المضى في العالم، اذا حل في مركز الاعتدال، استقام للعالم الحال، وطاب الزمان واعتدل، وذلك عند نزوله في برج الحمل، فتصور ذلك الولهان، ان المقصود التسوية في الاوزان، فانصرف وهو فرحان، وقصد طعام الزيرباج، وعى من مفرداته ما يحتاج، ثم انه ساوى بين اوزانها، وقصد العدل في ميزانها، وخلط كعقله اخلاطها، ووضعها في قدر وساطها، فخاب عمله في عدله، وبان نقصه في فضله، فلما وعى الملك والوزير، ما سلكه السفير، في نظام هذا التقرير، شكرا له مساعيه، واخصبا في الاكرام والاعزاز مراعيه، وقالا جزاك الله خيرًا عن شفقتك، وحسن صنيعك لمرسليك ورفقتك، فمثلك من يصلح للسفارة بين الملوك، ويتولى امور الرعية من الفقير والصعلوك، فانك ناصح لمن فوقك، شفوق على من دونك، ثم قال الوزير، ان هذا الملك الكبير، مقاصده العظيمة، ان تكون الامور مستقيمة، وان يصلح العباد والبلاد، ويطمئن المستفيد والمستفاد، فاحتفظ ايها السفير، المنير الضمير، بما سمعت ورايت، وشاهدت ووعيت، واجعله من عنوان انبايك، ومقدمات افعالك وارايك، وابلغه من يحفك من امامك وورايك، ومهما وصلت اليه قدرتك، واحاطت به يدك وكلمتك، من ابلاغ الخير، الى مسامع الوحش والطير، عن هذا الملك واوصافه، وتطلعه الى مراقى البر والاحسان واستشرافه، وما تسكن به الخواطر، وتطمئن اليه الضماير، وتقر به العيون بالسرور، وتستقر به

القلوب فى الصدور، فلا تأْلُ فيه جَهْدا، واوسع فيه جدا، ولا تنه فى النهاية حدا، فان المجال واسع، وميدان المقال شاسع، وقد اذن لك فيه، وان اخفيته فى نفسك فالله مبديه، ثم كتب له بذلك مراسيم، عن ثغر الاماني مباسيم، وافيض عليه خلع الكرامة، واضيف اليه الحمامة، ورجع الى اهله، مغمورا بفضله، مسرورا بقوله، مشكورا بفعله، فايزًا بالمطلوب، ظافراً بكل مرغوب، فارغ البال، طيب الحال، فاتصل باهله فى دياره، وهم فى انتظاره، فبادروه بالسلام، وقابلوه بالاستلام، وقالوا ما وراءك يا عصام، فبلّغ الجواب، بارشق عبارة وابلغ خطاب، وذكر لهم ما راى، وسمع ووعى، فانتشرت هذه الاخبار، حتى ملات الاقطار، وتسامع بها وحوش القفار، وفاح بطيب نشرها الازهار، فكان جميع البر عطار، ثم اجتمع روساء الوحوش والبهايم، وعرفاء الصوادح والبواغم، وكل ساكن فى القفار من سايم وحايم، وارسل كل الى امته رسوله، يدعوها الى ما يحصل سولها وسوله، فلبت كل امة دعوة رسولها، واقبلت لاستماع المراسيم وقبولها، فاجتمعوا فى رياض مرج اخضر، وحلّقوا لاستماع المراسيم حول المنبر، واطرقوا وسكتوا، واستمعوا وانصتوا، وتناول المرسوم الصادح من الباغم، وصعد على الغصن الناعم، مطوق الحمايم، وابتدا باسم الكريم الغفور، وقرا على روس الاشهاد مضمون المنشور، ودعاهم الى الطاعة، والدخول فى سنن السنة والجماعة، وانهم لا يتاخرون عن الحضور، بعد الاطلاع على مضمون المنشور، فانه فرمان امان، لكل من اجناس الحيوان، ولم يبق مقالا لمتخلف، ولا مجالا لمتاخر ومسوّف، كما قيل

فمن جاءنا طوعًا اقمنا بمجده ... فمن يابَ لا يعتب علينا فعالنا

الى اخر الرسالة، مع ما تحمله الرسول من مشافهة ومقالة، ومن ملاطفات تشرح الصدر، وتستنزل البدر، وتوضح ما للملك من جلالة وقدر، فتلقى الكل هذا الكلام، باذان القبول والاكرام، واتفقوا على التاهب والمسير، والاحتفال بالكبير والصغير، واخذوا فى تعبية التقادم والخدم، وفرضوا ذلك على ما لكل من طوايف وحشم، وتصدعوا عن هذا المرسوم، على ان يجتمعوا فى يوم معلوم، ثم اعد كل عتاده، واكمل خدمته وزاده، واجتمعوا لذلك اليوم الموعود، وتوجهوا الى الخدمة فى الطالع المسعود، ولما دخلوا الدرب، وضربوا فى الارض ايمن ضرب، توجهت الحمامة بانبساطة، بهذه البشارة والطلاقة، فانتشر هذا الخبر، وملا البدو والحضر، فلما وصل الطاير، دُقّت البشاير، وسرّت الاهل والعشاير، ثم ان الملك دعا الوزير، وقال اعلم ايها الناصح الخبير، والبحر النحرير، ان الوحوش واصلة الى منزلك، وخفها وحافرها نازلة فى ساحلك، وان راية سلطاننا بعون الله بالنصر نشرت، ووحوش الجنود والعساكر بحمد الله تعالى على بساط بسيط الطاعة حشرت، وفى هذه الجيوش، اصناف الوحوش، وطوايف السباع، وانواع الذياب والضباع، وفيهم الفراعل والثعالب، والعسابر والارانب، ولا شك ان هيبة الملك صادعة، وحرمة السلطنة باسنة قارعة، وحضرة السلطان ذات جلال، وان كانت جامعة لصفتى الجمال والكمال، وما عند كل احد مسكة لملاقاة، ولا ثبات جنان عند المشاهدة الملك اذا راه، فمن لم يكن بيننا وبينه اجتماع، فقد وقرت هيبتنا فى قلبه على السماع، ومن تصدينا له فى ميادين الصيد، وافلت بعد معاناة الكد والكيد، فدرايته على العيان، ولا يحتاج فى معرفة قوة سلطتنا الى ترجمان، وعلى كل تقدير، فمشاهدتنا على

غالبهم امرٌ عسير، لانه ربما يتذكر منهم متذكر، او يتفكر منهم متفكر، وافعلٌ سبقت، او سابقةٌ وقعت، انجرح فيها من نصل انيابنا مفاصل عراقيبه، او تعلق بها من اشعاره واوباره مشاشة جلابيبه، ومن لم ينجع منا صُباحه، ولم يكن سلاحه من كلاليب مخاليبنا الا سُلاحه، فبمجرد ما يقع نظره علينا، او تمثل بالوقوف لدينا، يرجف فواده، وينفض من عيبه كرشه وزاده، فينكص من الخوف على عقبيه، ولا يعرف امره من حواليه، فيتبعونه ويحصل الفشل، ويقع الخباط والخلل، فيبيتم ما اوضحناه، ويفسد اضعاف ما اصلحناه، وينهدم من اول الامر الى اخره ما بنيناه، ويتعوج من مستقيم السلطنة ما سويناه، فلا يحصل من عزة المملكة، الا على مثل ما حصل لابي حصين من شيخ الديكة، فقال الوزير ينعم مولانا الاجل، بتقرير هذا المثل، قال الملك سمعت مخبرا انه كان في بعض القرى للريبس ديك، حسن الخلق وديك، مرت به التجارب، وقرا تواريخ المشارق والمغارب، ومضى عليه من العمر سنون، واطلع من حوادث الزمان على فنون، وقاسى حلوه ومره، وعانى حره وقره، وقطع للثعالب شباك مصايد، وتخلص لابن اوى من ورطات مكايد، وراى من الزمان وبنيه نوايب وشدايد، وحفظ وقايع لبنات آوى وثعالب، وشاع من كتب حيلها طلايع كتايب، واحكم من طرايقها عجايب وغرايب، فاتفق له في بعض الاحيان، انه وقف على بعض الجدران، فنظر في عطفيه، وتامل في نقش برديه، فراى خيال تاجه العقيقي، ونظر الى خده الشقيقي، ونفض برايله المنقش، وسراويله المنقش، والثوب الذى رقمه نقاش القدرة من المقنع المبرقش، فاعجبته نفسه، واذن فاطربه حسّه، وتذكر ما قاله الاسعد المادح، في المعتصم بن صمادح، وهو شعر

كانّ انوشروان اعطاه تاجه وناطت عليه كف مارية القرطا

سبا حلة الطاووس حسن لباسه ولم يكفه حتى سبا المشية البطّا

فصار يتيه ويتبختر، ويتقصف ويتخطر، فاستهواه التمشي سُوَيعة، حتى ابعد عن الضيعة، فصعد الى جدار، وكان قد انتصف النهار، فرفع صوته بالاذان، فانسى صوته الكناني والدقان، فسمعه ثعلب، فقال مطلب، وسارع من وكره، وحمل شبكة مكره، وتوجه اليه، فراه فسلم عليه، فلما احسّ به ابو اليقظان، طفر الى اعلى الجدران، ثم حيّاه تحيّة مشتاق، وترامى لديه ترامي العشاق، وقال انعش الله بدنك وروحك، وروى من كاسات الحيوة غبوقك وصبوحك، فذلك احببت الارواح والابدان، بطيب النغم والصياح في الاذان، فان لي زمانا لم اسمع بمثل هذا الصوت، وقاه الله نوايب الفوت ومصايب الموت، وقد جيت لاسلم عليك، واذكر ما اسدى من النعم اليك، وابشرك ببشارة، وهي اربح تجارة، وانجح من الولاية والامارة، لم يتفق مثلها في سالف الدهر، ولا يقع نظيرها الى اخر العمر، وهي ان السلطان، ايد الله بدولته اركان الايمان، امر مناديًا فنادى بالامان والاطمئنان، واجراه مياه العدل والاحسان، من حدايق الصحبة والصداقة في كل بستان، وان يشمل الصداقة كل حيوان، من الطير والوحش والحيتان، ولا يقتصر فيها على جنس الانسان، فيتشارك فيها الوحوش والسباع، والبهايم والضباع، والاروى والنعام، والصقر والحمام، والضب والنون، والذباب وابو قلمون، ويتعاملون بالعدل والنصاف، والاسعاف دون الاعتساف، ولا

يجرى بينهم الا المصادقة، وحسن المعاشرة والمرافقة، فتمحى من لوح صدورهم نقوش العداوة والمنافقة، فيطير القطا مع العقاب، ويبيت العصفور مع الغراب، ويرعى الذيب مع الارنب، ويتآخى الديك والثعلب، وفى الجملة لا يتعدى احد على احد، فتامن الفارة من الهرة والخروف من الاسد، واذا كان الامر كذا، فقد ارتفع الشر والاذى، فلا بد ان يمتثل هذا المرسوم، ويترك ما بيننا من العداوة والخلق المذموم، ويجرى بيننا بعد اليوم المصادقة، وتنفتح ابواب المحبة والمرافقة، ولا ينفر احد منا من صاحبه، بل يراعى مودته ويبالغ فى حفظ جانبه، وجعل الثعلب يقرر هذا المقال، والديك يتلفت الى اليمين والشمال، ويحتاط غاية الاحتياط، ولا يلتفت الى هذا الهذيان والخباط، فقال الثعلب يا اخى، ما لك عن سماع كلامى مرتخى، انا ابشرك ببشاير عظيمة، لم تتفق فى الاعصر القديمة، وانما برزت بها مراسيم مولانا السلطان الجسيمة، واراك لا تلتفت الى هذا الكلام، ولا تنسرّ بهذا اللطف العام، ولا تلتفت الىّ، ولا تعوّل علىّ، وتستشرف منى بعد لشى، فهلا اخبرتنى بما اضمرت ونويت، وتطلعنى فيما تتطاول اليه على ما رايت، حتى اعرف فى اى شى انت، وهل ركنت الى اخبارى وسكنت، فقال ارى عجاجا ثايرا، ونقعا الى العنان فايرا، وحيوانا جاريا، كانه البرق ساريا، ولا عرفت ما هو، ولكنه اجرى من آهو، فقال ابو الحصين، وقد نسى المكر والمين، بالله يا ابا نبهان، حقق لى هذا الحيوان، فقال حيوان رشيق، له اذان طوال وخصر دقيق، لا الخيل تلحقه، ولا الريح تسبقه، فرجفت قوايم الثعلب، وتلمح المهرب، فقال ابو المنذر، تلبّث يا ابا الحصين واصبر، حتى احقق رويته، واتبين ماهيّته، فانه يا ابا الحصين، يسبق طرف العين، ويكاد يا ابا النجم، يخلف النجم فى الرجم، فقال اخذنى فوادى، وما هذا وقت التمادى، ثم اخذ يسلح، وولّى وهو يصدح، بقوله شعر

لابس التاج العقيقى لا تقف لى فى طريقى
ان يكن ذا الوصف حقّا فهو والله السلوقى

فقال الديك واذا كان، وقد قلت ان السلطان، رسم بالصلح بين ساير الحيوان، فلا باس منه عليك، فتلبّث حتى يجى ويقبّل يديك، وتُعقَد بيننا عقود المصادقة، ويصير رفيقنا ونصير رفاقه، فقال ما لى برويته حاجة، فدع عنك الحاجة واللجاجة، فقال اوما زعمت يا ابا وثاب، ان السلطان رسم للاعداء والاصحاب، ان يسلكوا طرايق الاصدقاء والاحباب، فلو خالف المرسوم هذا الكلب، لما قابله الملك الا بالقتل والصلب، قال لعل هذا المشوم، لم يبلغه المرسوم، ثم ولّى هاربا، وقصد للخلاص جانبا، وانما اوردت يا نفيس، هذا المثال لتقيس، احوال من دان، لسك من هذا الحيوان، ولا تشقها بعصى واحدة، واحسبْ حال كل واحد على حدة، فربما يكون فى هذه البهايم، من لا هو باحوال الصلح عالم، ولم تبلغه الدعوة، وانما انصاف بسبب رجوة، او آمن على سبيل التبعية والتقليد، ولم يطلع على موارد الوعد والوعيد، ولا وقف على ما وقع من الاتفاق، ولا يثبت لمصادمة اللقاء وقت التلاق، فيصدر منكم حركة، تودى الى قلة بركة، وتستطرد الى نفرة وجفول، فيدهمنا عدم ما اسسناه على غفول، ويقع من الفساد ما لا يمكن تلافيه، ويضيع نقود جواهر جهدنا وكدنا فيه، واذا كانت الدنيا محل العوارض، والغالب انه عند مشارفة

المقصود بحصل العارض، والعاقل لا يغفل عن هذا الخطر، فعند صفو الليالي يحدث الكدر، وقد كفاك، من ناداك شعر

اذا قربت يداك الى مرام   وقلت تحوّلت نفسي مُناها
فلا تامن من الدهر اختلاسًا   يحول فمكره في ذا تناهى
كجان لم يصبه الشوك الا   وقد وصلت يداه الى جناها

فالراى السديد، يا ابا سعيد، يقتضى، ان تمضى، الحمامة المطوقة، الى تلك الجموع المتفرقة، وتنادى، فى كل نادى، بين الخاص والبادى، والرايح والغادى، بحقايق الامور، وتطييب خاطر الجمهور، وما هم قادمون عليه، ومن هو الواصلون اليه، ليعلموا انهم فى صفقتهم رابحون، وانهم على هدى من ربهم وانهم مفلحون، فتوجهت الحمامة بهذه النقوش، وشهرت الندا فى طوايف الوحوش، بما هم عليه قادمون، وانهم للملك بيسار خادمون، ثم تبعها الوزير، ومعه كل امير وكبير، من خواص المباشرين، والاعيان الملازمين، وكبراء الاطيار، ورؤساء الاخيار، واستقبلوا ملوك الوحوش والهوام، ورؤساء السوايم والسوام، وقابلوا ملتقاهم بالاعزاز والاكرام، ووعدوهم بكل خير واحسان، ووصلوا بهم الى ميدان الامان، وحين حصل عليهم نظر السلطان، قبلوا الارض، ووقفوا فى مقام العرض، وادّوا من واجب العبودية النفل والفرض، فانزل كلاً فى مقامه، بعد ان احله فى محل اكرامه، وافاض عليه خلع احسانه وانعامه، وعلت منزلة الوزير، وتقدم كما تقدم واشير، وصفا لهم الزمان، وعاش فى ظل عدلهم كل ضعيف من الحيوان، وتقلبوا فى رياض الامانى على بساط الامان، وفايدة هذه الحكايات، تنبيه اشرف جنس المخلوقات، والطف طايفة المكوّنات، وهو نوع الانسان، الذى اختصه الله تعالى بانواع الاحسان، وايده بالعقل، وامدّه بالنقل، على انه اذا كان هذا الفعل الجليل، يصدر فى التنظير والتمثيل، من اخس الحيوانات، وما لا يعقل من الموجودات، فلأنّ يصدر من اولى النهى، واولى الفضل والمكارم والعلا اولى واحرى، لا سيما من رفع الله فى الدنيا مقداره، واعلى على تم الخلايق مناره، وحكّمه فى عبيده المستضعفين، واسترعاه على رعية سامعين مطيعين، وسلطه على دمايهم واموالهم، وبسط يده ولسانه فى رفاهيتهم ونكالهم، والاصل فى هذا كله، قول من عم عبيده بفضله، وبقوله اهتدى العالمون، وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون، اخر الباب السادس والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين امين

الباب السابع

فى ذكر القتال بين ابى الابطال الريبال وابى دغفل سلطان الافيال

قال الشيخ ابو المحاسن، من ليس له فى الفضل مساو ولا مواسٍ، فلما انهى الحكيم حسيب، كلامه الاحلى من النسيب، قبّل اخوه بين عينيه، وافاض خلع الانعام عليه، ثم استزاده، وفتح لجامع فضله باب الزيادة، وكان قد وقع بين ملك الافيال، وبين ملك الاسود المسمى بالريبال، المكنى بابى الاشبال وابى الابطال، مقال ادى الى جدال، واتصل بحرب وقتال، فسال الملك اخاه، هل سمع من ذلك شيا ووعاه، فاجاب بالايجاب، واذكر فى الجواب الامر العجاب، فقال كان، يا ملك الزمان، فى بعض اطراف الهنود، من عساكر الافيال جنود، فى جزيرة، عظيمة كبيرة، لهم من جنسهم، وجلدتهم ونفسهم، ملك عظيم، ذو جسم جسيم، وشكل وسيم، منظره بديع، وهيكله رفيع، طويل الخرطوم، واسع الحلقوم، مبسوط الاذنين، حديد العينين، طويل الانياب، كانه طود فى جراب، كثيف فى المرآى، خفيف فى الموطا، عدد جيشه غزير، ومدد جنده كثير، وهو فيهم ملك كبير، ذو قدر خطير، منفرد بسرير، ورثه كابراً عن كابر، وكل جيشه روساء واكابر، لاوامره طايعون، ولما يراه تابعون، فبلغه فى بعض الايام، ان فى بعض الغياض والاجام، مكانا فى غاية النزاهة، معدن الفواكه والفكاهة، ذا مياه عذبة، ومروج رطبة، اراضيها اريضة، ورياضها طويلة عريضة، اطيارها تُسكر بالحانها، واشجارها تخاجل قدود الملاح باغصانها، وازهارها زهرة، وانوارها نضرة، ونسيم الصبا والشمال تنشر الى الافق طيب انفاسها العطرة، وانه يصلح ان يكون لملك الافيال مقاما، مع ان فيه من الجبال والحصون معاصم وعصاما، غير ان فيه اسدًا هصورا، جمع فيه جندا كثيرا، ولا زال الناقل يصف ويطنب، ويعاجم فى حسن شمايلها ويُعرب، حتى قال بعض الندماء، الحاضرين من الكبرآء، لو قصد الملك ذلك المكان، وجعله لنفسه من بعض الاسكان، وتنقل اليه فى بعض الاوقات، وساعات التفرج فى المتنزهات، لاراح نفسه الخطيرة، من وخم هذه الجزيرة، ووجد لذة الطعام، ونشوة الشراب على المدام، والاسد الذى فيها، وان كان مالك نواحيها، وبيده تصرفه زمام نواصيها، وجماجم قلاعها وصياصيها، لكنه ملك عادل، وسلطان فاضل، تمنعه شهامته، وكرم نفسه وكرامته، ورياسته وزعامته، ان يضايق الملك فى ذلك، او يضيق سلوكها على سالك، وان شرع فى الممانعة، واخذ فى اسباب المدافعة بالمقارعة والمنازعة، فالعساكر المنصورة، واعدادهم الموفورة، فيهم بحمد الله قوة وكفاية، ولهم فى بداية الحروب هداية، وقعقعة ليس لشرحها غاية، ولا لفروع اصولها نهاية، يحْيون فى مباحثها النفوس، ويعيدون فى مدارس الحرب بتكرار الضرب ثانى الشجاعة بعد الدروس، فيدعون الملك

امره، ويكفّون اذاه وشره، ولا زال يفتل منه فى الغارب والذروة، ويقوى بتمويهاته دواعى الحرص والشهوة، حتى اقتنصته اشراك المطامع، واوقعته فى عبودية شهوة تلك المواضع، ودعته النفس الابية، وحميّة الجاهلية وباعث العصبية، الى الاستيلاء على تلك الاماكن البهية، والولايات السنية، والمساكن الزهية، واسامة سوارح اللحاظ فى مراعى تلك الغياض، ومروج اراضى هاتيك الرياض، وازعج فى ذلك المقتضى، واسلمه العدل والخلق الرضى، بغلب عليه سبى الضباع، واستولت عليه فوارغ الاطماع، وعشقها على السماع، وكان عنده اخوان، هما له عضدان، هما وزيراه، وفى مهامّه مشيراه، مسعداه فى الامور، ومنجداه فى احوال السرور والشرور، احدهما واسطة خير، قليل الشر عديم الضير، قد جرب الزمان، وقلب قوالب وتبعه بالمقايسة ما قاساه، اسمه مقبل، وهو كاسمه مقبل، والاخر بالعكس، فى جميع حركاته وكس، وهو كاسمه مُدبر، بكل شى مخبر، قصده غبار فتن يثيره، وعسكر بلاء يغيره، وطالب اذى وعناء يعيره، او سر يذيعه، او مكر يشيعه، او متسوّق شرّ يبيعه، وهما ملازمان الخدمة، واقفان فى مقام الحشمة والحرمة، كالفتق والرتق، والباطل والحق، والكذب والصدق، وفى الافساد والاصلاح، كالمرهم والجراح، ومصلح الدرهم ومفسد الراح، ومرشد العقل ومضل الاقداح، وفى الوفاق والشقاق، كالسم والترياق، وفى الحكم والقضاء، كالداء والدواء، وفيما يقع من الحوادث، المفرحات والكوارث، كالحرّ والبرد، والشوك والورد، فاختلى الملك باخويه، واستشارهما فيما عوّل عليه، فقال اخوه المقبل، يا مولانا ابا دغفل، لو لم يكن بهذا المكان احد، من ادنى الوحوش فضلا عن الاسد، لكان قصده ترفعًا وترفها، والتوجه الى الاستيلاء عليه موجهًا، فكيف وذلك فى ولاية مالك وهو مالك صعب، كابى حفص الصعب، ملك كبير عادل، وسلطان خطير فاضل، مطاع فى صاغيته، متبوعٌ فى حاشيته، عادل فى رعيته، سيرته مشكورة، ومحاسنه ماثورة، وهيبته وبسالته غير منكورة، وهو جار، حسن الجوار، لم يصبط عليه، ما يقتضى انتزاع ملكه من يديه، ولم يتعرض الى متعلقاتنا، ولا آذى احدًا فى ولايتنا، وان مولانا السلطان، لم يصدر منه الا العدل والاحسان، الى الاباعد والاجانب فضلا عن الجيران، لا سيما الملوك والاكابر، ومن ورث الملك كابرا عن كابر، ولقد تلقفت من افواه الحكماء، وتشنفت مسامعى من جواهر الفاظ العلماء، بثلاث نصايح، هى من احسن المنايح، احديها احذر ايها الموفّق، ان تقع فى دم بغير حق، ثانيها اياك يا ذا التوفيق، واموال الناس بغير طريق، ثالثها اياك يا ذا الشيم الكريمة، وهدم البيوت القديمة، واعلم ان الله تعالى عم رزقه، وخص كل موجود بما يستحقه، وقد اقام الاسد فى تلك الاماكن، وهو وان كان متحركا فهو فيها ساكن، ولو لم يستاهل، لما اختص بتلك المنازل، وما ينكر هذا الا جاهل، او من هو عن الحق ذاهل، وحاشا ان تنسب يا رييس الاخيار، الى حسد او سوء جوار، وعظمتك تانف عن ذميم الاخلاق، وكيف وقد انتشر بالفضل صيتها فى الافاق، واذا كان للشخص ما يكفيه، فينبغى ان يقتصر عما يطغيه، ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وقد احسن فى المقال، من قال، شعر

يا احمد اقنعْ بالذى أُوتيته ... ان كنتَ لا ترضَى لنفسك ذلّها
واعلم بان الله جلّ جلاله ... لم يخلق الدنيا لاجلك كلّها

فالتفت الملك الى المدبر، واشار اليه كالمستخبر، ما ذا تشير، ايها الاخ والوزير، فقال جميع ما قرره مولانا الوزير حق، وجملة ما ذكره وحرره صدق، نصايح ترشد العقول، وتزين عقود المعقول والمنقول، ولكن لا يخفى عن كريم العلوم، ان الاسد حيوان ظلوم، غالب طالب، وخلاص الرعية من شره واجب، ويلزم كل احد، ان يخلص الرعايا من ظلم الاسد، ومولانا الوزير لم يبلغه ظلمه، ولم يحط باحوال الاسد علمه، وانه من اظلم البرية، لمن تحت يده من الرعية، وانه يجب على مولانا السلطان، خلاص الرعية منه على اى وجه كان، وايضا فان انعامات مولانا البارّة، على كل احد من الخلق دارّة، والخرج والكلف، والكرم الذى بانامله ايتلف، كل يوم فى ازدياد، والعساكر المنصورة كل وقت تزداد، واذا لم تتسع الولايات، وتكثر الجهات والاقطاعات، كان الخرج اكثر من الدخل، والمصروف من الخزانة كالوابل والدخل كالنخل، واذا زاد المصروف على الواصل، عجز الواصل وفرغ الحاصل، ودل ذلك على ركاكة الهمة، وقصور النهمة، والملك فيجب عليه، والمندوب فى شرع همته اليه، ان يكون كل وقت جديد، فى فتح سعيد، وترق مزيد، وتوسعة الممالك، وتنزيه بساط السلطنة عن المنازع والمشارك، والاستكثار من الجند والرعية، واستجلاب خواطرهم الابية، بالجوايز السنية، والانعامات السمية، ولا يجوز فى ملة الاسلام، ان يتعدد الخليفة الامام، ولله در القايل، العلى الشمايل، شعر

اذا ما لم تكن ملكا مطاعا   فكن عبدا لمالكه مطيعا
فان لم تملك الدنيا جميعا   كما تهواه فاتركها جميعا

وناهيك، يا مالك الممالك والمماليك، فى علو الهمة، وصدق العزمة، وغوص الافكار، فى استخلاص ممالك الاقطار، قضية فحل الرجال، تيمورلنك الاعرج الدجال، مع نايبه الله داد، احد الفؤاد، ونواب البلاد، فسال ابو مزاحم، اخاه عديم المراحم، عن تلك القضية، وايضاحها عن جلية، فقال ان تيمور راس الفساق، الاعرج الذى اقام الفتنة على ساق، لما حلّ بالممالك الرومية، فى شهور سنة خمس وثمانمائة، واسر مالكها، واستخلص ممالكها، استمر فى ممالك العرب يصول، وفى فكره استخلاص ولايات الشرق يجول، وكان اقصى ما انتهت اليه فى الشرق مملكته، ونفذت بسهام احكامه فيه اقضيته، بلدا يسمى اشباره، قد اعده لشياطين النهب والغارة، وبنى فيه قلعة، ونقل اليه من ذوى المنعة، جندا منتخبا من كل بقعة، وهو فى بحر ممالك المغل والتتار، وحد الفاصل بين ممالكه وولايات عباد الشمس والنار، وامر على اوليك الاجناد، شخصا يدعى الله داد، وهو من خواص امرائه، ورؤساء جنده وزعمايه، فمن جملة ما امره به ذلك المشوم، وهو مخيم ببلاد الروم، انه ابرز اليه مراسله، فيها امور مجملة ومفصلة، امره بامتثالها، وارسال الجواب ببيان كيفية حالها، منها انه يبين له اوضاع تلك الممالك، ويوضح كيفية الطرق بها والمسالك، ويذكر له مدنها وقراها، وو هدها وذراها، وقلاعها وصياصيها، وادانيها واقاصيها، ومفاوزها واوعارها، وبحارها وقفارها، واعلامها ومنارها، ومياهها وانهارها، وقبايليها وشعابها، ومضايق دروبها، ورحابها ومعالمها ومجاهلها، ومراحلها ومنازلها، وخاليها واهلها، بحيث يسلك فى ذلك السبيل الاطناب الممل، ويتجنب ماخذ الايجاز خصوصا المخل، ويذكر مسافة ما بين المنزلتين، وكيفية المسير بين

كل مرحلتين، من حيث ينتهى اليه طاقته، ويصل اليه علمه ودرايته، من جهة الشرق وتلك خذه وتلك الثغور، والى حيث ينتهى اليه من جهة سمرقند علم تيمور، وليعلم ان مقام البلاغة فى معانى هذا الجواب، هو ان يصرف فيه ما استطاع من حشو واطناب، وتطويل واسهاب، وليسلك فى بيانه الطريق الاوضح من الدلالة، وليعدل عن الطريق الخفى فى هذه الرسالة، الى ان يفوق فى وصف الاطلال وتعريف الرسوم، وحدود الدمن مضغة الشيخ القيصوم، فامتثل الله داد ذلك المثال، وصور له ذلك على احسن هيئة وآنق تمثال، وهو انه استدعى بعدة اطباق، من نقى الاوراق، واحكمها بالالصاق، وجعلها مربعة الاشكال، ووضع عليها ذلك المثال، وصور جميع تلك الاماكن، وما فيها من متحرك وساكن، فاوضح فيها كل الامور، حسبما رسم به تيمور، شرقًا وغربا، بعدا وقربا، يمينًا وشمالا، مهادًا وجبالا، طولا وعرضًا، سماء وارضا، مَرْداء وشَجْرا، غَبْراء وخضرا، منهلا منهلا، ومنزلا منزلا، وذكر اسم كل مكان ورسمه، وعيّن طريقه ووسمه، بحيث بيّن قصاه وعيبه، وابرز الى عالم الشهادة غيبه، حتى كانه شاهده، ودليله ورايده، وجهز ذلك اليه، حسبما اقترحه عليه، كل ذلك وتيمور، فى بلاد الروم يمور، وبينهما مسيرة سبعة شهور، وكذلك فعل، ذلك البطل، وهو بالبلاد الشامية، سنة ثلاث وثمانماية، مع القاضى ولى الدين، عمدة المورخين، ابى هريرة عبد الرحمن بن خلدون، اغرقه الله فى فلك رحمته المشحون، وقد ساله عن احوال بلاد الغرب، وما جرى فيها من صلح وحرب، ووقع من خير وشر، ونفع وضر، ثم اقترح عليه، وتقدم بالامر اليه، بوضع اوضاعها، ورسم مدنها وقلاعها، وتخطيط ولاياتها، واشكالها وهيئاتها، فامتثل ذلك وابداه، وعلى حسب ما اختاره واقترحه انهاه، وبيّن ذلك مثاما ذكر اعلاه، فشاهد اوضاعها، وخبر وهادها وبقاعها، كان لحابل رُفع من البين، وعاين عين ذلك الاقليم بالعين، فانظر الى هذا الاغتمى، وهو سطيح نصف آدمى، وهمته اللاعبة كالبرق، تضرب تارة فى الغرب واخرى فى الشرق، وانما اوردت هذه القصية، ليقف سامعها على مقدار الهمة العلية، فلا يرضى الملك الهمام بالمنزلة الدنية، ولا يقنع بالدرجة الوطية، بل يجتهد فى تكثير الجند والرعية، وفتح الاقاليم العربية والعجمية، ولا يقتصر على الحالة السوية، وانما يلازم طلب الارتقاء بكرة وعشية، ويكون سعيه كالشكر يجلب المزيد، وكما يستديم طلب الزيادة من مولاه يستديم زيادة العبيد، والا فينسب الى قصور الهمة، وافلاس الذمة ونقصان الحرمة، وبطلان الحشمة، واعظم بها من وصمة، وبالعجز والتقصير، يضيع حقوق المُلك الخطير، وتجد الرعية للطعن مقالا، وفى ميدان الاعراض عن الملك مجالا، وهذا خلاف موضوع الامامة، وعكس ما تقتضيه الرياسة والزعامة، فان موضوع السلطنة، ان يتعاطى الملك مهما امكنه، من اسباب الفتح والفتوح، وما يستميل به من الرعية القلب والروح، وذلك بالاحسان والاكرام، والبذل والانعام، فبه تقوى رغبتها، وتزداد محبتها، فاذا لم يكن ذلك، فلّ المملوك عن المالك، واسمع قول الاديب، ذى الراى المصيب، وهو شعر

اذا اعملت امر العبد يومًا وقصّرت العليق عن الحمار
توقف فى المسير ابو زياد وقام العبد يجرى للفرار

وقيل والدّر يقطعه جفاه الحالب وقال اشرف جنس الانسان، علو الهمة من الايمان، فنرى

التسديد عندى، والذى بلغ اليه جهدى، انفاذ هذه العزيمة، وسلوك طريقها القويمة، وابرازها من مكامن القول، الى ظواهر العمل والاعتماد على ما قيل شعر

فلا تثن عزمك خوف القتال ... بسمر دقاق وبيض حداد
عسى ان تنال الغنا اوتموت ... فعذرك فى ذاك للناس باد
فان لم تنل مطلبا رمته ... فليس عليك سوى الاجتهاد

فاقبل الملك على المقبل، وقال توجه بكليتك علىّ واقبل، شعر

ولا تبق مجهودًا برايك انه ... سديدٌ ومن يقفُ السديد سديد

فان القلب قد مال الى العزم، والاخذ فى التوجه بالحزم، وترجح جانب الوثوب، الى جهة هذا المطلوب، فامعن النظر، واجل قداح الفكر، ولا تخف رايا يسنح، فى اى جهة ترجح، فقال العقل، بشرط ان يقبل، اعلم زادك الله علما، وفضلك كرما وحلما، ان الذى راه العلماء، واشار به ذو الحنكة من الحكماء، ان من طلب وفور خيره، وفايدة نفسه فى مضرة غيره، لا يمتّع من تلك الفايدة، ولا تتم معه تلك العايدة، وهذا على تقدير حصولها، والاستيلاء على فروعها واصولها، وان لم يظفر بها، فلا تستفد النفس غير كربها، مع زيادة الحسرة، وسوء الصيت فى الشهرة، ووفور الندم، وزلة القدم، وكل من اراد تمشية هواه، ولم يلتفت الى ما سواه، وراى نفسه احق من غيره، فلا يتمتع ابدًا فى خيره، ولا يكاد يسلم من الانكاد، ولا يصفو له زمان، ولا تدوم له اخلاء واخوان، ولا تزال ديم الهموم، من غُمام الغموم، تهمى على حدايق اماله، وتسقى مزارع احواله، الى ان تنحطل خلات نيته، وتتّبس حقول طويته، ويحصده حراث الفناء، ويدرسه دراس الرداء، ويذرّى حبات وجوده الدوان فى الهواء، وينقل عن بيدر الشقاء، الى طاحون البلاء، فهناك يجدح سويق افعاله ما يزيغه فيحسوه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه، ويصهر به ما فى البطون، ويقال له ذوقوا ما كنتم تكسبون، هذا واذا كان الدخل لا يفى بالخرج، وخيف من ذلك وقوع هرج ومرج، فبحسن التدبير، يتعرف الملك الخبير، وبكفاية الوزير، وتوفير المشير، يجل الحقير، ويكثر النزر اليسير، كما قيل شعر

قليل المال تصلحه فيبقى ... ولا يبقى الكثير مع الفساد

وبالخلق الحسن وحسن السياسة، تملك رقاب اولى الرياسة، فضلا عن العوام، وهذا بحسب المقام، ولا يتصور ان مجرد المال، هو شبكة صيد الرجال، فان حفظ الممالك، هو وراء ذلك، وقد قال رسول خلاقكم، انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم، وشىء يحتاج فى تحصيله، والانقطاع الى وصوله، الى بذل اموال وارواح، وكد نفوس واشباح، واتعاب خيل ورجال، وارتكاب شدايد واهوال، وبعد حصوله يتكلف فى محافظته، وحراسته وملاحظته، الى تحمل هموم وغموم، وكلام وكلوم، واخر الامر يخرج من اليد، ولا يبقى الا النكد والكد، فتزول فى الدنيا اللذات، مع معاناة الكدورات، وتجرع الغصص والمشقات، وتبقى فى الاخرة التبعات، لجدير بان لا يلتفت اليه، ولا يعول عليه، ولا يهتم له بشان، ويستغنى عنه وان احتيج اليه بقدر الامكان، والا فمثل الذى يعلق به فواده، ويربط بدوامه وبقايه اعتقاده، ويتصور ذلك بفكره الفاسد، ونظره

الكاسد، كمثل كسرى لما مات ولده، وتفتتت عليه كبده، وحصل له عليه الاضطراب، ورده عن خطايه البهلول الى الصواب، فسال ابو الحجاج، اخاه الحجاج، عن بيان هذا الامر، وكيفية اطفاء هذا الجمر، قال المقبل، ذكر محدّث معدّل، ان كسرى كان له ولد، سكن منه سويداء الخلد، بخجل البدر ليلة تمامه، ويستميل الغصن حالة قيامه، وكان يحبه حبًّا جاوز النهاية، وتعدى الحدّ والغاية، وكان لشدة شغفه، استبعد حلول تلفه، بل احال وفاته، واذهله عن دركه لحق وفاته، فادركه الاجل المحتوم، واستوفى مداه المعلوم، فاضطرب كسرى لموته واضطرم، واصطدم بصخور فراقه واصطلم، ولم يقرّ له قرار، ولا طاوعه اصطبار، فوعظه العلماء بما افاد، ونبّهه الحكماء بضرب الامثال فاعياهم المراد، وكان فى بلده رجل بهلول يتردد اليه، ويدخل فى اكثر اوقاته عليه، فيلاطفه فى محاورته، ويبتهج بكلمته فى مخاطبته، فدخل عليه البهلول، وهو كئيب ملول، لا تسر حاله صديقا، ولا يهتدى الى السكون طريقا، فساله عن حاله، وما اوجب توزّع باله، وتغيّر اقواله، فقال يا بهلول عدمتُ ولدى، وقرة عينى وراحة روحى وجسدى، شعر

لا صبرُ يجدى على فراقه ولا مُعين على احتراقه

وقلتُ اواه من فرقة الاحباب آوّاهُ لقد كوى من حشا قلبى سويداهُ

قال البهلول، نعوذ بالله من ساعات الذهول، يا ملك الانام، ان عيسى عليه السلام، شكا اليه بعض جواريه، شياء يشابه ما انت فيه، فقال عليه السلام، كن لربك كالف الحمام، يذبحون فراخه، ولا يفارق مناخه، ولا ينفر عنهم، ولا يشكو منهم، ثم ان البهلول قال، وانا لى اليك سوال، فاجبنى بجواب شاف، فانك ذو الطاف، فلا يكن فيه جزاف، فقال سل، فكلامك لا يُمَل، قال اكنت ترجو ان ولدك لا يموت ابدا، وانه يصير فى الدنيا مخلدا، فقال لا ولكن اردت ان يبقى مدة، ويتمتع بشبابه وبنعيمها عنده، ويلتذ بطيب المآكل والمشارب، ويقضى من اوطار الشباب المآرب، ويونّس اتلاده وصحبه، ثم يقضى بعد ذلك نحبه، قال هب انه عاش مهما رمت، وقام وقعد فى الدنيا كما قعدت وقمت، وعاش العيش الطيب، وهُمِى عليه من سماء ملاذّها الوابل الصيّب، وحصّل له من العيش الهنى، والعمر السنى، امثال الجبال واعداد الرمال، فعند مفارقته العيش، وحلول الخفة والطيش، هل يدفع عنه ذاك شرا، او يرفع عنه بوسا وضرا، او يجلب له منفعة، او يذهب من ذلك شى معه، او يفيده ادنى فايدة، او يعود عليه منه عايدة، قال لا قال فلا تاس على معاش، يكون عقبى امره الى لاش، وعمّ ذاك مصيره، سواءٌ طويله وقصيره، وكثير تنعمه ويسيره، شعر

واذا كان منتهى العمر موتاً فسواءٌ طويله والقصير

فعش ما شيت فى الدنيا وادرك بها ما شيت من صيت وصوت

فحبل العمر موصولٌ بقطع وخيط العيش معقودٌ بموت

فهب انه عاش، ونهب الملاذ وحاش، وعلا فى ارض التنعم وجاش، كل ذلك فى المقدار، على حسب ما تختار، وانه جاءه القضا، وقد قضى وطره ومضى، ثم قضى نحبه وقضى، فجبر بهذا الكلام كسرا، وسرّى عنه همه واسرى، وقال الان سكنت، فنعم الناصح انت، وانت

اوردت هذا التنبيه، ايها الملك النبيه، لاعرض على الخواطر السعيدة، والآرآء السديدة الرشيدة، ان الاقتصار عن هذا اولى، والاليق بالركون تحت ارادة المولى، قال المدبر، المفتن المغبّر، ثلاثة اشياء ينبغى لطالبها، ان لا يفتكر فى عواقبها، الاول الاسفار فى البحار، والغوص فيها الى القرار، فان طالب الجواهر النفيسة، ومن قصد ان يكون فى صدر التجارة رئيسة، لا يختشى من الغرق، ولا عنده من ذلك فرق، فهذا يعبّى بضايع المال، وذاك يغطس الى قعر الاوحال، وكل منهما لا يفتكر فى العاقبة والمآل، الثانى المقدم على الحرب، والرشق والطعن والضرب، ومصارعة الابطال، ومباشرة اسباب القتال، ولا ينزعج لصوت، ولا يفتكر فى الهزيمة والجراح والموت، والثالث طالب الرياسة، والملك ذى السياسة، لا يفتكر فى الاقتحام، ولا يتوانى فى الاقدام، ولا يتامل فى العواقب، ولا يتلفت الى المناقب، ويلقى نفسه فى الاخطار، ويضرب الى اعماق الاقطار، ويجعل جلّ همّه بلوغ الاوطار، وقيل

بقدر الكدّ تكتسب المعالى ... ومن طلب العلا سهر الليالى

تروم العز ثم تنام ليلا ... يغوص البحر من طلب اللآلى

وقيل اذا همّ القى بين عينيه عزمه ... ونكّب عن ذكر العواقب جانبا

قال المقبل الحكيم، وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم، اولوا الالباب المميزون بين الخطاء والصواب، الناظرون من مبتداء الامور فى اعقابها، المستبصرون قبل وقوعها فى مآلها ومآبها، الآتون بيوت النوايب والنوازل من ابوابها، قالوا اذا تحصّن ابو الحصين، واغلق عليه من ورآء جدار بابين، ثم حاصره اسد من خارج، ساوت قوة الخارج قوة الوالج، ولا شك ان حركة العساكر، وقطع الفيافى والدساكر، والتوجه الى قتال من هو ساكن فى سربه، محتاط فى اقليمه ودربه، متحصن فى قلاعه، متدرق بحجفة امتناعه، يحتاج فى الاموال الى اخراج، وفى الرجال الى ازعاج، وتحمّل اخطار وتجشم اسفار، واخذ ضعفا تحت اقدام، وهدم دور وقطع ارحام، ومع هذا كله حصول المقصود موهوم، والظفر به غير معلوم، فان حصل فقد تمّ ان لا ثبات ولا تمتّع، وان احتجب فهو ورآء ستر التمنّع، فكم من دمآء حينيئذ تراق وقد كانت مصونة، واموال تهدر وقد كانت مضمونة، واعراض تهتك وقد كانت محترمة، وانفس تذل وقد كانت عزيزة مكرّمة، والحق فى هذا متضح، ومن نجا براسه فقد ربح، وقد قدمت هذا التقرير، وهندست هذا التقدير، لان العاقل الماهر فى التجارة، كما يحسب حساب الربح يحسب لخسارة، وكل هذا فى العاجلة، فضلا عن المحذورات الاجلة، من غضب الله وعقابه، وتوبيخه واليم عذابه، واذا خرج الامر عن اليد، ودخل على القلب الاشتغال بالنكد، وذهب المال والمنال، ونقصت الاهبة والرجال، وتناقص العدد والعُدَد، وتناكص المَدَد والمُدَد، فاى حرمة تبقى للملك عند الرعايا، وقد قلّت عنهم منه الارفاد والعطايا، وكيف يستقر ملكه، او يدور على فلك الثبات فلكه، فلا تخافه الرعية ولا يرجونه، ولا يسمعون كلامه ولا يطيعونه، ويصير كالسحاب الخلّب، لو يوثق منه بوعده ولا يحصل منه مطلب، ان تكلم عابوا كلامه، وان حكم نقضوا احكامه، وان حلم قالوا عاجز، وان تقدم فى الحرب قالوا مجنون مبارز، واما الغنى ذو المال، فهو على عكس هذه الاحوال، فان راوا منه فضلا، كان لكل مكرمة اهلا، فرفعوه الى العيوق، وكان المعظم المرموق، ان اعطى قليلا استصغروا حاتمًا عنده، واطنبوا بلسان الثناء فى

شكرهم رفده، وان بخل قالوا مدبر لا يضيع ماله، وان كذب صدّقوا قيله وقاله، وفي الجملة حركات الغنى مستحسنة، وكلماته مترشفة مستعذبة، وقد قيل

ان ضرط الموسر في مجلس قيل له يرحمك اللهٔ
او عطس المعسر في مجمع سبّوا وقالوا فيه ما ساه
فضرط الموسر عرنينه ومعطس المفلس مفساه

ولقد تلقفتُ من ذى التجارب، وتحققت في الدهر ابى العجايب، ان الفقر شيب الفتيان، وسقم صحيح الابدان، ومبعّد الاقارب، وجاعلهم اجانب، وقاطع الارحام، ومانع السلام، ومبغّض الاحباب، ومفرق الاتراب، ومشقق شمل الاصحاب، وفي الجملة فالذى يجب على ولى الامر، التامل في قصارى هذا الامر، والتفكر في عاقبة هذه الحركة، وما يحدث فيها من شوم وبركة، وان يجيل قداح التدبير، والتبصّر والتحيّر، ويتثبت في صدر هذا الورد المضيق، وما فيه من مجال او ضيق، ولا يعتمد فيه على القوة والحول، واسباب الطُول والطَول، وكثرة الشوكة والعُدَد، وامداد العدد والمدد، مع عدم الاكتراث بالاخصام، وقلة المبالاة بكل اسد ضرغام، فان الاسد سلطان السباع، وملك عظيم كثير الجند والاتباع، شجاعته مشهورة، وشهامته ماثورة، به يضرب المثل، ويُشبّه كل بَطَل، ونحن وان كان لنا عساكر كالجبال، تهدم الحصون وتدك القلال، لكن ما جربنا مصارعة الاسود، ولا مارسنا مقارعة النمور والفهود، ولا نعرف طريق بلادهم، ولا طريقة جدالهم وجلادهم، وان لهم في الحروب اساليب، وفي افتراس الفرايس انيابا ومخاليب، فاخشى ان لا تتم هذه الامور، وتقصر حبالنا عن مصادمة ما لهم من قصور، فيرجع وبال هذه الامور علينا، اذ ابتدآوه اولًا منسوب الينا، ولا نحصل الا على الندامة، والتوبيخ والملامة، ويخاطبنا الجد الوبيل، بما قيل، شعر

تبنى بانقاض دور الناس مجتهدًا دارًا ستنقض يومًا بعد ايام

وقال المدبر ولا شك ان جوهر هذا النظام، وعقود هذا الكلام، صادر عن فكر بعيد، وراى سديد وامر رشيد، وتامّل في العواقب مفيد، اصله الحكمة، وفرعه الشفقة، وزهره المعرفة وثمره الفطنة، ولكن من حين استولى على الملك كيومَرْث، ومرث على سرير التحكم اصبع الولاية ابلغ مرث، وسن قواعد السياسة، واسس بنيان الرياسة، وذلك زمان الابتدا، واول ما تملك على الدنيا، والى هذا اليوم، لم يزل القوم، من الملوك في روم، وطلب الزيادة والسوم، ولا عتب في ذلك ولا لوم، وقل لى اى ملك مالك، تحكم في الممالك، وسلك فيها المسالك، ولم يقصد فيها الولايات الشاسعة، ولا الاقاليم الواسعة، ولم يطلب الترفع على الاقران، وعلو المكان بقدر الامكان، والملك عقيم، والعاجز سقيم، وكيف يتصور ايها الملك الاكبر، ان تكون همة الملك، ادنى من همة تاجر في البحر ينهمك، فان التاجر اذا افتكر في لذة الفايدة، وما يعود عليه من العايدة، وغرته كما يقال النسع اواق الزايدة، يجمع جميع ماله، وما تصل اليه يده من خدمه ورجاله، في الفلك المشحون، ولا يرهب ريب المنون، ويركب هو ايضا فيه، ولا يلتفت الى عجايب دواعيه، ولا يفتكر في الغرق، ولا في حبس السفينة ولو انخرق، ويسلم قياده الى متصرف الهوى، ونفسه وماله الى حاكم انسما، ودونك يا ذا الحشمة، والوافر الحرمة، ما قاله العاشق العالى الهمة شعر

ان تهوَ بدراً فليكن ابن الخليفة ذى السرير
او ابن سلطان الورى او ذى الوزارة او امير
وتجنّب الاوغاد والسغوغا وذا القدر الحقير
ان الخطير هو الذى قد قام بالامر الخطير

واما قولكم عساكرنا اغمار، لا دربة لهم بتلك الديار، ولا معرفة لهم بمصادمة الاسود، ومقاومة تلك الجنود، فاعلم ايها الوزير، الفاضل الكبير، ان الاسد ملك كاسر، وعلى سفك الدماء جاسر، وان فى رعيته من اذاه، وانكاه فى ذويه وابكاه، وكسره جبرا، واسترعاه قسرا، واستولى عليه قهرا، فهو منتظر بنفس الزمان، مترقب انقلاب الحدثان، متوقع ابيها الفضيل، معنى ما قيل شعر

اذا لم يكن للمرء فى دولة امرىءٍ نصيب ولا حظٌّ تمنّى زوالها

فاذا سمع باحد، خرج على الاسد، ولو كان، اقل الاعوان، فضلا عن ملك الافيال، بل قيل الاقيال، الفاضل فى ذاته، الكامل فى صفاته، العادل فى رعيته، البارّ باهل ولايته، المحسن الى اهل مملكته، المشفق الحليم، الرووف الرحيم، فبالضرورة يبادر الى الملاقاة، ويسارع الى ما كان يتمناه، ويغتنم عبودية الملك ويعدها غاية مرتجاه، فيدل على عورات العدوّ ومظانّ عثراته، ويرشد الى طرايق نكاياته ونكباته، وينادى فى النادى، نلت مرادى، على رغم الاعادى، ويعلن بانشادى، للحاضر والبادى شعر

اذا كان للانسان فى دولة امرىءٍ نصيبٌ واحسانٌ تمنى دوامها

وايضا فى ذلك الاقليم، من هو متشبث بامر جسيم، وهو ما له من مال واولاد، واقطاعات وعقار وبلاد، وسوايم ومواش، واثقال وحواش، فلا يمكنه التحول عن طريقنا، ولا التحمّل لرعودنا وبروقنا، ولا قوة المقاومة، ولا طاقة المصادمة، فبالضرورة يصانع عن تعلقاته بالطاعة، ويتشبث بذيل سُنّتنا مع الجماعة، فنستمد بارايه وروايه، ونستفيد فيما نحن بصدده دواءة لدايه، فقال الملك للمقبل ما الجواب، عن هذا الخطاب، فقال هذا المقال، وان كان لا يخلو عن الاحتمال، ووقوعه غير محال، لكن الاقرب الى الذهن ان هذا لا يقع، لانه امر مبتدَع، ولانّ طبايعنا متخالفة لطبايعهم، واوضاعنا غير اوضاعهم، ونحيك ان كلاب الحارة، فى النهب والغارة، يمزّق بعضهم بعضا، ويتناحرون فيما بينهم حرضًا وبغضا، حتى اذا دخل بينهم ذيب، او حيوان غريب، توجهوا اليه، واتفقوا عليه، فمزّقوا اديمه، وهتكوا حريمه، وجعلوا لحمه لجماعتهم وليمة، وعند الاسد من الوحوش انواع، ما بين سباع وضباع، ونمور وذياب، وببور ودباب، وفهود وكلاب، كلهم على طباعه، متفقون على اتّباعه، وان اختلفت عليهم الثياب، لكن الكل كلاب اولاد كلاب، وكل من هولاء، على ما هم عليه متفقوا الاهواء، له على خصمه، فى مجادلته وخصمه، دُربة فى المساورة، ونكبة فى المغاورة، وانواع فى الكر والفر، وروغات فى الخير والشر، ومداخل ومخارج، ومدارك ومعارج، وليس فى عساكرنا سوى الصدمات، والحَمْم بقوة النهضات والعزمات، فان افاد هذا الاصطدام، والا فما ثمّ الا الانهزام، فلما بلغ المقبل فى الكلام، الى هذا المقام، وكان رسخ، فى قلب الملك من كلام المدبر الوسخ،

فما اثّر نصح المقبل ، وما افاد ، لان النفس بطبعها مايلة الى الفساد ، فشرع الملك واعتمد ، على التوجه الى بلاد الاسد ، وامر روساء فيلة الهنود ، بجمع العساكر والجنود ، واشيع ذلك في اطراف الممالك ، فاطلع على هذه الاحوال ، غراب يكنى ابا المرقال ، كان له وطن وولد ، وسكن في ممالك الاسد ، لكنه قدم جزيرة الافيال للتنزه ، على سبيل التفرج والتفكه ، فشرع يتامل في هذه الامور ، ويستنتج من قضاياها ما يتولد من سرور وشرور ، فانتهى سابق افكاره ، في ميدان مضماره ، الى ان هذه القضايا ، تسفر عن بلايا ورزايا ، واراقة دماء وخراب اماكن وهلاك رعايا ، سواء تمت للافيال ، او رجعت عليهم بالوبال ، فخاف على سكنه ، ودمار اهله ووطنه ، فادى فكره الاسد ، ان يطلع على ذلك الاسد ، ليتداركه بحسن ارايه ، ويعترف للغراب بحسن وفايه ، فبكر بكوره ، وقصد دوره ، فوصل في اقرب زمان ، ونادى الريبال ابا الزعفران ، وقال الله الله اني انا النذير الغربان ، واطلع الاسد على هذا النكد ، وقرر معه حقيقة الاحوال ، وما عزم عليه ملك الافيال ، فتشورت لذلك الخواطر ، وتصدعت لخوفه الاكابر والاصاغر ، ثم امر السباع ، وطوايف الوحوش بالاجتماع ، مع روساء مملكته ، واساطين خاصته ورعيته ، وذكر لهم هذا الامر المهول ، وما عزم عليه ملك الفيول ، واذن لكل واحد منهم في ذلك ما يقول ، فوقع الاتفاق ، من اوليك الرفاق ، ان يتفق اعيان ، كل جنس من الحيوان ، على رييس من جنسهم ، يقيمونه مقام نفسهم ، يرضون باقواله ، ويقتفون اثار افعاله ، وليكن من اهل الحصافة والكفاية ، واللطافة والدراية ، والشفقة العامة ، والمعرفة التامة ، يعقد معهم للموامرة ، مجلس راى ومشاورة ، فمهما وقع عليه الاتفاق ، واجمع عليه الرفاق ، واستصوبه الاسد وارتضاه ، اتبعوه وعملوا بمقتضاه ، فتقدمت طايفة الاساد ، الى نابٍ منها نهّاد ، سبع يسود ، على طوايف الاسود ، طالما افترس الاقران ، وانغمس في دماء الشجعان ، واضاف جوارح الصيد ، فضلات ما افترسه من عمرو وزيد ، كاسر جاسر ، باسل باسر ، حاسر تاسر ، ظاهره ابى ، وباطنه بالمكر غبى ،

اسدٌ يسود على الاسود زئيره   رعدٌ وعيناه بروق تخطف

فقدموه واختاروه ، واشتاروا ارى رايه وامتاروه ، واختارت النمور نمرًا بمور ، سريع الوثبة ، بديع الضربة ، لطيف الحركات ، خفيف النهضات ، قوى الشماس ، خفى الاختلاس ، كثيرًا ما كسر اسامه ، وسامى اسود خفان ناسر ضرغامه ، شعر

نمرٌ تخاف الاسد من وثباته   وتحار في حركاته وثباته

وقدمت الثعالب ثعلبا لطيف الروغان ، ظريف الزوغان ، خفى الحيل ، قوى الميل ، طالما فر من طبل واحبال ، على الصيادين من اهوال ، واحرق السلوقيات سلاحه ، ونفذ في غلب الاسود بالمكر سلاحه ،

يصلّ بني سلوق من دهاه   فيخلص من مخالبها سليما

واعتمدت الذياب ، في هذا الباب ، على ذيب ، فعله عجيب ، وامره غريب ، سديد الختل والخفر ، شديد المكر والنكر ، ذلما افسد ثله ، ودخل في قطيع ماشية فقطعه كله ، يعجز الاسود ، والنمور والفهود ، شيمته الغدر والخديعة ، ودابه المكر وسوء الطبيعة شعر

وقد جمع الضدين نومًا ويقظة   يخاف الرزايا فهو يقظان نايم

فاختلى بهم ابو الاشبال، وشاورهم فيما دهمه من الاهوال، وتوجه بالخطاب الى الاسد، وقال ما رايك في هذا النكد، فقال لا تطلب النصر، في هذا الحصر، الا من مالك العصر، ومصرف احوال الدهر، بين الفرج والعصر، وهو الله سبحانه وتعالى، وعز شانه وجل جلالا، فانا مظلومون، وهم ظالمون، ونحن ما اعتدينا عليهم، ولا تقدمنا بالظلم اليهم، فسيرد الله كيدهم في نحرهم، وسيحيق بهم عاقبة مكرهم، وهذا امر مقرر، واظنه هو المقدر، واما ما يتعلق بنا وبهم، من الفرار والصلح اوحربهم، فاذكره على التفصيل، واخبر في ذلك الراى الجميل، اما الفرار فلا سبيل اليه، ولا معول ابدا عليه، وانّى ذلك وهو عيب ما وصمت به الاسود، ولا لهم به وصف معهود، وبنا يضرب المثل في الشجاعة والبسالة، وتتشبه بنا الابطال في الاقدام لا محالة، وكيف نترك بلادنا، واهلنا واولادنا، من اول وهلة، ونعزم على الرحلة، ولا صادمناهم، ولا واقفناهم، ولو فعلنا ذلك فهربنا، وتركنا مالنا ونهبنا، لفسدت امورنا، وخربت ممالكنا ودورنا، ولانفرط نظامنا، وتعوّج قوامنا، واستمرت هذه الملامة، الى يوم القيامة، ولدام علينا هذا العار، ولا يقر لنا بعد ذلك قرار، واعلم ايها الملك، نور الله وجه السرير بك، ان العمر السنى ما مرّ في العيش الهنى، وقد قيل شعر

ما العمر ما طال به الدهور العمر ما طاب به السرور

والعمر الذى يمرّ في نكد، لا يحتسبه من ذوى الكفاية احد، وحسبك ما ذكره المترجم، من حكاية الملك المعزول مع المنجم، فسال ابو الاشبال، سرد هذا المثال، فقال الاسد ذكر القايل، ان اهل بابل، كانت عادتهم في دينهم، وسلوك طريقهم مع سلاطينهم، انهم اذا اعتنوا بشخص ملكوه، واتبعوا طريق امره وسلكوه، وبذلوا في طاعته ما ملكوه، فاذا ارادوا عزله تركوه، ونشزوا عنه وشركوه، واهملوا احسانه وفدلكوه، وسكنوا غيره في سرير الملك وحركوه، فاتفق انهم ولوا واحدا وعزلوه، ونصروه ثم خذلوه، واقبلوا عليه اولا ثم قتلوه، وكانت مدة ما بين ذلك يسيرة، وعمر ايامه في ولاياته قصيرة، فحصل له اولا السرور، ثم تراكمت عليه بالعزل الشرور، فاحتوشته الفكر، وبات يصارع القضاء والقدر، ثم قال لو راقبت في اول الجلوس، ما في الطالع من سعود ونحوس، ثم اخترت لساعة ارتقاى، وقتا يطول فيه بقائى، وذلك يكون نجمى في برج ثبت، لما انقلبت كواكب سعدى عن الاستقامة ولا نبت، ولكن حيث فات ذلك في الابتداء، فاتداركه في الانتهاء، فلعل ذلك يفيد، ويردنى الى سرير السرور ويعيد، ثم طلب منجما حاذقا، ماهرا في صنعته فايقا، وقال انظر في طالع جدى، وتامل برج نحسى وسعدى، واختر لى ساعة يصلح فيها النزول عن السرير، ويكون العود الى السرير بواسطة الناظر اليهما غير عسير، فان الناظر الى الطالع، هو الجالب والمانع، فامتثل المنجم ما رسم، وشرع في وضع الاشكال والقسم، ثم قال احسن ما نظر في الطالع المسعود، من حين الميلاد فانه اول الوجود، فاذا اخذ الطالع من ساعة الميلاد، ترتب عليه ما يصدر على ذلك المولود من السعد والاسعاد، ومن الخوف والرجا في عالم الكون والفساد، فهل اطلع الملك في اى ساعة وجد، وكم اتى عليه من حين ولد، قال نعم اعرف مدة عمرى جزما، وهى اثنان وعشرون يوما، فتعجب المنجم من مقاله، ولم يقف على حقيقة حاله، فقال

ليوضح الملك ما اشار، لاقف على حقيقة هذه الاسرار، فقال مدة استيلآءى على السرير، هو هذا القدر اليسير، وانا لا احسب العمر، ولا اعتد بوصال بيض وسمر، الا هذه الايام والليالى، ولا احتسب سواها عمرا ولو بيع باللآلى، وقد قلت شعر

وعمرُ مضى بالهجر لست اعده ولكننى اقتنيه فى زمن الوصل

وانما عرضت يا بطل، على رايك السعيد هذا المثل، ليعلم ان ايام المحنة لا تعد عمرا، ولو قضى الانسان فيها زمانا طويلا ودهرا، واما الصلح يا ذا الركون، فعلى اى وجه يكون، ومن اين يقع بيننا وبينهم اتفاق وسكون، وليسوا من جلدتنا، ولا على ملتنا، وفى اى عصر واوان، ذل الاسد واستكان، وخضع للفيل ودان، او اعطى الغضنفر النبّاج، والضرغام الصعب النأج، لغيره الجزية والخراج، وهو فى الحقيقة سلطان الوحوش ووهّاب التاج، فلم يبق الا الاستعداد للمصادمة، والتاهب للمكافحة والمقاومة، ولنا من ذلك فى البين، احدى الحسنيين، اما الظفر بهم وهو المرام، واما الشهادة فنموت ونحن كرام، وقد قال السيد السديد، من قتل دون ماله فهو شهيد، وقيل يا حاتم طى، حسن الثناء على الميت خير من سوء الثناء على الحى، والموت فى مقام العزة مع النشاط والهزة، ارفع من الحياة بذلة ووخزة، وكسرة ونخزة، وقد كنتُ انشدت، وقديما ارشدت، شعر

هو الموت ان لم تلقه ضاحكًا تمت عبوسًا بوجه اقترا اللون اغبرا

ومن لم يمت فى ملتقى الخيل مقبلًا عزيزًا يمت تحت السنابك مدبرا

فاقبل الريبال، على ابى مرسال، وقال ايها النمر، وصاحب الخلق الزمر، ما ذا تشير فى هذا المهم، والمشكل الذى دهم، فقال ان الافيال اكبر جسوما، واعظم حلوما، واقوى فى الضرب، واعدى فى الحرب، وقد استعدوا واقبلوا، واتقنوا امورهم واعملوا، وانا اخشى، ان يكونوا اقوى بطشا، وان نعجز عن المقاومة فى المصادمة، فان فينا العاجز والضعيف، والذميم الجثة والخفيف، ومن لا عرف الافيال، ولا راى تلك الاشكال، فينفر من مصادمة الجبال، فيطئوننا تحت اخفافهم، وتنكسر شوكتنا فى اول مصافهم، فلم يبق الا الفرار، ولا يقر لنا بعد ذلك قرار، فيستولون عنوة وقسرا على هذه الديار، وينفرط النظام، ونرضى عند ذلك بالسلامة والسلام، ونقع فى البلاء العريض الطويل، وانظر يا مولاى الى ما قيل شعر

هل للحرائر من صون اذا وصلت ايدى الرعآء الى الخلخال والخدم

فعندى الراى ذو الاصالة، ان ينتخب الملك من يصلح للرسالة، ويحسن السفارة، ويحسّن العبارة، فيسكن من فورة شغبهم، وثورة لهبهم، وسورة غضبهم، ويعدهم ويمنّيهم، ويحسن التقريب ويقصّيهم، وفى ضمن هذه الاوقات، واثناء هذه الحالات، يراقب اوضاعهم، ويخبر جمعهم واجماعهم، ويتوصل الى اسرارهم، ويواصلنا باخبارهم، ويطالعنا بما خامر افكارهم، ويكتب ما قدموا وآثارهم، ونستمر على المراسلة، والمقاولة والمطاولة، فان تيسّر رجوعهم، وانكشف بالهوينا جموعهم، والا فنكون قد استعددنا عن الاستبصار، فنتعاطى امور قتالهم بعد التامل والاختبار، وان امكننا ان ناتيهم بالليل، ونحل بهم الدواهى والويل، بعد ان يركنوا الى جانبنا، ويامنوا من نوايب مصايبنا، فربما نصل الى بعض القصد، او يوافق بعض

حركاتنا السعد، فانتفت الدوكس، الى العملس، وقال اى سيد، وذا الامر الرشيد، ما ذا ترى، فيما طرى، وكيف طريق العوم فيما جرى، قال السمسام، يا مولانا الضرغام، الذى سمعته من اولى التجارب، وتلقفته من الاصحاب والاجانب، انه من التوفيق، اذا ابتلى الشخص بعداوة من لا يطيق، ان يدافعه بالهدايا والتحف، ويحابيه بشى من الطرايف والتُحَف، فانه قيل فى الامثال، ان خير الاموال، ما ادخر لدفع البوس، ووقيت بنفايسه النفوس، فاعبّ النهاب، بابى وثاب، يا ابا الحصين، ما رايك فى البين، واى اراء الاصحاب، اقرب الى الصواب، فتقدم الثعلبان، وتكلم فابان، وقال اسعد الله الاحد، مولانا الاسد، وجعل رايه الاسدّ، وشعاه على اعدايه الاشدّ، اعلم ايها الدنيات، ان امورنا لا تخلو عن احدى ثلاث اما المقابلة بالمقاتحة، واما المهادنة والمصالحة، وقد تقرر، فيما تقدم وتحرر، بيان كل منهما، وما يصدر فيهما وعنهما، واما الفرار، وتولية الادبار، وترك الاوطان والديار، فان لذلك من عار، وسبة وشنار، فما بقى الا الحالة الثالثة، وهى بعساكرهم عابثة، ولقلوبهم كارثة، وهى طريقة الاحتيال، والتوصل الى القايهم بطرايق المكر فى جب الوبال، فان صايب الافكار، يعمل ما لا يعمله الصارم ابتار، فبشباك الحيلة، تصاد كل قصبلة، وتهون كل جليلة، وانا افصّل ما اجملت، وابين ما فصّلت، اما المقابلة، والاخذ فى اسباب المقاتلة، فلا طاقة لنا به، ولا باب لدخول بابه، لانا عاجزون عن المصادمة، قاصرون عن المقاومة، محتاجون الى الطعام والشراب، وبعض عساكرنا لا يعيشون الا باللحم والكباب، وجيشهم الذى قد ملا، وسد الوهد والفلا، يمنعون بالحشيش والكلا، فلا يتكلفون لحمل زاد، ولا يحتاجون الى عدة وعتاد، وايضا احوال عساكرنا المفرقة المصمومة، لاختلاف اجناسها وانواعها غير معلومة، فلا اعتماد عليهم، ولا يتحقق الركون اليهم، وانهم اجناس مختلفة، وطوايف غير موتلفة، وبينهم معاداة، وفى جبلتهم النفرة والمنافاة، وبعضهم غذاء بعض، وفى قلبه منه عداوة وبغض، لو ظفر به كسره واكله، وان استنصر به خذله، فهم كالقفل المجمّع، ولون اتفاقهم ملمّع، واما عساكر الافيال، فبينهم اتفاق على كل حال، لانهم جنس واحد، وما بينهم مخالف ولا مناكد، ولهم اعتماد على قوتهم، وعلى اتفاقهم وشوكتهم، والمعتمد على مثل عساكرنا، ان لم يضبط بطريقة كلية امر عشايرنا، ينفرط امره، ويخمد فى ايقاده نار الحرب جمره، ويعلوه من بحر النوايب غمره، ويظفر به من اعدايه زيده وعمره، ويصيبه من الخبطة، ما اصاب الصياد من القطة، فسال ابو الحارث، عن بيان هذا الحادث، قال الثعلب ذكر ان رجلا ذا كبد، كان مغرما بالصيد، وكان عنده قط صياد، يجترى على النمس والفيّاد، فكان يوما بين يديه، فمرّ عصفور عليه، فظفر كالنمور، وحصّل من الهواء العصفور، فاعجب به صاحبه، ثم قصد الصيد وهو مصاحبه، وحمله تحت ابطه، وبالغ فى حفظه وضبطه، وركب جواده، وتوجه يروم اصطياده، فمر فى سفح جبل، فخرج من وراء صخرة ضايقة من الحجل، فتوجه اليه والقى القط عليه، فطار الطير وخاف القط، وقصد رجوعه الى تحت الابط، فنفر الى جبهة الجواد، وانشب فيها مخاليبه الحداد، فجفلت النفوس من القطة، وخبطت بفارسها الارض شر خبطة، ازهقت فيها نفسه، وابطلت حسه، وانما اوردت هذا المثل ليحترز ايها البطل، فى هذا الامر من وقوع الخلل، ويتفكر فى امر هولاء الجماعة، واين ثباتهم فى دعوائم السمع والطاعة، فانهم لا يصلحون

للقتل، خصوصا مصادمة عساكر الافيال، فالملك لا يعتمد على مثل هذا العسكر اللهم الا ان يتقرر، امرهم على صدق اللقآء ويتحرر، واما ما ذكره مولانا ابو سهيل، فى تبييت عساكر الافيال بالليل، فبو راى معتبر، ولكن فيه نظر، لان ذلك انما يكون، اذا كان العدو فى سكون، وعن توقع النكبات فى ركون، فبيناهم فى غفلتهم ذاهلون، جاءهم باسنا بياتا او هم قايلون، واما اذا كانوا مستعدين، يقظين مجدين، وقد توجهوا للقتال، وانتصبوا للمناضلة على هذه الحال، فلا شك انهم اتقنوا امرهم، واخذوا اسلحتهم وحذرهم، فاعدوا لكل نايبة نابا، ولكل بايقة بابا، ولكل حرب حرابا، ولكل ضرب ضرابا، ولكل شدّة شدّة، ولكل غُدّة عُدّة، ولكل جزة جمزة، ولكل وثوة فزة، ولكل نفرة ظفرة، ولكل فرة كرة، ولكل ازمة حزمة، ولكل كسرة جزمة، فربما يكون افتكروا منا هذه المكيدة، واعدّوا فى مقابلتها داهية نصبوا لها مصيدة، فنتوجه اليها غافلين، فننشب فى شركها داخلين، فيصيبنا من النكال، ما اصاب الجمل من الجمال، فقال الريبال هات، يا ابا النزهات، اخبرنا يا ابا نوفل، اخبار الجمل المغفل، قال كان جمّال، فقير ذو عيال، له جمل يتعيش عليه، ويتقوّت هو وعياله بما يصل منه اليه، وراى صلاحه، فى نقل ملح من الملاحة، فجدّ فى تثقيل الاحمال، وملازمته بانتقال الأثقال، الى ان آل حال الجمل الى الهزال، وزال نشاطه وحال، والجمال لا يرق له بحال، ويجد فى كده بالاشتغال، ففى بعض الايام، ارسله مع السوايم واسام، فتوجه الى المرعى، وهو ساقط القوة عن المسعى، وكان له ارنب صديق، فتوجه اليه فى ذلك المضيق، ودعا وسلم عليه، وبث عظيم اشتياقه اليه، فلما راى الخرز هزاله، تالّم له وساله احواله، فاخبره بحاله، وما يقاسيه من عذابه ونكاله، وان الملح قد قدّحه، وجبّ سنامه وجرحه، وانه قد اعيته الحيلة، واضلّ الى الخلاص سبيله، فتالم الارنب وتامل، وتفكر فى كيفية عصر هذا الدمل، ثم قال يا ابا ايوب، لقد فزت بالمطلوب، وقد ظهر وجه الخلاص، من شرك هذا الاقتناص، والنجاة من الارتهاص والارتصاص، تحت حمل كالرصاص، فهل يعترضك يا ذا الرياضة، فى طريق الملاحة مخاضة، فقال كثير، وكم من نهر وغدير، فقال اذا مررت فى خوض، ولو انه روض او حوض، فابرك فيه وتمرّغ، وتنصل من حملك وتفرغ، واستمر فيه يا ابا ايوب، فان الملح فى المآء يذوب، وكرر هذه الحركة، فانك ترى فيها البركة، فاما انهم يغيرون حملك بانهم خففوه، او تستريح بذوبه من الذى اضعفوه، فتحمل الجمل للارنب المنة، وشنف بدرّ هذه الفايدة اذنه، فلما حمّله صاحبه الحمل المعهود، ودخل به فى طريقه المورود، ووصل الى المخاضة برك، فضربوه فما قام ولا احترك، وتحمّل ضربه وعسفه، حتى اذاب من الحمل نصفه، ثم نهض انتهاضه، وخرج من المخاضة، ولازم هذه العادة، الى ان افقر صاحبه واباده، فادرك الجمال هذه الحيلة، فافتكر له فى داهية وبيلة، وعمد الى عهن منقوش، وغيّر فى مقامرته شكل المنقوش، واوسق للجمل منه حملا، بالغ فيه تعبيةً وثقلا، وسلّط عليه الظما، ثم دخل به الى المآ، فلما توسط المآء برك، وتغافل عنه صاحبه وترك، فتشرب الصوف من المآء ما يملا البرك، ثم اراد النهوض، فناء به الربوض، فقاسى من المشاق، ما لا يطاق، ورجع هذا الفكر الوبيل، على الجمل المسكين باضعاف التثقيل، فساء مصيره، وكان فى تدبيره تدميره، وما استفاد الا زيادة النصب، وامثال ما كان يجده من التعب والوصب، وانما اوردت هذا

المثل، عن الجمل، ليعلم الملك والحضار، ان العدو الغدار، والحسود المكار، يفتكر فى انواع الدواعى، ويفرع انواع البلايا والرزايا كما ع، ويبذل فى ذلك جده وجهده، ولا يقصّر فيما تصل اليه من ذلك يده، فتارة تدرك مكايده، وتعرف مصايده، وتارة يغفل عن دواعيها، فلا يشعر الخصم الا قد تورط فيها، وعلى كل حال، لا بد للشخص له وعليه من الاحتيال، واما طلب الصلح وارسال الهدايا، فمن اعظم المصايب واكبر الرزايا، فان ذلك يدل على عجزنا والخور، وينادى على هواننا فى البدو والحضر، ويجرى علينا الغريب، ويذهب حرمتنا عند القريب، ودونك يا ابا العباس، ما الشدتك فى المقياس، شعر

وما انا عن قرّ من نار خصمه لظل حسود او الى فىّ شامت

ولكن الراى الانور، ايها الورد الغضنفر، ان ترسل اليهم رسولا، عاقلا فصيحا جميلا، بصيرا بعواقب الامور، قد عارك تقلبات الدهور، وقد ربّى وتربّى، وعن الرذايل تابى، وبانواع الفضايل تعبى، واحرم الى كعبة محاسن الشيم ولبّى، ولو لا ان باب النبوة استدّ لتنبّى، برسالة محلة، تسفر عن بسالة جزلة، تتضمن سوالهم، عما اوجب ارتحالهم، وسبب قصدهم بقعتنا، وتوجههم لدخول رقعتنا، وما موجب هذا الاعتداء، ولم يصدر منا لهم الا المحبة والولاء، وحسن الجوار، والاحسان الى الكبار والصغار، ومعاملة القريب والغريب، بالفضل المجيب، والكرم الذى لا يخيب، ويذكر لهم بسالتنا وشجاعتنا، وفى معاملات المضاربة بضاعتنا، ويكشف لهم فى ملابسة الحرب والضرب صناعتنا، ويحقق عندهم ما عندنا من اسود الحرب، وفوارس الطعن والضرب، واجناس الوحوش الكواسر، والسباع الجواسر، واصناف الفراعل والعساير، ويتكلم بكلام، يراه مقتضى المقام، ومناسبا للحال، ويوسع فى ذلك المجال، ويميز اوضاعهم وعساكرهم، ويسبر بمسبار العقل امورهم واوامرهم، ويسمع الجواب، وما فيه من خطاء وصواب، ويورده الينا، ويعرضه علينا، فنعمل بمقتضاه، وينظر الراى السديد فيه مرتضاه، ونبنى على ذلك الاساس، ونفصّل على ذلك القياس، فاستصوبوا هذا الراى، وطلبوا له كفوا من الاكفا، فوجدوا ذيبا هو من خواص الحضرة، ومن ذوى النباهة والشهرة، له فى ميدان الفضايل كرّ وفرّ، وفى مظان النفع والضر خير وشر، قد جُرّب فى المصايد، ودُرّب فى المكايد، وهُذّب فى المصادر والموارد، ورتب فى المطاوف والمطارد، ادنى فضايله حسن السفارة، واحدى فواضله ترتيب العبارة، حلّال المشكلات، كشّاف المعضلات، فوقع عليه اختيارهم، ورضى به كبارهم وصغارهم، فحمله الاسد كلامه، وجعل البسملة مبداه والحسبلة ختامه، ومن مضمونها بعد ابلاغ التحية، والاثنية السنية، الى الحضرة العلية، ملك الافيال، ابى مزاحم المفضال، الهمه الله هداه، وصرف عنه رداه، وبصّره مواقع الخير وهداه، ولا شمّت به اعداه، وحفظه بالعشى والغداة، وجعل عقباه، خيرا من مبتداه، تحيط علومه الكريمة، وآراوه العلية الجسيمة، ان قوتنا من قديم الزمان ظاهرة، وهيبتنا باهرة وصولتنا قاهرة، لم نزل نفترس الفوارس، ونكرم اصناف الاضياف من الوحش والطير بالفرايس، ويضرب بنا فى الشجاعة والكرم الامثال، ويفر من بين ايدينا اسود الابطال، ولا صار على من فر من بين يدى الريبال، وقد اتصل بنا ان ملك الافيال توجه الينا بجنوده، وهيّا فى ذلك اجناس

عساكره وبنوده، وما علمنا لذلك موجبا، ولا تقدمنا بعداوة تنشى حَرْبًا وحَرَبا، بل ولا تعرضنا لاحد فى مُلكه ومَلكه، وعدلُنا بحمد الله تعالى جارٍ فى بحار الملك وفلكه، والرعايا شاكرة منا، ولم ينشر سوى الذكر الجميل عنا، فانعِموا برد الجواب، وميزوا الخطاء من الصواب، قبل ان يكشر الشر نابه، ويفتح جرابه، ويحرّش للهرير كلابه، ويسلخ لياله اهابه، ويكسر رايد الفتنة بابه، فتتفاقم الامور، وتتعاظم الشرور، وتتلاطم بحارها وتمور، عند التهاب شواظ الغيظ من الاسود والنمور، مع ان اعتمادنا على الله العظيم، وتوكلنا على العزيز الرحيم، فلما بلّغ الذيب الرسالة، وادى ما فيها من شجاعة وبسالة، وبيّن لملك الافيال، ما تضمّنته من عظمة وجلال، استشاط ملك الافيال، وتغيّرت لاضطرابه الاحوال، ونظر من تلك الفيول، الى فيل ظلوم جهول، وبدر اليه من غير تدبر، ولا تامل فى الامور وتفكر، وقال اذهب الى هذا المعتمد على كلامه، الراقد فى غفلة منامه، وقل له متى مارست معركة الشجعان، او صارعت رجال الميدان، وانّى لك طاقة بمصادمة الجبال، ومن اين تعرف مقاومة الافيال، فاستيقظ لنفسك، فعن قريب تحل برمسك، واستعد لجنود لا قبل لك بها، فستشاهد ما لم تسمعه من ضربها فى حربها، فلقد اتاك عسكر القضاء وبنوده، وليحطمنكم سليمان الافيال وجنوده، فليريقن الدماء، وليستاسرنّ الحراير كالاماء، وليدوسن الاطفال، ولتربين منه الانكاد والانكال، وليظهرنّ اثار الدمار والبوار، بما لك من ممالك ومساكن وديار، وليفعلن بولاياتك ما فعله بممالك الاسلام التتار، وانت بين امرين، وتخير النظرين، اما ان تطيع لامرنا وتنقاد، وتسلم الينا ما بيدك من بلاد، واما ان تختار طرق الفراق والفرار، وتنجو منا منجا الذباب، وتتنحّى عن طريقنا بما معك من كلاب وذياب، وقد بالغنا فى النصيحة، بعباراتنا الصحيحة، واقوالنا الفصيحة، فوصل الفيل الرسول، وادّى هذا المقول، فتشور الاسد، وداخله الغيظ والنكد، فاراد الايقاع بالرسول، الظلوم الجهول، ثم تمالك، وعن ذلك تماسك، وقال لو لا ان عادة الملوك، ودَرْب السياسة المسلوك، ان لا تهاج الرسل، ولا يضيّق عليهم السُبل، لقابلتك على كلامك الفجّ، بما يجب من العج والثج، ثم التفت الى الثعلب وقال يا ابا الحصين، ما عندك فى جواب هذين النحسين، قال الثعلب، انت الاغلب، هذا القيل، اقوى دليل، واوضح سبيل، على عدم عقل الفيل، وان فكره وبيل، وبصيرته قد عميت، وطرق هدايته قد خفيت، وانه غوى، واضل قومه وما هدى، وكل من اعتمد على قواه وحوله، واستحلى غرور فعله وقوله، فقد زال وزل، وفى عقد البلاء حال وحلّ، وهذا الجاهل السخيف، الكنيف الكثيف، الثقيل الجثة الخفيف، قد استحقرنا فى عينه، فسيرى منا حلول حينه، وكل من استحقر عدوه، فسيعدم حلاوة هدوه، وسيحرم مواصلة مرجوّه، وقد قالت الحكماء الاخيار، والعقلاء ذوو الاعتبار، واولوا التجارب والاستبصار، لا تستحقر السقم والنوم والدين والعدو والنار، فالملك اعز الله نصره، واعلى مناره وقدره، وسلط على الاعداء قهره، لا يلتفت الى هذا الكلام، ولا يتزعزع لهذه الاوهام، ولا يخف من جهامة الافيال، فكل ما ثم فيه باطل ومحال، بل يعتمد على الله العزيز الجبار، ويصفّى نيته بالعدل والخير مع الكبار والصغار، ويقوّى جنانه على الملاقاة، وقد واقاه النصر وواقاه، ولاغاه السعد ولاقاه، فان هولآء اعتدوا على ولايته واتوها، فسينزل الله تعالى عليهم جنودًا لم يروها، فكم من مستضعف حقير، صدر منه بالحيلة امر خطير، وبحسن التدبير، ومساعدة التقدير، تم

له امر كبير ، ونساعيك قصة الفارة ، مع رئيس الحارة ، وما فعلته ، اذ ختلته الى ان قتلته ، فسال حيدرة ، عن تلك الماثرة ، فقال بلغنى ايها النفيس ، انه كان رييس ضيق العطن خسيس ، له زوجة ذات صيانة ، ودين وامانة ، لم تزل تتجنب الخيانة ، وتتعاطى العفة والرزانة ، وله دجاجة تبيض على الدوام ، فيسرق بيضتها ابو راشد وهم نيام ، فاذا افتقد الرئيس بيضته ، طالب بها زوجته ، فتحلف انها ما راتها ، ولا تعرف يدا اخذتها ، فيوليها سبّا ، ويوجعها ضربا ، ولا يصدّق قوليها ، ولا يرحم عويلها ، ففى بعض الاحيان ، رات المراة الجرذان ، وهو يجر البيضة الى جحره ، وقد بلغ بها باب وكره ، فدعت بعلها ، لتريه الفارة وفعلها ، فعلم براءة ساحتها ، وعمل على راحتها ، واعتذر اليها ، وطلب الفارة وحنق عليها ، واعمل المكيدة ، ونصب للفارة دون البيضة مصيدة ، فلما رات الفارة الشرك ، علمت ان وراءه الدرك ، فشعرت بما وضع عليه ، فلم يتقدم اليه ، إلى ان زار الجرذان ، احد اقاربه من الفيران ، فلم يجد شيا يضيفه ، فاعتذر الى الضيف بما هو مخيفه ، واراه من البيضة سعاد ، وان دونها خرط القتاد ، وكان الضيف الغر ، لا يعرف شرا من بر ، فحمله السفه ، والحرص والشره ، على ان قال ، انا اخوض هذه الاهوال ، وارد من الموت حوضه ، واصل الى هذه البيضة ، ثم قصد المصيدة ، فقبضت وريده ، وفجعت به وليده ووديده ، فتنكدت الفارة وتكدرت ، والتظت احشاوها وتسعرت ، وتالمت لموت ضيفها ، وبلغ جيرانها حديث حيفها ، فخجلت منهم ، واختفت عنهم ، وشاعت قضيتها ، وذاعت بليتها ، فلم تجد لبرد النار ، سوى اخذ الثار ، فاخذت تفتكر فى وجه الخلاص ، فرات انها لا تخلص من عتب الجيران الا بالقصاص ، فشرعت فى تعاطى اخذ الثار ، من صاحب الدار ، وكان لها صاحبة قديمة ، عقرب خبيثة لئيمة ، معدن السموم فى زبان ابرتها ، وطعم المنايا مودع فى شوكتها ، فتوجهت اليها ، وترامت عليها ، وقالت انما تدخر الاصحاب للشدايد ، وتدفع الضرر والمكايد ، وانزال الدآء ، بساحة الاعداء ، ولاخذ الثار والانتقام ، من المعتدين الليام ، وقصت عليها القصة ، وطلبت منها ازاحة هذه الغصة ، وان تاخذ لها بضرباتها القصاص ، ليحصل لها بين جيرانها من العتب الخلاص ، فاجابتها الى ما سالت واقبلت الى وكر الفارة بما اقتبلت ، واخذا فى اعمال الحيلة ، فادّت افكارها الوبيلة ، الى ان تخدعا صاحب البيت بالذهب ، وتلقياه بذلك فى اللهب ، ثم امهلا الى ان دخل الليل ، وشرعا فى ايصال الويل ، فاخرجت الفارة دينارا والقته فى صحن الدار ، ووضعت اخر عند جحر الفار ، واظهرت نصف دينار من ذلك الذهب ، وسترت النصف الاخر عند العقرب ، واستترت العقرب بجناح السكون ، تحت ذيل الكمون ، وقد عبّت فى زبانها ريب المنون ، فلما اصبح الصباح ، ونودى بالفلاح ، وجد صاحب الدار ، فى وسطها الدينار ، فتفأل بسعد نهاره ، ولم يعلم انه علامة دماره ، ففتح عينيه ، وتطلع حواليه ، فراى عند جحر الفار اخا الدينار ، ففرح وطار ، ونشط واستطار ، وزاد فى الطلب على بقية الذهب ، فراى نصف دينار ، داخل جحر الفار ، فمد يده اليه ، واعمى القضاء عينيه ، عما قدره الله عليه ، فضربته العقرب ضربة ، قضى منها نحبه ، فبرد مكانه ، ولاقى هوانه ، واخذت الفارة ثارها ، وقضت من عدوها اوطارها ، وانما اوردت هذه الاخبار ، ليعلم الملك ان حيلة صايب الافكار ، تفعل ما لا يفعله العسكر الجرار ، بالسيف البتار ، والرمح الخطار ، وبقليل الحيلة ، تتم الامور الجليلة ، فلا يتوهم

الملك بجنت الافيال ، ويشرع فيما هو بصدده من دقيق الاحتيال ، وانا ارجو من الله تعالى الظفر بعدونا ، وحصولنا على غاية مامولنا ونهاية مرجونا ، فاول ما نعاملهم باللوم واظهار الصولة ، والتخويف والارعاب بقوة الدولة ، فان اللوم قتال ، والعاقل المدبر يحتال ، وخايفة الفيول ، عديمة العقول ، وباللوم يبلغ الشخص مراده ، كما بلغ الحمار من الاسد ما اراده ، فسال ملك الاساد ، بيان حكاية ابى زياد ، فقال ابو الحصين ، اخبرنى ابو الحسين ، ذو المفاخر ناصر ، انه كان فى بعض الاعصار والمعاصر ، حمار فى مدار ، يستعملونه بالليل والنهار ، الى ان حصل له الكبر ، ورمى بالعبر ، وابتلى باطنا بالجوع وظاهرا بالدبر ، وعجز عن العمل ، وانقطع منه الامل ، فتركه اصحابه واعتقوه ، وفى بعض المراعى اطلقوه ، فصار يمرح ، وفى تلك المروج يسرح ، الى ان خرج الى الصحرا ، وانفرد فى رياض الفلا ، فوصل الى بعض الاجام ، وحصل له النشاط التام ، الى ان صح بدنه وسمن ، وبرا دبره وامن ، واخذه البطر ، واستولى عليه الاشر ، واستخفه الطيش ، وطيب العيش ، وصار فى تلك المراعى ، يتردد ذهابا وايابا كالساعى ، فيستقى ويلحم فى شقتها ، ويفصل مهما اختار من مزهر خرقتها ، وينهق على عادة الحمير ، فيملا تلك الاماكن من الشهيق والزفير ، وكان فى تلك الاجام اسد متخيس ، يسمى الشبل ابن المتانس ، كان ابوه ملك تلك الاماكن ، قد نشا بها وهو فيها ساكن ، شاب غرير ، لم يكن يعرف الحمير ، ولا طرق سمعه شهيق ولا زفير ، بل ولا خرج من تلك الاجام ، ولا عرف تصرفات الايام ، وكان ابوه قتل فى الاصطياد ، وتفرقت عنه العساكر والاجناد ، فنشا وحيدا يتيما ، واستمر فيها مقيما ، فلما سمع صوت الحمار ، اخذته الرعدة والاقشعرار ، واستولى عليه الهلع ، فقعد عن الاصطياد وانقطع ، وصار كلما نهق ، هرب واختفى من الفرق ، وغلب عليه الدهش ، الى ان كاد يموت من الجوع والعطش ، وصار الحمار يتردد الى عين ما ، كان الاسد يسكن منها سورة الظما ، فما اجترا بعد ذلك على الورود ، واهتم به الخوف والانقطاع والقعود ، فلما كاد العطش ان يقتله ، توجه الى العين محفوفا بالحيرة والدله ، فوجد الحمار واقفا عندها ، وادرك الحمار خوفه منه بالدها ، فتقدم اليه ، وصوب نحوه اذنيه ، وحملق عينيه ، فبدر من الاسد صرخة ، اتبعها من بوله جخة ، وقال للحمار ايش انت ، ولاى شى هاهنا سكنت ، وجعل يرجف ، وفى قيد الخوف يرسف ، فعلم الحمار ، ان الاسد حار ، فقال بجنان جرى ، وبيان قوى ، انا فى هذا المكان ، افرق رزق الحيوان ، وقد اقمت احوش ، ارزاق الوحوش ، ثم اقسمها بينهم ، واملا جوفهم وعينهم ، فقال الاسد انى جيعان ، ولى مدة عطشان ، فاعطنى من الاكل رزقى ، وافرز لى من الماء حقى ، فقال بوجه مقطب ، ادن الى الماء واشرب ، فدنا وشرب ، وهو خايف مضطرب ، ثم قال انا جايع فاطعمنى ، وعجل ولا تحرمنى ، فلى مدة فى الجوع ، لا قرار لى ولا هجوع ، فقال الحمار تعال معى ، الى موضعى ، لتعرف مكانى ، وتقرر جرايتك فى ديوانى ، فذهبا فى طريق ، حتى وصلا الى نهر منه عميق ، فارادا العبور ، فقال الاسد الهصور ، هذا الماء عميق ، وكم فيه من غريق ، فاحملنى فى الذهاب ، وانا احملك فى الاياب ، فاجابه الحمار وحمله ، وخاض به ونقله ، فانشب الاسد الاظفار ، فى كاهل الحمار ، وثقل عليه ، فلم يتاثر له ولم يلتفت اليه ، فزاد وهمه من الحمار ، وقال هذا راس

الذعار، ثم سار ساعة اخرى، فرايا في طريقهما نهرا، فطلب الحمار الوثوب، وقال هذا نوبتي في الركوب، ثم طفر على الاسد، وثقل عليه الجسد، وتمكن عليه، وارخى يديه ورجليه، فتصور من تقلبه، وابتلى بشر عمله، ثم تورك عليه، وانشب في كاهله مسامير نعليه، فماج الاسد ومار، وقد اثرت فيه حوافر الحمار، فقال له اثبت والك، فما حوّلك تحتي واحالك، فقال يا اخي، جرتْ في امرى، لقد اوجعتني وقصمت ظهرى، وكان يكفيني جوعى، وقلتي وقطوعى، وما ادرى هذا الضر والبلا، من اين اقبلا، ثقل لي ما هذا الذى انشبته في كاهلى، ونزلت به من حافرك في ساحلى، فقال هذه مسامك، لطلاب الجرايات والجوامك، وهى اربعون مسمار، لا بد ان تثبت كلها في قفاك، حتى يترصع لك اسم في الديوان، والا الرزق لا يحصل بالهوينا والهوان، فقال يا اخاه، اتركني لوجه الله، وارفق بي رفقا، وما اريد منك رزقا، ودعني بالامانة، ووفر الجراية على الخزانة، ولا رايتك ولا رايتني، ولا عرفتك ولا عرفتني، فانى اتقوت من حشيش الارض وحشاشها، واستعد لمعاد نفسى بالرفق في معاشها، فنزل عنه الحمار، وتركه وسار، فهرب منه بعد ما ودعه، وولى يلتفت يمينا وشمالا ليلا يتبعه، وانما صورتُ هذا النقش، لتعلم يا ملك الوحش، ان الوهم يصدر كالسهم، وهو عند براهمة الهند، وحكماء السند، احد طرق العلم، ركّه الله الى سُلّم السلم، والوهم غالب على الافيال، بل سهم الوهم يقتل كثيرا من الرجال، فنرجو من الله ان يبلغنا مقصودنا، وننال من طالع الجد والحظ مسعودنا، وان يرجع اعداونا بالخيبة، وفراغ العيبة، وهذا المثل الذى ضربته، والتقريب الذى قربته، انما هو مثل العاجز الضعيف، مع القوى العسوف لا العسيف، واما نحن بقوة الله وحوله، ومساعدة نصره وطوله، قوتنا قاهرة قايمة، وصدمتنا بعون الله دعايمها داعمة، لم يحصل منا خوف ولا خور، ولا سماط اكلة خبزنا الحلقة ضاق لجيس ولا انكسر، ففينا بحمد الله قوة لمصادمتهم، وقدرة لمقاومتهم، فامض لامرك، فكانى بك وقد رجعت فايزا بنصرك، مجبوراً بكسر عدوك محبوراً بيسرك، ثم انه اقتضى راى ابى الضراغم، اعادة الذيب الى ابى مزاحم، برسالة مضمونها بصّرك الله بعيوب نفسك، واراك عاقبة غدك في صبح امسك، وجعلك عن اتبع الهدى، وامتنع عن موارد الردى، اعلم ان علماء الهند، وحكماء البراهمة والسند، امتازوا عن حكماء الاقاليم، ووضعوا رقعة الشطرنج للتعليم، وان واضع ذلك، صور الرقعة بصورة الممالك، وقسمها بالسوية، وجعل لكل قسم جنسا من الرعية، ووضع له نوعا من السير لا يتعداه، وبين للفيل منهم مكانا لا يتخطاه، وانا اخاف ان تتعدى مكانا هو مقامك، وتقصد بيت الشاه ويفوت مرامك، ويناديك فرزين العقل، وانت راحل في النقل، يا ذا الهوس، ما ذا بيت الفرس، فتقع وانت تصرخ، في لعبك بالنفس مع الرخ، فلا يفيدك الندم، وقد زلت بك القدم، وخرجت في لعبة من رقعة الوجود الى العدم، وترى تلافى الموافاة فات، ويقول خصمك وقد راى كلاحة وجهك شاه مات، فلا تعتمد على جهامة جسدك، وكف عن حقدك وحسدك، ولا تقصد حرم كعبة غيرك بالفكر الوبيل، فيصيبك مثلما اصاب اصحاب الفيل، حين ارسل الله عليهم طيرا ابابيل، وترميهم بحجارة من سجيل، وتصير بعد وقوع الملاحم، وصدوع المقاحم،

ابا حرمان بعد ان كنت ابا مزاحم ، فلما قرا الفيل هذه المطالعة ، غطى حمية الجاهلية منه الباصرة والسامعة ، فاراد ان يامر بابطاء الرسول ، تحت اخفاف الفيول ، لكن راجع عقله ، واحضر وهله ، ورد الذيب بجواب مخيب ، وسهم غير مصيب ، وقال استعدوا للقتال ، ومصادمة الابطال ، ومقارعة الافيال ، ثم امر بالعساكر فتجهزت ، وبامور الحرب فتنجزت ، وثار بغضب احمى من جمر الغضا ، وسار بالعساكر الجرارة فملا الفضا ، فبلغ الملك المظفر ، ابا الحرث الغضنفر ، ما فعله الاكلب ، فاستشار الثعلب ، فقال اعلم ايها الملك ، وقاك الله شر المنهمك ، ان الافيال لا يعرفون الا المصادمة ، والاندفاع مرة واحدة في الحاطمة ، وليس لهم في الحرب حراب ، الا الخراطيم والانياب ، لا يعرفون الكر والفر ، ولا يفرقون بين النصب والجر ، ولكن بعض العساكر ، له في ذلك معارف ومناكر ، منها المواجهة ، والمشافهة ، والمصارعة ، والمقارعة ، والمدافعة ، والممانعة والمخاتلة والمخادعة ، والمناوشة ، والمهاوشة ، والمعانشة ، والمهارشة ، والمكافحة ، والملاطحة ، والمطارحة والمراوحة ، والمرافسة والمراوسة ، والممارسة والمعاكسة ، والوثوب والمساورة ، والروغان والمصادرة ، والاحتيال والكيد ، والاغتيال للصيد ، والربوض في الكمين ، والنهوض من ذات الشمال وذات اليمين ، وكل ارباب هذه الملاعب ، واصحاب هذه المخارق والمذاهب ، في عساكرنا موجودون مجدّون ، وفي ابطالنا معدودون معدّون ، فلا بد من ترتيب كل في مكانه ، وايقافه بين اضرابه واقرانه ، وتعبيتهم ، ثم تخبيتهم ، وكان بالقرب من ميدان النضاح ، وموضع جولان الكفاح ، وهو برية قفرا ، وارض غبرا ، انهر مياه جارية ، وعليها جسور وقناطر عالية ، فاقتضى راى الاسد ، والعكر الاسد ، ان يطلقوا ثغور المياه على البرية ، ويتركوا فيها لعساكرهم طرقا ودروبا مخفية ، ثم انهم عبروا تلك المياه ، وصفوا العساكر للملاقاة ، فقدموا امامهم الثعالب والكلاب ، وكل سريع المجى خفيف الذهاب ، وصفوا وراءهم الذياب والنمور ، والفهود والببور ، ووقف الاسد بين الاسود ، في قلب الجنود ، بعد ان عبّى الاصلاب ، وعرف مقام كل من القرانيص والاجلاب ، ثم ان الثعالب ونظراءها ، دخلت من الافيال وراءها ، وصارت تروغ بينها ، وتلاعب على عينها حينها ، وتتعلق باذنابها ، وتتشبث بعراقيبها وكعابها ، فزاد حنقهم ، وثار قلقهم ، وتقدموا واصطدموا ، وحطموا واصطلموا ، وبنار الحرب اصطلموا ، فناوشهم الببور البواسر ، وهاوشهم النمور الجواسر ، وهارشهم الاسود الكواسر ، ثم ولوا امامهم مدبرين ، وقصدوا الطرق المخفية عابرين ، فتصور الافيال ان جيش الاسد فر ، وجنده انحطم وانكسر ، وان عسكرهم غلب وانتصر ، فحملوا يدًا واحدة ، بهمة متعاضدة ، ونهمة متعاقدة ، وصدمة متاكدة ، ففى الحال ارتدموا ، وفي الاوحال ارتطموا ، وقطع دابر القوم الذين ظلموا ، ثم كرّت عليهم الاسود ، والنمور والفهود ، وساير السباع ، والذياب والضباع ، فوقعوا في تلك الفرايس ، وقوع الجياع على الهرايس ، وعانقوهم معانقة الاحباب للعرايس ، واكلوا وادّخروا ، وحمدوا الله تعالى وشكروا ، ومن بعد ما ظلموا انتصروا ، واظهر العدل للحق مناره ، وسر قوله عليه الصلاة والسلام من آذى جاره ، ورّثه الله داره ، والله لا يهدى القوم الظالمين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه اجمعين

الباب الثامن

فى حكم الاسد الزاهد وامثال الجمل الشارد

قال الشيخ ابو المحاسن، من هو لجرعة الفضل احسن حاس، فلما وعى الملك الجليل، والقيل الفضيل، ما جرى بين الاسد والفيل، من القال والقيل، وانجرار ذلك الى الضرب الوبيل، وعلم ان عاقبة الظلم وخيمة، وخاتمة التعدى والطمع مشومة، امر روسآء المملكة، وزعمآء السلطنة بالكف عن الطمع، وتجنب الجبن والهلع، ومعاملة الاهل والجار، بحسن الخلق والجوار، وانتشار ذلك بالاشهار، فى الولايات والاقطار، فان العاقل من اعتبر بغيره، وكف كفه عن اذاه وضيره، ونشر مهما استطاع من موايد احسانه وخيره، وعدى عن التعدى والعدوان، لا سيما اذا كان ذا قدرة وامكان، وتحكم فى الفقرآء والضعفآء وسلطان، فنهض لحكيم حسيب، وقبل ارض العبودية بشفاه التاديب، وقال وبلغنى ايها الملك المفضال، مما يطابق هذه الاحوال، انه كان فى بعض الازمان، وانزه الاسكان، سلطان للحيوان، اسد عظيم الخلقة، جسيم الشفقة، جليل المكارم، سليل الاكارم، قد بلغ فى الزهد الغاية، وفى الورع والعفة النهاية، مع حسن الاوصاف والشمايل، وكرم الاعطاف والفضايل، قد جمع بين الهيبة والشفقة، والصدق والصدقة، وسورة الملك وسيرة العدل، وسيمة الفضل وشيمة الفضل، هيبته ممزوجة بالرافة، وعاطفته ممزوجة فى الصولة، قد عاهد الرحمن، بالكف عن اذى الحيوان، وان لا يريق دما، ولا يتناول دسما، ولا يرتكب محرما، يتقوت بنبات القفار، ويقوم الليل ويصوم النهار، يرعى فى دولته الذيب مع الغنم، وينام فى كنف ضمانه وكفالة امانه الثعلب والارنب، بعد حر الحرب والحرب، فى ظل الضال والسلم، كما قيل،

وفى البرية عدله فتمازجت اضدادها من كثرة الايناس
يحنو على ابن المآء ام الصقر بل يحمى اخو القصبآء اخت كناس

وفى جواره دوحة كثيرة الثمار، غزيرة الانهار، نضيرة الازهار، رايقة المآء والكلآ، فايقة النشو والنما، شايقة النشر والهوا، رياحينها طرية، ومروجها بهية، ومقاصفها شهية، فكان الاسد ذو الزهادة، اذا طال اجتهاده، واراد ان يريح نفسه من مشاق العبادة، يتوجه الى ذلك الروض الاريض، والمرج البهى الغريض، والمرعى الطويل العريض، فيتنزه فى نواحيه، يسرح سوايم طرفه فيه، ويشغل صادح لسانه بتسبيح خالقه ومنشيه، فبينما هو فى بعض الاوقات، يتمشى فى تلك الخضراوات، صادف دبا عظيم الجسم، مليح الوسم، فقبل الارض بين يديه، وذكر انه اقبل لينتمى اليه، وانه

قد سمع باوصاف عدله، ومكارم شيمه وفضله، فقصده ليتشبث باذياله، وينتظم فى سلك خيله ورجاله، ويرجّى فى خدمته بقى عمره، ممتثلا بارز مرسومه ونافذ امره، فتلقاه بالقبول والاقبال، وشمله بالفضل والافضال، وقال له طب نفسا، وقرّ عينا، لقيت زينا، ووقيت شينا، فانتظم فى سلك خدمه، وانغمر فى بحر كرمه، واشترط عليه ان يحتمى عن لحوم الحيوان، ولا يتعرض لايذاء طاير ولا انسان، فامتثل ذلك بالسمع والطاعة، وسار على سنن السنة والجماعة، ثم بعد مدة يسيرة، قصد الاسد مسيره، وخرج يتسير على باكر، وحوله طايفة من العساكر، فلقى جملا ضل الطريق، وتاه عن الصاحب والصديق، ونسيه الجمال وتركه الرفيق، فبادر اليه جماعة الاسد، وهموا بتبضيعه بالناب واليد، فانهم كانوا لشدة القرم، الهبت احشاوهم بالضرم، فناداهم الاسد، وبلكم كفوا، وعن التعرض الى ايذايه عفوا، لئلا يصيبه من الكيد، ما اصاب صاحب كسرى ذى الايد، من كسرى لما خرج صباحا الى الصيد، فقبّل الجماعة الرغام، وسالوا الامام عن بيان ذلك الكلام، فقال ذكر ان كسرى اراد، يوما الاصطياد، فركب فى جماعته، واهل طاعته، وسار على المصباح، وهو فى نشاط ومراح، وانبساط وانشراح، فصادف رجلا كريه المنظر، مشوه الخلقة اعور، فتشأم بطلعته، وتعوّذ من رويته، وتطيّر من صباحه، وتكدّر صفو انشراحه، ثم امر به فضرب، ولو لا تداركته الشفاعة لصُلب، ثم تركه وسار، نحو صيد القفار، فحاش الصيد، واقتنصه من عسكره عمرو وزيد، ورجع مسرورا، فرحا محبورا، وادركه المسا، فصادف ذلك الرجل ملتفا بكسا، وكان ذا لبّ صحيح، وعقل رجيح، ولسان فصيح، فابدى كَسْرا، ونادى كِسرى، واستوقفه، بعد ما استاطفه، وقال ايها الملك العادل، والمالك الفاضل، اسالك بالله الذى ملّكك رقاب الامم، وحكّمك فى طوايف العرب والعجم، انعم علىّ برد الجواب، وبيّن لى الخطا من الصواب، فانك عادل حكيم، فاضل كريم، فوقف بعسكره، واستنصت لخبره، وقال هات مقالك، وقل ما بدا لك، فقال يا ملكا ذا ايد، كيف كانت احوالك اليوم فى الصيد، فقال على اتم ما نريد، لقد حصله السادات والعبيد، فقال فهل حصل، فى امور السلطنة وهن او خلل، او فى الخزاين المعمورة نقصٌ وقلل، قال لا بل احوال السلطنة مستقيمة، وديم الخزاين دارّة مقيمة، قال فهل ورد اليوم من الاطراف، خبر يوذن بتشويش واختلاف، قال لا بل الجوانب مطمئنة، والثغور من الاعداء والمخالف مستكنة، قال فهل اصاب احد من الخدم والاصحاب، والخول والحشم مصاب، قال بل كلهم بخير، آمن من الضرر والضير، قال فلم ضربتنى واهنتنى، وعلام كسرتنى وطردتنى، قال لان التصبح بك مشوم، وهذا امرٌ معلوم، قال سألتك بالله الذى تتقلب فى مواهبه، اينا كان اشأم على صاحبه، انا تصبحتَ بك وانت تصبحتَ بى، فانت اصبت الذى ذكرتَ وقد علمتَ ما حل بى، ومع هذا فانما عبتَ وعتبتَ على الصانع، وتحملت عما اودعه فىّ من اسرار وبدايع، فانه لا اختيار لى فيما فطرنى عليه ولا مدافع، ولا حيلة فيما قدّره علىّ ولا ممانع، واسمع ما قلت، بعد ما صلت فى اهانتى وجُلت،

لقد كان قصدى ان اسود على الورى ... بقد وظرف كامل الخلق بارع

ووجه يفوق البدر والشمس بهجة ... فعاكسنى تقدير ربى وصانع

ثم خطر بالبال، هذا المقال، فقلت

وددتُ لو انى احسن الخلق صورةً … واكمل من بدر السمآء وهو طالعُ
فابدعنى نقش المصور هكذا … ولا صنع لى فيما بى الله صانع

فتنبه كسرى لكلامه، وامر باعزازه واكرامه، وتدارك ما فرّط منه باحسانه وانعامه، وانما اوردت هذا المثل، لئلا يكون هذا الجمل، مثل ذلك الرجل، لانه قد تصبّح بى، فلا يرى ابدًا مكروها بسببى، بل يرى الخير، ويكفى اذا الغير، وكذلك من هو عندى، ومنسوب الىّ من خولى وجندى، ثم دعا ذلك البعير، وساله عن جليل امره والحقير، فاخبره انه تاه عن اصحابه، وانه من بعد يتعلق بغرز ركابه، ويلازم خدمة بابه كاصحابه، فاكرم مثواه واحسن مبوّاه وماواه، الى ان صار من اكبر الخدم، وذا خول وحشم، وراس الندماء، ورييس الجلسآء، وامن النكد والبوس، وسمن حتى صدر كالعروس، فحسده الدب، لعدم اللب، وعزم بمكره على القايه فى الجب، واشتد بذلك البرم، الى اكل لحم الجمل القرم، فاخذ يضرب فى ذلك اخماسا لاسداس، واحتوحشته فى قضيته لسوء طويته القلق والوسواس، فلم ير اوثق من افساد صورته، واظهار سوء سريرته، فيهلكه ويكيده، ويفتنه ويبيده، فيصل منه الى ما يريده، ويشمر بمكره لحسد، ويصلح من شرهه ما فسد، ويروج منه ما كسد، فادى فكره الى ان يغرى به الاسد، فاختلى بالجمل، وابتدى بالعمل، وقال له لى معك كلام، على كتمه منك ألامر، ولكنك لست موضعا للسر، لانك لا تعرف هرا من برّ، وانت سادج ساكن، سليم الفكر والباطن، وقد قيل، الحماقة فى الطويل، ولو لا وفور شفقتى، وحنوّى عليك ومودتى، ما فهت لك بكلمة، ولتركتك من التيه فى ظلمة، وقالت الحكماء ذووا المعارف، لا تفش سرك الى طوايف، منها سليم الفطرة، ومنها مدمن الخمرة، ومنها الكثير الكلام، ومنها المراة والغلام، فانهم ليسوا محل الاسرار، وانهم يفشونها بلا اختيار، وقد قيل كم انسان، اهلكه اللسان، وكم حرف، ادّى الى حتف، قال الجمل، وقد اثر فيه مكره ودخل، يا اخى انا اتحقق شفقتك، وصدقك وصدقتك، واعرف محبتك، ونصحك ومودتك، وانت لا تحتاج فى تجربتى الى دليل، فلى فى صحبتك زمان كقدى طويل، وانا اوكد قولى بالايمان، واعقد على ما تلقيه الى الجنان، ولا اتفوه به لجماد ولا حيوان، والشخص اذا لم يعرف منه ما يراد، فلا فرق بينه وبين الجماد، والكم ما قلت لك فى درب ابن تلك شعر

ومن كان ذا عين ولا يبصر الذى … امام فهذا والضرير سواء
وذو الجهل خيرٌ من عقول علومه … سراجٌ ولكن ليس فيه ضياء

ثم انشا ايمانًا غلاظا، انه يبالغ فيما يسمع منه احتفاظا، ولا يبدى منه لامًا ولا فاء ولا ضا، فلما وقف الدب على جوابه، وربطه بزمام تدبيره اختلى به، وقال تعلم ايها الصديق المبين، ان ملكنا فى غاية العفة والدين، واعلى درجات العباد والزاهدين، قد فطم نفسه عن الطعوم، خصوصا عن الدماء واللحوم، ولكنه فى ذلك كله غير معصوم، فانه قد تربى بلحم الحيوان، وتغذى بافتراس الاقران، وتعود رضع الدماء، وتطلعت سرته على هذا الغذاء، وترهده انما هو تكلف، وتعسف وتصلف، وتعففه مكابرة، وتورعه مصابرة، ولا بد للنفس ان تعمل خاصيتهما، وتجذب

شهواتها اليها ناصيتها، وتتطلع الى مآربها، وتتجمح الى مركزها، وقال الله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، واذا كان ذلك كذلك، فاحتفظ لنفسك، واحفظ نصيحتى وامسك، وتفكر احوال غدك فى امسك، فانك فى صحبة الاسد على خطر عظيم، وخطب جسيم، فلا تغفل عما قلت لك، ولا تظنن انه لن يقتلك، فداخل الجمل من هذا الكلام الخور، ولم يبق له طاقة ولا مصطبر، ثم ثبته التوفيق، ونخل فى هذا الامر الجليل فكره الدقيق، واستحضر رايه فى امره، واجال قداح فكره، وقال للدب المشوم، يا اخى فاى ضرورة دعت الاسد الغشوم، حتى تعفف عن اكل اللحوم، قال انا لا اشك فى دينه، ولا ارتاب فى حسن يقينه، ولكن ربما تعود المياه الى مجاريها، وتعطى القوس باريها، وتتحرك النفس الابية، والشهوة التى طالما انقت صاحبها فى بلية، لان الانسان، بل ساير الحيوان، على ما يقتضيه الكون والمكان، داير مع اختلاف اخلاق الزمان، وان الزمان كالوعا، والشخص فيه كالماء، فيعطيه من اخلاقه ما يقتضيه، من كدره وصفايه، ولهذا قيل لون الماء لون انايه، وقد قيل الناس بزمانهم اشبه منهم بابايهم وناهيك يا ذا الكرامات، ما قيل فى المقامات، شعر

ولما تعامى الدهر وهو ابو الورى عن الرشد فى انحايه ومقاصده
تعاميت حتى قيل انى اخو عمى ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده

والاسد فى هذا الاوان، ماش على ما يقتضيه الزمان، وان الزمان يتحول، وسيرجع الاسد الى خلقه الاول، اما بلغك يا ذا الفطنة الجيدة، قصة الحايك مع الحية، قال لا ورب البرية، فاخبرنى عن كيفية تلك القصية، قال الدب الافاك، ذكر ان حايكا من الحياك، كانت له زوجة تخجل شمس الافلاك، صورتها مليحة، وسيرتها قبيحة، فشم زوجها روايح، ما هى عليه من القبايح، وخاف ان يودى الى الفضيحة، فطلب تحقيق ذلك، ليوصلها الى المهالك، فقال لها اريد ضيعة، لاجل بيعة، فاغيب اياما يسيرة، لفايدة كثيرة، فارصدى بابك، واسدلى حجابك، واحفظى من الشر جنابك، فقالت بيت انت رئيسه، ومثلى قعيدته وعروسه، انى يحوم حوله فساد، فادرك سوقك قبل الكساد، وجهزته اسرع جهاز، كالمتوجه الى الحجاز، فسافر من غير مرية، ثم رجع الى البيت فى خفية، واختبى تحت السرير، لينظر ما يجرى من الامور، فتبادرت الى النار ونفخت، واسرعت الى طعام وطبخت، وخرجت تدعو مرامها، وقد هدأت طعامها، فخرج زوجها من المخبا، واتى على الطعام المهدا، ورجع الى مكانه ونام، بعد اكله الطعام، فجاءت المراة بحريفها، وقصدت الطعام لمضيفها، فصادفت يدها الصبير، فعرفت ان البلاء تحت السرير، فاخذت تتطلب المخلص، من ذلك المقنص، واتفق ان الملك راى مناما هاله، ولكن نسى هيئته وحاله، فقصد من يخبره برؤياه ويعبرها له، فنادى فى الورى، يطلب لمنامه مخبرا ومعبرا، وبينما تلك الفاجرة، على حيلة الخلاص دايرة، وفى بحر الافكار حايرة، سمعت المنادى ينادى، فى كل نادى، من يدل الملك الهمام، على معبر المنام، فله مزيد الاكرام، والانعام العام، فسارعت المراة الى باب الامير، وكانت قد سقطت على الخبير، ان لى زوجا حليما، بتعبير المنامات عليما، لكنه يتعزز، وعن تعبيرها يتحرز، فلا يفوه

بالتعبير، الا بعد ضرب كثير، وانه ليس له فى ذلك نظير، فارسل وراءه، واكرم لقاءه، ثم قال له بعد اكرام اوصله، ووعده بانعام وصلة، رايتُ منامًا اراعنى، وفى الحيرة والفكر اضاعنى، فدع عنك الاحتشام، واخبرنى عن ذلك المنام، ثم عبّره لى، فقد اُخبرتُ انك حبيب لله ولى، فقال يا مولانا الملك، انا فى الجهل منهمك، حايك فقير، ليس لى من العلم نقير، ونقد كذب علىّ، من نسب العلم الىّ، والعين تعرف العين، انا من اين وتعبير الرويا من اين، فما صدّقه، ولا فى كلام استوثقه، وصدق قول المراة فيه، وامر بايصال ما ينكيه، ثم طلب المقارع، وشددوا منه الاكارع، وضربوه ضربا اعسفه، الى ان كاد ان يتلفه، فنادى الامان، امهلنى ثلاثة ايام من الزمان، فتركوه وامهلوه، وقيدوه واطلقوه، فصار يدور فى الخرايب، ويتضرع تضرع الطريد التايب، ففى ثالث الايام، وقد ايقن بحلول الحمام، دخل الى مكان خراب، واخذ فى البكآء والانتحاب، فنادته حية من الشقوق، ما لك تنتحب يا ذا العقوق، فاخبرها بحاله، وما جرى عليه من نكاله، فقالت ما ذا تجعل لى من الانعام، اذا اخبرتك بما راه الملك فى المنام، ثم فصحت عن تعبيره مسك الختام، قال اكون لك عبدا وصيفا، واعطيك مما اعطى نصيفا، قالت ان الملك راى فى منامه، ان الجو يمطر من غمامه، اسود ونمور، وفهود وببور، وان السمآء من ذلك تمور، وتعبير هذا المنام، والله العلام، انه يظهر فى هذا العام، للملك اعدآء كواسر، وحسّاد جواسر، يقصدون هلكه، ويريدون ملكه، وسيطفى نار كيدهم بمياه سيوفه، ويسقيهم من رحيق فتوحه كاسات حتوفه، فكشفت غمّته، ثم اصلح لباسه وعمّته، وقصد باب الملك، ونادى غير مرتبك، وذكر المنام وعبّره، ووعد السلطان بالنصر وبشره، فتذكر المنام وحققه، واعتمد عليه وصدّقه، وامر له بالف دينار، وصار له عند الملك بذلك اعتبار، فاخذ الذهب مجبورا، وانقلب الى اهله مسرورا، ثم افتكر ما اشترطه مع الحية، فابت عن الوفاء نفسه الشقية، وخاف ان تطالبه بحصتها، او تفضحه بقصتها، فلم ير اوفق من قتلها، وسدّ ذريعة سبلها، فاخذ عصا، ورام بذلك مخلصا، ووقف فناداها، فخرجت مسرعة اليه، واقبلت بالوداد عليه، فرات العصا بيمينه، فعلمت انه ناكث بيمينه، فولت هاربة، فضربها ضربة خايبة، لكن جرحها، وعمد الى نفسه ففضحها، وتركها وذهب، فايزًا بالذهب، فاتفق ان فى العام الثانى، راى السلطان، مناما اقلقه، وعن نومه ارّقه، ومن شدة اهواله، محاه الوهم عن لوح خياله، فدعا المعبّر المعهود اليه، وقص حساله عليه، وطلب منه صورة المنام، وما يترتب عليه من كلام، فاستمهله الايام المعدودات، وقصد رئيسة الحيات، وناداها عجلا، ووقف فى مقام الاعتذار خجلا، فقالت اى غدر، كيف استحليت ما مضى من فعلك ومر، باى وجه تقابلنى وتخاطب، وقد قصدت عطبى بعد ما خلصتك من المعاطب، وقابلت احسانى بالسوء، ولكن غدرك بك يبوء، فقال عفى الله عما سلف، والصداقة بيننا من اليوم توتنف، ثم انشا ايمانا، انه يبدّل الاساءة احسانا، وانه لا يمين، فى اليمين، بل يعود، الى العهود، ومهما وقع عليه الاتفاق، لا يمازجه خلف ولا نفاق، فقالت اريد جميع الجايزة، لاكون بها فايزة، ولها حايزة، فاجاب الى ما سالت، وعاهدها على ذلك فقبلت، وقالت راى الامام فى المنام، ان السماء تمطر قرودا وفيرانا، وثعالب وجرذانا، وتعبير هذه الرويا، وكلمة الله هى العليا، انه فى هذا العام، والشهور والايام، يكثر اللصوص والعيارون،

والمكرة والنظارون، ويظهر فى العساكر، كل حسود ماكر، وشيطان داعر، ولكن صولة الملك تمحقهم، وصواعق سيوفه تصعقهم، فاسرع الى السلطان واخبره، بما راه فى منامه وعبره، فقال بالحق اتيت، هذا الذى كنت رايت، ثم امر له بجايزة سنية، وخلعة بهية، فصار فى عيشة مرضية، وحيوة هنية، وسلك طريقته الدنية، فلم يلتفت الى عهوده القوية، ونبذ عهد الحية الحبيبة، وقل يكفيها منى كفى عنها، فلا تتلب منى ولا اتلب منها، ثم ان السلطان راى فى المنام، فى ثالث الاعوام، مناما اخر ونسيه، فارسل الى المعبر فغشيه من يم الهم ما غشيه، وساله عما راه، وطلب منه تعبير روياه، فتقلب المهلة كما كان، واحاط به موج الهم من كل مكان، ولم ير بدًّا من معاودة الحية، فاتاها وبه من الحيا كية، ونادها بصوت خاشع، ووقف فى مكان الذليل الخاضع، فخرجت فراته، فزجرته وزبرته، وقالت يا خاين يا كذاب، يا ناقض العهد يا مرتاب، يا قليل الحيا، يا كثير البذا، يا صفيق الوجه، يا حقيق النجه، ترى باى لسان تخاطبنى، وباى وجه تقابلنى، وقد ختلت وقتلت، وفعلت فعلتك التى فعلت، فقال لم يبق للاعتذار مجال، ولا للاستقالة مقال، وما ثم طريق الا معاملتك بالافضال، فان افضلت اتممت الاحسان، وان رفضت فعذرك واضح البيان، وهذه المرة الثالثة، لا يمينها حانثة، ولا عهودها ناكثة، واشهد الله وكفى به شهيدا، انى بعد لا انقض لك عهودا، ولا احل ما بيننا عقودا، فقالت لا اخبرك بشى، الا ان تعهد الى، ان تعطينى جميع ما تُعطَى، وتكف عما وقع منك من الخطا، فسمع مقالها، واجاب سوالها، فقالت راى الملك فى منامه، كانّ الجو امطر من غمامه، ما ملا العصا من خراته واغنسامه، وتعبير هذا المنام، انه يكون فى هذا العام، من الخيرات والانعام، ما يشمل الخاص والعام، فتطيب الاودّاء، وتصالح الاعداء، وتطيع العصاة، وتذعن البغاة، ويوافق المخالف، ويكثر المحب والموالف، واحفظ ما قلت لك، فقد حللّت مشكلك، فتوجه بصدر منشرح، وخاطر مطمئن فرح، وقصّ المنام وعبّر ما فيه من الاحلام، فطار الملك بالفرح، وتم سروره وانشرح، وامر بالجواير فصبت عليه، وبالاموال فانهالت اليه، فلمّ تلك العطية، والخلع السنية، وقصد وكر الحية، ثم وقف وناداها، وقدّم اليها كل ذلك واعطاها، وشكر لها احسانها، وتحمّل جميلتها وامتنانها، فقالت له الحية اعلم، يا ابلم، انه لا عتب عليك ولا ملام، فيما جنيته اولا من الاثام، ولا ما ارتكبته من العداوة والمين، فى العامين الاولين، ولا فضل لك فى هذه السنة، على ما فعلته من الحسنة، فان ذينك العامين، كانا مشتملين على قران النحسين، فكان مقتضى حالهما فساد الزمان، والعداوة بين الاصدقاء والاخوان، ووقوع البغضا والشرور، والحنث والخلف وقول الزور، فجريت على مقتضاهما، حسب مرتضاهما، والناس فى طوعهم واباهم، اشبه بزمانهم منهم باابايهم، وهذا الاوان، قد انصلح الزمان، واستقام الطالع، وزال الحسد والتقاطع، واقتضى الزمان الصلح والصلاح، والموافقة والفلاح، فمشيت على موجبه، وتشبثت بذيل مذهبه، فخذ مالك، وتصرف بارك الله لك فيه، فلا حاجة لى به، ولا يدٌ لى لتقلبه، وانما اوردت هذا المثل، ايها الجمل، لتعلم ان الزمان، لتقلبه فى الدوران، يوقع بين الاصحاب والاخوان، ويباين بين الاصدقآء والخلّان، والاسد المجتهد، وان كان قد زهد، وتركا من اخلاقه ما عهد، فيمكن عوده الى حاله الاولى، فالاحتراز منه فى كل حال اولى، وها انا

قد اخبرتك، ومن سوء العاقبة حذرتك، وعلى ما وصل اليه فكرى اطلعتك، وفرط محبتى وشفقتى عليك، اقتضى انشاء هذا السر اليك، ومن انذر، فقد اعذر، ومن بشر، فما قصر، قال الجمل يا اخى فنترك هذا المقام ونروح، ونخدم من فى خدمته نستريح، قال الدب الجاحد، اذا كان هذا العابد الزاهد، الراكع الساجد، الذى قد تعفف عن اكل اللحوم، وليس له داب الا اغاثة المظلوم، قد عف عن الدماء، وقنع باكل الحشيش وشرب الماء، لا تومن غايلته، ولا تعتمد خاتلته، فالى اين نتحول، وعلى من يكون المعول، والى نذهب، وفيمن نرغب، قال الجمل فكيف يكون العمل، فاقد ضاقت بى الحيل، وتقطعت بى السبل، لا طريق للمفر، ولا قرار للمستقر، فافكر الدب طويلا، ثم راى رايا وبيلا، وقال ارى الراى السديد، والفكر المفيد، ان نبادر الاسد، قبل وقوع النكد، فنقصده بما يقصده، ولا نوصله الى ما يعتمده، فالعاقل يفتكر فى عواقب الامور، ويقيس بفكره السرور والشرور، ويستعمل الحزم، واذا قصد امرا يصمم العزم، وناهيك قصية الثعبان، مع ذلك الانسان، قال الجمل اخبرنى عن تلك القصية، ومن ذلك الانسان وما تلك الحية، قال ابو حميد الخبيث، بلغنى من رواة الحديث، ان شخصا من الصيادين، كان مغرما بصيد الثعابين، يتسبب بصيدها، ولا يبالى بكيدها، فبينا هو يسعى، اذ صادف افعى، شرها ناجز، كما قال الراجز،

ارقش ظمّان متى عض لفظ   امرّ من صبرٍ ومقْرٍ وحُظُظ

وقد اثر فيه الحر بالحرق، وهو نايم فى مكان ضيق، فاستبشر الحوّا برويته، وقبضه من عقصته، فلم يفق الثعبان من رقدته، الا وهو من الحاوى فى قبضته، فتماوت وامتد، وارتخى فاسبل بعد ما كان اشتد، فظن الصياد انه مات، وان مراده منه فات، فتحرق لذلك وتالم، وحرّق عليه الارم، ورماه من يده، ثم دار فى خلده، ان فى بطنه خرزة بهية، مشرقة مضية، فاخرج الشفرة وقصده، ومد لتبضيعه يده، فلما تحقق الارقم، ما عزم عليه وصمّم، خدعه وختله، وضربه فقتله، وانما ذكرت يا ابا ايوب، هذا المثل المضروب، لتتحقق ان المبادرة الى اهلاك العدو، اقرّ للعين واجلب للهدو، ومن فوّت الفرصة، وقع فى غصّة واى غصة، وهذا الاسد ان غفلنا عن انفسنا اهدها، وقصد دمارها وفسادها، ولا يفيدنا اذذاك الندم، بعد ما زلت معه القدم، وتحكم فى وجودنا من مخالبه العدم، قال الجمل اعلم ايها الرفيق، الصديق الشفيق، ان هذا الملك آوانا، واكرم مثوانا، ولم نشاهد منه سوءا، ولا من ظلمة باطنه انسنا ضوءا، ولو قصد اذانا ما وجد دافعا، ولا ممانعا، وقد علمنا انه ترك الاذى، وكف عن الشر والبذا، تعففا لا تخوّفا، وتكرما لا تكلفا، واختيارا لا اضطرارا، وجبرا لكسرنا لا اجبارا، واما انا على الخصوص فلم ار منه الا الجميل، والفضل الجزيل، والاحسان العريض الطويل، فلاى شى اشرع فى اذى نفسى، واكدر صافى حدسى، ولم يظهر لى منه امارة، لا بمقتض ولا بدلالة ولا باشارة، فضلا عن سباق او سياق بعبارة، وانا لو مت كمدا، ما قصدته باذى ولا رديته برداء ردا، والصوفى ابن الوقت، لا يتقيد بنكد ولا مقت، فان قصدنى بعد ذلك بشرّ، او تعرّض لى بهلاك وضر، لا يسعنى معه الا التفويض والتسليم، والتوكل على العزيز العليم، مع انى لا اقدر على مقاومته، ولا قوة لى فى دفع مصادمته، ولا طاقة لكسر انيابه ومخالبه، ولا خلاص من اشراك اسبابه، غير انى وان كنت منسوبا الى التغفل، لا ادع

من يدى نيل التوكل ، فبالتفويض يحصل النجاح ، وبالتوكل يظفر بالفلاح ، كما جرى لذلك الفلاح ، مع الذيب والشجاع ، حال التوكل الى الله تعالى والانقطاع ، فسال ابو سلمة ، ايضاح هذه الكلمة ، قال ابو صابر ، بلغنى من احد الاكابر ، ان شخصا فلاحا ، توجه الى ضرورة صباحا ، من غير رفيق ولا حاملا سلاحا ، فبينما هو فى البيداء ساير ، صادفه ذيب داعر ، خاتل خاتر ، فقصده ليكسره ، ففرّ وصعد الى شجرة ، فرصد نزوله ، وانتظره تحتها ليغوله ، فانعصر ، وعن ضرورته انحصر ، وبينما هو فى تلك البلية ، وقعت عينه على حية ردية ، ذات قرون صاعدة ، وهى على بعض الفروع راقدة ، فازداد همه ، واحاط به لوجه غمه ، فاستمر بين بليتين ، وانحصر فى ديوانين داهيتين دعيّتين ، فلم ير اوثق من التوكل على الله ، والاعراض عما سواه ، فاعتمد متوكلا عليه ، وفوض اموره اليه ، وبينا هو فى تلك الشدة ، وقد بلغ ضرّ حدّه ، واذا برجل مقبل من الفلا ، وعلى عاتقه عصا ، فقصده الذيب ، من قريب ، فلما راى سلاحه ، فر وله كلاحة ، فنزل الفلاح من الشجرة ، وازال الله تعالى همه وعمرة ، وانما اوردت هذا المثل ، لتعلم ان الله نعم المتكل ، فاخرج هذا الوسواس ، من القلب والراس ، ولا تبك سلفا ، ولا تعجل تلفا ، ولا تخلع الحذاء يا ذا الرياضة ، قبل ان تصل الى المخاضة ، ولا تهتمّ لامر ما وقع ، فان ذلك من شر البدع ، فان قصدنا بسوء فالله يكافيه ، ويكفينا بحوله وقوّته فيه ، قال الدب ذو الصبر ، هذا راى القاصر فى النظر ، العاجز فى الفكر ، فاما ذو الفكر الثاقب ، فلا يغفل عن العواقب ، فكل من قصر عن العواقب نظره ، ولم يسدّد فى الامور فكره ، فهو كمن تعلقت النار باهدابه ، والتهبت لاحراق ثيابه ، وهو مشغول عن اطفايها ، متساهل فى كشف انبايها ، فلم يفق الا وقد نَشبت ، واعتاه بالنار التهبت ، فما ذا يفيد الافاقة ، وقد صار حراقة ، قال الجمل يا اخى اتق من محالك ، وعالج فساد تصورك وخيالك ، وانظر قوة جلدك ، وكيفية حالك ، انا لحمى من صدقات الاسد نبت ، وحبه فى دمى وعظمى ثبت ، كيف اجحد نعمه ، او اريق دمه ، وانا غرس صدقاته ، وبنيان نفقاته ، ورفيق حضرته ، وعتيق منته ، مع انى لو نبذت عهده ، وقطعت ما قطعت ، وعزمت على مناوشته ما استطعت ، اما وعيت ، فى معانى ما رويت ،

هى العنقاء تكبر ان تصادا   فعاند من تطيق له عنادا

تريد صيد العقاب ، بفرخ الغراب ، ام تقتنص الذباب ، بجرو الكلاب ، وتبغى بالقرود ، كسر الفهود ، ام بالسنانير تصيد الاسود ، ولا والله لا اقصده باذا ، ولا يطاوعنى قلبى على ذلك ابدا ، ولو فعلت ذلك لسعيت فى دمارى ، وخراب ديارى ، وجدعت انفى بكفى ، وبحثت عن حتفى بظلفى ، وحززت بيدى راسى ، وقطعت قدمى بفاسى ، وقلعت باصبعى مقلتى ، واستخففت ملك الموت مهجتى ، ولصرت من اكبر المعتدين ، وافسدت دينى ودينايى والله لا يحب المفسدين ، فاطو عنى هذا الكلام ، وارجع عن مفاوضتى بسلام ، ولا تشكك به جنانك ، ولا تحرك به لسانك ، وكان بالقرب منهما وكر فارة ، وقد سمعت ما جرى بينهما من عبارة ، ووعت كلامهما ، وما دار بينهما ، من كل منهما ، فلما راى الدب المريد ، ان كلامه للجمل لا يفيد ، امسك واحتشم ، واخذه فى ذلك الندم ، ولكن حال من الجمل الحال ، واثر فيه هذا المقال ، واستولى عليه من الاوجال ، ما اداه الى الهزال ، وصيره من الانتحال كالخلال ، وذهب ما كان عليه من النشاط ، وداخله الهم والاحتياط ، وصار

كل يوم فى انحطاط، ولم يزل بين نضو ورازح، ورازم ونازح، فتعجب الاسد من حاله، ولم يقف على سبب هزاله، وكان عند الاسد، غراب مقدم على الاصحاب، هو وزيره ومعتمده، وصاحب اخباره وعضده، فعرض عليه حال الجمل، وما شاهده منه من وجل، وقال انا عففت عن اكل اللحوم، ورضيت من العيش بادنى الطعوم، وهذا امرٌ قد عُرف واستقر، فما بال هذا الجمل لا ياخذه مقر، فاريد ان تعرف حاله، وتخبرني صدقه ومحاله، فتوجه الغراب الى منزل الجمل، وقد اخلص فى القول والعمل، وسائله عن حاله، وموجب هزاله وانتحاله، وما سبب هذا الزروح، والرزوم المودى الى النزوح، فما احار جوابا، ولا ذكر خطاء ولا صوابا، فصار الغراب يرتقبه، وحيث ما توجه يعتقبه، ففى بعض الايام، كان الغراب على بعض الاكام، راى الجمل قد اقبل الى المآء، ليطفى بشربه سورة الظما، فتخفى الغراب واتقفى ظهره، الى ان قاربه وكمن خلف صخرة، فسمعه يقول بعد ما شرب، وقد راى السميكات فى اللعب، لك الحمد يا رب ما ارحمك، وطوبى لكنّ يا سمك، لا من رئيسكنّ تخفن، ولا من هيبته ترجفن، لا ملك يهولكنّ، ولا سلطان يغولكنّ، ولكن البكا على الجمل، الذى ضاقت به الحيل، قد وقع فى دُرْدُور البلا، ولا يهتدى الى طريق النجا، بل ولا يدرى عاقبة امره المهول، الى ما ذا تئول، الى الغرق والندامة، ام الى النجاة والسلامة، ثم اخذ فى الانتحاب، الى ان ابكى الغراب، فلما راى ابو القعقاع، هذه الاوضاع، قضى من الامر العجاب، ما يشيّب الغراب، ثم توجه الى اسد الشرى، وعرض عليه ما جرى، بتخبير المشترى، فتشوش فكره وتشور امره، وضاق بالهم صدره، وقال انا كففت عن الشر والشره، وعففت عن ذاك كان لم يرنى ولم اره، وتركت القرم والاذى، وفطمت نفسى عن لذيذ الغذا، ليامنني اصحابى، ويانس بى احبابى، فاذا لم يستقر خاطرهم، ولم تطمئن على محبتى سرايرهم، فاى فايدة لى فى الحيوة، وكيف اخلص فى حرم المودة من كدر العيش الى صفاه، وكل ملك لا تصفو له رعيته، ولا ترسخ فى قلوب جنده محبته، كيف يثبت سلطانه، او يساعده عند الشدايد اعوانه، انا بذلت جهدى وطاقتى، وتشبثت باذيال الصلاح على قدر استطاعتى، ولم يبق الا التضرع، والاستكانة والتخشع، الى مقلب القلوب، وعلام الغيوب، ليكشف هذه الغمة، ويصلح لى هذه الامة، ويجلو عن جبين الحق بهيم هذه الظلمة، ثم تضرع الى عالم الاسرار، ليطلعه على حقيقة هذه الاخبار، ثم امر باجتماع جماعته، المقيمين على محبته وطاعته، وعرض عليهم هذه الاحوال، وطلب منهم استكشاف ما فيها من الاهوال، وقال اعلموا انى امنتكم من مخافتى، وبذلت لكم بذل عنفى لطافتى، وقد حققتم مرامى، وصدقتم كلامى، وعرفتم اخلاقى، وتبدى اعلاقى، كل ذلك لتطييب خواطركم، وتصفو لى سرايركم، ولم افعل ذلك عجزا ولا خورا، ولا تهاونا ولا ضجرا، وانا الان امركم بواحدة، هى اجلّ فايدة، ان لا تكتموا عنى، شيا تكرهونه منى، بل اوقفونى عليه، وارشدونى اليه، ثم اجهدوا انى، امنعه عنى، فان فيكم اجلّ محبوبى، من اهدى الىّ عيوبى، وقد قال سيد الانام، عليه افضل الصلاة والسلام، اللهم ابلغه افضل التحيات عنا، من غشنا فليس منا، وانما اوردت هذا الكلام، فى هذا المقام، بحضور الخواص والعوام، على سبيل التحذير، والاعلام والتنذير، واقسم بالله العلى الكبير، اللطيف الخبير، الذى منه المبدا واليه المصير، لم يكن فى خاطرى من احد، حقد

ولا حسد، ولا هجس بخاطرى له ايذاء ولا نكد ، وها انا قد اخبرتكم، وباطلاعى امرتكم، فلم يبق لى ذنب يستغفر منه، ولا لكم فى الاخفاء ما يعتذر عنه ، وان الله تعالى لا يعذب بضلال الاسافل، بل يهب للاعالى الاراذل، فاذا فسد الراس، تغيرت الناس فحل الباس، وقد قال خالق البرية وباريها ، واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فقام الحاضرون فى مقام العبودية والولاء، وبسطوا السنتهم بانواع الثناء والدعاء، ونادوا بكلمة واحدة، متفقة متاكدة، حاشا لله ما علمنا عليك من سوء، ولم تزل تتلبّب على تقصيرنا وتاسو، وتستر بذيل عفوك كل عار منا وتكسو، وكان هذا الكلام للاكابر، وقد اجتمع البادى والحاضر، وابو حميد المفتن فيما بينهم حاضر، فادرك بهذا العمل، ان الاسد شعر بشى من جهة الجمل، فاستدرك فرطه، وسلك سبيل المغالطة، ثم اختلى بالاسد، ولم يكن معهما احد، وقال كان مولانا الملك ، وقه الله غدر المنهمك، احسّ بشى اوجب تقرير كلامه، لطايفة جنده وخدامه، وانا عندى كلام، لم يطلع عليه احد من الانام، ولم ابده للملك بحضرة الجماعة: لانه ربما لا يقصد الملك به الاذاعة، ولا يمكننى اخفاوه، وقد آن ابداوه، اعلم ايها الملك الهمام، كفاك الله شر اللئام، انه كما يستحقر العالم الجاهل، كذلك يزدرى الجاهل العاقل، وذلك لقصور فهمه، وعدم علمه، ومهما احاط الخادم بمرتبة مخدومه، وزاد علو قدره فى معلومه، ازداد فى قلبه وجوارحه مقدار تعظيمه، واستقرت هيبته فى قلبه وروحه ، وصارت كووس خشيته تنادمه فى غبوقه وصبوحه، وقد قال رب الارض والسمآء ، انما يخشى الله من عباده العلمآء، وقول النبى عليه الصلاة والسلام، انا اعرفكم بالله واخشاكم لله اشارة الى هذا المقام، وكلما ضعفت معرفة الخادم بالمخدوم، قلّت قيمته عنده وهذا امر معلوم، ثم اعلم ، يا ملكنا اعظم، ان الجمل الطويل الامل، قد اغتر بالملك ، حين فى ذرى امنه سلك، واحسن اليه غاية الاحسان، وصار فى عدم الوفاء كالانسان، وحصل له من سورة غضبه الامان، لجهل قدره ، وتعدى طوره، وقد قيل شعر

اذا انت اكرمت الكريم ملكته | وان انت اكرمت اللئيم تمرّدا
فوضع الندى فى موضع السيف بالعلى | مضرٌ كوضع السيف فى موضع الندا

وقال الله تعالى ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وكل نفس لا تحتمل الجميل، وحوصلة العصفور لا تسع لقمة الفيل، وناهيك ما قد قيل، فى الاقاويل، عن حماقة كل طويل، فلا جرم فسد دماغه، حين حصل فراغه، وتناولت نفسه فى مسراها، الى اشياء لا يمكن انشاءها، ولا يتفوه بها مسلم ولا يرضاها، لان ذكرها قبيح ، والكناية ابلغ من التصريح، فلما سمع الاسد هذا المقال، علم ببديهة العقل انه زور ومحال، ثم ارسل الى الغراب، وذكر له هذا الخطاب، ليميز خطاوه من الصواب، ويبيّن القشر من اللباب، فلما اتى الغراب الى حضرته، وجلا صورة هذا القول على مرآة فكرته، قال له ضميرك المبارك، فى حل هذا المشكل لا يشارك، فانه حلال المشكلات، موضح المعضلات، واما انا فلا اسمع هذا الكلام، ولا اقبل فى الجمل الملام، فانى اعرف تواضعه ومسكنته وصبره وضراعته، واخلاصه وقناعته، وانه صادق فى محبته، مخلص فى عبوديته، واعرف ان خوفه من الملك غالب على رجايه، وانه مع ذلك مقيم على سنن وفايه، وعقود عهوده وصفايه ، ولو اراد

الذهاب لذهب بسلام، ولا فى وظيفته قيد ولا فى وتيرته خطام، ثم قال الغراب والغالب على ظن ذوى اللب، ان هذه الفتن اصلها واصلاها اسدب، لانه قد تقرر وتحقق، واتفق كل حكيم موثق، انه اذا نقل ناقل محقق، عن عاقل ابتدى بالاحسان اساءة فلا يصدق، فالملك لا يبادر فى هذه القضية، حتى يتبصر الامر عن جلية، وحاشاه ان يفرط فى خدمة المخلصين، من غير ان يتدبر امورهم بيقين، ويختلى بعبده الجمل، ويتحقق منه اصل هذا العمل، بعد استجلاب خاطره، وتذهيب سرايره وضمايره، واستصوب الاسد هذا الفصل، واختلى بالجمل ليقف منه على الاصل، وسكن جاشه، وازال بلطيف الكلام استيحاشه، وشكر فى خدمته مساعيه، وطلب بملاطفته مراضيه، ثم طلب من الجمل، تفصيل ما بلغه من جمل، واكد قوله بالايمان، انه لو صدر منه تقصير ونقصان، ولو كان مهما كان، فانه قد عفى، عما صفا، ولا يكدر من عيشه ما صفا، ولا يمزق رقيق حاشية وثايه بالجفا، ولا يتقيد بهفواته، ولا يطالبه ابدا بزلاته، فليطلعه على جلية الحال، وليذكر ما وقع منه من اقوال وافعال، فانتكر الجمل فى معاهدته مع الدب، وانه لا يفشى سر ذلك العديم اللب، وكيف ينقذه من غضا جمرة شب، وقضا غمرة صب، فقال ان قلت اضعت صاحبى، وان سكت قصرت فى جانبى، ثم اختار كتم الاسرار، وسلوك طريق الاحرار، والوفاء بالعقود، وعدم نكث العهود، وقال اسعد الله مولانا، الذى بوجوده احيانا، انى انفكر فى عواقب الامور، وانظر فى تقلبات الدهور، واخشى سطوات السلطان، واخاف من حوادث الزمان، فلا ازال من هذا الخيال، فى انحلال وهزال، الى ان صرت الى هذه الحال، فان كان هذا ذنبا يوجب العقوبة، فان ازالته عن خاطرى فيه صعوبة، وهذه اوهام لا يمكن دفعها، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها، قال الاسد فهل اطلعت على ما يوجب ذلك، او يدل على الالقاء فى المهالك، وتضييق المسالك، من حركات افعالى، او من فلتات اقوالى، او تقلبات احوالى، او نقل اليك ناقل، من جاهل او عاقل، فاحجم الجمل عن الجواب، واطرق فلم ينطق بخطاء او صواب، فقال الغراب لا ينجيك الا الصدق، وكشف استار الريب عن جبين الحق، وكان حاضر هذه الفحوى، خلد اعمى، وهم عنه غافلون، وعن استماعه ذاهلون، ففى الحال، توجه الى الدب وقال، صورة ما جرى، بتخبير المشترى، فعلم الدب انه افتضح، وامره اتضح، فنهض وما قعد، ودخل على الاسد، فراى الجمل مطرق، لا يلوك منطقا، بيد صولجان اللسان، وخطف كرة البيان، وسابق بالكلام، خوفا من الملام، وقال بلسان طلق، كلام فاجر مختلق، اعلم، ايها الطويل الابلم، انك لو امسكت عن كلامك القبيح، فى وقتك الفسيح، لكان اصوب، واحسن واعجب، لكن لما فهت بالعبر، واتيت باحدى الكبر، وصادمت القضاء والقدر، وخنت ولى نعمتك، وقصدت اهلاك الملك بقبح شيمتك، ازال الله سترك، وابدى امرك، وفضحك، وقبحك، وبلجام الخزى كبحك، لا جرم جرمك حبسك، واثمك العظيم اخرسك، فابهت الضرغام، من هذا الكلام، وشاب الغراب، من هذا الامر المشاب، ووقعوا فى الاضطراب، والشك والارتياب، واشتبه الخطاء بالصواب، وقالوا ان هذا لشى عجاب، فقال الجمل للدب، يا فقيد اللب، يا قليل النصفة، وعديم المعرفة، واخس افاك، واجس سفاك، واخس بتاك، اتظننى خايفا من كلامك وخطابك، عاجزا عن ملامك وجوابك، اما كفى انى قصدت ستر عوارك، واطفاء نارك،

ومقتكم في تلافى قضيتك، واخماد لهيب فتنتك، واعماد شرار مصيبتك، وعلى تقدير التسليم، وانى فهت بالكبير والامر العظيم، أكنت معك منفردا، ام رايت بيننا احدا، فان كان بيننا احد، فاحضره الى حضرة الاسد، فانى ارضى به وبما بيّن، ولا دافع لى فيما يشهد به ولا مضعن، وان كنت انت وحدك، فما منعك عن نصح الملك وصدّك، فانت اذًا اما خاين واما ماين، وهذا امرٌ محقّق باين، ولو لا ايمانى، التى ربطتْ بها لسانى، لكنت اظهرت البرى والجانى، ولكن تحليفى الى الكتم والسكوت الجانى، وسيظهر الله الحق ويفصل، وللباطل صولة ثم يضمحل، ووالله ما لك مثل، مع المسكين الجمل، الا امراة النجار، لما اغلقت باب الدار، قال ابو الحارث الغضوب، اخبرنا يا ابا ايوب، كيف كان هذا الحديث، لنطلع على هذا الفعل الخبيث، قال ذكر رواة الاخبار، انه كان رجل نجار، له زوجة تخجل الاقمار، وتكسف شمس النهار، كانها الدنيا تخدع بملامح صورتها، وتصرع بروايح سيرتها، فكانت كلما رقد زوجها وهو تعبان، انسابت الى الاخدان، انسياب الثعبان، فتقضى الليل بانشراح في عناق وشرب راح، الى ان ينفجر الصباح، ثم تنثنى عايدة، فلا يستيقظ الزوج الا وهى عنده راقدة، ففطن في بعض الاوقات لفعلها، وراقب ليلة خيال ختلها، فتراقد في الفراش، وذهبت لطلب المعاش، فنهض وراءها النجار، واوصد لما خرجت باب الدار، واستمرت هى وصاحبها، وزوجها مستيقظ يراقبها، فلما عادت راجعة، وجدت الابواب مانعة، فطرقت الباب، من غير اكتراث واكتياب، فناداها يا خاينة، اذهبى حيث كنت كاينة، فقالت استر هذه الذنوب، فانى من بعد اتوب، فقال لا والله الرحمن، حتى تفتضحى بين الجيران، فقالت الموت اهون من الفضيحة، فاغفر لى هذه القبيحة، وانا احلف يا ودود، بالله الرب المعبود، انى اتوب ولا اعود، ثم الحت عليه، وتضرعت لديه، فلم يفتح لها بابا، ولا ردّ عليها جوابا، فقالت والله اللطيف الخبير، لئن لم تفتح الباب لالقين نفسى في هذا البير، ولارمينك بقتيل، بين الحقير والجليل، ثم عمدت الى حجر كبير، وطرحته في تلك البير، ثم لطيت عند الباب، لتنظر ما يبرزه القضاء من الحجاب، فلما سمع زوجها خبطة الحجر، تصوّر انها تلك البغى فابتدر، وفتح الباب والى نحو البير طفر، ولم يشك ان تلك البغى، القت نفسها في الطوى، فما وصل الى البير، ذلك الرجل الغرير، الا وقد دخلت، وفى وسط الدار حصلت، ثم اوصدت الباب، واستغاثت بالجيران والاصحاب، واحكمت الرتاج، واوقدت السراج، وملأت الدنيا بالعياط، واخذت في الهياط والمياط، فاجتمع الجيران، لينظروا ما هذا الشان، فقالت هذا الرجل الظلام، يتركنى كل ليلة حتى انام، ثم يتوجه الى الزوانى، ويدعنى حتى اقاسى القلق واعانى، واتقلب في ارقى واشجانى، فاخذ الرجل يحلف بالله ذى الجلال، ويذكر للحاضرين حقيقة الحال، فتارة يصدّق واخرى يكذب، وهو بين مصدق منهم ومكذب، فلم يزالا في عويل وصياح، الى ان ظهر تباشير الصباح، فحضرا الى القاضى واختصما، وشهد بعفة الرجل الصلحاء والعلماء، واظهر الله الحق، وثبت على المراة الخيانة والفسق، ولو لا ذلك لذهب البرى غلطا، وانقلب صواب الحق الصادق خطا، وانما اوردت هذا المثل، لتعلم ايها الملك البطل، خيانة الدب وبراءة الجمل، والرجل اذا عجز عن فعل الشجعان، يتشبث بحبايل الشيطان، ويستعمل مكر النسوان، ونظير هذا الكياد، ما وقع بين صادق دمشق وفاسق

بغداد، وهى قضايا جليلة الابواب، طويلة الذيول والاذناب، قد دوّنت فى مجلدة لا يسعها هذا الكتاب، ففكر الريبال، فى هذه الاحوال، ثم امر بهما الى الاعتقال، وكان للملك سجّان زكى، كنيته ابو الحصين واسمه ذكى، فتسلمهما، واحتفظ بهما، فلما استقرا فى قبضة الحبس، واستمر امرهما تحت اذيال اللبس، توجهت الفارة التى كانت سمعت سر مناجاتهما، واطلعت من اول الامر على حكايتهما، الى السجان، وهما فى اضيق مكان، وسالته عمّا ذا آل اليه امرهما من شان، فاخبرها بحالهما، وجهل عاقبة مالهما، وانه ليس بعالم، من المظلوم منهما والظالم، فقالت الفارة، اسالك يا ذا الشطارة، والذكاء والمهارة، اذا ترجح لاحدهما الجانب، وتبيّن الصادق والكاذب، وتعيّن المرضى عنه والمغضوب عليه، تطلعنى على ذلك لانظر اليه، قال السجان للفارة، لقد فهمت عنك بالاشارة، وادركت من فحوى العبارة، ان لك اطلاعا على هذا الامر، وخرة جليا بين الجمرة والتمر، فان كنت شممت من ذلك روايح، فبادرى باداء تلك النصايح، فان قولك مقبول، ولك الفضل لا الفضول، ولا تقصدى بهذا الارشاد، الا مصلحة العباد، وكشف الغمة، وابراء الذمة، وردع الظالم، وخلاص ذمة الحاكم، قالت الفارة انا لا اقصد الا اصلاح ذات البين، وشمولها بعاطفة الملك بحيث يصيران كالمحبين، ويرتفع النكد، ويحصل رضى الاسد، وُيحسَم الضرر والضير، وتختم عاقبتهما بخير، وايضا سمعت من العلماء، وضبطت من نصايح الحكماء، ومقالات ذوى الاراء، انهم قالوا اياك والتكلم فى امور الملك ببيضاء او سوداء، وابن بنت الجرد، من ملك الوحوش الاسد، قال السجان لا تقولى ذاك، ولا تستحقرى جدواك، وما ترين فى فتواك، ودونك القول الصادر، من نظم الشاعر الماهر، وهو شعر

لا تحقرنّ الراى وهو موافق ... حكم الصواب اذا اتى من ناقص

فالدرّ وهو اجل شى يُقتنَى ... ما حطّ قيمته هوان الغايص

وان النصيحة كالعسل، والحق يصدع كالاسل، فالعسل يعطى حلاوة ذوقه، سواء كان فى صحاف الذهب او فى زقة، وقصد الصواب والنصيحة، ومن اغراضه لدفع الفساد صحيحة، يخاطر بنفسه وماله، ويراقب ما فيه حسن ماله، وافضل المعروف، اغاثة الملهوف، سمعتُ فى المثل الساير، افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جاير، وهذا النطور، عند ملوك الجور، فكيف وملكنا اعدل الحكام، وناصر دين الاسلام، متصف بمكارم الاخلاق والشيم، ومعاملة الكبير والصغير بالمراحم والكرم، فان كنت تدرين بجهة الانتفاع، او لك على قضايا الدب والجمل اطلاع، فقومى وانصحى، وقولى تفلحى، كما فعل الوزير المنتخب، مع كسرى فى حالة الغضب، فسالت الفارة، هذا المثل واخباره، قال ابو الحصين السجان، ذكر انه كان لانوشروان، زوجة فقت النسوان، بخجل قدها الاغصان، وخدها البدر حيث لا نقصان، كان ابوها من السلاطين، وكان انوشروان قتل اباها واخاها، واتخذها لنفسه واصطفاها، وكان مشغوفا بحبها، متخوفا من ضربها، ليلا تتذكر قتيليها، فيستولى طلب الثار عليها، فلم يزل متحرزا من افعالها، مراقبا تقلب احوالها، فاتفق انه كان جالسا معها على السرير، وحولهما من الجوارى الحسان كل بدر منير وظبى غرير، فتناقت نفسه اليها، فمد يده ووضعها عليها، فنظرت الى الجوارى فرات اعينهنّ اليهما ناظرة، فصارت

بين طرفى الانقياد والامتناع حايرة، وكانت قد سمعت من ابيها، ما رانه من اقربها وذويها، معنى ما قيل شعر

وانى لاستحيى من النرجس الذى   يراقبنا انّى اقبّل من اهوى

فخطر ببالها انه اذا استحيى من عيون النرجس وهى جامدة، فكيف لا استحى من عيون انسان فى مراقبتنا غير راقدة، فغلبت عليها الحيرة، وان جدع الخلال انف الغيرة، فانكمشت من كسرى، وزادها الحيا والهيبة انقباضا وكسرا، فجبذها بقوته ابيه، فانفلتت منه لما استعصت عليه، فوقع عن سريره العالى، وغلا خلقه النمرى الغالى، وتبسم بعض تلك الجوار، من غير اختيار، فاضطرب لما اضطرم فيه النار، وتذكر ما كان توعمه من اخذ الثار، وثار دم قلبه لما غار، فدعا وزيره الكبير، ودفع اليه ربة السرير، وامره بازعاق نفسها، واسكانها فى رمسها، من غير مراجعة، ولا شفاعة ولا مدافعة، فحملها الى منزله، ووقع فى صعب الامر ومشكله، ولم ير بدًّا من امضاء مرسومه، وامتثال اوامر مخدومه، ثم تدبر فى المآل، ونادته ربة الحجل، مهلا ايها الوزير، الناصح المشير، ذو الراى والتدبير، هبنى انا اخطات، ومن مرضات الملك ابطات، فما ذنب الذى فى بطنى، المودع من الملك ولم يجنى، فلا باس انك تستشيره، فانك ناصحه ومشيره، وان كان لا بد من قتلى، واستقر الراى على تبلى وبتلى، فاستمهله الى ان اضع، ثم تهلك الامر وتبقى التبع، فانه كان يعطى النذور والاموال، ويطلب الولد فى ظلمات الليال، ويدعو بذلك ربه ذو الجلال، فعرض الوزير على الملك ذلك فابى، واستعمل فى ضروب ضربه احدّ عبارة وترقى فنبا، فعرف ان اخلاقه ثايرة، وانه لا بد ان تطفى تلك النايرة، فاذا برد قلبه، وهمد كربه، يطالبه بالفرع ان لم يطلب الاصل، وبعد القطع لا يمكن الوصل، كما قيل شعر

طوى الموت ما بينى وبين احبتى   وليس لما تطوى المنية ناشرُ

فراى الوزير، الراى فى التاخير، فاودعها عند الحريم، وسلك فى الحزم الراى القويم، وجعل نفسه لها وقاية، الى ان اخذت مدتها النهاية، فوضعت ولدا ذكرا، غصن بان مثمرا قمرا، فقام الوزير بتربيته، واصلاح رضاعه واغذيته، الى ان بلغ سبع سنين، وهو كبدر الافق المبين، مربّى بالدلال، معنّا بالكمال، فكانه فيه قيل شعر

جبين يحار الشمس من لمعاته   وقدٌّ يغار الغصن من حركاته
وخدٌّ تعالى الله لست مشبّها   ولا مشركا اضداده فى صفاته
رمى مهجة المضنى باسهم لحظه   فنام عليلا وهو فى سكراته

فركب كسرى فى بعض الاوقات، وخرج يصطاد فى بعض الجهات، فتبدد العسكر، وصار كالجيع اذا نفر، ووقع كسرى فى ناحية عن العسكر منفردا، فصادف غزالين يسوقان ولدا، ويذكران فى ذلك القاع، ما قاله عدى بن الرقاع،

تزجى اغنّ كان ابرة روقه   قلم اصاب من الدواة مدادها

فهجم عليهما، ودنا اليهما، فلما قصدهما، تركا ولدهما، ففوق السهم الخفيف، نحو الخشف الضعيف، فلما رات امه السهم، داخلها الوله والوهم، فقصدت للسهم دون ولدها، واستقبلت نصل

كبد القوس بكبدها، فاراد اطلاق السهم من الكبد، ليصيب به نحر ام الولد، فاعترضه الفحل بصدره، وتلقاه دون نحرها بنحره، وجعل نفسه وقاية لام ولده، وفداهما بروحه وجسده، فتذكر كسرى ولده وامه، وضاعف حزنه عليهما تمه وغمه، وتذكر ما سلف منه فى حق زوجته، وما عاملها به حين وقع من الغضب فى سورته، وتامل ما قاله فى حق قرة مهجته، وما اجاب فى ذلك، الى ان وردت الى المهالك، وقال اذا كان هذا الحيوان الباغم المايق، حمى حقيقته بروحه كحماة الحقايق، فلمَ لم يفعل ذلك الحيوان الناطق، ثم فاضت دموع عينيه، فرمى القوس والسهم من يديه، ورجع متفكرا، وعلى ما فرط منه متحسرا، ودعا الوزير، الناصح المجير والمستجير، وذكر له ذلك النكد، وما راه من الغزالين والولد، وتحرق على فقد حظيته، وتارق لمصاب فلذة كبدته، فدعا له الوزير، وقال الصبر نعم النصير، كان قد سبق منى اشارة، ولكن المفرط اولى بالخسارة، الصديق الصادق، والرفيق الموافق، يقول ما اصنع، نصحت فلم يسمع، والحب المنافق، والحسود المماذق، يقول اردت ان اقول، ولكن تركت الفضول، ولا حيلة للملك والوزير، فيما جرى به قلم التقدير، ثم دعا له وانصرف، وعبى حملا من الهدايا والتحف، والبس ابن الملك الخز ملبوس، وجهز امه كما تجهز العروس، واضاف الى ذلك من المراكيب الملوكية، والخدمات السلطانية، واقبل بهما اليه، وعرض كل ذلك عليه، وقال يا ملك الزمان، انا رايت هذا اليوم فى ذلك الاوان، وعلمت ان الندم سيعم، من الراس الى القدم، وها قد قدمت اليك من التحف، الدر مع الصدف، والورد والزهر، والغصن والتمر، والفرع والشجر، والشمس والقمر، متعك الله بهما ومتعهما بك، وحرس من الاسواء منيع حرمك وجنابك، فانجبر بذلك كسرى، ونال بشرى ويسرى، وطاب سيرا ومسرى، وسر صدره وانشرح، واغمى عليه من شدة الفرح، وانشد

طفح السرور علىّ حتى انه من عظم ما قد سرنى ابكانى
يا عين قد صار البكا لك عادة تبكين من فرح ومن احزانى

ثم امر ببساط السرور، وجلس فى النشاط والحبور، وانشد شعر

اهلا وسهلاً بالتى جادت علىّ بمهجتى
اهلا بها وبوصلها من بعد طول الهجرة
ادر المدام وغننى اهلا وسهلاً بالتى

ثم افاض خلع الانعام، والرضى والاكرام، على الوزير، وشكر له حسن التدبير، وارتفعت عنده منزلته، وتضاعفت فى الارتقاء مرتبته، وانما اوردت هذه الامثال، لتحذى على هذا المثال، فان كان عندك ما يزيل الشك والاغاليط، ويحق الحق ويميز الاخاليط، فان فى ابدايها منة عظيمة، ونعمة على الملك جسيمة، ستبلغين بذلك العيش الهنى، وترقين به الى المقام السمى السنى، وان اخرت النصيحة، فقد شاركت الخاين فى الافعال القبيحة، قالت الفارة ما ادق ما نظرت، واحق ما اشرت، لا تردد للعقل، فى صحة هذا النقل، ولكن من انا فى الرقعة، ومن يقل للفارة حتى تطلب الرفعة، فلا انا فى العير، ولا فى النفير، وانى من مبداء امرى، وطول عمرى، فى زوايا الخمول، اتحرز من فضلات الفضول، لا لصحبة الملوك لى صورة جميلة، ولا فى طريقة السلوك سيرة نبيلة، لا امينة ولا ثقة،

واصدق اسمّيى الفويسقة، فكيف اصير مصدقة، وقد اباح سيد العرب والعجم، معدن اللطف والكرم، والمبعوث بمكارم الاخلاق والشيم، صلى الله عليه وسلم قتلى فى الحلّ والحرم، فلو طلبت مصاحبة من فوقى، لخرجت عن دايرة طوقى، وصيرت نفسى ضحكة للناظرين، وهزاة للساخرين، خصوصا ملك الاسود، وسلطان الوحوش من النمور والفهود، ورحم الله امرءا عرف قدره، ولم يتعدّ طوره، ومن اعجب العجب، ان يجنى من الشوك العنب، ولو فعلت ذلك، لكنت كقرد حالك، ذميم حالك، ادعى رياسة الممالك، ومن احسن الامثال، ما يقال ان السلطان للانام، بمنزلة الحمام، البعيد عنه يطلب قربه، والداخل فيه يشكو كربه، فالاليق بحالى، ان لا اشغل بالى الخالى، بما لا يليق بى ولا بامثالى، وحيث اشرت علىّ باداء النصيحة، وبيان الحالة الفاسدة من الصحيحة، طلبا لمرضاة الملك، وصونا لخاطره عن الامر المشتبه المشتبك، والفكر المريب المرتبك، فانا امتثل مرسومك، واودع ذلك معلومك، بشرط ان لا تذكرنى بشفة، ولا تشير الى اسمى بنكرة ولا معرفة، فعاهدها على ما اشترطت، فمدت لسان القول وبسطت، ثم ذكرت ما جرى بين الدب والجمل من فصول، وقررت براءة ساحة الجمل بالمعقول والمنقول، فلما اتضح لابى الحصين السرجان، نزاهة عرض الجمل، وان الدب هو الذى اغراه على قصد الاسد وحمل، وتحقق ذلك بالبرهان القاطع، والدليل الساطع، توجه الى حضرة الاسد، واخبره بما صلح من الامر وما فسد، وانه انما تأخر عن خدمة مخدومه، ليصل الى ما فى جيب الغيب من مكتومه، فلما تحقق الليث، ما فى هذا الامر من صلاح وعبث، ومن هو الصالح من الدب والجمل والناصح، ارسل الى الغراب، وعرض عليه هذا الامر العجاب، وطلب منه الارشاد، الى هدم ما بناه الدب من الايقاع وشاد، فقال الراى عندى ان تجمع العساكر، وتنادى للبادى والحاضر، ويحضر الدب والجمل، ويعرض على الجميع هذا العمل، فاذا ظهر الحق، وانكشف سجاف الباطل عن جبين الصدق، وتبين الظالم من المظلوم، وتعين الصحيح من المثلوم، يرى رايك السعيد ما يقتضيه، ويسلك ما يأمر به ويرتضيه، ويجرى على كل منهما ما يحكم بتنفيذه ويمضيه، بحيث لا ينتطح فى ذلك عنزان، ولا يختلف عليك فيه اثنان، فلما كان ثانى يوم، امر الاسد بجمع القوم، واحضار الجمل البرى، والدب المفترى، فحضر الكبير والصغير، واجتمع الامير والوزير، ثم علا الملك على السرير، واثنى على الله العلى الكبير، وصلى على البشير النذير، الشاهد السراج المنير، ثم ذكر ما اهمّه، من هذه القضية المغمة، وذكر فضل هذه الامة، وما لها من رقة وجلالة، وانها لا تجتمع على الضلالة، ثم قال ما تقولون فى رفيقين، شفيقين صديقين، لم يكن بينهما سبب مكالحة، ولا موجب منازعة ولا مجالحة، سوى المحبة المليحة والممالحة، والمودة الصافية الصالحة، يبيتان فى فراش، ويستعينان على حسن المعاش، حسد احدهما رفيقه، وخان من غير سبب صديقه، وسعى فى اراقة دمه، وعدم وجوده بوجود عدمه، فما ذا يجب على هذا الحاسد، المنافق فى عمله الفاسد، الطالب ترويج باطله الكاسد، وقصده ذلك البرى، الصالح الغافل السرى، والسعى به الى الحكام، والقايهم بسببه فى الاثام، وارتكاب هذه الجرايم، وتحمل مثل هذه العظايم، فاجاب الجمهور، ان من اكبر الكباير قول الزور، وقد قال رب الكاينات، ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات، لعنوا فى الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم، وان مرتكبه الاثيم،

استوجب العذاب الاليم، ومن هو هذا الجرى، الكذاب المفترى، الذى يرتكب مثل هذه الامور الهايلة، والكباير الوخيمة القاتلة، والعظايم المودية الغـايلة، خصوصا فى مثل هذه الدولة العادلة، ولاى شى يوخر جزاوه، ولا يحسم داوه، ولا يضرب ولا يشهر، ولا يومر بالمعروف فى هذا المنكـر، قال الاسـد فاكتبوا بما قلتم محاضر، وليعلم الغايب الحاضر، حتى اذا وقع الاتفاق، بين الاصحاب والرفاق، وارتفع فى ذلك النزاع والشقاق، واجمع على ذلك العقل والسمع، فعلنا فيه ما يقتضى السيـاسة والشرع، فاتبعوا شروطهم، وكتبوا بذلك خطوطهم، فعند ذلك طلب الاسد ام راشد، واقامها فى ذلـك المحفل الحاشد، واستنطقها بما تعلم، واستشهدها على الدب بما اجرم، فشهـدت فى وجهه بمـا سمعت، ورقمت بذلك خطها ووضعت، وزكاها الحاضرون، وشهد بعفتها وزهدها الناظرون، واتفقت الكلمة من الكلمة على صدقها، وحقيقة نطقها، فتهلل وجه الجمل، بهذا القول والعمل، وظهرت على صفحات الدب، العديم الدين واللب، علامة الانكسار، والفضيحة والخسار، ولم يسعه الا انه اذعن، واعترف ان لا دافع له فى الشاهد ولا مطعن، وانه قد اجترم، وطلب العفو والكرم، فعند ذلـك غضب الريبال، ولم يبق للعفو مجال، فزأر زفر، وعَدَّمر الغضنفر، وهمر وزمجر، وتطـاير من اشداقه الزبد ومن عينيه الشـرر، ومن شمايل حركاته ممضيات القضاء والقدر، ونعوذ بالله من غضب الملوك، خصوصا على الفقير الصعلوك، ومن احاطت به اوزاره، وقلت اعوانه وقلّت انصاره، ثم امر الاسـد بالـدب، ان يلقى من البلاء فى جُبّ، وان السباع تحتوشه، والضبـاع تنتوشه، ففى الحـال، من غير اعمـال، ولا توان ولا امهال، نهشته الذياب، وقرشته الكلاب، وتخاطفته النمور، وتنـاتفته الببور، والتقمته السبـاع، والتهمته الضباع، فقطعوه وبضعوه، ووزعوه ومزعوه، وخرقوه وحزقوه، وخرقوه، ومزقوه، ولم يكتفوا بعظمه واهابه، حتى لحسوا من دمه يابس ترابه، وكان قد اشتد بهم القرم، فاطفوا بلحمه ودمه بعض الضرم، وزال عن ابى ايوب الضر، وارتفعت منزلـة ذلك الحر، وضاعف الله تعـالى على براة ساحته انواع الحمد والشكر، وفايدة هذا المثل، الجارى بين الدب والجمل، معرفة فضيلة الامانة، ووخامة المكر والخيانة، فان الله تعالى غير مضيع اهله، ولا يحيق المكر السى الا باهله، كما قيل

لابناء هذا الدهر فى الغدر اسهمٌ ... وضرب خياناتٍ وطعن مكيـدة
وما للفتى منهـا طريـق سـلامة ... سوى ترس تفويض لـرب البرية
وكـل امـرى رهنٌ بنيته وفى ... كفالة ما ينوى وما فى العقيـدة

وهذا اخر باب الاسد الصالح، والجمل الامين الناصح، والعاقبة للمتقين، والله الموفق والمعين، والحمد لله رب العـالمـين، وصـلى الله علـى سيـدنا محمـد خـير الخـلايق اجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا قوة الا بـالله الـعلـى العـظـيـم

الباب التاسع

فى ذكر ملك الطير العقاب والحجلتين الناجيتين من العقاب

قال الشيخ ابو المحاسن، من هو لثوب الفضل كاس، ولكاس الظرف حاس، وفى حدايق الادب ازكى آس، ولاحداق الادباء الذكى اس، وفى عيون الاعداء انكى اس، فلما انهى الحكيم حسيب، كلامه الذى استعبد درّ النسيب، وذكر من النصايح والحِكم، عن ملوك العرب والترك والعجم، ومن مباحث الجن والانس، ما حصل للسامعين به النشاط والانس، ثم استطرد الى فوايد البهايم والوحوش، ورقم فى دار ضرب البلاغة من حسن الصياغة والرقوش، ما قعد له من زواهر كلامه على سكة دينار الفصاحة احسن النقوش، وعقد بجواهر نظامه لمفرق العدل فى دار الملك اكليل العروش، افتخر اخوه الفيل بوجوده، وقدمه على جميع خواصه وجنوده، وافاض على حدايق آماله زلال احسانه وجوده، وقال له يا نديم الدير، وعديم النظير، وقديم الميز، ومديم الخير، قد افدت حكم ساير الحيوان فكرر علينا من حكم منطق الطير، فابتهج الحكيم فى الساعة، وانتهض ملبيا بالسمع والطاعة، ثم انه قال، ادام الله ذو الجلال، ايام مولانا الامام، وشمل بجميل رافته الخاص والعام، بلغنى انه كان، فى ممالك آذربيجان، جبل يسامى السماك فى السمو، ويعالى الافلاك فى العلو، غزير المياه والاشجار، كثير النبات والثمار، وفى ذيله شجرة قديمة، منابتها كريمة، اغصانها مهدلة، وثمارها مسبّلة، شعر

وفى اصلها وكر لزوج من الحَجَلْ　　كأنّ ربا رضوان البسه الحُلَلْ

هو وطنهما المالوف، ومقرهما المعروف، ورثاه من اسلافهما، وهو فى الشتاء والصيف مرجع ايلافهما، يدعى الذكر منهما النجدى، والانثى غرغرة بنت السعدى، ولذلك الجبل جبلٌ مقارن، من جهة الشرق يسمى القارن، لو قصد البدر دوره، او رفع راسه لينظر سوره، او يحلّ فيه شعاعه ونوره، لوقع عن قمّة راسه طرطوره، فى قلته سرير عقاب، منيع الجناب، هو ملك الطيور والجوارح، وسلطان السوانح والبوارح، وصافات تلك القلال، وكواسر هاتيك الجبال، كلها تحت امره العال، متوج فرق اتابته باكليل ما يبرزه من مثال، فكانت الحجلتان، كلما فرختا وقاربت افراخهما الطيران، عزم ابو الهيثم الكاسر، بما معه من عقابيين كواسر، وجوارح الطيور، ومن تحت امره من الجمهور، على التنزه والاصطياد، فتحيط عساكره بتلك النواحى والبلاد، فكانوا كلما وطئوا ربوة مهودها، وسلكوا ما بين اكنافها وبطونها ونهودها، وتصل ضراشة العساكر الى الجبل، الذى فيه وكر الحجل، فتذهب افراخهما تحت السنابك، وتضمحل تحت اقدام اولئك، فتقع الحجلتان، فى النكد والاحزان، وبالجهد والمشقة البالغة، يخلصان هما من تلك الداهية الدامغة، والنايبة الدامغة،

فلم يزالا فى نكد، على فقد الولد، فتذكرنا فى بعض الايام، وقد اثر فيهما هذا الايلام، فيما هم فيه من النكد، لفقد الولد، المتجدد على طول الامد، فقال المنجدى، لبنت السعدى، قد كبرنا، وضاع العمر وحرنا، وقارب شمس عمرنا الافول، واقدام بقائنا ان تزلّ وتزول، شعر

وليس لنــا من يذكر الله بعدنا اذا ما انتشبنا فى مخاليب فقدنا

ولا من يحيى نشر اثرنا، اذا طوى الموت بساط اعمارنا، وقد قضينا العمر فى الانكاد، بفراق الاولاد، ثم بعد الحيوة ينمحى اسمنا، ويندرس بالكلية رسمنا، فلا حيوتنا هنية، ولا اخرى رضية، واى هنّا مع فراق قرة العين، خصوصا على وجه المذلة والشين، وما لنا نظير، فى هـذا الـدهر المبير، الا من جمع المال من حله وغير حله، وتركه بعد الكـد البليغ والحرص الى غير اهله، فنصير كما قيل شعر

تؤدّيه مذموما الى غير حامد فياكله عفوًا وانـت دفيـن

ولا طاقة لنا فى دفع جيش العقاب، ولا حيلة الى الخلاص من عقاب هذا العقـاب، فذهب اكثر العمر فى هذا الويل، واشبهنا النايم على طريق السـيـل، وان غفلنـا عن انفسنـا ربمـا اجتاحونا، وطرحونا الى مهلكة تدير علينا من العـدم طاحونا، فالراى عندى ان نتـرك هـذا الوطن، ونرحل الى مكان لا نرى فيه هذه المحن، فانه لم يبق لنا طـاقة على فراق الولـد، ولا قلب يحتمل هذا الحزن والنكد، شعر

ذاب قلبى بين دمع وضرم فارحمونى انا من لحم ودم

وذاك لان المرء يحيى بلا يد، ورجل ولا نلقاه يحيى بلا كبد، قالت لقد اعربت همسا فى فكرى، وشرحـت ما كـان يجول فى صدرى، وهـذه محنة قد اعيانى فى دايها الدواء، وبلاء عمنا فكلنا فيه سواء، شعر

المرء يحيى بلا ساق ولا عضد ولا يعيـش بلا قلب ولا كبد

بى مثل ما بك يا حمامة فاندبى وقد قلت شعر

ولم يعرف حرارة ما اعانـى سوى قلب كواه ما كوانى

وانا لم اخل قط فى وقت، من هذا الفكر الذى اوجبه الهم والمقت، واعلم ان سهام اراء العقلاء، ونبال افكار ذوى النظر من الحكماء، انما تصدر من قوس واحدة، وتتوجه الى غرض طريقة غير متعددة، وقال العقلاء، واولوا التجارب من الحكماء، بل اطبق ارباب العـقول، وايمـة الـديـن واصحاب الاصول، ان قضايا العقل كلها صادقة، والسنتها فيما تحكمه بالصواب والاصابة ناطقة، غيـر ان كثيرا ما تشتبه القضايا العقلية، لسوّ التصور بالقضايا الوهمية، فيقع الخطاء بواسطـة الوهـم فى الفهم، وينسب الى العقل ذلك السهم، والا فاتفاق العقلاء جمعا، ان القضايا العقلية لا يقع فيـهـا الخطاء قطعا، وان قضايا الحس، لوقوع الاشتباه واللبس، يتصور انها حق، ويقضى لها وعليها بالصدق، واذا وقع الخطاء لحصول الاشتباه، وعدم التامل والانتباه، فى القضايا الحسية، والقضايا التى هى بحاسّة البصر مرئية، كما وقع ذلك فى حادثة الطريقة البغدادية، فوقوع الخطاء بالوهم اولى فى القـضـايا العقلية، لان طرقها اخفى، واحكامهـا معنوية، فسال الذكر، عن تلك البغدادية وما هذا الخبر،

قلت كان فى مدينة السلام بغدان، امراة من المتخذات اخدان، اسم زوجها زيد، وهى ام عمرو وذات كيد، لها عدة اخدان، تدعو الكل بالاخوان، وكل ينشد فى السر والاعلان، قوله

دعتنى اخاها ام عمرو ولم اكن اخاها ولم ارتضع لها بلبان

فاتفق ان زوجها زيد، دعاه امير البلد الى الصيد، فركب معه وسار، وخلت منه الديار، فتسامع بذلك بعض اخدانها، فتوجه منهم طايفة الى مكانها، فاول من سبق، تاجر ذو شبق، فدخل بثياب بيض، وشاش رحيض، وهيئة نظيفة، وصورة ظريفة، فسرع فى الدخول، ومعه ما يليق من الماكول، فتلقته بالترحاب، واخذا فى لذيذ الخطاب، فما استقر به القرار، حتى قرع باب الدار، فظنته زوجها، وحققته بوجهها، فنهض خايفا، وتحير راجفا، وطلب مكانا يخفيه، وكنا ياوى فيه، فلم يكن فى دارها مخباة لزوارها سوى طقيسى لطيفة، يصعد اليها من سقيفة، فارشدته اليها، فرقى عليها، وبادرت الى الانجاف، فاذا هو حريف صراف، ففتحت الاغلاق، وتعانقا تعانق المشتاق، فدخل بهيئة زهرا، بلباس اخضر وعمامة خضرا، ومعه من الحلوى مجمع، ومن الزجاج اربع، فجلسا يتذاكران الحوادث، اذ طرق الباب ثالث، فقالت هبط اوجى، وجاء زوجى، فوثب فى رجفة، كانه ورقة سعفة، فسال عن مخباة، وستر بغشاء، فارشدته ربة الكريسى، الى طريق الطقيسى، فصعد اللاحق، ولحق السابق، وبادرت الرتاج، ربة التاج، وام الازواج، فاذا هو احد الظرفاء، وتالث الحرفاء، رجل زيات، ومعه مجمع سكر نبات، فتلقته بالتكريم، واجابته بالتسليم، فدخل بثوب اصفر، وشاش معصفر، فشرعا فى الملاعبة، والملاطفة والمداعبة، فدق الباب، رابع الاصحاب، فبادر الزيات الفرار، وطلب مختفيا للقرار، فدلته فى المقر، الى المعهود المقر، فصعد اليه، ولحق بصاحبيه، وتوجهت الى الباب، فاذا هو احد الاحباب، وهو رجل قصاب، وعليه ثياب سود، وخفه المعهود، وعلى راسه ميزر ثمين، وبيده خروف سمين، فقالت اهلا وسهلا، وارفع محلا، بالحبيب النجيب، والبعيد القريب، فدخلا واشتغلا بالخطاب، والتهيا عن رتاج الباب، وكان فى تلك المحلة، شخص احدب ابله، يدخل البيوت ويتمسخر، فلا يمنع من ذلك ولا يزجر، ويلاطفه الاكابر والاعيان، ولا يحتجب منه النسوان، فمر على باب زيد، فراه لا اغلاق ولا قيد، فدخل على غفلة، ولم يستاذن اهله، فلم يشعرا به، الا بعد حلول ركابه، فوجم لروية القصاب، وخاف من حلول مصاب، وتشور واحرف، فقالت له المراة لا تخف، انما هو ابله، مسخرة فى المحلة فاخذوا يتلاطفون، ويتمازحون ويتظارفون، الى ان قرب الليل، وفات النيل، فطرق الباب، ووصل الزوج بلا ارتياب، فلم يشعروا الا والبلاء قد اقبل، ومصابهم الاعظم فى اكنافهم قد نزل، فاختبطوا والتبطوا، وانحلت قوامهم وارتبطوا، وطلب القصاب مخبا، فارته للطقيسى دربا، وطلب الاحدب، من شر زيد المهرب، فكان فى ارض البيت تنور، فنزل فيه وهو مضرور، وغطته بغطايه، وسترته ببعض وطايه، واراب زيد الفتح فى ابطايه، ثم توجهت الى الباب، وهى فى اضطراب، فدخل زيد وهو سكران، ومن تاخير فتح الباب غضبان، وكان قد تناول مع مخدومه، ولعبت بشبح عقله بنت كرومه، فلما نزل عن السرج، راى الزوجة فى هرج ومرج، فانكر حالها، وسالها ما لها، فقالت كرهت فقدك، وخاطرى عندك، فلا ذقت بعدك، ولا عشت بعدك، فقال تكذبين، اى دقار،

بل تسخرين بى اى سخار، انما انت فى حركة، فلا طرح الله فيك بركة، فقالت انت مجنون، واى حركة عندى تكون، فشرع فى حربها، واستطرد من سبها الى ضربها، وعزم على تفتيش البيت، والاطلاع على ما فيه من كيت وذيت، فاختشت ان يخرج امرها عن دايرة الستر الى لو كان وليت، فتداركت التفريط قبل وقوعه، وبادرت الى تلافى التلاف بالهيت، فتشكت من الاذا، وقد تناولها بالضرب والبذا، ورفعت يدها الى الدعاء بالندا، وقالت الهى وسيدى، وسندى ومعتمدى، ان كنت تعلم انى مظلومة، وبراة ساحتى عندك معلومة، فانزل الى امتاك ملكا من ملايكة رحمتك يخلصها من هذا الظلوم، ويكشف ستر هذا السرّ الموهوم، فبادر التاجر بالانتهاض، ونزل بثيابه البياض، ودخل عليه، وقبض على اذنيه، وصفق على خديه، وقال اتركها يا نذل، فانك معتمد اثم، وهى برية، وشمايلها زكية، وضربه ضربتين، ولكمه لكمتين، ثم ام الباب، وترك الاصحاب، وسرع فى الذهاب، فلما راى هذا زيد، عرف انه خديعة وكيد، وقال يا افحش الفواحش، وانهش القفارش، تريدين خدعى وسحرى، وخذلى وخترى، وتبغين بما تبغين ختلى ومكرى، اولست بعريف، انه لك حريف، ثم زاد فى سبها، وعاد الى كبها وضربها، فقالت يا الهى، وسيدى وجاهى، ان كنت تعلم، ان هذا الاظلم، انكر الحق، وراه وما صدق، فانزل عليه ملكا اخر، ذا جناح اخضر، ياخذ بحقى منه، ويكشف سترك عنه، فقالوا الحرفاء، وكانوا ظرفاء، للصيرفى، ثم غير مختفى، وشدد عليه، واوصل الالم اليه، فنهض ذلك المعلّم، وبادر الى السلّم، ونزل اليه، ودخل عليه، وقال اكفف يا ذا العسار، عن عفيفة الاستار، فانها برية، وعمّا تظنه عرية، ومد يده لكمه، وبالغ فى سبه وشتمه، ثم خرج من الدار، وبالغ فى الفرار، فقال يا للدربة، الناس من ذى القحبة، بواحد وانت باثنين، وقد جعلت زوجك ذا القرنين، ثم اخذ العصا، وضربها ضرب من عصى، فقالت يا اله العالمين، تعلم ان هذا من الظالمين، امدّنى بالملك الاصفر، صاحب الدرع والمغفر، والثوب المعصفر، يبرى ساحتى، ويهدى راحتى، فانى مظلومة، وقصتى معلومة، فقال الجزار للزيات قم ارنا الكرامات، وقدم صنعتك وهات، فنهض الزيات، ونزل الى ذلك المفتات، وقال ايها اللئيم، كف عن الحريم، وارجع عن لوم البرى، واقصر ايها المجترى المفترى، ثم تناوله بعصاه، الى ان الم قفاه، ثم تركه فى الحركة، وخرج هاربا، وقصد جانبا، فقال زيد اوسخ القحاب، واسنج ذوات السباب، تعدين حرفاءك واحدا واحدا، وتعرضينهم على صادرا وواردا، ثم نهض بالعصا، وتناولها مغليا ومرخصا، فمادت وآدت، وبادت ونادت، الهى هذا لم يعتبر بملايكتك الكرام، ولم ينزجر بهذا الضرب والايلام، فامدّنى بملك النيران، الزبنى الاسود الغضبان، يخبره بصدقى، وياخذ منه حقى، ويفعل معه ما يجب، فان راجيك لم يخب، فما عتم القصاب، ان زمجر كرعد السحاب، واخذ فى الاضطراب والاصطخاب، واسرع فى السلم الانصباب، فلما سمع زيد العياط والخباط، وزماجر الهياط والمياط، بهت واخذه الضراط، فدخل عليه فى بغثرة وغذمرة، وتزيّا بصورة بشيعة منكرة، وخطف من يده العصا، وضربه بها حتى شصا، وقال اى اخس نميم، واتعس زنيم، اما زجرك ونهاك، وكفك وكفاك، من تقدم من الاملاك، ام والله لئن لم تتركها، وفى مالك ومنالك تشركها، لندمرنّ ديارك، ولنمحونّ اثارك، ثم تركه ولهب، واودعه جمر اللهب، فلما راى الحال، نسجت على هذا المنوال،

استكان ، وطلب الامان ، وغمض عينيه ، وضم يديه ورجليه ، وجعل يتناوه من الم الضراب ، وقال كان الدعاء فى هذه الساعة مستجاب ، ثم قال من شدة كربه ، وحرقة قلبه ، الهى ومولاى ، كما استجبت دعوها استجب دعاى ، وكما انزل من السماء لنصرها الوكها ، اخرج لها من الارض عفرتنا ينيكها ، وليكن ذلك بمراى من عينى وامامى ، حتى يسكن قلبى ويبرد اوامى ، فما صدق صاحب التنور ، حين سمع الدعاء المذكور ، والنداء المقبول المشكور ، حتى طفر من مجثمه كالشواظ المسجور ، واقام امام لهوه المصاب ، واستعمل من قواعد النحو الرفع والجر والانتصاب ، ورفع العمودين واولج الحراب ، ولا زال ذلك الامام ، يتردد فى البيت الحرام ، وقد نال فى الحرم امنا ، حتى رمى الجمرات وامنى ، ثم قبّل فاها ، وخرج مسرعا من ذراعها ، وخلى الدار تنعى من بناعها ، ففتح زيد عينيه ، وحملق حواليه ، ثم قال يا اقذر القحاب ، هكذا يكون الدعاء المستجاب ، وانما اوردت هذا الكلام ، والتمثيل لك يا امام ، ليتبين كل عالم همام ، وليتبصر اولوا العقل والافهام ، الفرق ما بين قضايا الحس والعقل والاوهام ، وقد شبه العقل بجبل عال ، عزيز المنال ، وكل من قصد الصعود اليه ، والارتقاء عليه ، لا يصعده الا من طريق واحدة ، منها يوصل منه الى الفايدة ، وسلوك طريق المعاشرة مع العقلاء ، وذوى الآراء والاذكياء ، فى العداوة والصداقة ، والكدورة والرياقة ، واللطافة والكثافة ، والخوف والرجاء ، والابتداء والانتهاء ، انما هو من باب واحد ، لا من طريق متعدد ، ولاجل هذا يا متبصر ، سلوك مثل هذه الطريق معهم متيسّر ، لا متعوّج ولا متعسّر ، وراس خيط هذا الشموط ، بالاستقامة والصلاح مضبوط ، بخلاف الجهال والخلعاء ، والحمقى والسفهاء ، فان امورهم منفرطة ، وافكارهم وآراءهم غير منضبطة ، فتتكدر خواطر العقلاء فى تعليمهم ، ويعيى طبيب الفكر فى تهذيب احمقهم وتاديب سقيمهم ، وقيل شعر

انـى لآمن من عـدوٍّ عاقلٍ   واخاف خلًّا يعتريه جنونُ
والعقل فنٌّ واحـد وطريقه   ادرى وارصد والجنون فنون

ولهذا قيل معاداة العاقل ، خير من مصافاة الجاهل ، ثم قالت غرغرة ، فى اثناء هذه القرقرة ، واما ما ذكرت من البيان ، من مفارقة الاوطان ، وترك هذا المكان ، اما سمعت حديث اشرف جنس الانسان ، ان حب الوطن من الايمان ، وقد الفنا وطننا وحبّه ، وقلع اصول محبته من قلوبنا صعبة ، وهو فى معزل عن طرق الجوارح ، ومكمن عن السوانح والبوارح ، وانما تعرض لاولادنا تلك الافة ، من تراكم العساكر المضافة ، وما يحصل من اقدامها من كثافة ، وانا اخاف ان انتقلنا من هذا الوطن ، يخرج من ايدينا هذا السكن ، ولا نحصل على ماوى يليق ، اولا توافقنا الغربة او يمنع مانع فى الطريق ، فنقصد الربح فيذهب راس المال ، فنخسر ما فى ايدينا فى الحال ، ولا يحصل المامول فى الاستقبال ، وكيف وهو مسقط راسنا ، ومحل انسنا وايناسنا ، فالاولى بنا الرضى ، والانقياد لاوامر القضا ، وملازمة الوطن القديم ، والسكون تحت تقدير العزيز العليم ، وقد قيل انما يشفى العليل اذا ترك مشتهيات نفسه ، وقيد متمنياته فى قيد حبسه ، ولا بد للمريد من ترك المراد ، وللقانع من قطع النظر عن الازدياد ، والحرية فى رفض الشهوات ، وكل ما هو ات ات ، واما وقايع الاولاد ، وحصول الانكاد ، وما يقع منها بسببهم فى كل اوان ، فنحتسبها احدى ما يحدث لنا من نوايب الزمان ، ونحن بسل كل

المخلوقات، عرضة للنوائب والآفات، وطعمة لسنابك المقدور، ونهبة لحوادث الدهور، ولو انتقلنا عن وطننا، وتحولنا عن سكننا، وبعدنا عن الحبايب، ونزحنا عن الاهل والاقارب، وجاورنا الاباعد والاجانب، لا يطيب لنا مقام، وتكدر اوقاتنا على مرّ الايام، فلا نزال بين تذكر الوطن المألوف، وتحنن الى الصاحب المعروف، فيسهل عند هذه الانكال، مفارقة الاطفال، ثم اعلم، ايها الصاحب الاعظم، انه لو تيسر لنا الانتقال، انتظام الامور والاستقامة الاحوال، وحصلت الاولاد، وزالت الانكاد، وصفا الوقت، وزال المقت، فان الخاطر يشتغل، ونار القلب بسببهم تشتعل، فانه من حين وجود الولد، يتقيد بتعهده القلب والجسد، وتصرف الهمة الى القيام بمصالح معاشه، الى حين ترعرعه وارتياشه، ويزداد القلب تعلقا بمحبته، ويتقيد الخاطر بالالتفات الى عمل مصلحته، ويتضاعف ذلك يوما فيوما، وشهرا فشهرا وعاما فعاما، فان نابه والعياذ بالله نوع الم، او اصابه ضرّ او سقم، التهبت عليه الجوارح، وانقلبت الهموم على القلب والجوانح، فان ادّى ذلك الى موت، واستحال وجوده الى عدم وفوت، فهو المصيبة العظمى، والطامة الكبرى، وان سلم من هذه العاهات، وبلغ سن الادراك سالمًا من الآفات، ونجا الى بر الشباب من بحر المخافات، ازدادت كلفته، وتضاعفت مؤنته، وركب والداه في ذلك كل صعب وذلول، وذهبا من مسالك الكدّ والكدح في كل عرض وطول، وتحملا انواع المشاق والاثام، وارتكبا فيما اكتسبا اصنافا من الحلال والحرام، وهذا اذا كان مطيعا، ولاوامرهما منقادا سميعا، واما اذا ركب جموح العقوق، ونسي ما لهما عليه من حقوق، فهي مصيبة اخرى، وداعية نكرى، ويصير كما قيل شعر

ومن نكد الدنيا على الحرّ ان يرى   عدوًّا له ما من صداقته بُدُّ

وعلى كل تقدير، وانت بهذا خبير، وبدقيقه عليم، ان الاولاد بين الابوين وبين الاخرة سدّ عظيم، لا يخلص مع الالتفات اليهم لله طاعة، ولا على الانقطاع منهم الى طريق الاخرة استطاعة، وناهيك يا ذا الذكاء والفطنة، اخبار من انقذك من هذه المحنة، انما اموالكم واولادكم فتنة، فاسمع هذا الكلام باذن التحقيق، واسلك في سير معانيه اوضح طريق، وحقق يا ذا الارشاد، ان وجود الاولاد، عند ذوي البصيرة من النقاد، نقد مزيّف، ومتاع مزخرف، وسم تحت حلوى، وسرور فوق بلوى، وعارية مردودة، بعد اوقات معدودة، وايام محدودة، بل لعبة من خشب، مموّهة بالذهب، وطلا من نضار، على كوب من فخار، وقد نبه على هذا رب العباد بقوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثرٌ في الاموال والاولاد وكما ان الاطفال الصغار، الغافلين عن دقايق الاسرار، اذا نظروا الى اللعبة المزينة، والخشبيات المصبغة المستحسنة، التهوا بها عن اكتساب الآداب، وملازمة العلماء والمشايخ والكتاب، فيبلغون وهم جاهلون، وعن طرق اكتساب الكمال ذاهلون، ويشيبون وهم احداث، ويتصورون انهم شاعرون وهم اخباث، كذلك كل من التفت الى غير الله خاطره، والتهى بامور الدنيا من المال والولد سرايره وضمايره، وحرم عن الاطلاع على دقايق الملك والملكوت، وفاته لذات الوقوف على دقايق الرغبوت والرهبوت، فهو عن الله تعالى محجوب وفي عساكر الاموات وان كان حيا محسوب، كما قيل شعر

وفي الجهل قبل الموت موتٌ لاهله   واجسادهم دون القبور قبورُ

وان امرأ لم يحيى بالعلم قلبه   فليس له حتى النشور نشورُ

قال الله تعالى وكلمته العليا، المال والبنون زينة الحيوة الدنيا، وهذا صريح بالشهادة على ما نقلته، وجلوتُ صدا قلبك بتقريره وصقلته، فلا تكونن كالالاء، ولا تعلقن قلبك بغير الله، قولا واعتقادا وعملا، فالباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا، واجهد يا حبيب فى اصلاح قلبك الكليم، واصغ لما قاله الحكيم الحليم، متحرزا من نكاية العذاب الاليم، عاملا بما يرضى السميع العليم، ليوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم، واذا علمت هذا وحققته، وحررته وصدقته، فاعلم ان الاولى بحالنا، والاحسن للنظر فى مآلنا، ان نعد ما نحن فيه من جملة النعم، وان هذا الذى قسم لنا من القسم فى القدم، ولا ننقل عن دايرة الرضى والتسليم قدما عن قدم، ونظر ما يتولد من حوادث الزمان، ولا نرخى فى ميدان الطمع العنان، ونعرض على جامع الخاطر ما قال الشاعر، شعر

كم نار علاية شبّت لغير قرى   على بقاع وكم نور بلا ثمر
هوّن عليك اموراً انت تنكرها   فالدهر يات بانواع من الغير

قال النجدى جميع هذا القول، صادر من موارد المعقول، موافق لما ورد به المنقول، لقد غصت فى بحر الفطنة، على جواهر الحكمة، فما تركت فى ميدان المسايل، مقالا لقايل ولا مجالا لجايل، ولكن لا ينبغى للعاقل، ان يغفل عن حوادث الدهر، ولا يسند ظهره لكوارث العصر، فان طوارق الآفات، وخوارق العادات، ومحن الزمان، وفتن الدوران، محتجبة وراء استار، ومنظورة فى انواع اطوار، والفلك الدوار له فى علم الادوار، لعبيات ابكار، يبرزها للنظار فتلعب بالافكار، ويذهب فى سنا برق مخارقها ابصار الابصار، ويخطى فى حركاتها الراى المصيب، ويدهش فى دجى حندسها الفطن الاريب، وقد بادت الفكر، وعجزت القوى والقدر، وحارت عقول البشر، دون ادراك ما يبرزه كل وقت من الصور، من وراء ستر الغيب مستعبد القضاء والقدر، ولم يعهد من الدهر الخوون، والزمان المجنون، اذا استقام او قتل، او جد او هزل، او امر بنازل فنزل، او ولّى او عزل، او اقبل او اعتزل، او نقص او غزل، ان يرسل قبل ذلك منذرا، او مبشرا او محذرا، ليستيقظ النايم، او ينهض الجاثم، او يتحرك القايم، وانما يحطم بغتة، ويهجم فى سكتة، و يأخذ على بهتة، فلا يفلت منه فلتة، ولا يُمهل الى لحظة ولا لفتة، وقد قيل شعر

يا راقد الليل مسرورا باوله   ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
لا تركننّ لليل طاب اوله   فرب اخر ليل اوجب النارا

وعلى هذا لو وقع منا غفلة او ذهول، عند قدوم هذا الجيش المهول، فاخترم والعياذ بالله واحدا منا، ونحن احسن ما نكون سكونا وامنا، فكيف ترين يبقى حال الاخر، وهل يصير الا كما قال الشاعر، شعر

ما حال من كان له واحدٌ   يوخذ منه ذلك الواحدُ

واذا بقى احدنا منفردا، وانعزل متوحدا، ما ذا يفيده الوطن، والخيرات والسكن، وهل يفى لذة وصال الفسى سنة، بالم فراق تلك الساعة الخشنة، كما قيل شعر

ان كان فراقنا على التحقيق هذه كبدى احق بالتمزيق
لو دام لنا الوصال الفى سنة ما كان يفى بساعة التفريق

وايضا لا كان فى الدهر يوماً لا اراك به ولا بدت فيه لا شمسٌ ولا قمرُ

وكل من لم يفتكر فى العواقب قبل حلولها، ويتامل فى تداركها بقدر الطاقة قبل نزولها، ويطمئن الى سكون الزمان، ويسند ظهره الى مسند الحدثان، ويحيل انكسواين على القضاء والقدر، ويرفع يد التدبير من تعاطى اسباب الحذر، كان كمن ترك احدى زاملتيه فارغة، وحشا الاخرى من الاحجار الثقيلة الدامغة، فانى يستقيم محمله، او يبلغ منزله، فلا يزال حمله مايلا، وخطبه هايلا، فالعاقل يسعى فيما يظنه نفعه، ويبذل فى ذلك غاية جهده ووسعه، ولا يترك الطلب، ولا يغفل عن السبب، ويعمل بموجب ما قيل شعر

فلا وابيك لا ادع احتياطى وما لى فى قضاء الله حيلة

وعلى كل حال، يا ربة الجمال، تعاطى الاسباب لا يقدح فى الاتكال، وناهيك يا مليحة العمل، حكاية الحمار مع الجمل، فسالت غرغرة، ان يبين ذلك ويذكره، قال بلغنى انه ترافق فى المسير، ميم مع بعير، فكان الحمار، كثير العثار، مع ان عينيه، تراقب مواطى رجليه، وكان الجمل على عظم هامته، وعلوّ قامته، وبُعد عينيه، عن مواطى يديه ورجليه، لا تزلّ له قدم، ولا يحصل له امم، فقال الحمار للبعير، ايها الرفيق الكبير، ما بالى فى المسير، كثير التعثير، دايم الوقوع والزلل، والعثار والخلل، لا اخلو من حجر، يدمى منى الحافر، او عثرة ترمينى فى حفرة حافر، مع ان عينيّ، تراقب يديّ، ولا تنظر سواهما الى شى، وانت لا تنظر مواطى اخفافك، ولا تعرف على ما ذا تقع روس اطرافك، لا حجر يصيب خفك، ولا شوكة تخرق كفك، ولا جورة تقع فيها، ولا تختل عن طريق تمشيها، ولا ادرى هذا، مما ذا، قال ابو صابر، يا اخى نظرك قاصر، وفكرك غير باصر، لا تراقب ما بين يديك، ولا تنظر ما امامك الك ام عليك، فاذا دهمك ما دهاك، عجز عنه نهاك، فلا تشعر الا وقد وقعت، والخرق ما رقعت، فلا يمكنك التدارك والتلاف، الا وانت رهين التلاف، واما انا فاراقب، ما يصير من العواقب، وانظر امامى الطريق على بُعد، فاميز السلوك من قبل ومن بَعد، فلا اصل الى صعب الا وقد اذللته، ولا الى وعر الا وقد سهلته، ولا الى وهدة الا وقد رايت طريقها، ولا الى عقبة الا وقد كشفت واسعها وضيقها، فاستعد للامر قبل نزوله، واتاهب للخطب قبل حلوله، واحتال لقطعة قبل وصوله، واحلّه قبل ان يعقد، واقيمه دون ان يقعد، وهذه قاعدة للفقهاء، واصل كبير للحكماء من العلماء، انهم قالوا ان الدفع، اهون من الرفع، ومن كلام الانبّاء، واصول حذاق الاطبّاء، قوله شعر

الطب حفظ صحة برؤ مرض من سبب فى بدن اذا عرض

وانما اوردت هذا المثل، عن الحمار والجمل، لتعلمى يا ست الحجل، انه لا بد لنا من اخذ الاهبة، قبل النكبة، فما كل مرة، تسلم الجرة، وقد قرب وقت وضع البيض، وبعده يدهمنا من سيل العسكر الفيض، فلا بد من اعمال الفكر المصيب، فى وجه الخلاص من هذا الامر العصيب، كما قيل

مهّدْ لنفسك قبل النوم مضطجعا

قالت غرغرة، للحكيمة المدبرة، جميع هذه الاخبار، لا تخلو عن دقيق الانظار، وتحقيق مصيب الافكار، وغامض معانى الاسرار، وكل عاقل يقبله ويقبل يديه، ويمتثله ويُقبل عليه، وكل فكر مصيب يجثو للاقتباس بين يديه، ولكن طلّاب الاغراض الدُنيوية، والمسارعون الى نيل المرادات والامنية، هلمى فرق شتى، وانا افصلها حتما حتى، منهم من يبلغ الامال، بقوة الجند وبذل الاموال، ومنهم من يساعده الدهر، ويعاضده معاون العصر، وينهض به سعد التقدير، فيقوم معه كل كبير وصغير، كما قيل شعر

واذا اراد الله نصرة عبده كانت له اعداؤُه انصارا

فيقيّض له المساعد، ويعضده المقارب والمباعد، فلا يحتاج الى كبير سعى، ولا فى استماع النصيحة ونفعها الى وعى، بل يصل الى قصده بدون كده، وبغير جهده وجده، فمهما فعل انجح، ومهما قصد افلح، وحيث ما توجه اربح، واينما مال ارجح، ومنهم من يحتاج الى جهد جهيد، وسعى مديد، وكدّ طويل عريض، وجد عريض غير غريض، مع مساعد ناصح، ومعاون صالح، وتعاطى اسباب، وقرع ابواب، وفكر دقيق، وسعد رفيق، حتى يبلغ مراده، ويصل الى ما اراده، ومنهم من يغلب عليه العجلة والطمع، وشره الحرص والهلع، فيسارع الى نيل ما يرومه، فيلقيه فى هُوّة الحرمان حرصه وشومه، فيقع من التعب والنصب فى هوة، ويحرم لكونه اعتمد على ما له من حول وقوة، فيصير كما قيل شعر

بالحرص فوّتنى دهرى فوايده فكلما زدت حرصا زاد تفويتنا

ومنهم من يتمنى ثم يتكاسل، ويرجو ويترقب ويتساهل، فيحرم مقصده، ويرد صفرة عن مراده يده، وقد قيل فى المثل تزوج التوانى بالكسل فاولد الزوجان، الفقر والحرمان، فانظر يا ذا الركون، والوقار والسكون، نحن من اى هذه الفِرَق نكون، وانت تعلم انا لا نقدر على مقاومة العقاب، ولا ان ندفع عن انفسنا ما ينزل بنا من عقاب، فانه اذا طار العقاب، يبلغ الثريا والسحاب، ونحن اذا تحركنا فى الهوا، فلا نقدر ان نرتفع عن وجه الثرى، وقد قيل فى المثل كما ترى، اين الثريا من الثرى، وقيل من تعلق بخصم هو اقوى منه فقد سعى فى هلاك نفسه برجله ووضع تراب الدمار على راسه بيده وكنت يا بدرى، انشدتك من شعرى،

ومن يتشبث فى العداوة كفه باكبر منه فهو لا شك هالك

وكان مثله مثل النملة الخفيفة، التى ينبت لها اجنحة ضعيفة، فتحركها دواعى الطيران، فتتصور انها صارت كالنسور والعقبان، فبمجرد ما ترتفع عن الثرى، الى الهوا، التقفها عصفور، وخطفها اصغر الطيور، ولهذا قيل شعر

اذا ما اراد الله اهلاك نملة اطال جناحيها فسيقت الى العطب

ونحن ما لنا اطلاع على مكامن الغيب، فنزه نفسك عن هواجس الريب، وليس لنا مساعد من الاقارب والاباعد، ولا لنا مال، ولا خيل ولا رجال، ونحن اقل من ان يساعدنا زمان، او يعيننا على العقاب

اعوان، فلم يبق الا الركون، والاتكال على حركات السكون، لما ندرى غدا ما ذا يكون، واعلم ان حركاتنا مع العقاب، والجامع لنا معه من الاسباب، متحدة فى الحقيقة، وطريقتنا معه من جنس ما له من طريقة، وهى الطيرية، وكلنا فيها سوية، وهو منها كاعجاز القران من الفصاحة فى الطرف الاعلى، ونحن منها كاصوات الحيوان فى الطرف الادنى، فالاولى بحالنا الاصطبار، الى ان يصل لكسرنا من عالم الغيب الجبار، كما قيل شعر

مهلا ابا الصقر فكم طاير خر صريعا بعد تحليق
زُوّجتْ نعمى لم تكن كفوها آذنها الله بتطليق

وقيل

الامر يحدث بعده الامر والعسر مقترنٌ به اليسرُ
وحلاوة الصبيان من عسل يلهى وان حلاوتى الصبر
والصبر يعقب بعده شكرٌ من نعمة تاتيك او اجرُ

قال الذكر، هذه الفكرة، من الصواب قريب، وسهمها عند اولى البصاير والتجارب مصيب، ولكن من يتكفل بوفاء العمر الغدار، والايصال الى الاوطار، ويقوم بالامن من حوادث الليل والنهار، وانسيت انشادى فى الوادى، يا زين النادى، وجمال الحاضر والبادى وهو

لئن بادرت فى تسليم روحى اليك فعادلى عن ذا يعوق
وان اسرعت نحو الوصل عذرا فعمرى من ورا ظهرى يسوق

ثم قال النجدى، والراى السديد عندى، والذى اعيده فيه وابدى، ان نتوجه الى حضرة العقاب، ونكشف عن وجه مرادنا لديه النقاب، ونطلب منه الامان، من عوادى الدهر ونكبات الزمان، ونستظل بجناح عاطفته، وننتظم فى سلك جماعته وخدمته، فانه ملك الطيور، وبيده ازمة الجمهور، وهو وان كان سلطان الجوارح والكواسر، وشيمته سفك الدماء والتمزيق بمخاليبه النواسر، لكنه ملك عالى الهمة، ومن شيم الملوك الشفقة والرحمة، ولا تقتضى همته العالية، الا الشفقة الوافية، خصوصا على من يرتمى لديه، وينتمى اليه، ولا تدعه شيمته الابية، وهمته العلية والحمية، وشمايله الشهمة الملوكية، ان يتعرض الينا بضرر، او ان يطير الينا منه شرر، قالت غرغرة، بعد الاستغراب فى الكركرة، العجب كل العجب، من رايك المنتخب، وفكرك المنتجب، انك تخلط منه الغث بالسمين، وتسوق فيه الهجان مع الهجين، فتارة تصيب حدقة الغرض، واخرى تحرف السهم عرض، فتصير كما قيل شعر

تلونت حتى لست ادرى من الهوى اريح جنوب انت ام ريح شمال

هذه المصايب التى نشكوها، والنوايب التى نقراء سورها ونتلوها، هل هى غير ما نقاسيه من العذاب، ونعانيه من اليم العقاب، فى لحظة من ملاقاة عسكر العقاب، ثم انك انسى تحركت فى ارايك وسكنت، وشرقت فى افكارك وغربت، وتباعدت وتقربت، وارتفعت وحططت، وامتنعت وسقطت، وجلت وحمت، وقعدت وقمت، ثم اسفر رايك السديد، وفكرك الرشيد، وامرك السعيد، عن ان تجرنا بسلاسل الحديد، الى العذاب الشديد، وتخلدنا فيه الدهر المديد، ولا والله بل تريد، ان نمشى بارجلنا الى الشبكة، ونلقى بايدينا انفسنا الى التهلكة،

شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وقد اشبهت فى هذه الحركة، مالك الحزين والسمكة، فقال النجدى لابنة السعدى، اريحى على التغصة، بقص هذه القصة، قالت كان فى بعض المروج، من قرى سَروج، نهر كثير الحيتان، شديد الجريان، وفى مكان منه مصون، ماوى لمالك الحزين البلشون، فكان يتصرف فى تلك السمك، تصرف الملاك فيما ملك، قضى فى ذلك عمره، وزجّى اوقاته فى طيب عيش ومسرة، الى ان ادركه المشيب، ورحل عنه العمر القشيب، وكساه يد الدهر دلوق، ومن نعمّره ننكسه فى الخلق، ورای من الكبر، اصناف العبر، الى ان ضعف عن الاصطياد، وجرى عليه من الالام والانكاد، ومن نوايب الدهر ما الزمان به معتاد، فصار يمرّ عليه برهة من الاوقات، وهو عاجز عن تحصيل الاقوات، فتوجه فى بعض الاحيان، وقد علته كآبة الاحزان، ووقف على النهر، متفكرا فى تصرفات الدهر، فمرت به سمكة، لطيفة الحركة، فرانه فى ذل الانكسار، سابحا فى بحر الافتكار، لا قدرة له ولا حركة، ولا نهضة لاختطاف السمكة، فلم يلتفت اليها، ولا عوّل عليها، وقد اوطاته الحوادث، اقدام الهموم الكوارث، وبدّل ربيع شبابه بخريف الهرم، وحرارة حربه ببرودة السلم، فوقفت لديه، وسلمت عليه، وسالته عن موجب تفكره، وسبب تحزنه وتحيره، فقال تفكرتُ ما مضى من الزمان الناضر، وما تقضى فيه من طيب العيش وانشراح الخاطر، وقد تبدل وجوده بالعدم، ولم يحصل من ذلك سوى الذنوب والندم، وقد وهنت العظام، واستولى على الجسد السقام، وتزلزلت اركان الاعضاء، وتراكمت فنون الادوآء، واشتعل الشيب واتقد، وحر الالام وقد، شعر

عزمت على اخلاء جسمى روحه ... من خرق شيب كل عنه الراقعُ

قلت لسكنيه يا عمادة عمره ... قالت فكيف وبيت جسمك واقعُ

ثم قال ولم افق من هذه السكرة، ولا وقعت فى هذه الفكرة، الا وسفينة العمر بالساحل قد ارست، واصيل شمس العيش على قلة الفناء امست، فما امكننى الا التلافى بالتوبة والندم، قبل حلول النوايب بزلة القدم، والتطهر من جناية المظالم بمياه الاستعبار، والالتجاء الى جانب الحق بالالظاظ فى الاستغفار، وغسل اوساخ الذنوب والمظالم بدموع الانابة والاعتذار، شعر

وما اقبح التفريط فى زمن الصبا ... فكيف به والشيب للراس شامل

فاعلمى ان جامح هواى قلع، ضرس الامالى والطمع، وجارح متمناى نزع، خوافى الشره والهلع، وقد قدمت الى هذا المكان، لاتحلل من السماك والحيتان، فانى طالما اغرتُ على عشايرهم واولادهم، وخضت فى دماء قلوبهم واكبادهم، وشتّت شملهم، وخوّفت جلّهم وقلّهم، وارعبتهم وارهبتهم، واقلقتهم وحرقتهم، وارقتهم وافرقتهم، وغربتهم وبالدمآء شرقتهم، فرايت براة الذمة فى الاولى اولى، والمبادرة بالتوبة قبل المصير الى الاخرى احرى، فلعل احمال الذنوب تخف، وسحايب الغفران تكف، فلما سمعت السمكة هذه الخديعة، ووعت ما فيها من حركة بديعة، شربتها اضلاعها، ودعاها انخداعها، الى ان قالت فما ترى ايها العبد الصالح، ان اتعاطاه من المصالح، فقال ابلغى السمك هذا الكلام، بعد ابلاغ التحية والسلام، وان يكون القوم، من بعد اليوم، آمنين من سطواتى، سالمين من حملاتى،

ساكنين الى حركاتى، بحيث تنجلى الظلما، ويعود بيننا الحرب سلما، وينام السمك فى الماء، قالت لا بد من اخذ العهود، على الوفاء بهذه العقود، واقلها المصافحة، على المصالحة، ثم تاكيد الايمان، بخالق الانس والجان، ولكن كيف اصافحك وانـا ضمتك، وانى اتخلص من فمك، اذا وضعت فيه لقمتك، قال لها ابرمى هذا العلف، واربطى به حنكى لتامنى التلف، فاخذت قبضة من الحشيـش وفتلت، والى ربط فكه اتيلت، فعند ما مدّ منقاره الى الماء، وقربت منه السمكة العميا، لم يفتر ان اقتلعها، ثم ابتلعها، وانما اوردت هذه اللطيفة، يا ذا الحركات الظريفة، لتعلـم ان قربنـا من العقاب، القاونا انفسنا بايدينا الى اليمر العقاب، وابن غرب عنك نهاك، حتى تسعى بنا الى عين الهلاك، ونحن قوت العقاب وغداوه، ولداه جوعه شفاؤه ودواؤه، وهل يركن الى العقـاب، ويسوم منه ضرب الرقاب، وقد قيل

انفاسه كذبٌ وحشو ضميره دغلٌ وقربته سقـام الروح

وقد قيل شعر

انهاك انهـاك لا الـوك معـذرة عن نومة بين ناب الليث والظفر

قال النجدى اسلمى، يا قرينة الخير واعلمى، ان الريح وقت الربيع تكسو اكناف الاشجار، من انواع الازهار، ووجه الصحارى والقفار، من انوار الانوار، ما يدهش البصاير ويروق الابصار، وينعش الاجسام، ويشفى الاسقام، ويبرّد الغليل، ويبلّ العليل، لا سيما وقت السحر، نسيم الصبا فى ضوء القمر، يرق القلب والروح، ويحيى النصب المجروح، وكذلك المعرفات النشر واللواقع، والمعطرات بطيب الروايح، ودونك الحق فى كلمته، ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمتـه، وفى الصيف الحرور العسيف، والسموم العصيف، المذيب المذيف، وفى الشتـاء وايام الخريف، الصرصر المخيف، يصفر اللون، ويغير الكون، ويعرى الاشجار، ويسقط الثمار، ويثير الغبار، وربمـا كانت اعصارا فيه نار، وتسقم الصحيح، وتطير الهشيم فى الريح، ومنها الاعجاز الموحشات، والايام النحسات، والقواصف والعواصف، والحواصب والحراجف، والصرصر والنكبا، والزعزع والرخا، وقد قال فيها العزيز العليم، فارسلنا عليهم الريح العقيم، ما تذر من شى اتت عليه الا جعلته كالرميم، ثم اعلمى يا ربة الجمال، وفتنة الرجال، ان النار تحرق من يقربها، وتذهب ما يصحبها، وتنشف الطراوة، وتشوه الطلاوة، وتلتقم ما تجده، وتلتهمه وتزدرده، وتسود بدخانها، وتولم الاجساد بقربانها، وتمحو الاثار، وتهدم الديار، مع انها تنضج الاطعمة، وتصلح الاغذية، وتهدى الغور، وتدفى المقرور، وترشد الضلال، فى القفار وروس الجبال، قال من يقول الشى كن فيكـون، افرايتم النـار التى تورون، االنتم انشـاتم شجرتها ام نحن المنشيون، نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين، وكذلك الماء، يا ذات الثغر الالمى، يذهب الظما، ويجلب النما، ويبرد الصدور، ويطفى الحرور، وينبت الزروع، ويدرّ الضروع، ويحمل المراكب، وما فيها من مركوب وراكب، قال القادر على كل شى، ومن المآء كل شى حى، واذا طغت المياه، والعياذ بالله، اغرقت المراكب، وخطفت الراجـل والراكـب، واقتلعت الاشجـار، واقتطعت الاحجار، واتلفت الزروع والثمار، وان تراكمت الامطـار، قطعت سبـل الاقطار، وهدمـت الدير، وردمت الديار، وسل عن ذلك ملابس الاسفار، ومجالس التوكـاف من اهل الامصار، واذا

تكاثف الرش، غرقت مصر واذى اهلها العطش، ونعوذ بالله من هجوم السبل، فى ظلام الليل، وكذلك التراب، يا زين الاحباب، ينبت الحصرم والعنب، والتمر والحطب، والشوك والرطب، ويشرع سنان الشوك محدد، وغصون السلم المسدد، ويربى الورد والازهار، والرياحين والانوار، والاقوات والثمار، والرياض النضرة والغياض الخضرة، ثم اذا ثار، وعاج الغبار، خرج من تحت الحوافر، فاعمى النواظر، ففيه الحلو والمر، والزوان والبر، والناعم والخشن، والقبيح والحسن، والارض مهاد وفراش، وفيها اسباب المعاش، وهذه المضرة والمنفعة، مركبة فى هذه العناصر الاربعة، التى هى اصل الكاينات، وسنخ ما نشاهده من المخلوقات، واذا كان ذلك كذلك، وقاك الله شر المهالك، واوضح لك اوضح المسالك، فاعلمى بالتحقيق، يا صاحبة الثغر العقيق، ان هذا الملك الاعظم، بل كل اولاد بنى ادم، مركبون من الرضا والغضب، والحلم والتعجب، والرفع والحط، والقبض والبسط، والقهر واللطف، والظرافة والعنف، والخشونة واللين، والتحريك والتسكين، والبخل والسخاء، والشدة والرخاء، والوفاء والجفاء، والكدورة والصفاء، واعلمى يا نعم العون، وقرينة الصون، ان هذا الكون، سروره فى شروره مندمج، وورده فى صدوره مندرج، وصفاوه مع كدره مزدوج، وجفاوه بوفايه ممتزج، فيمكن ان العقاب، لكونه ملكا مالك الرقاب، مع وجود هيبته القاهرة، وسطوته الباهرة، وخلقه الشرس، الصعب الشكس، اذا راى ضعفنا وذلنا، وانكسارنا وقلنا، ترامينا لديه، وتعولنا عليه، يضمنا الى جناح عاطفته، ويسبل علينا خوافى مرحمته، ويعاملنا بالانصاف، ويسمح لنا بالاسعاف، دون الاعساف شعر

لكل كريم عادة يستعيدها

والقادر على الكسر والجبر، لا سيما اذا كان من ذوى النباهة والقدر، لا يعامل ذوى الكسر بالكسر، لانا فى مقام الابناء وهو فى مقام الابوة، والتقوى على الضعيف ضعف فى القوة، وقالوا المصغر لا يصغر، وسجدة السهو لا تكرر، قالت غرغرة، ذات التبصرة، هذا وان كان داخلا فى حيز الامكان، لكن اخاف، يا ذا الانصاف، انا بمجرد الوقوف، بين يديه فى الصفوف، لا نمهل لاداء الكلام، ولا للثبات فى المقام، بل نعامل بالتمزيق والتخريق، ونحن بعد فى الطريق، وتهوى بنا خواطف الطير فى مكان سحيق، فيفوتنا هذا المطلب، اذ قيل الطبع اغلب، وهذا ان وصلنا اليه، وتمثلنا بين يديه، واما اذا اعترضنا دونه عارض، وجرحنا من جوارح الطير معارض، ولا حول يحمينا، ولا قوة تنجينا، فينتف ريشنا كل باغ، ويتجاذب لحمنا كل طاغ، فيصير مثلنا مثل النمس والزاغ، فسال اليعقوب، تلك الرقوب، كيف هذا المثل، اخبرينى يا ست الحجل، قالت كان فى بعض البساتين العاطرة، والرياض الناضرة، ماوى زاغ ظريف، حسن الشكل لطيف، فى راس شجرة عالية، اغصانها سامية، وقطوفها دانية، فاتفق لنمس من النموس، فى وكره ضرر وبوس، فانزعج من وطنه، واحتاج الى مفارقة سكنه، فقاده الزمان، الى هذا المكان، فراقه منظره، وشاقه نوره وزهره، واعجبه ظله وثمره، واطربه خريره نهره، فعزم على السكنى فيه، وتوطن الى ان يتوطن فى نواحيه، ان راه احسن منزل، واذا اعشبت فانزل، ووقع اختيار ذلك الطاغ، على وكر فى اصل شجرة الزاغ، فسوى له وكرا وحفره، فى اصل تلك الشجرة، والقى عصا التسيار، واستقرت

به هناك الدار، فلما راى الزاغ هذه الحال، داخله الهم والاوجال، واختشى ان يتدرج من ادناها، ويتدحرج الى اعلاها، وينشد الاصحاب، فى هذا الباب، شعر

ولما مشّنى الشوق   الى نحو ابى طوق
تدحرجتُ ولكنى   من تحت الى فوق

فيصل الى وطنه القديم، و يذيقه العذاب الاليم، فليس له خلاص، من هذا الاقتناص، الا مفارقة الوطن، والانزعاج بانتحوّل عن السكن، وكيف يفارق ذلك النعيم، ويسمح بالبعد عن الوطن القديم، وهو كما قيل شعر

بلادٌ بها نيطت علىّ تمايمى   واوّل ارض مسَّ جلدى ترابها

فغلبت محبة وطنه على قلبه، ولم يطاوعه على فراقه لشدة حبه، ثم اعتراه فى ذلك الوسواس، واخذ يضرب اخماسا لاسداس، فى وجه الخلاص من هذا البأس، فراى المدافعة اولى، والممانعة عن جوارحه لخاطره اخلى، ثم افتكر فى كيفية المدافعة، وسلوك طريق الممانعة، فلم ير اوفق من المصانعة، وتعاطى اسباب المخادعة، ليقف بذلك اولا على حقيقة امره، ويعرف معيار خيره وشره، ويصل الى مقدار قوته وضعفه، ورصانة عقله وفهمه وسخفه، ويسبر حالتى غضبه ورضاه، ويدرك غور احواله ومنتهاه، ثم يبنى على ذلك اساس دفعه، وهدم ما يبنيه من قلعته لقلعه، فهبط الى النمس من الهوى، وحفظ شيا وغابت عنه اشيا، وسلّم عليه سلام المحب على الحبيب، وجلس منه بمكان قريب، وخاطبه خطاب ناصح لا مريب، وابتهج بجواره، واستانس بقرب داره، وذكر له انه كان وحيدا، وعن الجليس الصالح والانيس الناصح فريدا، وقد حصل له الانس بمجاورة النمس، وانه صدق من قال، فى هذا المقال، شعر

انفراد المرء خير من جليس السوء عنده   وجليس الخير خير من جلوس المرء وحده

فاستمع النمس حديث الزاغ، وما طغى بصر بصيرته عن مكايده وما زاغ، ثم افتكر فى نفسه، ونظر فى مرآة حدسه، فراى ان هذا الطير بخبث السيرة مشهور، وبسوء السريرة مذكور، لا اصله زكى، ولا فرعه على، ولا غايلته مامونة، ولا صحبته ميمونة، ولا خير عنده ولا مير، بل يخشى منه الضرر والضير، وكانه فيه قيل شعر

وهو غراب البين فى شومه   لكن اذا جينا الى الحق زاغ

ولم يكن بيننا وبينه قط علاقة، ولا واسطة محبة ولا صداقة، واما العداوة فانها مستحكمة، وكل منا للاخر ماكلة ومطعمة، ولا اشك انه انما قصد، طريقة سوء ومكيدة نكد، فان اضعتُ فيه الفرصة، اطلت الغصة، ووقعت من الندامة فى قتْة وحصّة، ولا يفيدنى اذذاك الندم، انى وقد فات المطلوب وزلت القدم، ع

واحزم الحزم سوء الظن بالناس

فالذى يقتضيه الحزم، والراى السديد والعزم، القبض عليه، الى ان يظهر ما لديه، فصمم وثب من مربضه، وانشب فى الزاغ مخاليب مقبضه، وقبضه قبضة اعمى، لا كالقابض على الما، فلما راى الزاغ هذا النكد، وانه قد صار كالفريسة فى مخاليب الاسد، ناداه يا كريم الخيم، ويا ايها الجار

الحايم، انا رغبت فى مصادقتك ، وجيتك محبا فى موافقتك ومرافقتك ، واردت ازالة وحشتك، وموانستك بابعاد دهشتك، وحاشاك ان تخيب ظنى فيك، وتعامل بالجفاء من يواليك ، وانشده شعر

وحاشاك ان تمسى بوجهك معرضا   وما يحسن الاعراض عن وجهك الحسن

والكرام لا يعاملون الجلسآء الا بالموانسة وحسن الوفاء، والابقآء على خير، وابعد من الضير، وانا قد صرت جليسك، وجارك وانيسك، وقد قيل شعر

وكنتُ جليس قعقاع بن شور   ولا يشقى لقعقاع جليس

مع انه لم يسبق منى سبب عداوة ، ولا ما يوجب هذه الفظاظة والقساوة ، وهذه اول نظرة، فما موجب هذه البدرة ، وسبب هذه النفرة ، قال النمس ايها الزاغ ، الكثير الرواغ ، ويا اخس باغ، وانجس طاغ ، اسمك ناطق، انك منافق، وهو خبر صادق ، اذ هو فى الخارج للواقع مطابق ، ورويتك شاهده ، انك تنقض المعاهدة ، وعين منظرك ، دل على مخبرك ، شعر

والعين تعرف من عينى محدثها   ان كان من حزبها او من اعاديها

من اين بيننا صداقة ، ومتى كان للنموس مع الزاغ علاقة ، وكيف تنعقد بيننا محابة، وانّى يتصل لنا مودة او قرابة، بيّنْ لى كيفية هذا السبب، ومن اين هذا الاخاء والنسب، اما انت فلى طعمة، واما انا فلحمى لسدا فدايك لحمة، يسوئنى ما يسرك ، وينفعنى ما يضرك، شعر

الله يعلم انّا لا نحبكم   ولا نلومكم ان لا تحبونا

انا واقف على ما فى ضميرك، وعالم بسوء فكرك وتدبيرك، قد اطلعتُ منك على الهواجس، كما اطلع ذلك الماشى على ما فى خاطر ذلك الفارس، قال الزاغ بين لى بلا جدل ، كيف هو هذا المثل ، قال النمس ذكر رواة الاخبار، ونقلة الاثار، انه ترافق فى بعض السباسب، راجل وراكب، وكان مع الراجل من البضايع رزمة، وقد جعلها كارة وحزمها اوثق حزمة ، وقد اعياه حملها، حتى انجزه نقلها، فقال للراكب، ايها الرفيق الصاحب، لو ساعدتنى ساعة، بحمل هذه البضاعة، لكنت ارحتنى ، ونفست عنى وشرحتنى، شعر

كذى المجد يحمل اثقاله   قوىّ العظام حمول الكلف

قال الفارس لا اكل فرسى، ولا اتعب نفسى ونفسى، فان مركوبى لم يقطع البارحة عليقه، وانا خايف أن لا يقطع بى طريقه، واذا خفت تخلفى فى سيرى، فانى اتخلف حمل اثقال غيرى ، فبينما هما فى هذا الكلام، اذ لاح ارنب فى بعض الاكام، فاطلق العنان ورآء الارنب ، وذهب وراءها كراى الزنادقة كل مذهب، فوجد فرسه قوية النهضة، سريعة الركضة ، فراى انه اضاع حزمه ، فى عدم اخذه الرزمة، وما ضره لو اخذها وساق ، فذهب الى بعض الافاق ، واقام بها اوده، وانتفع بها وولده، وترك الماشى، بلا شى ، ثم رجع بهذه النية الضارة، ليحمل من الماشى الكارة، وقال له اعطنى هذا الحمل المتعب ، لاريحك من حمله فى هذا المذهب ، وابلع ريقك ، واقطع طريقك ، فقال له قد علمت نيتك النية، وما اضمرت من بلية، فاتركنى

بحالی، فلی حاجة بمالی، ثم ان النمس کسر الزاغ، وحصل له باکله الفراغ، وانما اوردت هذا المثال، لتعلم یا فحل الرجال، ان العقاب لا یؤمن، ولا یقنع فیه بالظن الحسن، ولا یرکن الی خطفة بوارقه، بمخالیب صواقعه وصواعقه، ولا الی غوایله وبوایقه، وهذا ان سلمت شقة حیوتنا من تشقیق غواشیه، وتخلص برد وجودنا من تمزیق حواشیه، وان بینک وبین هذا المراد، خرط القتاد، والموانع التی هی دون سعاد، فما الوصول الی ملک الطیر، قریب التناول فی السیر، ولا سهل الماخذ، ولا سریع المنفذ، واین الجمل من العقاب، ذاک فی نعایم النعیم وهذا فی عقاب العقاب، فتدبر عاقبة هذا الامر، وتامل فی الفرق بین التمر والجمر، وانظر عندی، وما ادّی الیه فکری وجهدی، ان عاقبة هذه الامور، لیس الا القطوع والقصور، دون الوصول الی الملک فی القصور، قال الذکر لقد کررتُ علیک مرارا، واسندتُ الی سمعک النشاء واخبارا، ان علو همة هذا الملک، وفضله الخالی عن شرک، وکرم نجاره، وامن خادمه وجاره، وفیض احسانه، وبسط کرمه وامتنانه، وانتشار صیت حشمته، واشتهار رافته ورحمته، لا یقتضی حرمان مَن قصده، وامّ جنابه واعتمده، ولجا الی جناح عاطفته، وتشبث بذیل ملاطفته، وحاشاه ان یعم مصون همته بابتذال دناءة، ویشوّه جمال وفایه لمن ترقق له بنکتة جفاء تخییب رجاءه، خصوصا اذا رای منی خضوع العبودیة، والقیام بمراسیم الخدمات الادبیة، والمقام بمراکز مراضیه، والوقوف عند کل ما یحبه ویرضیه، فانی بحمد الله تعالی اعرف مداخل الامور ومخارجها، وعندی الاستعداد الکامل لصعودی معارجها، واعلم طریق المجاز الی حقایقها، وسلوک دروبها وطرایقها، فالاولی ان نقتصر علی المحاورة، ونکتفی بهذه المساورة فی المشاورة، ونتوکل علی مقلب القلوب، ونتوجه نحو هذا المطلوب، بعزم شدید، وحزم سدید، فان یتیسّر لی ملاقاة حضرته، والتمثل فی مراکز خدمته، وحصلت لی مشاهدته، واتفقت مخاطبته ومعاهدته، انشاتُ خطبة تدفع الخطوب وتجمع القلوب، وتولف بین المحب والمحبوب، وارجو ان تکون نافعة، لمصالح الدین والدنیا جامعة، فان کلامی، فی مقامی، کما قیل شعر

فاوجز لکنه لا یخل　　　واطنب لکنه لا یمل

واخر الامر سلمت غرغرة زمام انقیادها الیه، وعولت فی عمل المصالح علیه، ثم قالت له عش واسلم، وتیقن واعلم، انک اذا قصدت خدمة الملوک، واردت فی طریق مصاحبتهم السلوک، فانک محتاج فی ذلک المنهاج، الی نور وسراج، یهدیک الی صفات جمیلة، وتلبس بخصایل نبیلة، تتحلّی بجمالها، وتتعلی بکمالها، وتتجلی فی شمایل جلالها، الاولی ان تقدم فی جمیع مصادرک ومواردک، مراد الملک علی جمیع مقاصدک، الثانیة ان تتلقی اموره بالتعظیم، وتقیم اوامره بالاحترام والتفخیم، الثالثة تحسن اقواله، وتزین افعاله، بوجه لا یتطرق الیه تشویه، ولا یحتاج فیه الی تنبیه، الرابعة تجتهد فی صیانة عرضک عن الخنا، وایاک ان تقول فی حضرته انا فنقع فی العنا، الخامسة ان تعد علی الدوام، ومرور الایام، خدماتک الوافرة، وحقوقک المتکاثرة، من حقوق نعمه قاصرة، السادسة اذا وقعت منک زلة، فلا تتعدّ بها جمع القلة، بل اطلب لتلک الهفوة فی الحال محوة، واقصد مراحمه وعفوه، فان الذنوب اذا تراکمت، وتجمعت وتزاحمت، اشبهت المزبلة المدمنة، وفاحت روایحها المنتنة، والانسان غیر معصوم، والادمی بالخطاء موسوم، السابعة احفظ وجهک فی

حضرته عن التقطيب، وكلامك ان يفوح منه عبير الطيب، الثامنة ايك ومصادقة اعدايه، ومعاداة اوليايه، التاسعة كلما زادك رفعة وتقريبا، مل الى التواضع واعظمه تصويبا، العاشرة لا تدخر عنه نصيحة، وانصحه فى الخلوة لئلا يودى الى الفضيحة، واذا اقمك فى امر، ولو انه انمشى على الجمر، لا تطلب منه اجرا، ولا تبد لذلك ذكرا، فان الطمع يورث العقوق، والمن يسود وجه الحقوق، واعلم ان حضرة الملوك عظيمة، ومجالسهم جسيمة، تنزه عن الكذب والغيبة والنميمة، والاقوال الوخيمة، والافعال الذميمة، واياك ان تتعدى القواعد الكسروية، وتتخطى القوانين السلطانية، فان اعظمها كان، ان يعرف كل انسان، تقصير نفسه فى خدمة مخدومه، ويعترف له من احسانه بعمومه، ويقيم واجب همة ملكه ومقام مرسومه، قال النجدى اخبرنى يا بعدى، وحظى وسعدى، وابنة السعدى، ومزينة القواعد، بشى من تلك القواعد، قالت من القواعد الكسروية، الدايرة بين البرية، ما وضعها بعض الملوك، وحمل رعيته فيها على السلوك، وكان مشهورا بالعدل والاحسان، مذكورا باقامة البرهان، متصفا بالصفات الحميدة، مكتنفا بالشمايل السعيدة، من الدين والعفة، وعدم الطيش والخفة، بعقل يراجح الكفة، والعلم الوافر، والحلم العاطر، وذلك انه فى بعض الايام، امر ان يجتمع الخواص والعوام، ما بين امير ووزير، وكبير وصغير، وغنى وفقير، وجليل وحقير، وعالم وجاهل، ومفضول وفاضل، ومذكور وخامل، وناظر وعامل، وحال وعاطل، وحاكم وقاض، وساخط وراض، وجندى وتبع، واخرق وصنع، ووضيع وشريف، ولطيف وكثيف، وثقيل وخفيف، وقريب وبعيد، ومقبول وطريد، وشقى وسعيد، وسوقة وتاجر، وسفيه وفاجر، ودان وقاص، وطايع وعاص، وصانع وطانع، وضاحك وكالح، ومصيب ومخطى، ومسرع ومتباطى، وصياد وملاح، وسياح وسباح، وبلدى وفلاح، ومسلك وسالك، ومملوك ومالك، بحيث لا يتخلف عن الحضور احد، ولا يجرى فى التقاعد والد من ولد، ثم مهد لهم فى روض اريض، ومرج طويل عريض، تصفق مياه انهاره طربا، وتتناغى باطيب الالحان فصحاء اطياره الخطبا، وتتراقص بزمر الوقت اغصان اشجاره، ويلتذ بفواكه الجنان جانى ثماره، فهو كما قيل شعر

يلتذّ جانيه بانعم مقطف   منه وساكنه باكرم معطف

والورق بين مُحَلق فى جَوّه   طربا ومنحط عليه مُرَفْرف

وامر بفرش ذلك المكان، بالفرش الحسان، من الديباج والحرير، واطلق مجامر الند والعبير، وبين لكل مقاما معلوما، ومجلسا مقسوما، واحل كلا منهم محلّه، واسبغ عليهم ذيل احسانه وظله، ثم امر بانواع الاطعمة المفتخرة، واصناف الملاذ الطيبة العطرة، فاحضرت فى اوانى الفضة والنضار، ووضعت بين يدى اوليك الحضار، بحيث عمت الجميع، ووسعت الشريف والوضيع، وجلس الملك فى مجلس السلطنة، واكتنفه من العساكر الميسرة والميمنة، واخذ كل مكانه، ورتب اصحابه واعوانه، ثم اقام عليهم ارباب الديوان، وادخل جميعهم فى دفتر الحسبان، وامر مناديا فشدا، ورفع بصوته الندا، فى ذلك الجمع، بحيث شمله من الجميع النظر والسمع، يا اهل هذا المكان، برز مرسوم السلطان، ان كل من هو فى مرتبة، من مرضاة او معتبة، لا يلاحظ من فوقه، ولو انه امير او سوقة، بل يلاحظ

حال من هو دونه، فايرة كانت منزلته او مغبوطة، فان ذلك اجمع للقلوب، وادعى للشكر المطلوب، واجلب للرضى، بحوادث القضا، فان من راى نفسه فى مقام، ونظر غيره فى ادنى من ذلك المقام استقام، وكانت عنده منزلته عليّة، وعدّ لنفسه على غيره مزيّة، فتوطنت نفسه على الرضى، واستقبلت بالشكر وارد القضا، مثل ذلك الرئيس النازل فى الصدر، اذا راى من هو دونه فى القدر، لا يشك فى ان محله محل البدر، والباقى كالنجوم، فلا ياخذه لذلك وجوم، وقد دل الحى القيوم، فى كلامه المنظوم، وما منّا الا له مقام معلوم، وكذلك النايب، بالنسبة الى الحاجب، والدوادار، بالنسبة الى البَرْددار، والخزندار، بالنسبة الى جابى الدراهم والدينار، والمهتار، بالنظر الى الاسطبل دار، وكذلك اسايس، بالنسبة الى الحارس، وكاتب السر، المرتفع بالنسبة الى المدبر، والموقع والنزمام، بالنظر الى ساير الخدام، وابتدا القاضى مع الفقيه، والفقيه مع التاجر النبيه، والتاجر مع السوقى السفيه، والغنى والامير، بالنسبة الى المامور والفقير، وعلى هذا القياس، اوضاع جميع الناس، من ارباب الصنايع، وجلّاب البضايع، واهل المدن والقرى، وذووا البيع والشرا، والوغد والبذرى، واولوا الوضاعة والشرف، من انواع المكتسبات والحرف، الى ان ينزلوا فى المراتب، ويتدحرجوا من اليفاع الى الحضيض فى المناصب، ويتفاوتوا فى المعايب والمناقب، ويصل قدرهم ونظرهم فى ذلك، الى كل ذى فعل سيى حالك، كارباب العظايم، واصحاب الذنوب والجرايم، فينظر المعتوب، حاله بالنسبة الى المضروب، والمشتوم، حاله بالقياس الى حال المكلوم، والصحيح، بالنسبة الى حال الجريح، ويلاحظ مضروب العصى حال المسلوخ بالمقارع، ومضروب المقارع، احوال مقطوع الاكارع، وكذلك المقطوع، بالنسبة الى مصلوب الجذوع، والمصاب بالمال بالنسبة الى مصاب البدن، والاعرج بالنسبة الى المقعد بالزمن، وكذلك العوران، بالنظر الى مصاب العميان، وليتامل الناظر، ما قاله فى ذلك الشاعر، شعر

سمعتْ اعمى مرة قايلا   يا قوم ما اصعب فقد البصرْ
اجابه اعورُ من خلفه   عندى من ذلك نصف الخبر

ولتكن هذه القواعد، مستمرة العوايد، بين الصادر والوارد، ليعلم ان مصايب قوم عند قوم فوايد، فاستمرت هذه القوانين مستعملة، غير منسية ولا مهملة، من زمان ذلك السلطان، والى هذا الزمان، وانظر ايها الفضيل، الى معنى ما قيل، فى هذا القبيل، وهو شعر

على كل حال ينبغى الشكر للفتى   فكم من شرور عن سرور تجلّتِ
وكم نعمة عند القياس بغيرها   ترى نعمة فاشكر لدى كلّ نقمة

وانما اوردت هذه الامثال، واطلت النفس فى بيان هذه الاحوال، لتاخذ منها حظك، وتكررها فيما اودعته حفظك، وتجرى بها ليلا ونهارا لفظك، حتى تصلح لمنادمة الملك، ولا يعلق بذيل مكانتك من الحساد مرتبك، وترضى باى مقام اقامك فيه، وتعلم انه اعلا مقام ترتضيه، حيث هو لك برتضيه، وتجعل مورد نسنك، ومقعد جنانك، فى طلبك رضاه، ما كنت انشدتك اياه، من قديم الزمان، وانا عليه الان، وهو شعر

واعلى مقاماتى واسنى وظايفى   واحسن اسمآيى الذى انت ترضاه

فقال الذكر ما احسن عقد هذه الدرر، لقد افصحت، اذ نصحت، وزيّنت، بما بيّنت، فجزاك الله خيرا، وكفاك ضيرا، فحقيق على ان اقتدى باثارك، واهتدى بانوارك، فما ارجح ميزانك، واغزر حسنك واحسانك، لقد جمعت بين فصاحة النقل، ورجاحة العقل، ومزجت روح الحصافة، ببدن الظرافة، وجلوت صورة النصيحة فى خلعة اللطافة، ثم انهما توكلا على العزيز الوهاب، وقصدا حضرة ملك الطير العقاب، فواصلا السير بالسرى، واستبدلا السهر بالكرى، ولم يزلا فى سير مجدّ، وطلب مُكدّ، ما بين سائر سار، حتى وصلا الى جبل قارن، فحصل وكان عند العقاب، احد المقربين من الحجاب، يُوبُوُ نقى الجوجو، تقىّ البُوبُو، احسن منظرا من اللولو، صورته مسعودة، وسيرته محمودة، وهو بين اولئك الطير، مشكور الاحوال مشهور الخير، وفيه من المعرفة والدين، والعقل الرصين والراى المتين، ما يصلح ان يكون به مقتدى السلاطين، وعنده من الوقوف على دقيق الامور، ما فاق به الجمهور، وساد به على ساير الطيور، وكان صيته قد اشتهر حتى ملأ البدو والحضر، فترك النجدى بنت السعدى فى مكان، وقصد اليويو ليعرض عليه ما له من شان، فوصل الى جنابه، واتى بيت مقصده من بابه، حتى دخل عليه، وقبل يديه، وتمثل لديه، فتوجه اليويو اليه، واشار بتقريبه منه، وازال دواعى الوحشة عنه، واقبل عليه بكليته، وزاد فى اكرامه وتحيته، وساله عن محتده وجرثومه، وما سبب تجشمه فى قدومه، ومن اين حلّ ركابه، وما قصده وطلابه، فانشده بديهيا، ولم يقل ايها، مفصحا معلنا، مستعينا متمنيا، شعر

لقد حصّ ريشى الدهر عن كل مطلبٍ   والهمنى سعدى بانك رايشُ

ففى سحرى مَسٌّ كهجرك مفرط   وفى قصتى طولٌ كمعدك فاحشُ

ثم قال اعلم ايها الرئيس، المحتشم النفيس، ان مولدى فى جبل من جبال اذربيجان، فى مكان يضاهى الجنان، ويباهى روضة رضوان، انزه من عنصر الشباب، واشكه من معاقرة الاتراب، وارق من منادمة الاحباب على رقيق الشراب، نشأتُ فيه مع قرينة، جميلة امينة، فقضيت فيه غض العمر، وزجّيتُ فيه بضّ الدهر، قنعا بما تيسر من الرزق، فارغا عما فى ايدى الخلق، متمسكا بذيل العزلة، اعد الانفراد نعمة جزلة، مكررا درس ثلثة تجم النفس القرينة الصالحة والجار المؤانس والكفاف من القوت ومما كنت انشدت، وفى مبداء امرى ارشدت، شعر

وحسب الفتى قوتٌ وخلّ وزوجةٌ   ليرتاح فى الدنيا ويكتسب الاخرى

وكنتُ من الدهر على هذا اقتصرت، ومن لذيذ العيش على القناعة اختصرتُ، ولكن كان ماوانا، ومصيفنا ومشتانا، محلّ الحوادث، ومقرّ العوايث والعوابث، ومعبرا لمصايب الصيد، ومورد لمواطى عمرو وزيد، فكنا كلما ولد لنا مولود، وتجدد لنا بالبهجة عهود، حصل للعين قرة، وللروح مسرة، نقول هذا يبقى ذكرنا بعدنا، ويحيى اثارنا عند حلولنا لحدنا، فلم يكن اسرع من هجوم خاطف، او هبوب ريح نكبة عاصف، يخطفه من بيننا، ويجذبه من قلبنا وعيننا، فان سلم

من تلك المكايد، وتخلص من سمّ المصايب والمصايد، حطمت عساكر الملك المنصورة، وملات الاقطار الجنود الموفورة، فلا يخلو منها مكان قدم، الا وقد غصّ بمواطى تلك الامم، فتذهب مناقرة العيون، وندهسك غلطا تحت الرجلين، وهذا هو البلآء الطام، والمصاب العام، ولا بد منه فى كل عام، فكانه ايها النبيه النبيل، فى شاننا قيل، شعر

ايا ابن ادم لا يغررك عافيةٌ … عليك شاملة فالعمر ممدودُ
ما انت الا كزرع عند خضرته … بكل شىء من الافات مقصودُ
فان سلمتَ من الافات اجمعها … فانت عند كمال الامر محصودُ

فضاق منا لهذا العطن، فلم ار اوفق من مفارقة السكن، والمهاجرة من الوطن، فعرضت على القرينة هذه الحال، واشرت عليها بالارتحال، وقلت لها المرء من حيث يوجد، لا من حيث يولد، فابت وكبت، وشاققت فى ذلك ونبت، فلا زلنا نتحاور ونتشاور، ويرمى كل منا سهم ارايه ان يساور، حتى لانت اخلاقها الصعبة، بعد ان نثلت ما فى الجعبة، ثم اعطت القوس باريها، وسلمت الدار بانيها، وادركت من ملامح مقاصدى معانيها، وسمحت بالانتقال من تلك البلاد، وسلمت الى يد تدبيرى زمام الانقياد، فرحلنا من شقة بعيدة، وقاسينا شدة شديدة، وقصدنا هذا الحرم، اذ رايناه مشتملا على اللطف والكرم، وقطعنا شباك مصايد، وخلصنا من اشراك كل صايد، وفطمنا انفسنا عن حبات الطمع، وتجرعنا من كاسات الجزع واقداح الفزع، جرعا بعد جرع، فوصلنا بحمد الله الى جنابك الامين، وبشرنا مبشر الاقبال انك بكل خير ضمين، فحمدنا عند صباح الفلاح السرى، وانشدنا لسان السعد مبشرا، شعر

وجدت من الدنيا كريمًا تؤمُّهُ … لدفعِ ملمّ او لنيل جزيل

وان لم يكن بيننا سابقة خدمة، لكن تعارف ارواحنا له قدمة، مع ان كرم ذاتك الجليلة، وما جُبلتَ عليه من صفات نبيلة، يغنى قاصد صدقاتك عن واسطة وسيلة، ووالله انى لواثق، بان ظنى بوفاء مكارمك صادق، فسال احسانك يا ذا الخير، ايصالى الى خدمة ملك الطير، وان كانت رفعة مكانه فى العيوق، ودون الوصول اليه بيض الانوق، لكن بواسطة الوسيلة، يحصل هذا الشرف والفضيلة، ولا زالت الروسآء والاكابر، ياخذون بيد الضعفاء والاصاغر، ولرايك العلو والشرف والسمو، والعطف والحنو، فاهتز اليويو لهذا الكلام وارتاح، وظهر فى وجهه تباشير المسرة والارتياح، وانشد شعر

قدمتَ بانواع المسرّة والهنا … على خير منزول وايمن طاير
فاهلا وسهلا ثم اهلا ومرحبا … وبشرى ويسرى بالعلا والبشاير

اعلم ان قدومك قدوم صدق، ومرافقتك سبب الرفق، ورويتك فتح باب الفتوح، وروايتك غذا القلب وراحة الروح، ابشر بكل ما تومل وتختار، فقد ذهب العثار، وجاء الامن واليسار، اصبت مرامك، وزيّنت مقامك، وانست منزلك، واوتيت مااملك، فطيّب خاطرك، وبشّر اهلك وعشايرك، واخبر غايبك وحاضرك، ونقد قدك الراى السديد، والامر الرشيد، والفال السعيد، حتى اوتيت الى ركن رشيد، ملك كريم، خلقه عظيم، وفضله جسيم، وجوده عميم، ونظيره عديم، رووف

برعيته رحيم، لا يخيب آماله، ولا يريب سابله، ولا يقطع واصله، ولا يمنع حاصله، لقد انبتت مساعيك ازهار الامن والامان، وتفتحت لورودك في رياض سعد الزمان، نواظر نرجس النعمة وشقايق فضل النعمان، فاعلم ان هذا الملك ذو جناب منيع، وقدر رفيع، وبيان معانيه بديع، عزيز المنال، جامع لصفتي الجمال والجلال، قد اختار العزلة في روس الجبال، فلذلك طبعه لا يخلو من جساوة، وقلبه من قساوة، وان غداوه من اللحوم، ومن الحيوانات مشروبه والمطعوم، مخالبه كالاسل، ويلتجا الى الله اذا نسر منقاره ونسل، وحقيقة امره ان كنت عنه تسل، شعر

مُمِرٌّ مُرٌّ على اعدايه وعلى الأَدْنَين حلوٌ كالعسل

فاذا التجا اليه فقير، او آوى اليه ضعيف او كسير، او قصده محتاج، اوسلك الى باب مرضاته منهاج، فلا يمكن الطف منه ولا اشفق، ولا اقرب من عطفه على مومليه ولا ارفق، فهو كما قيل شعر

بيض قطا يحضنه اجدل

وسبب ذلك ان ضميره المنير، خال من المكر طاهر عن التزوير، لا يعرف ختلا ولا خديعة، ولا خيانة ولا وضيعة، ولا كذبا ولا قطيعة، ولا في خاطره فساد، ولا عنده سوء اعتقاد، ولا يعرف غير الحق، ولا يقول الا الصدق، وذلك لبعده عن مخالطة الناس، وعزلته عن كل ذي وسواس وخناس، فقد اتفق العالم، ان صحبة بني ادم، سم قاتل، وهم باتل، فان دابهم المكر والتلبيس، والخداع والتدليس، وحسبك قول شاعرهم في كشف ضمايرهم، وشرح حقيقة سرايرهم، شعر

كن من الناس جانبا كي يظنوك راهبا
قلّب الناس كيف شيت تجدهم عقاربا

ولقد ارشد، من انشد شعر

بنو آدم ان رمت من خيرهم جنًى فاحلى الذي تجنيه من وصلهم صبرُ
مكارمهم مكرٌ ورويتهم ريا وودّهم مَيْن وجبرهم كسرُ

فان كان فيهم صالح افسدوه، والى سبل الضلال ارشدوه، والكلام في هذا المقام، لا يبلغ التمام، فيكتفى بالقليل، عن الجليل، وشمس النهار لا يحتاج في وجودها الى دليل، فانهض الان، فقد آن التوجه الى خدمة السلطان، فما كل زمان، يحصل هذا الامكان، فان الاجتماع به كل وقت مشكل، فتوكل على الله يا احسن متوكل، فاذا دخلت عليه، وتمثلت بين يديه، فاعرف كيف تقف، وانظر يا ذا الكمال، مذا يناسب الحال، ويقتضيه المقام، من فعل وكلام، فاسلك طريقته وراع مخارجه وحقيقته، وادخل معه من ذلك الباب، ومثلك لا يدل على صواب، فما اسرع اللطف واقرب العنف من حركات الملوك والكبرا، وابعد الرفق، واشرد الخرق من ملكات السلاطين والخلفا، واقصى مدانيهم اذا غضبوا، واوحش موانسهم اذا صخبوا، واقرب مباعدهم اذا عطفوا، واعجب منادهم اذا لطفوا، ويكفيك يا ذا العقل المتين، ما قيل في شان الملوك والسلاطين،

ان الملوك بلاء اينما حلّوا فلا يكن لك في اكنافهم ظلٌّ

ما ذا تؤمّل من قوم اذا غضبوا　　جاروا عليك وان ارضيتهم ملّوا
وان مدحتهم ظنوك تخدعهم　　واستثقلوك كما يستثقل الكلّ
فاستغن بالله عن ابوابهم كرمًا　　ان الوقوف على ابوابهم ذلّ

وقال سيّد الانام نـثرًا، جاور ملكا او بحرا، فان رضوا رفعوا فوق الافلاك، وان غضبوا والعياذ بالله فهو الهلاك، وذعيك من تقلبات الملوك، يا ذا الارشاد فى السلوك، اطفا الله غضبهم عنك، قضية صدرت من تمرلنك، فسال فحل الحجل، الوزير الاجل، بيان ذلك المثل، الصادر من الاعرج الاشل، فقال الدستور، مما حكى عن تيمور، من وقايع الامور، وشدة عزمه وحزمه، وثباته على ما يقصده وجزمه، وحلول نقمته ممن يعارضه، ويعاكسه فيما يرسم ويناقضه، انه لما توجه بالجنود، الى بلاد الهنود، وذلك فى سنة ثمانماية، وصل بجيوشه الطاغية، الى قلعة شاهقة، اقراط الدرارى بآذان مراميها عالقة، والرجوم المارقة، من النجوم الخارقة، تتعلم الاصابة من رشاقة سهامها الراشقة، كانّ بهرام فى مهواه احد سوانيرها، وكيوان فى مسراه خادم نواطيرها، والشمس فى استوايها غرّة جبينها، وقطرات السحاب فى الانسكاب تترشح من قعر معينها، وشقة الشفق الحمراء على اذان مراميها وانوف ابدانها سرادق، وكُرَيات النجوم فى القبة الخضراء لعيون مكاحلها وافواه مدافعها طابات وبنادق، وكانّ الثريا فى انتصابها، قنديل معلق على بابها، لا يحوم طاير الوهم عليها، فانى يصل طايش السهم اليها، ولا يتعلق بخدم خدمتها خلخال خيال وافتكار، فضلا عن ان يحلق على معصم عصمتها من عساكر الاساورة سوار، وفيها من الهنود طايفة، ثابتة الجنان غير خايفة، جيرت اهلها وما تخاف عليه الى الاماكن المحجزة، وثبتت هى فى القلعة حافظة لها متحرزة، مع انها شرذمة قليلة، وطايفة ذليلة، لا خير عندهم ولا مير، ولا فايدة سوى الضرر والضير، ولا للقتال عليها سبيل، ولا حواليها مبيت ولا مقيل، بل هى مطلّة على المقاتلة، مستمكنة على المقاتلة، فابى تيمور ان يجاوزها، دون ان يناحرها بالحصار ويناجزها، واللبيب العاقل، لا يترك وراءه لخصمه معاقل، فجعلت المقاتلة تناوشها من بعيد، ويصب كل من اهلها عليهم من اسباب المنايا ما يريد كما يريد، وكان كل يوم يقتل من عسكره ما لا يحصى، والقلعة تزداد بذلك اباء واستعصا، وهو يابى التحول عنه، الا ان يصل الى غرضه منها، ففى بعض ايام محاصرتها مُطروا، وبواسطة المطر انحصروا، ودار حنقهم على القتال، ثم ركب لينظر ما يصنعون فى تلك الحال، فلم يرتض افعالهم، لما عكست اوحالهم احوالهم، فدعا روس الامراء، وزعماء العساكر والكبراء، واخذ يمزق اديم عصمتهم بشفار شتمه، ويشق ستر حرمتهم بمخاليب نقمه وذمه، ونفخ الشيطان فى خيشومه، والتهب فيه نار غضبه وشومه، وقال يا لئام، واكلة الحرام، تتناومون فى نعماى، وتتوانون عن اعداى، جعل الله نعمتى عليكم وبلا، والبسكم بكفرانها خيبة ونكالا، يا حزق الذمم، وكافرى النعم، وسفلى الهمم، ومستوجبى النقم، الم تدوسوا اعناق الملوك باقدام اقدامى، الم تطيروا الى الافاق باجنحة احسانى واكرامى، الم تفتحوا مغلقات الفتوح بحسام صولتى، اما سرحتم فى متنزهات الاقاليم سوايم تحكمكم بترعية دولتى، بى ملكتم مشارق الارض ومغاربها، واذبتم جامدها واجمدتم ذايبها، شعر

الم اك ذرا يصطليها عدوكم   وحرزًا لما الجاه من ورايبا
وباسط خير فيكم بيمينه   وقابض شر عنكم بشماليا

ولا زال يهمهم ويغمغم، ويهذرم ويبرطم، وهم مطرقون لا يحيرون جوابا، ولا يملكون منه خطابا، ثم ازداد حنقه، وكاد ان يموت خنقه، فاخترط السيف بيده اليسرى، وهمز به على ثم اوشك الاسرى، وهمّ ان يجعل رقابهم قرابه، ويسقى من دميهم نمل فرنده وذبابه، وهم على تلك الحال، فى الخزى والاذلال، باذلوا انفسهم، ناكسوا رءوسهم، ثم تراجع وتمسك، وملك نفسه قليلا او تمسك، فاغمد عن تشريقهم حسامه، ولم يلق لامره دبرة ولا قبلة امامه، فغلف غربه وشامه، ثم نزل عن مركبه، واستدعى الشطرنج الكبير ليلعب به، وكان عنده ممن ذوى جنده، شخص يدعى محمد قوجين، ذو مكان مكين، ومقام امين، مقدم على كل الوزرا، مبجل دون ساير الامرا، وافر الطول، مقبول القول، مسعود الراى ميمون النقيبة مرغوب الفضل، محبوب الشكل، فتشفع الوزرآء اليه، وترامو فى حل هذه الاشكال عليه، وقالوا ساعدنا ولو بلفظة، وراقبنا ولو بلحظة، واعمل معنا، بهذا المعنى، وهو شعر

ساعدْ بجاهك من يغشاك مفتقرا   فالجود بالجاه فوق الجود بالمال

فاجابهم والتزم، ان يردّه عما تأزّم به وازم، وراقب مجال المقال، وراعى فُرص الجِدال، وشرعت افكار تيمور، تغور فى امر القلعة وتفور، وجعل يستصوب اهواءهم، ويستبورى اراءهم، ولا يسع كلا منهم الا القبول، لما يستصوبه رايه ويقول، ففى بعض الاحيين، اتفق ان قال محمد قوجين، وقد زل به القضا، واحاطت به نوازل البلا، ادام الله بقاء مولانا الامير، وفتح بمفاتيح ارايه ورايات حصن كل امر عسير، هبْ انا فتحنا هذه القلعة، بعد ان اصيب منا جانب من اهل النجدة والمنعة، هل يفى هذا بذا، ام هل يوازن هذا النفع بهذا الاذى، فما احتفل بخطابه، ولا اشتغل بجوابه، بل استدعى شخصا، من المرقدارية، قبيح المنظر الا انه فى هيئة زرية، يدعى هراملك نا عرف سهكه، ووجه فى السواد سدكه، اوسخ من فى المطبخ، واسنخ من فى المسلخ، لعاب الكلب طهور عند عرقه، وعصارة القير حليب بالنسبة الى مرقه، فعند ما حضر لديه، ووقع نظره عليه، امر بثياب محمد قاوجين فنزعت، وبخلقان هراملك فخلعت، ثم البس كلا ثياب صاحبه، وشد وسطه بحياصته، ودعا دواوين محمد ومباشريه، وضابطى ناطقه وصامته وكاتبيه، ثم نظر ما له من ناطق وصامت، ونام وجامد، وملك وعقار، واهل وديار، وحشم وخدم، من عرب وعجم، واوقاف واقطاع، وبساتين وضياع، وخول واتباع، وخيل وجمال، واحمال واثقال، حتى زوجاته وسراريه، وعبيده وجواريه، فانعم بذلك كله على ذلك الوسخ، وامسى نهار وجود محمد قوجين انزنخ، وهو من ليل تلك النعمة منسلخ، ثم قال تيمور، وهو كالنمور يمور، اقسم بالله واياته، وذاته وصفاته، ووحيه وكلماته، وارضه وسمواته، وكل نبى ومعجزاته، وولى وكراماته، وبراس نفسه وحيوته، لئن آكل محمد قوجين احدٌ او شاربه، او ماشاه او صاحبه، او كلمه او صافاه، او اوى اليه آو اواه، او راجعنى فى امره، او شفع عندى فيه او فاه بعذره، لاجعلنه مثله، ولاصيّرنه مُثْلَة، ثم طرده واخرجه، وقد سلبه نعمته واحرجه، فصار مسلوب النعم، قد حلت به فى لحظة نوايب النقم،

Digitized by Google

فسحبوه بالوثّق، وراى نعمته على اقل الخلق، واتصل غيره بالحلق، وقنع منه الحلق، ففلقت حبّة قلبه اشدّ فلّق، ولم يزل على ذلك، في عيش مّر وعمر حالك، وحاشا ان تشبه قضيته قصة كعب ابن مالك، فكان يستحلى مرارة الموت، ويستبطئ اشارة الفوت، وكل لحظة من هذا الحيف، اشد عليه من الف ضربة بالسيف، فلما هلك تيمور احياء، وردّ عليه خليل سلطان ما كان سلبه جده اياه، وانما اوردت هذه السيرة، يا زكي السريرة، لتقيس على هذا المثل نظيره، وتعرف اخلاق الملوك، ومعاملاتهم الغنى والصعلوك، وان نظرهم نصار، واعراضهم بوار ودمار، ومن اراد ان يطلع على سر القضاء والقدر، فليراقب شفتى الملك اذا انهى وامر، وقد قال من احسن المقال

قربُ الملوك يا اخا القدر السمى حظ جزيل بين شدقى ضيغم

واعلم يا ابا الفضايل، ان هذا الملك له شمايل، وصفات وخصايل، يستدل بظاهرها على باطنها، ويتوصل بظهور باديها على حركات كامنها، فاياك ان تغفل عن مراقبتها، وتهمل حال عاقبتها، بل اجعل شواهدها نصب عينك، لتقرب من حيوتك وتبعد عن حينك، منها اذا رايته رايته رجع من الاصطياد، ظافرا منه بالمراد، وقد اقتنصه وحصّله، وملا منه الحوصلة، وسكنت منه بواعث الشره، التى هى منفتح لواعج الطيش والسفه، ومنها اذا رايته جلس فى مجلس السرور، وبسط كجبهة الكرام جناح النشاط والحبور، وضم عن مناسم لحرص القوادم والخوافى، وطلب من رؤساء المملكة الانيس المصافى، ومن ندماء لحضرة الجليس الصافى، ومن مطربى الاطيار، البلبل والهزار، ومن رقص بدفوف الازهار، وصفق من ذى عود وطار، فاستمع لهذا وبسّط ذاك، وشقق جلساوه ما بين منصت وحاك، فان هذه الاوقات، لما فيها من علامات، هى ساعات الانبساط، وايام الفرح والنشاط، فاعمل فيها ما بدا لك، واطنب مقالك، وكرر جوابك وسوالك، فانك فى كعبة الامن فاستلمها، وقد هبت رياحك فاغتنمها، والعب بابنيك، وصفق بجناحيك، واصدر فى تقلقلك، واسجع فى بقبقتك، فان الوقت لك لا عليك، والسعد الطالع ناظر اليك، ومنها اذا رايته جالسا صامتا، او الى الارض باهتا، او محمرة عيونه، او مضطربا سكونه، او افعاله على غير استواء، او اقواله دايرة مع الهواء، فاياك والدخول عليه، والمثول بين يديه، فانه اذ ذاك يجعل ديار جسدك بلاقع، ولو انك النسر الطاير فتصير فى مخاليبه النعس واقع، وعلى كل حال، فليكن عندك لكل مقام من هذه المقامات مقال، وان كان السكوت اصلح، فاغلق باب الكلام قطعا ولا تفتح، فكثيرا ما تخلص الساكت من البلآء وافلح، وناجيك النصيح، بقوله الفصيح، وهو شعر

وراقب مقام القول فى كل مجلس خصوصا مقامات الملوك الاكابر

فكم من بليغ فوق ذروة منبر رمته اذا عيى النطق تحت المقابر

قال المفلح المجدى، للمرشد الجدى، جزى الله مولانا عن صدقاته، اوفر صلاته، وواصله بعوايد اكرامه فى عشيه وغداته، فما اشمل احسانه وحسناته، واسعد حركاته وسكناته، واوفر شفقته على قصدى عتباته، طالب انس دليله، كيف لا يفتح الى الخير سبيله، ويرجع الى حصول المقام ميمنه ومقيله، ثم ان البوزيو انشقوق، تركهم وطار الى العيّوق، ثم رجع على الفور،

Digitized by Google

ووجهه يرف كالنور، فدعا اليعقوب، وتوجه وهو معه مصحوب، واخذا في السير، الى خدمة ملك الطير، وثرعا في جبل، يسامى في المثل، قبة الفلك، او مركز الملك، يستمد السحاب من ماء واديه، وتسبح سماك السماء في بحر ناديه، يعرق جبين الوهم من صعود عقباته، ويقصر ساعد الفكر في سلم الهواء عن الترقى الى ادنى درجاته، ويستريح راقى الخيال في عدة مواضع عند قصده فروع هضباته، فهو كما قيل شعر

وطودٍ تلوح الشمس من تحت ذيله اذا هى فى كبد السماء استقرّت

فلا زالا يسيران، وفى الجو يطيران، اليويو امام، قايد الزمام، والحجل وراءه ينشد هذا الكلام، شعر

لكل امام اسوة يقتدى به وانت لاهل المكرمات امامُ

فوصلا من تلك المدارج، الى اعلى المعارج، وانتقلا في تلك المسالك، عن دركات المهالك، وانتهيا الى اوج رايا ملكة النيرات جارية في حضيضه، ودرر الدرارى راكدة في قعر مغيضه، يشتمل على مروج ورياض، ومراع وغياض، وبحار وحياض، تنادى خيراتها سكان الربع المسكون، في انصبابها عليهم وفى السماء رزقكم وما توعدون، رياضٌ تلونت، ومروجٌ بازاعيرها تحسنت، وارضٌ قال لها صانع القدرة ان تمكنت، تكونى كاخلاق الكرام فتكونت، واخذت زخرفها من رضوان خازن الجنان وازّينت، فولجا دار سلطنة العقاب، مقاسات عقاب العقاب، شعر

مكانا فيه سلطان الطيور تصدّر بالسرور على السرير
اطاف به صنوف الطير طرّاً عكوفا بالحضور وبالحبور
لكل في مباشرة مقام يقوم به جليل او حقير

قد اكتنفه الميمنة والميسرة، واحدقت به المقدمة والمؤخرة، كل واقف في مقامه، شاهينه مع كركيّه وبازيه مع حمامه، فالانيس، صاحب الظُرف والكيس، حامل القبز كالاوزان، يترنم في مقابلة الايوان، ويمدح ملك الاطيار، والامرآء الحضار، والكبرآء النظار، وينشدهم جليل الاوصاف ورقيق الاشعار، فمما انشده الاوزان، من مناقب السلطان، ووجه به الخطاب، الى العقاب، قوله شعر

مقامك اعلى أن يقوم بوصفه بيان بليغ او لسان فصيح
اجلّتك عنقا مغرب فاختفت فما تلوح لطرف في البلاد طموح

والنسر الشايب، المقدم على العساكر، قد اظله بالجناح، وليس عليه في طلبة سيادة الطير جناح، رافع اللواء، صافٌ في جوّ السماء، رئيس الديو، حامل القبة والطير، شعر

ونسر تفرّ الطير من قرب ظله وفى ظله للسعد ماوى ومنزل

والسنقر في ثوبه الفهرى، وخَلقه وخلقه النمرى، امير سلاح الجوارح، وراس عساكر السوانح والبوارح، شعر

هو السنقر العالى بهمته التى تعلت على ايدى الملوك بها يده

والشاهين الدوادار، عليه لمصالح المملكة المدار، قد تصدّى لقضاء الحوايج، لكل داخل

وخارج، ينظر فى الولاية والعزل، ويتعاطى الامور بالجد لا بالهزل، فيقضى المآرب، ويوصل المطالب الى الطالب، شعر

طويل العنق رحب الصدر ضخم   له فى ال قسطنطين ضبط
تغشى من سواد العيش ثوبا   عليه من دم الاحشاء نقط

والكركى، الراضى بالتركى، يتجلى فى ثوبه المسكى، كاتب الاسرار، وصاحب الاخبار، لسان المملكة، ومحور الفلكة، مستخدم السيف والقلم، وفى الفصايل والفواصل نار على علم، شعر

وكركى يحيد الصقر عنه   لهيبة بطشه وشديد باسه

والنم المشهور، ناظر الجيش المنصور، صدر الديوان، وقاضى الجند والاعوان، شعر

وتم تم دست الطير منه   كقاضٍ زان ارباب الكتاب
عليه من المهابة ثوب مجد   كوجه الطايعين لذى الحساب

والطاووس، كازهى العروس، فى افخر ملبوس، مقدم على الخواص، كالناظر الخاص، ناشر مروحة الارتياح، يتجلى بجمال هيئته الفايق على الوجوه الملاح، شعر

ثوبه قد حار فيه   كل صباغ عليم
ولسان الحسن نادى   صبغة الله الحكيم
فيروق العيش منه   فوق اوصاف الكليم

والبازى الامير الكبير، صاحب الراى والتدبير، امير الميمنة، قد رتب صفه وزينه، شعر

وباز اشهب عيناه جمر   يضئ وفى جناحيه النجاح

والصقر الشهم، السابق فى الطيران الوهم، امير الميسرة، قد فاق بشهامته عسكره شعر

وصقر ان يلح فى القفر ظبى   اتيح له من الجو انصبابا
اقام بمخلب عن شهم سهم   وتسر عن قسوى الناب نابا

والباشق الجاوش، وراس نوبة العساكر والجيوش، شعر

انظر الى الباشق فى صيده   ينقض كالسهم من الراشق
يقفو حماما مثل معشوقة   اتبعها الحب حشا العاشق

والببغا تتجلى، فى الحلة الخضرا، وتنثر من الخاتم الياقوت درر الثنا، وتخبر بعجايب الهند، وتسرد غرايب غايب السند، شعر

تسمت درة لكن كساها   حكيم الصنع ثوبا من زبرجد
ومن لهما بمنقار عقيق   وخاط شعارها من عين مسجد

والهدهد لابس التاج، ينهى الى موقع الدراج، اخبار المارة، والاحوال السارة، كما قيل شعر

وهدهد البس ثوب البها   فعمر اذ خص بصدق النها
اغرب اذ شرق فى حسنه   ففاق اهل التاج حتى مها

والحمام مقدم البريدية، يتردد فى مواقف العبودية، والعصافير كالمماليك الاجلاب فى الكتاب، يدرسون العلم والاداب، والبلبل والهزار، ومطوقات الاطيار، وساجعات الاسحار، مسبحات الواحد

الغهار، يتناشدون الاشعار، ويودّون نغمات الاوتار، ومضروبات رنات الاوضار، وضروب ضروب الموسيقاه من جنك المنقار، والشحرور والزرزور، وذوات الهديل من الذبور، حتى جناح الزنبور، تغرد فتخجل العود والطنبور، وزواجر الطير، تبشر بالفرح والخير، وانواع الجوارح في الحدقات، والطير في الجو صافات، كل يفدى الملك، ويقدم جسده وروحه، ويسبح من اتاه الملك وكل قد علم صلاته وتسبيحه، فتقدم البيوبو الى الحضرة، والملك في ابهى نضرة، وقبّل مواطى سلطانه، ووقف من مقام خدمته في مكانه، وقال شخص عارف بطرايق السلوك، يليق لخدمة الملوك، واقف بالباب، يروم تقبيل الاعتاب، يطلب لذلك الدستور، والانعام باذن الحضور، ليشمله النظر الشريف، ويحظى بحظ وريق وريف محل يرجع كالمصروف عن خدمته او يدخل كالدولة والاقبال

فعطف بالقبول، واذن له بالدخول، وسمح بالمثول، فتوجه البيوبو على عجل، الى الحجل فدخل، وهو من الحيا متاثر، وفى ذيل الدهشة والهيبة متعثر، وعليه غلالة سابورية، وخلعة نيسابورية، مشتملا بشملة كافورية، كانه شيخ الصوفية، فلما وقع نظره على العقاب، قوى جاشه ورفع الحجاب، وحل عقدة لسانه من لُكنة الخطاب، ثم قبّل الارض ووقف، وانشد بديها وما وقف، شعر

ولو ان فغفورا وكسرى وتبعًا راوك لخرّوا بين ايديك سُجّدا

وما ان وفوا حقا عليهم وانما على قدر ما في الوسع مدّ الفتى يدا

فابتدر البيوتو بلفظ يخجل اللولو، وقال للحاجل، يريد ازالة الدهشة والخجل، وطيب المقام، ببسط الكلام، ايها ايها الغريب الاريب، والاديب النجيب، رايناك روحا ملخّصا، وعقلا مشخصا، محبتك مرغوبة، ومنادمتك مطلوبة، لقد حللت محل الامن والامانى، وعقدة السعد والتهانى، فدع دهشتك، وذر وحشتك، وافصح بكلامك عن كمالك، وعن مقامك بمقالك، فعباراتك عقيلة العقل، وواسطة عقود النقل، فان كان عندك نصيحة تصلح للملوك، او وصية ترشد اهل السلوك، يبين العدل ينورها طرايقه، ويزين العقل بمجازها حقايقه، وتستقيم بها الامور، ويستفيد منها الجمهور، او نوع رفع مظلمة، او حطّ ماثمة، او كشف بلوى، او بثّ شكوى، او حاجة في نفسك، وما قاسيته في يومك وامسك، او لطيفة تشرح بها الصدور، وتبسط بايرادها الحضور، فهذا وقت تشنيف المسامع بجواهرها، ونثر دررها على بادى الحاضرين وحاضرها، فان المحل قابل، وعنق الاصغآء الى اطواق لطايفك مايل، ومجال الحلم لذاك واسع، وسجال الكرم دامع، وفاعل الصنيعة صانع، وكف اللطف معط لا مانع، فقال الحجل، بعد ان زال الخجل، وحال الوجل، وجال الزجل، من غير ريث ولا عجل، الحمد لله الذى آسى جراحنا، واحيى بعد التلف ارواحنا، قد كنا في بيدآء الحيرة والهلاك، وظلماء الضرّ والخوف في انهماك، ومرّت علينا سنون، ونحن في الخسار والغبون، ونار الاشتياق تضطرم، وبواعث تقبيل الاعتاب الشريفة السلطانية في الفواد تزدحم، اذ قد انتشر جناح عدلها، ونجاح ظلها، وسماح وابلها وطلها، وكرر كل لسان محامد فضلها، واشتهر لكل حيوان ماثر نبلها، فهى امان كل مخوف، ملجا كل ملهوف، لكن كانت العوادى، تقرع تلك الدواعى، وغواشى الحوادث تعترض دون المساعى، تارة باكتناف المخاوف، وطورا باحتفاف الخواطف، وحينا بضعف المبانى، واونة بعدم المعاون والمعانى، والآن يا ملك الزمان، بحمد الله المنان،

ازحنا المهالك والمباوى، واسترحنا من ضرر المسالك والمساوى، اذ قد طرنا بجناح النجاح، من جنح الجناح، وصرنا الى محل السماح والرباح، فزالت العلل، وانسدّ الخلل، وحللنا فى عقوة منيفة، وسدة شريفة، فامنا شرك المكايد، وشرر المصايد، وتوسدنا مهاد الدعة، واستظللنا جناح الامن والسعة، وانه قد قيل عدل السلطان، خير من خصب الزمان، وقيل الملك العادل، والامام الفاضل، كالاب الشفيق، والوالد الرفيق، يعامل بالسوية، ويحفظ الرعية، ويحرسها من برد الماء وحرّ الندى، كما يحرس الوالد الولد من هبوب الهواء وشم الغبار، وقلت شعر

نزلنا فى ذرى ملك كريم　　يرانا مثل اولاد الكرام
امنّ نوايب الايام عنا　　فلم ترنا ولا فى الاحتلام
ولا مطر السماء يصيب منا　　كانّ مقامنا فوق الغمام

فقال الملك اهلا وسهلا، وناقة ورحلا، طب قلبا ونفسا، وانعم معنى وحسا، لقد حللت بساحة الاستراحة، وباحة للامن مباحة، وقاحة ليس لصايد بها وقاحة، ولا لجارحة جارح بها جراحة، وقد خلصت من جواسر الكواسر، ومناسر النواسر، ونزلت بوادى الخير، ونادى ملك الطير، فاكرمت صدر منزلك، ونلت غاية املك، فاذهب بسلام، وات بما لك من خادم وغلام، واهل وثقل، وفرس وجمل، واثاث وقماش، ومعاش ورياش، وتخيّر مكانا تختار، وجار احسن الجوار، فقل ايها الملك السعيد، انا شخص فريد، غريب فقير، لا ابريق لى ولا حصير، وقلت

انا لو لا الحيا وخوف العار　　لم اكن فى الانام الا عار
من رانى فقد رانى وبيتى　　ودثارى ومركبى وشعارى

غير ان لى قرينة، مثلى فقيرة مسكينة، صابرة على السراء والضراء، قضينا معا ماضى الصباح والمسآء لم يترك عقيل لحوادث لنا دارا، ولا يد العوابث عقالا ولا عقارا، ولا مخلب العوايث جارا ولا جوارا، ولا ناب الكوارث ولدا ولا قرارا، والويل كل الويل، لمن كان مستقره فى طوارق الليل، ومن حوادث الدهر على سبيل السيل، وقد طال الكلام فى كيت وكيت، وقضايا ذيت وذيت، الى ان لم يبق فى البيت سوى البيت، ولما بلغ سيل العمر الزبا، وحزام الهم الطبا، وما حال من يرى افلاذ كبده تنقطع، ويشاهد كل وقت قرة عينه بمخاليب الجوارح تتبضع، ولا يد للمدافعة تمتد، ولا نهضة للممانعة تشتد، فينشد شعر

كفى حزنا انى ارى من احبه　　رهين الردى يرنو الىّ بطرفه
اود بمالى لو يفدّى ومهجتى　　ولكن يد التقدير غالت بحتفه

ولما تكبر ضرّ ايوب، وتضاعفت حزن يعقوب، تركنا تلك الديار بالاضطرار، وعلى ابوابك الشريفة وقع الاختيار، فرصدنا للتحويل ايمن الساعات، واخترنا للرحيل احسن الاوقات، ثم صممنا العزيمة، ونادانا هاتف السعد اسرعا تديمى جذيمة، فقطعنا السهامه والقفار، واسرينا الليل والنهار، فكم رغنا عن ابى الحصين، ولقينا ما لاقى الحسين، بكربلا، من الكرب والبلا، وكم لجانا من بنى زغار، الى كهف واجم وغار، واحترزنا من تنافذ، والعوان لدى سم نافذ، ونفرنا من حبات اشراك، وحدنا من اوهاق شباك، واخترنا الجوع، وعدم الهجوع، على الحب المبذور،

لاصطياد الطيور، كل ذلك في المسالك، والسعد قايدنا، والفلاح رايدنا، واليمن دليلنا، وظلال امنك ظايلنا، وفى تهانى سعدك مبيتنا، وكنف فضلك مقيلنا، حتى حللنا بدار الامن، ونزلنا بحرم مولانا السلطان، فنادانا فضل خلق الورى، لا تخفا الى معكما اسمع وارى، القيا عصا التسيار، وانزلنا عند خير جار، فتزحزحت القرينة، فى منزلة حصينة، وكل بلاده امينة، وامست مقامك الشريف، وجنابك المنيف، مقاما عظيما، وجنابا كريما، ومجلسا عليا، وبابا سميا، فتوجهت ثم توديت، شعر

هذا هو الملك الذى من بابه يُعطى المخوف امانة لزمانه
رق الورى احسانه فكانما ارزاقهم كُتبت على احسانه

ثم نهض اليعقوب من مكانه، وقبّل الارض بين يدى سلطانه، وتوجه فايزا بامنيته، حتى وصل الى خليلته، فاخبرها بما جرى، بتخيير المشترى، وكيف راى النميو والملك، وصورة ما فعل به وسلك، وكيف تلقى مقدمه، واكرمه الملك بما اكرمه، وقرر كيف كان خطابه، وعلى اى صورة حسنا ردّ جوابه، فسر صدرها وانشرح، وصارت بهذا الامر من الفرح، ثم توجها الى حضرة السلطان، وحصل لهما من الانعام والاحسان، ما نسيا به الاوطان، وسلكا بنفس مطمينة، فى خدمة الملك من الجماعة السنية، وخوطب اليعقوب من الملك، اسكن انت وزوجك الجنة، فلما استقر بهما الدار، وتبدل انكسارها بالانجبار، افيض عليهما من الصدقات، والادرارات والنفقات، ما لم يخطر ببالهما، ولا دار على خيالهما، وحصل لهما الامن والامان، والسلامة والاطمئنان، واستقرت خواطرهما، وابتهجت بالسكون سرايرهما، واستمر النجدى ملازم الخدمة، وتوفرت عند الملك واتباعه له الحرمة، وسمعت كلمته، وتزايدت حشمته، ولم يزل صبيح الطلعة، نجيح السعى، رضى المنظر، مقضى الوطر، يرتع على بساط النشاط، ويطير فى رياض الامن والانبساط، مؤديا شرايط الخدمة على الوجه الاحسن، قايما بمواجب العبودية مهما امكن، الى ان تميز على ساير الخدم، وتقدم على السابقين فى القدمة وثبات القدم، ناشرا السوية النصيحة، ناثرا الاثنية الصريحة، منادما باللطايف الصحيحة، والنوادر المليحة، بالعبارات الفصيحة، والاشارات الرجيحة، حافظا زمم الاحتشام، مراعيا مقامات الكلام، على مر الايام، وكر الشهور والاعوام، ثم ختم الكلام، فى هذا المقام، باعظم ختام، وهو حمد الله الملك العلام، وشكره المستدعى لمزيد الانعام، والصلاة على سيد الانام، واله واصحابه السادة الكرام، عليه وعليهم افضل التحية والسلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

الباب العاشر

في معاملة الخادم والاحباب والاعدا والاصحاب وبه تمت ابواب الكتاب

قال الشيخ ابو المحاسن، الراوى من الادب الاحاسن، فلما ابان الحكيم، عن هذا الفصل الجسيم، وكشف نقاب البيان، عن مخدرات هذا التبيان، فتلالا من وراء سجف الفاظه وجوه معانيه الحسان، عظم في اعين الاعاظم، وكبر لدى الاعراب والاعاجم، ورفعه اخوه، وعظمه ذووه، فاضاء مناره، وعلا مقداره، وملا الآفاق انواره، ووقع من الملك على الاعتماد عليه اختياره، ثم استزاده من فيض هذا اليعبوب، واستسقاه من حوض هذا الشوبوب، واستطلعه من اخبار العقاب واليعقوب، ان كان ثم بقية، تجلو القلوب الصدية، فامتثل الاشارة، وحسّن العبارة، وقال ثم ان ابا الحجاج، دعا القبج ابا الدجاج، واختلى به دون اصحابه، وقال له اعلم يا جليس الخير، وانيس الطير، ورئيس الدير، انى تحملت من اليويو المنة العظيمة، والجميلة الجسيمة، حيث ارشدك الى بابى، ونظمك في سلك اصحابى، ولا جرم انه قام بما يجب عليه، وعرف مقدار احسانى وميلى اليه، وانه لاوثق اعوانى، واصدق خلصانى، وصاحب قديم، ومخلص عديم النظير نديم، وصديق كافي، وناصح مصافي، وانى لاتيمن بطلعته، واتبرك بمشاهدته، واستنجح برايه، واستصبح في المهمات المظلمة بلامع ضيائه، ولقد حصل منك عليّ عضد معاضد، وساعد مساعد، وكهف وذخر، وسند وظهر، فاياك ان تترك ذيل مودته، او ترغب عن صحبته ومحبته، وان تقتصر يا ذا الوقوف، في صداقته على الوقوف، فافضل المحبة، واكمل المودة، ما تزايد على مر الدهور، وترادف على كر العصور، وثبت اصله وفرّعت فروعه، وفاض من سويداء القلب على مجارى الجوارح ينبوعه، بحيث يقع الاتحاد، وينمزج بالصفاء الوداد، فقد قيل لا تصح المحبة بين اثنين، حتى يصيرا كالعينين، حيثما نظرت احديهما شزرا، مالت معها تابعة الاخرى، بل يصيرا كالنفس الواحدة، لا كل واحد على حدة، ولا كما تقول الملاحدة، بل يكمل لكل واحد بالآخر الهنا، ويحصل له بوجوده السنا، ولذا خاطبه قال يا انا، ولا تعمل، يا اكمل، كما قيل شعر

ملأتُ حشاشتى شوقا وحبا   فان ترم الزيادة هات قلبا

فان الفتاح عند الفتوح، وباب الفضل والزيادة مفتوح، وكرم الله لا يُضاهى، وفضله كعلمه لا يتناهى، وانظر يا فضيل، وذا العلم العريض الطويل، اتحاد المحبة الى ما قد قيل، وهو

ايها السايل عن قصتنا   انا من اهوى ومن اهوى انا
نحن روحان حللنا بدنا   من راننا لم يفرق بيننا

Digitized by Google

نحن مذ كنا على عهد الهوى تضرب الامثال للناس بنا
فاذا ابصرته ابصرتنى واذا ابصرتنى ابصرتنا

والطف من هذا وارضى، لو قاله القايل واحسن، وهو

انا والمحبوب كنا فى القدمْ نقطة واحدة من غير مَيْنْ
فبرانا الله اذ اظهرنا مهجة واحدة فى بدنيْنْ
فاذا ما الجسم امسى فانيا تلتقينا واحدا من غير بَيْنْ

ولقد ذكرك عندى بانواع الفضل، وبوفور التجارب والعقل، وهذا يدل على نصيحة وقوة دينه، وصدقه فى المحبة وحسن يقينه، ولم يذكر غير واقع، ولا جازف فيما انهاه الى المسامع، بل قال قليلا من كثير، وقطرة من غدير، ولم يخبر بذلك غير خبير، فانى اعرفك كما عرف، ووقفت على فضايلك كما وقف، ثم انت عندى فوق ما وصف، فاريد منك نصايح، بالخير لوايح، تتضمن فوايد، وعوايد وفرايد، تكون نثيم الحكمة موايد، ولشيم الحكام قوايد، ولنحور الباب المعقول وارباب المنقول قلايد، ونضبط اساس الملك والدين قواعد وعقايد، فتلقى مثاله بالامتثال، وقبّل الارض فى مقام العبودية وقام وقال، لنحط العلوم الشريفة، والاراء العالية المنيفة، ان صانع العالم، تعالى وتعظم، بنى امور المبدا والمعاد، وما بينهما من معاش مستفاد، على دليلين، عظيمين جليلين، احدهما العقل الذى هو مناط التكليف، وثانيهما قواعد الشرع الشريف، فان اردت ان تكون سعيد الدارين، فاستمسك باذيال هذين الدليلين، اما العقل فهو الدليل القاطع، على وجود الصانع، وهو مستقل بالقطع، غير محتاج الى السمع، وكما هو مستقل بالدلالة على وجود ذاته، كذلك هو مستقل بالدلالة على تحقيق صفاته، ثم ورد بذلك الشرع، فتاكد فى وجود الصانع دلالة العقل والسمع، واما وحدانية الصانع، فكل من العقل والنقل دليل عليه قانع، وقد تظافرا بالاستباق اليه، وتشاعرا فى الدلالة عليه، وبقول الكافر يوم المصير، لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير، وبالعقل والسمع يستقيم المبدا والمعاش، وبالسمع فقط ميت المعاد عاش، لان امور المعاد، من الشرع تستفاد، والعقل فى ذلك تابع سامع، لاوامر الشرع خاضع، والمسموع فى ذلك دليل قانع، وعلى كل تقدير، ايها الملك الكبير، فاجعل العقل وزيرا، تجده لك فى ظلمات المشكلات سراجا منيرا، واتخذ النقل هاديا ونصيرا، يكن بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا، وعامل الرعية بالعدل، يعاملك الله بالفضل، واعلم ان الدنيا فى معرض الزوال، وانه لا بد عنها من الانتقال، وان الله سبحانه وتعالى، وجل سلطانه جلالا، اقتضت حكمته، وجرت بين عباده سنته، ان يكون الانسان، على خلاف ما فطره الرحمن، فانه خلقه للعبادة، وركب فيه عناده، واقامه للعمل، وجبله على الكسل، فامره بالصلاة وهو كسلان، وبالصوم وهو شهوان، وبالزكوة وحبب اليه المال، وبالحج وكره اليه الانتقال، وبالرضا وركز فيه الغضب، وبالتسليم والصبر وخمّره بالضجر والصخب، وبالتواضع ووضع فيه التيه، وبالتخلق باخلاق خالقه وفيه ما فيه، وحكم عليه بالموت، تحقق انه ليس له منه فوت، وهو يكره من الدنيا التحويل، واقل اقسامه انه يحب العمر الطويل، وعلى هذا قد تعوّد، ان يفعل فى المسكان

المتزود، اعمال المقيم المويّد، والدايم المخلّد، و يبنى بناء من لا ينتقل، وعن قليل يتركه لو عقل، لا سيما من تعلق بالدنيا قلبه، وتشبثت بالمال والولد والجاه والتحكم حبه، وقد اخبر العزيز الوهاب، فى اصدق كتاب وارشق خطاب، فقال زين للناس حب الشهوات من النسآء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب، فالنفس مايلة الى الاقامة، راغبة فى دوام السلامة، تحب طول العمر فى الزمان، وان احوجت الثمانون السمع الى ترجمان، وقد قيل شعر

واحسن ما كان الفتى فى زمانه ... مع السعد والجاه العظيم معمّرا

واشهى ما سمع الحاكم، والذ ما تلقاه من قول الناظم، قوله شعر

فلا زلت بين الورى حاكما ... بجاه عريض وعمر طويل

ولقد بلغنى يا ملك الزمان، ان الملك العادل انوشروان، كان بنى اساس ملكه على العدل، وعامل رعيته بالاحسان والفضل، وبكثفيه من الفضايل، حسن الشمايل، قول سيد الاواخر والاوايل، ولدت فى زمن الملك العادل، وقال الرحمن فى محكم القران، ان الله يامر بالعدل والاحسان، وقد قيل فى الاقاويل لا ملك الا بالرجال، ولا رجال الا بالمال، ولا مال الا بالعمارة، ولا عمارة الا بالعدل، فلا ملك الا بالعدل، ومن اقوى الصفات العدلية، عمارة بلاد الرعية، وبذل الجهد فى العمارة، ليكثر الربح وتقل الخسارة، فاذا عمرت البلاد، وترمم التطريف والتلاد، حصلت الاموال، وكثرت الرجال، وانتظمت الاحوال، فقد بلغنى يا ملك الزمان، ان الملك انوشروان، كان مارًا فى سيرانه، بين جنده واعوانه، فراى شيخا كانه قوس قطّان، نثر على راسه قزع القطان، وهو فى بعض البساتين، يغرس نصب تين، فتعجب من انحناء قامته، وبياض هامته، مع شدة حرصه وتعبه، على نصب غرسه ونصبه، فقال له يا ذا التجارب، ومن هو من شرك الفناء هارب، الام ترتع فى ميادين الامل، وقد تطوقت بأطواق الاجل، تبنى واركان جسدك واهية، وتغرس وقرامى بدنك كاعجاز نخل خاوية، ربيع شبابك قد استولى عليه خريف الهرم، وصيف وجودك قد ادركه شتآء العدم، ومحت نسيم طراوتك عواصف الذبول، ومصحت قوى هياكلك بقواصف النحول، وقد آن ان تغرس للاخرة، فانك قد صرت عظامًا ناخرة، فقال يا ملك الزمان، وعادل الاوان، قد تسلمناها عامرة، فلا نسلّمها غامرة، قد غرسوا واكلنا، ونغرس وياكلون، وفى الحقيقة كلنا زارعون وغارسون، شعر

لقد غرسوا حتى اكلنا واننا ... لنغرس حتى ياكل الناس بعدنا

وابعد فلاح، عن الرشد والفلاح، من يتسلّم المعمور، ويتركه وهو بور، فاعجب انوشروان، وفور عقل الشيخ الفان، وحسن خطابه، وسرعة جوابه، فقال زه يعنى احسنت وهى كلمة تحسين، ولفظة اعجاب وتزيين، وكانت علامة للاحسان، اذا تلفظ بها السلطان، يعطى المقول فى حقه، اربعة الاف درهم لرفقه، فاعطوا الشيخ الهرم، اربعة الاف درهم، فقال ايها السلطان، ان الغراس يُثمر بعد زمان، ولنا غراسى لحسن طاعته، اثمر من ساعته، فقال زه فاعطوه اربعة الاف اخرى، ورفعوا منزلته قدرا، فقال واعجب من هاتين القضيتين، ان الغراس يثمر مرة، وانا غراسى اثمر مرتين، فقال زه فاعطوه القدر المعلوم، وزادوه فى التكريم، وقال له انوشروان، ان امهلك الزمان، حتى

لتاتيني بباكورة هذا البستان، فانا اقطعك خراجه، واقضى ما لك من حاجة، فمهله الدهر، وطال به العمر، وادرك ما نصبه، ولم يخيب الله تعبه، فحمل الى الملك الباكورة، ووفى له الملك نذوره، وانما اوردت هذا المثل، ليعلم مولانا الملك الاجل، ان الدنيا وان كانت ظلا زايلا، وحايطا مايلا، فهى مزرعة الاخرة، وان الاخرة فهى الدار الفاخرة، وان الله تعالى، وجل جلالا، ولاك هذه المزرعة، وعلق باوامرك العلية ما بها من مضرة ومنفعة، وحكمك فى البلاد، وملكك رقاب العباد، فاياك ان تغفل عن عمارتها بالزراعة، او تسلم زمام تدبيرها الى يد الاضاعة، فانك منقول منها، ومسئول عنها، وان مصالح عساكرك بها منوطة، واحوال ملكك بالعساكر مربوطة، فكلما تعمرت الضياع والقرى، ترفهت الاجناد والامرآء، واستراحت الرعية، واستمرت مناظم الملك مرعية، وتوفرت الخزاين، واطمأنّ الظاعن والساكن، وقلت المظالم وكفت اكف الظالم، وملاك هذا كله العدل والاستوا، ومجانبة الاغراض الفاسدة والهوا، وهذا الذى يقتضيه مقامك، ويتم به مرامك، فان الملك انما هو ملك بالاجناد، فلا بد له من عمارة البلاد، والنظر فى مصالح العباد، لينتظم بنظره مصالح العالمين، ويستقيم امر العالم الى الحين، الذى قدره احكم الحاكمين، فان سنة الله جرت على هذا السنن، وما راه المومنون حسنا فهو عند الله حسن، ولهذا قال سيد سكان الخيف، انا نبى السيف، والجهاد فرض عينٌ على الملوك، لا على الفقير والصعلوك، فالملوك فى نوع من العبادة، تقتضى من المال ازدياده، ليقيموا من الاسلام عماده، ويقتفوا من الشرع مراده، ويقصموا الكفر وعناده، ويبيدوا اهله واولاده، وينهبوا طارفه وتلاده، ويوطئوا سنابك الايمان بلاده، وعلى كل حاكم واجب، ان يبذل فى ذلك اجتهاده، ويجعل الجهاد الى الاخرة زاده وعتاده، ويصون عن الكفر بلاد الاسلام وعباده، الى يوم يلقى معاده، فيجازيه الله الحسنى وزيادة، هذه طريقة الملوك، ومن تبعهم فى الاقتدا والسلوك، واياك ايها الملك العظيم، وصاحب الملك الجسيم، واخذ المال من غير حله، ووضعه فى غير محله، ولو كان موضع الخير، وقصد به نفع الغير، فانه لا يغنى ذاك بذا، ولا يقوم نفعه بما هيه من الذى، فذلك كانشاء المغارس، وبنيان المدارس، وتنوير المساجد، وتعمير المعابد، وسد الثغور، وعمارة القبور، واقامة القناطر والجسور، وعمل مصالح الجمهور، واطعام الطعام، وكفالة الايتام، والحج الى بيت الله الحرام، واعطاء السايل، واغناء الارامل، وصرف النفقات، واخراج الزكوات والصدقات، ومثله الوبيل، كما قيل، شعر

بنى مسجدا لله من غير حله فصار بحمد الله غير موفق
كمطعمة الايتام من كد فرجها لك الويل لا تزنى ولا تتصدّق

قال من لم يخف عليه اخفاوها، لن ينال الله لحومها ولا دماوها، ثم اخبر بخبر ما يصدر منكم، فقال ولكن يناله التقوى منكم، فان تُطلب من هذا اجر، فهو خسران وكفر، لانه فى صورة الاستهزآء، وهل يطلب بقبيح الحرام حَسَنُ الجزاء، بل الواجب فى هذا، على كل من آذى، رد المظالم، وخلاص ذمة الظالم، ورجع الحقوق الى اهلها، وايصالها الى محلها، وما يرضى ظالم غوى، و يحمل الحرام هوى، ان يتخلص سواء بسوى، وشر الناس، يا ذا الباس، من اتبع

قضية اياس، فسال العقاب، عن بيان هذا الخطاب، فقال كان فى الشام، شخص من الليام، تصدّى لفصل الاحكام، ومشى من الظلم فى ظلام، وشرع فى اخذ الاموال، على سبيل التعدى والوبال، فاذا اخذ من احد الفا، ادخر لنفسه من ذلك نصفا، وتصدق بالخمسماية الاخرى، على اولى الضرر والاضرا، كل واحد درهما، وعد ذلك مغنما، وقال هذه فايدة، علينا بالربح عايدة، الحسنات خمسماية والسيّئة واحدة، وواحد يدعوا علينا، وخمسماية يتوجهون بالثناء والدعاء الينا، ثم قال ذلك الجاحد، ولا تعجز الخمسماية عن الواحد، هذا وان كان والعياذ بالله، صرف ذلك الحرام فى الفسق والملاه، ونيل الاغراض الفاسدة واقامة الجاه، فهو اشد فى النكال، واعظم فى الوزر والوبال، وهذا المقام، يطول فيه الكلام، واقل ما فى الباب، ان الحلال حساب، والحرام عقاب، وقد سمعت يا جليل القدر، ما نطق به السيد الصدر، الذى اخجل نور طلعته الشمس والبدر، سيد الانام، ومصباح الظلام، وحبيب الملك العلام، عليه افضل الصلاة والسلام، يوما لاصحابه السادة الكرام، رضى الله عنهم وجمعنا فى مستقر رحمته واياهم، اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من امتى من ياتى يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة وياتى قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار وهذا اذا كانت هذه الطاعات من الصلوات، والصوم والزكوات، واقعة فى محلها، ومصاريفها من حلها، فانها لا تفيد الظالم، الا فى وفاء المظالم، واما اذا كانت من الحرام، وماء غراسها من مياه الاثام، فهى وبال على وبال، وقيود فوق نكال، ووهن على كسر، ونقصان فوق خسر، وقال ايضا، افاض الله عليه سحايب صلواته فيضا، لتؤدّنّ الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحا من الشاة القرنا فاستعذ بالله يا مولى الضير، ومولى الخير، من نار هذا الشرر، وان تتفرق طاعاتك شذر مذر، واعيذك يا سلطان الصادات، وما اكتسبته من الطاعات والخيرات، ان ينتقل الى ديوان غيرك، او يفوز بخيرك سوى طيرك، اللهم الّا ان يكون، يا ذا الوقار والسكون، على وجه ما قال، من احسن المقال، شعر

ويكتسب الطاعات ذخرا لعلّما   يجود بها يوم القيام على العاصى

او على وجه ما قيل، واحسن به من وجه جميل، شعر

يجود بما ضنّ الجواد بمثله   من الوفر بل لو امكنته شمايله
لعاد على المرضى بصحة جسمه   وجاد على الموتى بعمر يطاوله
ومنّ على النوكى بوافر عقله   وقسّم فى الحمقى من الراى كامله
وثقل ميزان المخف باجره   لذا الوزن لما آن بالوزر كاهله
ولو لم يكن فى كفه غير نفسه   لجاد بها فليتق الله سايله

ولاجل هذا الخطر العظيم، والخطب الجسيم، تورع عن الحلال الزاهدون، وهمّ عن التلوث بالدنيا ذيل الرغبة العابدون، قال سيد البشر، والشفيع المشفع فى الحشر، لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما، سقى منها كافرا شربة مآء، وقال عليه الصلاة والسلام، والتحية والاكرام، اللهم

ارزق ال محمد قوتا ومع هذا كله فالملك والرعية امانة، ومن تقلد ذلك فقد اوجب على نفسه ضمانة، فليجتنب خيانته، ولا يشن بها امانته، قال صفوة الله تعالى وخيرته من بريته، كلكم راع وكلكم مسيول من رعيته، ومصداقه قول رب العالمين، وملك الملوك والسلاطين، وهو اصدق القايلين، انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فاعلم يا ملكا اعطى الزمان امانة، ان هذا الملك الذى بيدك هو من جملة الامانة، التى اشفق السموات والارض والجبال، وابين ان يحملنها خوفا من النكال والوبال، وخشية ان لا يفين بحقوق حملها، او يضعنا فى غير محلها، فيعاقبن، او بالعتاب يخاطبن، فتعففن عن الرغبة فى الثواب، خوفا من العتاب والعقاب، وعملن بموجب ما قيل شعر

هجرتك لا قلى منى ولكن رايت بقاء ودك فى الصدود
كهجر الحايمات الورد لما رات ان المنية فى الورود
تغيظ نفوسها ظما وتخشى حماما فهى تنظر من بعيد
تصد بوجه ذى البغضاء عنه وترمقه بالحاظ الودود

ثم حمل هذه الامانة بنو آدم، لما قدره وقضاه العلى الاعظم، فى سابق القدم، ولما فيها من احكام وحكم، وان الصادق المصدوق اخبر، فيما روى عنه ابو ذر، قال قلت يا رسول الله الا تستعملنى قال فضرب بيده على منكبى ثم قال يا ابا ذر انك ضعيف وانها امانة، وانها يوم القيامة خزى وندامة، الا من اخذها بحقها وادى الذى عليه فيها فمن حملتها الصلاة، والصوم والزكوة، والوضو والاغتسال، ومراقبة ذى الجلال، فى السر والاعلان، بقدر الطاقة والامكان، وعلى هذا جميع الطاعات، وانواع العبادات، هى فى رقاب العباد امانات، ومن اعظمها، واتمها واحكمها، الامرة والحكومة، والتصدى لفصل الخصومة، والسلطنة العلية، وامور الملك البهية، والقيام بامور الرعية، فيجب على السادة الحكام، ومالكى ازمة الانام، ان يراقبوا الله تعالى فى كيفية آدايها، ويطالبوا انفسهم على مر الانفاس بالقيام بوفايها، ويراعوا اوامر سلطان السلاطين، فى امور عبيده المستضعفين، خصوصا المظلوم والفقير والضعيف والمسكين، فاذا عاملوا عباد الله بالعدل، عاملهم الله تعالى عز وجل بالفضل، قال الله المنان، فى محكم القران، ان الله يامر بالعدل والاحسان، وقال السيد الكامل، والسند الفاضل، اشرف الاواخر والاوايل، صلى الله عليه صلاة تفنى البواكر والاصايل، سبعة يظلهم الله فى ظله، يوم لا ظل الا ظله، امام عادل بدا فى هذا الفصل، من ذكر الصفات بالعدل، والعدل يا ذا الوجه النير، الوسط والوسط هو الخير، قال من امره فهو وسطا، وكذلك جعلناكم امة وسطا، لتكونوا شهداء اى للانبياء تشهدون لهم على اممهم لعدالة نبيكم، ويكون الرسول عليكم شهيدا اى يزكيكم، اى وجعلنا نبيكم امام القبلتين، حايز الفضيلتين، جعلناكم حايزين خصلتين، بالغين مرتبتين، وهما كونكم عدولا شهدآء، على الناس للانبيا، مقبولى الشهادة فى الآدا، وكون الرسول معدلكم، وبتزكيته على الامم مفضلكم، وقال صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، وفخم وعظم، عدل السلطان يوما يعدل عبادة سبعين سنة وقال عليه السلام، والتحية والاكرام، والذى

نفس محمد بيده انه ليرفع السلطان العادل الى السماء مثل عمل جملة الرعية وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه عليه السلام قال ثلثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصايم حين يفطر ودعوة المظلوم وروى كُثَيّر بن مُرة رضى الله عنه قل قال عليه السلام السلطان ظل الله فى الارض ياوى اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر، وعلى الرعية الشكر، واذا جار كان عليه الاثم وعلى الرعية الصبر، وعن ابى هريرة رضى الله عنه يرفعه لعمل الامام العادل فى رعيته يوما افضل من عبادة العابد فى اهله ماية سنة او خمسين سنة وقال قيس ابن سعد ستين سنة واعلم، ايها الملك الاعظم واسلم، ان العدل ميزان الله تعالى فى الارض، به ينتصف بعض الرعية من البعض، وبه يوخذ للضعيف من القوى، ويُعبَد الله على الصراط السوى، ويتميز الحق من الباطل، والحالى من العاطل، وهو من صفات الذات، واعظم الصفات، بمعنى ان الله تعالى عزوجل جلالا، له ان يفعل فى ملكه ما يشآ فيوتى الملك من يشا وينزع الملك عن يشا ويعز من يشا ويذل من يشا ويحكم ما يريد، والخلق كلهم له عبيد، وجميعهم بعض ملكه، نافذ فيهم سهم امر ملكه، فلا اعتراض على فعل المالك، ولا فيما يسلك بمملوكه من المسالك، ولا مجال لاعتراض عبده على ذلك، لا سيما اذا كان مولاه كريما، وفى افعاله مدبرا حكيما، فمن عرف ان الله عدل، وان افعاله جارية بين العدل والفضل، يتلقى نقمه بالصبر، ويقابل نعمه بالشكر، ويطمئن خاطره، وتسكن الى مولاه سرايره، فلا يستقبح موجودا، ولا يستهجن مفقودا، ولا يستثقل حكما، ولا يرى فى الكون ظلما، بل يستقبل الاحكام بالرضا، ويستسلم لموارد القضا، ويقابل العوارض بما قاله ابن الفارض شعر

وكل الذى فى الحب منك اذا بدا   جعلتُ له شكرى مكان شكيتىَ

واعدل المخلوقات، واوسط الكاينات، الانبيآء عليهم السلام، فانهم اعدل الخلق مزاجا وطبيعة واقوم الناس منهاجا وشريعة، واوسط البشر افعالا، واقسطهم اعمالا واقوالا، وانما يعترض على اقوالهم، ويتعرض لافعالهم، من هو عن الصواب منحرف، وعن جادة الحق منصرف، ومن عين بصيرته عميا عن مراقبة التحقيق، كالاعمى الذى خرج وهو ماش عن سواء الطريق، فيعثر عن شوك او حجر، او يصدمه حيوان او شجر، فيقول نحّوا هذا عن الطريق، فانه يحصل به للمارّة تعويق، ويعيب على واضعه، وانما العيب فى طبايعه، والجهل منسوب اليه، لعمى قلبه وعينيه، كما قال ذو الخويصرة، لسيد الرسل البررة، لما قسم الغنيمة، قسمة مستقيمة، اعدل، فاجابه الكامل المكمل، بانه ان لم يعدل فمن يعدل، وانه اى ذا الخويصرة، الذى اعمى الله بصره، خاب وخسر، ولاقى اليوم العسر، ان لم يعدل، ذلك المُفضِل، وكيف يقال هذا الكلام، لمثله عليه السلام، وقد امره الله تعالى بالعدل، ونُشر نَشر هذا النقل، واقر عينكم، بقوله واُمرتُ لاعدل بينكم، قال الاسد الغالب، على بن ابى طالب، كرم الله وجهه، وجعل الى رضوانه له احسن وجهة، امام عادل، خير من مطر وابل، واسد حطوم، خير من سلطان ظلوم، وقيل الملك يدوم مع العدل، ولو كان الملك كافرا ولا يدوم مع الظلم ولو كان الملك مسلما وما تعاطى حاكم ذو فضل، فضل قضية فى فصل، احسن من سلوك طريقة العدل، ولهذا بقى اسم انوشروان، مخلدا بالعدل على مر الزمان، والى يوم ينصب

الميزان، مع انه كان مجوسيا يعبد النيران، والسنة التى اخترعها، بالسلسلة التى وضعها، باقية فى ممالك الصين، معمول بها الى اخر حين، وقيل انه كان شديد الوداد، للاصطياد، وكان يعشق البازى والزُّرق، والصقر والباشق والبيدق، فسال يوما من البازدار، لم كانت هذه الاطيار قصار الاعمار، قال لانها تظلم الطيور، والظالم عمره قصير، فتنبه بهذه الكلمة واتعظ، وكفّ يده عن الظلم واحتفظ، ثم اسس قواعد العدل، فانتشر ذكره الى يوم الفصل، ويكفيه من الفضايل، قول السيد الكامل، ولدت فى زمن الملك العادل، وروى ان بعض الملوك العادلين، والحكام الفاضلين، استولى عليه الكبر، ووقر فى اذنه وَقْرٌ وَقَر، وكان قبل الصمم، فى العدل والكرم، كما قيل

وانّةُ مظلوم وغصّةُ سايل على اُذْنه احلى من الشهد فى الفم

فحزن لفقد سمعه وتأسف، وتحرّق وتلهّف، وتارق وبكى، وتأوّه واشتكى، وذلك ما التهف من عدم سماع الحديث، الا على فقدى صوت المستغيث، ولا كنتُ اتلذذ من متكلم، الا بالاصغا الى خطاب المتظلم، ثم قال ولئن حرمتُ ذلك من طريق الاخبار، فلا توصلنّ اليه من طريق الابصار، ثم امر باشهار الندا، فى الاطراف والارجا، انه من كانت له ظلامة، فليظهر له علامة، وهى ان يلبس ثوبا احمر، ويقف فوق ذلك التل الاخضر، لنعرف علامته، ونكشف ظلامته، وقيل ان السلطان السعيد، نور الدين الشهيد، لما امر ببناء دار العدل، وعزم ان يقيم فيها للحكومات الفصل، ادرك الامير الكبير، صاحب الراى المنير، اسد الدين شيركوه، ما يعتمده السلطان ويرجوه، وما يحمله على ذلك ويدعوه، وعلم ان ذلك الاسد، لا يُسامَح عنده احد، وانه لا يراعى فى الحق اميرا، ولا كبيرا ولا صغيرا، فانه مع الحق وبالحق قايم، لا تاخذه فى الله لومة لايم، فجمع مباشرى ديوانه، واكد ما قاله لهم بايمانه، لئن شكا عليهم احد، او بلغه عن احد من حاشيته ظلم او نكد، ليذيقنه اشد العذاب، ولينزلن به انكى عقاب، وقال ما برز هذا الامر العزيز الغالى، ببناء هذا المقعد العام العالى، الا لاجلى ولاجل امثالى، فما وسعهم الا طلب الخصوم، واسترضاء المعامل والمظلوم، وروى ان احد الصدور، غصبه بعض عمّال المنصور، واخذ منه كفرا من الكفور، فتوجه الى الخليفة، وضرب له امثلا ظريفة، وقال اصلح الله امير المومنين، واقام به شعاير الدين، ونصر به المظلومين على الظالمين، اأذكر ظلامتى اولا، ام اضرب امام حاجتى مثلا، فقال دع الجدل، واضرب المثل، فقال الهمك الله العدل، واقام بك قواعد الفصل، ان الطفل اذا نابه ما يكرهه، او قرعه خطبٌ يَجْبَهه، فرّ الى امّه، واجتبش اليها من همّه، فاوى الى حضنها، واندس تحت ضبنها، لانه لا يعرف سواها، فيستكشف بها عن نفسه ما دهاها، ولايظنّ ان غيرها، يدفع عن نفسه ضيرها، فاذا عرف اباه، بث اليه شكواه، واستدفع به ما عراه، لانه قد وَقَر فى وَهْمه، ان اباه اقوى من امه، وان غيره من الناس، لا يقدر على دفع الباس، فيلتجا اليه، فيترامى فى شدايده عليه، ولا يقبل عذره، ان ترك نصره، او قصّر فى مبتغاه، او تهاون فى متمناه، ولهذا قال بدر الحى، ان النساء والصبيان يظنون ان الرجل يقدر على كل شى، فاذا اشتد واستوى، واصابه من احد جوى، تقدم الى الوالى، لان مقامه عالى، وهو اقوى من ابيه، فيستكشف به ما وقع فيه، فاذا صار رجلا، واصابه من احد نكدٌ وبلا، استنجد بنايب

السلطان، فوجده له احسن معوان، فاشكاه، ورفع بلواه وكفاه، اذ دعاه من عداه، ما دهاه، ورعاه، عما عراه، فانه اقوى من الوالى، واقدر على دفع الظلامة من كل منهمك غالى، وهو السلطان الحاضر، والعامل والناظر، على البادى والحاضر، فاذا ظلمه الوالى والعامل، ونقصه حقه ذو الحكم الكامل، تعلق باذيال عدل السلطان، واستكشف بمراحم نصرته ما دهاه من عدوان، اذ قد تحقق، ورای وصدّق، انه اقوى من الملك، والى مرسومه مرجع الحلّ والعقد، ولا يدٌ فوق يده، وانه قد انتهى حديث رفعته لعلو سنده، وبلغ فى التسلط ونفوذ الامر الى اقصى امده، اذ هو ظل الله فى ارضه، وخليفته فى اقامة نفله واجباً فرضه، وقبض ازمة المخلوقين، ومنصف المظلومين من الظالمين، فاذا لم ينصفه السلطان، مع القدرة الكاملة والامكان، توجه بشكواه الى سلطان السلاطين، وطلب رفع ظلامته من رب العالمين، لعلمه انه الحكم الذى لا يجور، والحكيم الذى بيده مقاليد الامور، والحاكم الذى يعلم خاينة الاعين وما تخفى الصدور، وانه اقوى من السلطان، ولا يحتاج فى الشكوى الى بيّنة وبيان، وقد نزلت بى حادثة للقلب ضارّة، وبالفكر والسر عابثة عايثة، وهى ان العامل الفلانى، ظلمنى واخذ مكانى، فانا اشكوه اليك، وقد ترامیت عليك، وعرضت قصتى بين يديك، لانك نعم السند، وليس فوقك احد، ولا فى الحكام، الا من هو لك بمنزلة الغلام، وما بعدك الا الله، مولى لا يخيّبُ من رجاه، ويجيب المضطر اذا دعاه، فان وعيت قصتى، وكشفت غصّتى، والا رفعتها الى الله، وقطعت النظر عما سواه، وهذا اوان الموسم، واعمال المنسم، وانا متوجه الى حرمه، ومترام على باب كرمه، فلما وعى المنصور خطابه، ارسل من سحاب جفنه عبابه، وقال حبا وكرامة، يا ذا الزعامة، بل انصفك، وبالفضل اسعفك، واضعف كرامتك، واكشف ظلامتك، واوصلك حقك، واعطيك مستحقك، وامر فكتب الى واليه، يضع من معاليه، ويامره برد اراضيه وطلب مراضيه، والتحلل من ظلم اياديه، واكرام محله ونادیه، وروى ان موسى الكليم، عليه الصلاة والتسليم، فى بعض مناجاته، وسواله حاجاته، سال الله من فضله، ان يريه نكتة من عدله، فامره ان يتوجه الى مكان، ويختفى فيه عن العيان، فامتثل ما امر، واختفى فى ذلك المكان على شط نهر، فما كان باسرع من قدوم انسان، الى ذلك المكان، فبمجرد ما وصل اليه، نزع من ملبوسه ما عليه، وكان معه كيس، فيه مال نفيس، فاودعه ثيابه، ورام فى الما انسيابه، فدخل فى ذلك النهر، وغلغل فيه الى ان غاب عن النظر، فاقبل فارس، فوجد ثيابا بلا حارس، فنزل عن الدابة، وفتش ثيابه، واخذ كيس الذهب، وركب فرسه وذهب، واسرع فى الذهاب، الى ان زال شخصه وغاب، ثم اقبل شخص ذو شحب، وعلى ظهره حزمة حطب، فانتهى الى الماء، وقد برح به الظما، وامضه التعب، واخذ منه النصب، فطرح عن ظهره الحطب، وقصد الراحة، وقد ظهر الذى كان فى السباحة، فوجد عند ثيابه، شخصا من اترابه، فاستانس به، وتناوه لمكتسبه، وما يقاسيه من نصبه، ثم اشتمل ملبوسه، وتفقد كيسه، فما وجده، فعض يده، فسال الحطاب، عما كان فى الثياب، وطلب منه الكيس، بالتعبيس، فقال ما رايته، ولا حويته، فقال هل كان معك احد، فقال لا والواحد الاحد، قال فهل كان هنا سواك، قال لا والذى سوّاك، قال يا اخى انا وضعت الهميان، بيدى فى هذا المكان، ولم يطل على ذلك زمان، ولا حضر سواك حيوان، ولا طمعه

هذرا هذا الموضع انس ولا جان، فلا اشك انه اخذته، ولنفسك اتلذته، فاقسم بعالم الخفيات، وكاشف البليات، المطلع على الضماير والنيات، انه ما راى له عيانا، ولا يعرف لذلك مكانا، فقال لو شهد لك الكون والمكان، ونطق ببرائتك جوامد الزمان، وزكاهم الكرام الكاتبون، لما شككت انهم كاذبون، لان انكار المحسوس مكابرة، والمثابرة على الباطل للحق مدابرة، ولكن خذ لك منه يا فقير، الثلث والثلث كثير، واردد علىّ الثلثين، وان ابيت فاجعله بينى وبينك نصفين، فما زاد ذلك على اليمين، وما شان هذا انه يمين، فقال اردد علىّ مالى، والا قتلتك فلا لك ولا لى، فقال ما رايت مالك، فافعل ما بدا لك، فشرع فى تفتيشه، وبالغ فى فحصه وتنبيشه، فلم يهتد الى شى، سوى الضلال والغى، فاخذه الحنق، واشتد به الارق، وثارت نفسه الابية، واتقدت سورته الغضبية، فضربه بحده فقتله، وجدّ له بالاهلاك فجدّله، ثم تركه وذهب، ولم يحظ من الذهب بغير اللهب، كل هذه الاحوال، وموسى عليه السلام يشاهد ما فيها من افعال واقوال، ثم ناجى فقال، يا ذا الجلال، انت عالم بحقايق الامور، وسواء عندك البطون والظهور، سالت فضلك، ان تريني عدلك، فاريتنى هذا المغرم، وانت اعلى واعلم، ففى نظر ما اريتنى، وبكرامته غمرتنى، من الشريعة المطهرة، ونص التورية المحررة، هذا الحكم، جور وظلم، فاطلعنى على الحقيقة، وبين لى سلوك هذه الطريقة، فقال الله تعالى، وجل جلالا، يا موسى المقتول قتل ابا القاتل، والقاتل سرق الكيس من ابى الفارس الخاتل، ففى الحقيقة الفارس النبيه، وصل الى ماله المتخلّف عن ابيه، والقاتل انما استوفى قَوَدَه، ممن قتل والده، وهذه الامور، انما تتضح يوم النشور، يوم تبلى السراير، وتكشف الضماير، وينادى يوم التناد، لا ظلم اليوم ان الله قد حكم بين العباد، ونظير هذه القصة، ما ذكره الله تعالى وقصّه، فى روض كلامه النضر، عن موسى والخضر، عليهما السلام، والتحية والاكرام، اذ ركب السفينة وخرق، خرقا موديا الى الغرق، وقتل النفس الزاكية، واقام بغير اجر اركان الجدار الواهية، وبعض ذلك مخالف لظاهر الشريعة، تنفر عنه النفس السليمة والطبيعة، ولكنه موافق للحكمة الالهية، ومقتضيات العقل الحقيقية، الذى لا يطلع عليه الا عالم الاسرار الخفية، ولهذا قال جل واحدا احدا، تعالى فردا صمدا، عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا، ثم استثنى من هذا القول، الا من ارتضى من رسول، وانما الشريعة الزاهرة، وردت بما يقتضى من الحكم ظاهره، فتعبدنا الله فى الشرايع، بظاهر ما يثبت فى الواقع، قيل من ايقن بحقيقة اربعة، كان من ضيق ارباب فى سعة وامن ودعة، ومن ايقن ان الصانع، الصبار النافع، لم يختلى ولم يغلط، امن من العيب والشطط، ومن ايقن ان الخلاق، ومقسم الارزاق، لم يحف فى خلقه، ولم يهمل فى رزقه، امن من الحسد، واستراح من النكد، ومن ايقن بوقوع المقدور، وانه لا ينجيه منه محذور، امن من الغم، ولم يتسلف الهم، كما قيل شعر

ما قد قضى يا نفس فاصطبرى له ولك الامان من الذى لم يُقدَر

ومن عرف اصله، امن من الكبر نصله، وكُتب فى قضية، الى اعدل خلفاء بنى امية، من عامله بحمص، انه هدم الدمص وعدم النمّص، وان ربضها رابض، ومرعى رياضها بارض، وانها محتاجة الى عمارة وزراعة، وحراسة ومناعة، فكتب اليه عمر بن عبد العزيز، هذا الجواب المفيد الوجيز،

وهو حصّنها بالعدل، ونقّ طرقها من الخدل، يثبت البنا وينبت الكلا والسلام وقيل امير بلا
عدل كغيم بلا مطر، وعالم بلا ورع كشجر بلا ثمر، وشاب بلا توبة، كمشكاة بلا مصباح،
وغنى بلا سخا كقفل بلا مفتاح، وفقير بلا ادب، كشابخ بلا حطب، وامراة بلا حيا، كطعام
بلا ملح، وقاض جاير كملح على جرح، وقيل العالم بستان سياجه الشريعة والشريعة سياسة يخدمها
الملك والملك راع يعتضده الجيش والجيش اعوان يكفلها المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية احرار يستعبدها
العدل والعدل سلك به نظام العالم وليعلم ان الملة الاحمدية، والشريعة المحمدية، في اعدل الملل،
واقوم النحل، مثلا النصارى لا يتحامون الحايض ايام اقرايها، ولا فرق بين الحايض وغيرها من
نسايها، واليهود يجتنبونها، فلا يواكلونها ولا يشاربونها، ولا يقربونها راسا، ويعدونها رجسا وركسا،
فسلكت الشريعة المحمدية في ذلك، اعدل الطرق وافضل المسالك، فتعاشر كالاطهار، وحرم قربان ما
تحت الازار، وفي بعض الملل على الذي قتل القود والقصاص، وليس في الدية خلاص، وفي بعض
الدية لا غير، وما للقصاص فيها سير، ودين الاسلام المرفوع، كل فيه مشروع، والعدل في الاعتقاد،
يا ملك البلاد، ترك التخليط، وسلوك بين الافراط والتفريط، والقول بالتقديس والتنزيه، واثبات
الصفات من غير تعطيل ولا تشبيه، واقتباس النور من جمرين، وسلوك امر بين امرين، والعدول عن
المذهب البغيض، وهو مذهب الجبر والتفويض، والعدل في الفقهيات، يا معشوق المخدرات
والخدارات، الذي قام عليه النص دليلا، ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا،
فمن العدل الوضوء المعتاد، ثلث مرات ومن نقص او زاد فقد تعدى وظلم، كذا قال النبي المكرم،
صلى الله عليه وسلم، اى تعدى ان اسرف، وظلم ان اجحف، والعدل في الصلوة، ان تكون
على مرتضى الشرع ومقتضاه، وهي اداوها في افضل الاوقات، موداة مع الجماعات، في الصف الاول،
على الوجه الاكمل، عن يمين الامام، من الافتتاح الى الاختتام، مع تعديل الاركان، بل التعديل
فرض عند بعض الاعيان، لا نقرا كنقر الطير، ولا تطويلا يضرّ بالغير، والعدل في الزكوة ان لا
يتيمّموا الخبيث منه ينفقون، ولا يجعلوا لله ما يكرهون، ولستم بآخذيه، الا ان يغمضوا فيه، ولا
يكلف جابي المال، ان يعطي كرايم الاموال، والعدل في الصوم، يا سيد القوم، ان لا يتناول
فوق الغذا المعتاد، ولا يصل بالوصال الى درجة الاجهاد، ويعجل الفطور، ويوخر السحور، والعدل
في الحج ان لا يباري في الانفاق، ولا يصاري الرفاق بالشقاق، كما يفعله ابناء الزمان، فان ذلك
خسران، والازدياد من ذلك نقصان، ولقد بلغك يا قمر، ما قاله عمر، لخادمه يرفا، وذا لا يخفى، كم
بلغت نفقتنا مقدارا، قال ثمانية عشر دينارا، يا امير المومنين قال ويلك اجحفنا بيت مال المسلمين،
واياك والاشر، وترك الناه كل شر، فقد بلغك قيمة راحلة سيد البشر، ليدل ذلك على ترك البطر
والاشر، ولا يقصر في نفقته، بحيث يصير كلا على رفقته، وكذلك في كل الانفاق، يا ملك
الافاق، قال من عز كلاما، وجل مقلا ومقاما، والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين
ذلك قواما والعدل في النكاح، يا حبيب الصباح، لمن عليه يقوى، فهو اقرب للتقوى، وهو يا ابا
حسان، واجب عند التوق، سنة عند القدرة عليه، مستحب عند استوآ طرفيه، مكروه عند
العجز عنه وهذا بحث قد فرغ منه، وقس يا ذا الكرامات، على هذا ساير العبادات، وجميع العادات،

Digitized by Google

وعقود المعاملات، ولا تتعدّ الحدود في الحدود، فان ذلك مردود، وعلى قانون العدل وردت الشريعة المطهّرة، وجرت قديما شرايع الانبياء البررة، وكذلك مقادير الملة المحمدية، عليه ازكى تحية، محررة على القواعد العدلية، وفيها من الحكم الالهية، ما يعجز عن ادراكها القوى العقلية، قال الله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وحاصل الامر، يا ذا النهى والامر، ان العدل هو قوام كل فضيلة، كما ان التصبير هو اساس كل خصلة جميلة، وان اردت بسط هذا البيان، فدونك القول والتبيان، في تفسير القران، المنزل على اشرف جنس الانسان، ان الله يامر بالعدل والاحسان، فقد اشبع التقدير، ودقق التحرير، في روضة التصبير، فارس ميدانه الامام الخطير، فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير، والعدل يجرى في الصفات، كما يمشي في الذوات، ومرتبته في العلو، ان يكون بين التقصير والغلو، كالكرم الذي يكون بين الاسراف والتبذير، والشحّ والتقتير، والتواضع الذي بين الضعة والتكبر، وبين التصعّر والتصغّر، والشجاعة التي بين التهوّر والخفّة، والجبن الطايش الكفة، والقناعة الذ بين الحرص والطمع، والندالة والهلع، وبين والعجب والتصلف، والاحتشام والتقشف، والاخلاص الذي بين الشرك والهوى، وبين الاعجاب والريا، والعفة الذ بين التهافت على المشتبهات، والترفع عن تناول المباحات والطيبات، والحزم الذي بين سوّ الظن والوهم والوسواس، وبين اذاعة السرّ والاختفاء وعدم المبالاة بالناس، والحلم الذي بين الغضب، بلا سبب، وبين التغاضي عن اللئام، عند موجب الانتقام، والشفقة ولين الجانب، للاقارب والاجانب، الذي بين القسوة والاستكبار، وبين الرخاوة واللين المستلزم لتضييع حقوق الاهل والجار، وحفظ الحقوق الذي بين التكلف والعقوق، يراعى فيها الحدود، ولا يخرج فيها عن الحد المعهود، فالخروج عنها يسمى عناد او قساوة، والتقصير فيها يدعى ركاكة ورخاوة، مثلا من يستحق العفو لا يضرب، ومن يستاهل الضرب لا يقطع ولا ينكب، ومن استوجب القطع لا يقتل، ومن وجب عليه حدّ لا يهمل، وتجرى امور الشرع الشريف، على ما ورد به الامر المنيف، ثمّ تمّ احد اكرم من الله ولا ارحم، ولا اعلم بامور مخلوقاته ولا احكم، قال السميع البصير، الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، وروى ان الامام المسدّد، جعفر بن محمد، دخل على الرشيد، وهو في امر شديد، قد استولى عليه الغضب، واستخفه الطيش والصخب، فقال يا امير المومنين، ان كان غضبك لرب العالمين، فلا تغضب له اكثر من غضبه لنفسه، وقد حد لكل شيء حدًّا من نعمه وباسه، فلا تتعد حدوده، فانه قد ملّكك عبيده، فتذكر من وقوفهم بين يديك، واقتدارك عليهم اذا تمثلوا قياما لديك، قدومك يوم القيمة عليه، ووقوفك خاضعا منفردا بين يديه، ومن انتقامه منهم، سواك اياك عنهم، فسكن من غضبه، واقتدى بادبه، وقال الحكماء للاسكندر عليك بالاعتدال في كل الامور، فان الزيادة عيب والنقصان عجز وفي الحديث خير الامور اوسطها ولهذا قيل، في الاقاويل، ينبغي للانسان، الراجح العقل في الميزان، ان يحصّل من كل علم مقدارا يحتاج اليه، ويعوّل في مشكلاته عليه، مثلا من علم الادب، ما ينال به عند اربابه الرتب، كاللغة والنحو والصرف، ولو انه ادنى حرف، ليقوّم بذلك لسانه، ومن علم المعاني ما يبدع به بيانه، ومن العروض والقوافي، المقدار الوافي،

والمعيار الكافى، ومن الطب ما يعرف به مزاجه ، ويصلح به علاجه، ويقوّم به اعوجاجه، ومن علم التفسير والقران ، ما يقتدر به على بيان كلام الرحمان، ومن علم السنة والحديث، ما يميز به الطيب من الخبيث ، ويضبط به اقسامه، وصحته وسقامه، والانساب والرجال، وما لهم من صفات واحوال، ان لم يكن مفصلا فعلى الاجمال، ويندرج فيه علم التاريخ، الراعى الشماريخ، ومن علم الكلام، ما يصحح به دينه، ويقيم به اعتقاده ويقينه، ومن علم الاصول، وما اشتمل عليه من منقول، ما يقدر به على استنباط الاحكام، ومعرفة ادلة الحلال والحرام، ومن علم الفروع ، ما يحكم به اصناف العبادات، وانواع العادات، وطرايق العقود ، واقامة الحدود، ومن علم مكارم الاخلاق، ما يصيد به قلوب الرفاق ، ويكتسب به الذكر الجميل ، والثناء الجليل، ومن الحِرَف ما يحصل به القوت الحلال ، ولا يصير على الناس كلا ذا املال، وقد قيل خالطوا الناس مخالطة ان غبتم حنّوا اليكم ، وان متم بكوا عليكم، ومن علم الركوب والرمى والسباحة، والخط ولعب الرمح والسياحة، وعلم الفرايض والحساب ، وطرايق المبايعات والكتاب ، ما يقدر به على الدخول اليه، اذا تكلموا فيه بين يديه، بحيث يكون له فيه مشاركة والمام، ولا يكون بين الخواص به كالعوام، وكل ما ذكر سلوكه عدل، والتلبس به كمال وفضل، وراس مال الجميع التقوى، فان الانسان الضعيف بالتقوى يقوى، قال الله تعالى لكن يناله التقوى منكم وبالجملة فالعاقل العادل،بل الكامل الفاضل ، لا يستنكف من نوع من العلوم، ولا تبرد همته عن اقتباس منطوق ومفهوم، قال معلم الخير ومحذر الشر، تعلموا حتى السحر، وقال الشاعر شعر

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه

وكل صافى السريرة، وذى بصيرة منيرة، يتوجه الى التعلم والاستفادة ، ويجعل مُراده مَرادة ، اىّ علم كان، خصوصا اذا كان من الشرف بمكان، قال بعض الوزرا لابنه يا بنى تعلم العلم والادب، ولا تسام فيهما عن الطلب، فلو لا العلم والادب، لكان ابوك فى السوق حمالا، والنوق جمّالا، فبالعلم والادب ، ركبنا اعناق الملوك، واحوج الناس يا ذا الافضال، الى اكتساب الفضل والعلم والكمال، السلاطين والملوك، ومن تبعهم فى السلوك، فانهم بين خلق الله تعالى هم المرموقون، والسابقون بجلايل النعم لا المسبوقون، وبحفظ بلاده وعباده المستوثقون، وبالسوال عنهم موثوقون، فهم المتحملون لاعباء العدل، المكلفون بالمحاسبة عنه والفصل، قال من يقول للشى كن فيكون قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهم اقدر على التحصيل من غيرهم، والزمان والمكان تابعان لسيرهم، والخاص والعام يتمنى قربهم، ويسلك فى التوصّل الى جنابهم دربهم، ويبذل فى ذلك ما وصلت اليه يداه، ويجعل تحصيل ما يرومونه غاية متمنّاه، فيبذل جهده فى ايصالهم اليه، ويكدّ قلبه وقالبه فى اطلاعهم عليه، قال شعر

ولم ار فى عيوب الناس نقصًا   كنقص القادرين على التمام

وقال بعض الملوك لاولاده يا بنى اكتسبوا العلم والفضل ، وادخروا الحلم والعدل، فان احتجتم الى ذلك كان مالا ، وان استغنيتم عنه كان جمالا ، وقال بعض الحكماء، العلم ملك ذو اعضاء، واسه

التواضع ودماغه المعرفة ولسانه الصدق وقلبه حسن النية ويداه الرحمة ورجلاه مثابرة العلماء وسلطانه العدل ومملكته القناعة وسيفه الرضا وقوسه المساياة وسهمه المحبة وجيوشه مشاورة الادباء وزينته النجدة وحكمه الورع وكنزه البر وماله العمل الصالح ووزيره اصطناع المعروف ومستقره جودة الراى ومأواه الموادعة ورفيقه مودة الاخيار وذخيرته احتساب الذنوب والحاصل يا ملك الطير، ويا مالك الخير، ان قوام العالم، ونظام بنى ادم، سيف الملوك والسلاطين، وقلم العلماء الاساطين، فمهما حدث من شر محاه سيف الملوك، ومهما وجد من خير اثبته قلم علماء الارشاد والسلوك، وفى الحقيقة، يا شيخ الطريقة، العالم عبارة عن هولا، وبصلاحهم تصلح الاشياء، وبفسادهم والعياذ بالله تفسد الدنيا، اذ هم لزوال الفساد، وطهارة العباد وعمارة البلاد، بمنزلة الصابون للاوضار، والاستغفار للاوزار، فاذا فسد هولاء، فما لفسادهم دواء، كما قيل شعر

الذنب صابون الاستغفار يغسله كالثوب ينظف بالصابون اذ وسخا
فما الذى يغسل الصابون من دنس اذا رايناه صار الذنب والوسخا

وناهيك يا ملك العقبان، ما فسد من الزمان، وجرى من الدماء من شوقان، وامتحى من امهات البلدان، عند استيلاء الكافر جنكزخان، فسال العقاب، عن كيفية هذا المصاب والعقاب، ومن هو جنكزخان، الذى افسد وخان، وما اصله وفصله، وكيف كان قطعه ووصله، حتى نفذ فى كبد العالم، بالفساد نصله، فقال هذا رجل من التتار، الساكنين من بلاد الشرق فى قفار، وهم من بقايا ياجوج وماجوج، عن الاسلام منحرفون وعن الايمان عُوج، سُمّوا بالترك لانهم تركوا عن دخول السُد بالخروج، فكانوا قبل جنكزخان، مبددين فى صحارى لا يتفق منهم اثنان، مسيرة اماكنهم، ومدى مساكنهم، شرقًا بغرب نحو من ثمانية اشهر، وشمالاً بجنوب لا ينقص عن هذا المدا ولا يقصُر، حدّها من الشرق حدود ممالك الخطا، واقصاها خان باليق وهى مدينة عظمى، ووراءها شرقًا، يا من يرقى، ينتهى لحد، بعد السير الجد، الى بلدة عظيمة، ولاياتها جسيمة، تدعى خيسار، واهلها كفار، وهى مبدا مملكة الصين، يا ذا المجد الرصين، ومن الشمال نواحى قرقير وسلنكاى ومن الجنوب بلاد تدعى تَنْكِت وتبت وتبت هذه يا ذا النُسك، هى التى يتولد من غزلانها المسك، ومن الغرب وهى جهة قبلة تلك البلاد، اذا صلى منهم المسلمون والعباد، حدود بلاد اويغور، وما والى تلك الثغور، من بلاد تركستان، يا ذا الاحسان، ويسير المُجد إمنها، اذا انفصل عنها، كذا وكذا شهر، حتى يتصل من جهة غربيها الى ماورآء النهر، ثم هولاء التتار، كانوا فى تلك القفار، بين هذه الحدود الاربعة، فى متسعة واى مَضْيعة، يتوالدون فى ذلك البر، ويتهارجون فى ذلك السهل والوعر، كالحيوانات السايبة فى البر والبحر، لا حاكم يردعهم، ولا دين واعتقاد يجمعهم، وهم فيما بينهم قبايل وشعوب، واصناف وضروب، وخلايق وامم، لا يعرفون الاسلام والسَلَم، بل كل امة تلعن اختها، وتنهب تختها وتاكل رختها، وكل طايفة تعدّ غارتها، وتقصد جارتها، وكل من قوى على غيره كسره، اما قتله واما اسره، لم تزل المكارحة بينهم قايمة، والمناطحة بين ثيرانهم وكباشهم دايمة، وعيون الرشد والاهتداء عنهم نايمة، وضوارى الظلم والاعتداء فى مسارح سوارح احلامهم سايمة، يعدّون النهب غنيمة، والفسق والفجور والنميمة، اجمل صنعة واكمل

شيمة، ياكلون الكلاب والفار، وما وجدوا من صيد القفار، والميتة والدم والبوم، لا يعرفون الحلال منها والحرام، ويلبسون جلودها واوبارها، واصوافها واشعارها، كما كان مشركوا العرب فى البرية، قبل اشراق شمس الملة المحمدية، لا زرع لهم ولا ثمر، سوى نوع من الشجر، شبه شجر الخلاف، هو ثمرهم فى الشتا والاصطياف، اسمه قسوق، وهم على ما هم عليه من الفسوق، يعبدون الاوثان والاصنام، ويسجدون الشمس اذا بزغت من الظلام، ويعظمون النجوم ويعبدونها، وتخاطبهم الجن ويرصدونها، وفيهم كهنة يعتقدونها، وسحرة يمكرونها، وسواجع زجرة، يجبى خراجهم الى ملك الختا، وهم على اشد كفر وخنا، قد تركب الكفر فى احشايهم، وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم، واعلى من فيهم من اكابرهم، وذويهم علامة رياسته، وانفراده بسياسته، وانه فيهم ذو باس شديد، وراى سديد ومال مديد، كون ركابه من حديد، وبقى اعيانهم، وذو مكانتهم وامكنتهم، ان كانوا ذوى جد، فركابهم قضيب ملوى او قد، وعندهم الفخر ملبوس، جلود الكلاب والنموس، والذياب والتيوس، وقس على هذا جميع تجملاتهم، مفاخر آلاتهم، فهم من قديم الزمان، وبعد الحدثان، حين بلغ ذو القرنين بين السدين، وساوى على ياجوج وماجوج بين الصدفين، والى اخر وقت، كانوا فى قلة ومقت، وضيق حال، وسوء بال، لا دنيا رخيه، ولا اخرة رضية، حتى نبغ منهم هذا اللعين، والطاغية تموجين، الذى تسمى بجنكزخان، وساعده قضا الديان، فامده الزمان، واطاعه المكان، لامر يريده الرحمن، وقضاء قدره على عبيده فى سالف الازمان، فطم العالم بالفساد، فاهلك العباد والبلاد، فصلى الله على سيد بنى عدنان، بل اشرف جنس الانسان، الذى قال يخرج فى اخر الزمان، رجل يسمى امير العُصَب اصحابه محشّرون محقّرون مُقصَوْن عن ابواب السلطان، يانونه من كل اوب كانهم قزع الخريف يورثهم الله مشارق الارض ومغاربها فاتّبعه منهم النسا والرجال، اتباع اليهود والكفرة المسيح الدجال، امم لا يحصرها حساب، ولا يحصيها ديوان ولا كتاب، وما يعلم جنود ربك الا هو، فارشدوا الى طرق الضلال بعد ما تاهوا، وصار كل من اوليك الطغام، الكفرة الفجرة الاوغاد اللئام، وكل كلّاب خادم كلاب الصيود، جرّب سيفه الذلّ الكدود، من اشراف الملوك وملوك الاشراف اعضاد الاسود، وفى رقاب النمور والفهود، وكل ماضغ شيح وقيصوم، وعلْج من اوليك العلوج وعلجوم، يتفكه فى انواع المستلذات من المشروب والمطعوم، وكلّ صعلوك مغلوك، من تركى متروك، او خدام مملوك، يتحكّم فى رقاب اكابر الملوك، ويستعبدون احرار اولادهم، ويستفرشون زوجاتهم وبناتهم فى بلادهم، شعر

على راس عبد تاج عز يزينه وفى رجل حُرّ قيد ذلّ يشينه

ومن لا يعرف البطاين المروية، ولم يسمع بالرقاع الكرباسية، يستوطى الاستبرق والديباج، ويتقلب على تخوت الصندل والساج، ويترقى الى سرر الابنوس والعاج، ويعامل التجار، والمضاربين فى البر والبحار، بالوف الالوف من الدرهم والدينار، فيجبى اليهم نفايس المضارب، من المشارق والمغارب، ومكامن المعادن، وذخاير الخزاين، كل ذلك بواسطة تلك الطاغية، واستيلاء الفية الباغية، وكان من امر هذا المصاب، الذى بدّل حلاوة العيش بمرارة الصاب، وخلّد فى الدهر قواعد الابلا والاوصاب، ان الله القاهر فوق عباده، الذى لا يُسئل عما يفعل من مراده، فى عباده وبلاده،

المتحرّق فى ملكه، تصرّف المالك فى ملكه، لما اراد ابتذال العون، وعموم الفساد عالم الكون، واستيصال غالب اهل الارض، واذاقة بعض عباده بأس بعض، واظهار اثار غضبه على صفحات الشهود، وابراز اسرار قهره على وجنات الوجود، ولحس سطور صدور علماء العالم على لوح الورود، بلسان نار السخط ذات الوقود، ونقص ارض العيش من اطرافها، واخلا ربوع خاصّة من آلاف آلافها، نبع هذا التمساح من انواع امواج هذه البحار، ونبغ هذا التنين المبين من ازهار تلك القفار، واغوار ارغاد عاتيك انتثار، فصار ممتازا على اقرانه، بوفور عقله وحسن بيانه، فكر مصيب، ورأى صايب، وحزم مجيب، وعزم ثاقب، وهمة تبارى الافلاك، وثبات يجارى السماك، كسر بصدماته الاكاسرة، وقصّ بسطواته القياصرة، وفرع بعزماته على قمم الفراعنة والجبابرة، وقهر بحملاته قهارمة خواقين الفغافرة، وكان اميًا لا يقرا ولا يكتب، اعجميًا عجربًا لا يحسب ولا ينسب، لا طالع الاخبار، ولا اقتفى فى سياسة الممالك الاثار، بل فرّع ما فرّعه من القواعد من صحيفة تفكيره، واخترع ما ابتدعه من تدبير الملك من مطالعة هواجس ضميره، فاسّس قواعد لو ادركه اسكندر ودارا، لما وسعهما الا اقتفا اثره، وشيد مبانى لو بلغت نمرود وشداد لبنيا قصور قصورهما وقصاراهما على اركان خُبْره وخَبَره، ورتب تجهيز السرايا والجنود، وربط عقود الجيوش والبنود، بطرايق يعجز عنها مهندس الحكمة، ويتقاعد عن حل رموزها معزم الفطنة، وغالب ما يتعاناه، ويستعمله ويتعاطاه، جيوش الاتراك فى بسيط الارض، من ابرام طرايق عساكرهم والنقض، انما هو من قوانين ما رتّبه، وافانين ما هذبه وركّبه، وله فى ترتيب حراب الحروب، وما فى فن الضرب والضراب من ضروب، وطرايق الاصطياد، مخترعات دقيق لم يسبق اليها من لدن كيخسرو وكيقباد، احكم بها الموافق، ونصر المصادق، وكبت المعادى، وكسر الاعادى، واستذل مع كثرة مخالفيه عليهم، وانفذ سهم تحكمه وتحكيمه فيهم واليهم، وصال فيهم حسبما اراد وجال، واتسع له فى التضييق على الاسلام والمسلمين المجال، فكل من عامله بالمجاملة، وتلقاه بالعبودية وحسن المعاملة، ابقى على نفسه واهله وماله، وحصّنهم من اليم خيله ورجاله، ومن قبله بالمقاتلة، وقاته بالمقابلة، وتلاقى صف قتاله سورة المجادلة، محا سطور كونه من لوح الوجود، واوطا سنابك خيله منه الجباه والخدود، فخرب ديارهم، ومسح اثارهم مع شركه واسلافهم، وتبدّد عساكره ونظائرهم، ومع ان اكثر الملوك والسلاطين، وحكام الممالك الاسلامية من الامرآ والاساطين، لعدم اكتراثهم بالاتراك والتتر، وشدة ما هم فيه من النخوة والبطر، ولاعتمادهم على حصونهم الحصينة، وتعويلهم على معاقلهم المكينة، ولكثرة العَدَد والعُدَد، والمساعدة المدد والمُدَد، ولوفور العماير ببلادهم، وخراب بلاده وبسطة استعدادهم، وضيق استعداده لم يعاملوه الا بالمكافحة، ولا ردوا جواب خطابانه الا باللعن والمكالحة، والسب والمقابحة، ولا قابلوه الا بالمزاحمة، والمراوسة والمناطحة، فقتلهم وابادهم، واستصفى طارفهم وتلادهم، وتوطن ديارهم وبلادهم، وابادهم عن اخرهم، واطفا قبايل عشايرهم، فمد لاكابرهم اسمطة الرزايا، ووضع فى افواه اصاغرهم اثدية المنايا، واجلسهم فى ولايم الدمار، واذاقهم على تجايب الانكسار، فى ملابس البوار، فاستاصل شافتهم بالكلية، وحكّم فيهم صوايل المنية، فلم يبق من ماية الف انسان مثلا ماية انسان، وذلك ايضا اما على سبيل التغافل، او على سبيل

النسيان، وسيذكر على سبيل الاجمال، ما يدل على تفصيل ما له من احوال، وشواهد ما فرّعه من اصوال، واستمر ذلك فى ذرتيه، وان كانوا رجعوا عن ملته، واصل هذه الاصلة، لما اضحت بخلقان اللعن اكسى من بصَلة، قبيلة من تلك التتار، الساكنين فى تلك القفار، تسمى قتات، ظلمة عُتات، غير امنآ وثقات، منها اباوه واجداده، وفيها اقاربه واحفاده، واخوته واولاده، فنشا كما ذكر بطلا باسلا، وشجاعا كاملا، سهام افكاره فى غمره مصيبة، ورصام ارايه فى مكره خصيبة، ثم اتصل بعد ما اختفى وخان، بملك الخطا يسمى باونك خان، واظهر من انواع الفراسة، والفروسة والكياسة، ما فاق به الناسه، وفات من العقل قياسه، فقربه الملك وادناه، ولمهامّه اصطفاه، ولا زال يترقى عنده الى ان ملك جنده، وصار عضده وزنده، ودستور ممالكه، ومسلّك مسالكه، وحاكم امرايه، وناظم امور وزرايه، وناظر جمهور كبرايه، وعين اعوانه وعون اعيانه، واعز من اخوته واولاده، وابرّ من حفدته واجناده، وكثفت حواشيه، وعظمت غواشيه، وملات السهل والوعر فواشيه ومواشيه، فثقل على الوزراء، وصعب على الامراء، اذ مدار الملك صار عليه، ومرجع الامير والمامور اليه، فحسده اولاد الخان واخوته، واجناده واسرته، واعملوا له المكايد، ونصبوا له المصايد، وتعاطوا افساد صورته، وتواطوا على اخماد سيرته، فصاروا يتناوبون على ذلك فى غيبته، ويمزّقون اديم عرضه عند الخان، ويشققون سر عصمته بمخاليب البهتان، ويراقبون للكلام اوقات القبول، ويواظبون فى المراسلة عليه بدلايل المعقول، حتى اوغروا صدر الملك عليه، واخذ يفكر فى كيفية ايصال الاساة اليه، ولم يقدر على مواجهته، لوفور جماعته وكثرة حاشيته، فان اوتاده كانت ثابتة، وغراس هيبته كالارزة نابتة، وفروع دوحة عصباته، قد احاطت بالملك من كل جهاته، حتى قيل، ان ذلك الثقيل، كان له من القرابات، وذوى الارحام والعصبات، والاولاد والاحفاد، ما جاوز فى التعداد، عشرة الاف نسمة، كل له حرمة وكلمة، فاضمر له السلطان البيات، وانتخب لذلك من عسكره اولى الثبات والاثبات الثقات، ولم يختلف عليه فى ذلك اثنان، لانه كان قد استحكم فيهم منه الشنان، وعلموا ان سهم مكره نفذ، وحسام فكره فلذ، وراوا من الراى ارصنه، ان يراقبوا لحتفه ممكنة، فتواعدوا على ليلة معينة، يدهمون فيها مامنه، وكان عند الخان، صبيان محرمان، لا يوبه اليهما، ولا يعوّل فى الامور عليهما، يدعى احدهما كلك والاخر باده، فانسلا من بين اولئك القادة، وسلكا من طريق الغدر العادة، واتيا تموجين، الطاغية اللعين، فى خفية، ونبها وعبة، واخبراه وبشّراه، وانذراه وحذّراه بما مالا عليه الملك، مع عسكره المنهمك، وقلا ايها العفريت، قد نبهتك قدرة التبييت، فتنبه من النوم، وارقب فى الليلة الفلانية هجوم القوم، فانه قد مرج مارج الفتنة فامزج، وعن وهاد غفلتك اعرج، ان الملايا تمرون بك فاخرج، وباعاه من الشر ما جرى بتخبير المشترى، وقصا عليه القصص، فخلصا طير حيوته من القفص، وظبى نجاته من القنص، فشكر لهما فعلهما، واستكنهما قوليهما، ثم تثبت فى امره، واخفاه عن زيده وعمره، وجمع تلك الليلة رجله وخيله، ولم يبد تلك الحال لاحد من الرجال، بل اخلى بيوته، ولازم سكوته، وقصد احد الجوانب، بما معه من راجل وراكب، واقام فى كمين، ينظر ايصدق الواشى ام يمين، فما مضى هزيع من الليل، الا وقد احدقت الخيل، فوجدوا البيوت خالية، والاطلال خاوية، فتحقق

صدق الناقل، وانه ناصح عاقل، فعمل مصلحته، واخذ حذره واسلحته، وتقرر وقوع النكد، فتقدم امامهم واستعد، فقصدوه، وبالانى رصدوه، ولا زالوا يتبعونه، حتى التقوا بمكان يسمى ببالجونه، وهو عين ماء فى حدود بلاد الخطا، فاشتعلت بين الفريقين نار الحرب، وصدق كل منهم الاخر الطعن والضرب، فاعانه الله ونصره، وكسر الخان وعسكره، وفر بمن معه من فية، وذلك فى سنة تسع وتسعين وخمسماية، وغنم تموجين من الاموال، والمواشى والاثقال، وذخاير الخزاين، ونفايس البحار والمعادن، ما فات الحد والحصر، خارجا عن سعادة النصر، وهرب الخان، وتهدمت منه الاركان، فجمع جنكزخان عسكره، وضبط اسماء من حضره، ومن كان شاهد القتال، ومواقف الحرب والجدال، من النساء والرجال، ومن خادم ومخدوم، وخاصم ومخصوم، ومامور وامير، وكبير وصغير، حتى السايس والجمال، والطباخ والبغال، والطفل والرضيع، والنذل والوضيع، ومن شهد تلك الغارة، وكان فى تلك الدارة، ولو حاضرا للتفرج مع النظارة، واستبشر بوجودهم، وتيمن بورودهم، واثبتهم فى الديوان، باسماء ابايهم وجدودهم، وفرق عليهم ذلك الفىء، ولم يُرفع الى خزاينه منه شى، بل وزّع ذلك المغنم الوافر العظيم المتكاثر، على الحاضرين معه من العساكر، وضبط اسمايهم فى الدفاتر، وفرق ذلك العرض العريض الطويل، على قدر الحقير منهم والجليل، ووعدهم بكل جميل، واما الغلامان اللذان اخبراه، وعلى ما كان اضمره الخان اطهراه، وكانا سبب حيوته، وخلاصه من الموت ونجاته، فانه جعلهما ترخان، فصارا لسهم مقاعده كانهما شرخان، والترخان عبارة عن المعاف المطلق يستوفى حقوقه ولا يقوم بما عليه من حق لا يواخذ بقصاص ان قتل، وقس على هذا ما يوجبه القول والعمل، مقضى المآرب، موصول المطالب، لا يكلف بخدمة ومباشرة، ولا بحضور ومعاشرة، مهما طلب اُعطى، ويُعد مصيبا ولو يخطى، واعلى مراتبه فى مراعاة جانبه، انه يدخل على السلطان، من غير استئذان، وهو نايم معه سراريه، ونسايه وجواريه، فيذكر ما له من مآرب فتقضى، ومن شفاعة فتقبل وتمضى، ويعطى بذلك مناشير، وتواقيع وتقارير، تبلغ التاسع من اولاده، وتشتمل احكامها جميع اسباطه واحفاده، ولما انتصر، وحصل امنه واستقر، تفاقم امره واشتهر، وعظم صيته وانتشر، وقرر كل من حضر تلك الوقعة، فيما يليق به من منصب ورفعة، فاقبلت القبايل اليه، وانهالت الروس والوجوه عليه، ورجع الخان واستعد، واعد ما وصلت اليه يده من عُدد، واستعان عليه بالمدد والعدد، ثم تلاقيا كرتين، وتصاولا مرتين، انكسر الخان فى الاولى، وقبض عليه بعد الكسرة فى الاخرى، فقتله وابده، واستملك بلاده، واستولى على عساكره، واستحوذ على ذخايره وعشايره، ثم راسل سلطان الخطا والصين، بكلام رصين، يدل على عقل حصين، واسم ذلك السلطان، التون خان، وطلب المهاداة والموافقة، والمصافاة والمصادقة، فلم يلتفت الى كلامه، فضلا عن اعزازه واكرامه، اتكالا على حسبه، استنادا الى نشبه ونسبه، واعتمادا على سعة ممالكه وكثرة ملوكه، ومناعة حصونه وعمارة بلاده ووفرة مملوكه، فان ممالك جنكزخان، بالنسبة الى ولايات الخاقان، لا شى واقل من لاش، وعساكره وقبايله بالنظر الى اهل الصين اوشاب اوباش، فرجع قصاد جنكزخان بالخيبة، وذكروا ما راوا لملك الصين من عظمة وهيبة، فلم يلتفت اليه، ثم قصد التوجه عليه، بعدد كسالرمل، ومدد

كالجبال، ورافقه فكسره، ونافقه فحصره، وقبض عليه واباده، واستصفى ولايته وبلاده، وكانت هذه الكسرة والنصرة، في سنة احدى وستماية من الهجرة، فاستقل من غير منازع، ولا ممانع ولا مدافع فلما خلصت له الممالك، وانقاد له المملوك والمالك، اخذ في ترتيب الامور، وتهذيب الجمهور، وطيّر اجنحة مراسيمه، الى اطراف ممالكه واكناف اقاليمه، فرفع جميع ما جرى عليه من النهب والغارات، والمحرمات وطلب الثارات، فهدم قواعد الظلم والتعدى في ممالكه، فلم يُرَ ايمن من ولايته ولا آمن من مسالكه، وهى ممالك المغل والختا، والى الصين شرقا، وولايات المغل والجتا، وبلاد الترك والى حدود أترار ما وراء النهر غربا، فجرى بعد النهب والاسار، في ممالك المغل والانتشار، والبغى والعدوان، العدل والامان، والسلامة والاطمينان، وبعد السرقة والخيانة، الوفا والامانة، وامر بوضع البُرد والمنارات، والعلايم والاشارات، وعمرت المفاوز والمناهل، وسكنت الصحارى والمناهل، وعرفت طرق المهامه والمجاهل، وايتلفت تلك الطوايف والامم، وانتشر صيت عدلها في العرب والعجم، واخترع كما ذكر انواع سياسات، وقرر للمملكة قواعد بنيان واساسات، الف بها بين تلك الطوايف، فلم يرَ بينهم مخالف، ولا غير موافق على سعة ممالكهم، واختلاف مسالكهم، وتعدد اديانهم، وتفاوت كيل اخلاقهم وميزانهم، فانهم كانوا ما بين مسلمين، ومشركين، ومجوس، وارباب الناقوس، ويهود، ومن لا يدّين لمعبود، وصباه وغواه وعباد الشمس والنجوم، ومن يسجد لها اوان الرجوم، وكل منهم يتعصب لمذهبه، ويغض من مذهب صاحبه، فلم يتعرض لاحد في دينه، ولا وقف في طريق اعتقاده ويقينه، واما هو فلم يتقيد بدين، لا كافر مع الكافرين، ولا ملحد مع الملحدين، ولا يتعصب بملة من الملل، ولا يميل لنحلة من النحل، بل يعظم علماء كل طايفة، ويحترم زهاد كل ملة على دينها عاكفة، ويعد ذلك الخصلة قربة، حيث يعظم كل دين وحزبه، وكل من اختار من اولاده، واسباطه واحفاده، وامرايه ورعيته واجناده، دينا من الاديان، لا يعترض عليه اى دين كان، فبعضهم كان مسلما حنيفيا، وبعض كان يهوديا، وبعض نصرانيا او مجوسيا، الى غير ذلك من الالحاد، والزندقة وعدم الاعتقاد، وحيث لم يعترضوا الى دنياه، ولا نازعوه ملكه الذى تولاه، لم يشاققهم في دينهم، ولم يوافقهم في يقينهم، واخترع هو لنفسه في الملك قواعد، حمل عليها المقارب والمباعد، ثم لما لم يكن لهم كتاب، ولا خط، ولا لاوليائك الحروف فلم يعرفون به قط، امر اذكياء قبيلته، وعقلاء مملكته، ان يضعوا له خطا وقلما، يكون لهم علما وعَلَما، فوضعوا له قلم المغل، واشتغلوا به اعظم شغل، ونسبوه الى قبيلته، ليدلوا به على فضيلته، فقالوا فرتاقو يعنى قلم قتات، وهى قبيلة ذلك المقتات، فوضعوا مفرداته ورتبوها، ثم جملوها وركبوها، وهى اربعة عشر حرفا، ظاهرة بينهم لا تخفى، وهذه صورتها

. . . .

فامر اولاده واحفاده، وجماعته واجناده، ومهرة الرجال، والاذكيا والاطفال، ان يتعلموا هذا الخط، وينشروه، ويتداولوه ويشهروه، فانتشر بينهم، وصار ملء راسهم وعينهم، فرسموا به المراسيم والمناشير، ووضعوا بجواهره جباه المساطير، ووضعوا الرسومات الديوانية، والتوقيعات السلطانية، وابتدا لهم

تواريخ وحساب، كل ذلك بهذا الكتاب، ثم لما تقرر امره، وانتشر في الآفاق ذكره، مهد قواعد اسّها، ونصب في دوحة ملكه، اصول خلاف غرسها، يوضع على ما اقتضاه رايه التعيس، وفكره الخسيس، طرقا وقوانين، ودرب في امور الحكومات اساليب وقوانين، فجعل لكل حكومة حكما، وفوّق لكل حادثة سهما، وفرّع لكل حسنة مثوبة، ولكل سيئة عقوبة، وقرر لكل معصية حدّا، ولكل بنيان مخالفة هدّا، ولكل فرع اصلا، ولكل سهم من التوقيع نصلا، وبيّن كيفية الصيد والحرب، وسلك في كل ذلك الطريق والدرب، والقى روس ذلك على اولاده وحفدته، وجيوشه ورعيته، بحيث انهم حفظوها ووعوها، وفي سير سيرهم مرجا ومرجا رعوه، فمن احكامها المظلمة، وفروعها المعتمة، صلب السارق، وخنق الزاني، وان شهد بذلك واحد فلا يحتاج الى ثان، ثم فصل حد السارق، بهذيان فارق، فقال في السرقة من خركاه، او بيت شعر واه، بوجوب التصلب، ويقطع اليد ان كان بالنقب، ثم كلا السارقين، يوخذ مالهما من مال وعين، ويسترق ما لهما من اولاد، وينقل الى السلطنة ما لهما من طريف وتلاد، ومنها حقية دعوى من سبق، سواء كذب او صدق، ومنها استعباد الاحرار، وتوارث الفلاح والاكار، ومنها توريث نكاح الزوجة لاقارب الزوج، وتداولهم اياها زوجا بعد زوج، فان تزوجها احد منهم، كان احق بها ولا يخرج منهم، والا زوّجوها بمن شاوا، واخذوا مهرها وباوا، ومنها عدم العدة، وعدم انحصار الزوجات في عدة، ومنها الاخذ بقول الجوارى والصبيان، وبما يتقوله على الرجال العبيد والنسوان، ومنها امتثال امر السلطان، على الفور من غير توان، ومنها لزوم ما لا يلزم من العطايا، وايجاب ما يتحفه الانسان من الهدايا، حتى لو اعطى شخص شخصا، من مال هدية او شقصا، فان ذاك يلزمه، في كل عام يعزمه، ومنها الجثو بين يدى الحاكم، على الركب وقت التحاكم، ومنها مطالبة الجار بالجار، ومعاقبة البرى بمرتكب الاوزار، وذلك لادنى مناسبة، من معرفة او مصاقبة، فضلا عن اكيد اصحابه، او شديد قرابه، ومنها ان لا يتقدم الوضيع على الشريف، ولو كان ذا مال عريض وجاه كثيف، ومنها العمل بما يقتضيه العقل، والكف عما لا يدركه ولو ورد به النقل، ومنها منع عفو الحاكم، وان عفى المظلوم عن الظالم، ونحو هذه الخرافات الباطلة، والهذيانات العاطلة، ومن استخفها، واوسخها واخسفها، انه لو اخذ احد ابلة، عن قواعدهم ذو غفلة، من ثوب احدهم قملة، فان دفعها الى صاحبها، خلص من تبعة عواقبها، وغرامة مطالبها، فان شاء قصعها، وان اراد رضعها، وربما اختار عودها الى مكانها فرجعها، وان قتلها او رماها، والى صاحبها ما اداها، فان صاحبها يخاصمه، والى حاكم التتار يحاكمه، ويدعى عليه بين يديه بان هذا الانسان، عمد لى الى حيوان، ربيته بين سحرى ونحرى، وغديته بدم صدرى وظهرى، فقتله قصدا، واضاعه عمدا، من غير سبب تقدم اليه، ولا ايذا اجترا به عليه، فينسبه الى الاجترام، وياخذ ديته بالاغترام، وقس من هذا اليسير، على الكثير، ومن نتن هذه البعرة على خرافة البعير، ومن هذه القواعد، امر الاقارب والاباعد، بما يستصوبه العقل، ويستحسنه النقل، من سلوك طريق الفتوة، ومعاملة الخلق بالمروة، والكرم والاحسان، والمداراة مع كل انسان، والكف عن الظلم والغارات، اللهم الا في طلب الثارات، ثم وضع طرق المكاتبات، والمراسلات، والمشافهات والمخاطبات، فكان في

المكاتبات طريقة رسمه، ان لا يزيد على وضع اسمه، مثل ان يقول فى اول الكتاب، وبراعة استهلال الخطاب، عند ابتداء المقال، بعد عدة اوصال، جنكزخان كلامى، ثم يكتب تحته من نصف السطر الثانى، الى فلان ليفعل كذا، ولا يتعلل بان واذا، ثم يذكر مخ المقصود، بطريق معهود، بابين العبارات، من غير مجازات واستعارات، ويختم بذكر الزمان، واسم المنزل والمكان، واذا استدعى احد الى الدعوة، وسلوك السنة اسوة الجماعة، فانه يتجنب التهويل والتهديد، ويتحامى عن التشريد والتشديد، ويرغّب بالوعد، ويترك الوعيد، ثم يقول ان سمعتم واطعتم، فزتم وغنمتم، وان ابيتم، وتماديتم، فليس امر ذلك الينا، ولا درك علمه علينا، يرى فيكم الخالق القديم رايه، فان فى تقديره وتدبيره كفاية، فهذه القاعدة باقية، فى تلك الفئة الباغية، مستمرة على الدوام، والى هذه الايام، جارية على هذا النمط، يكتبون اسم الخان والخاقان فقط، وكذلك الامراء الوزراء، والمباشرون والكبرا، يكتبون فى اول الكتاب، فلان لا مقر ولا جناب، وهكذا الى الاكابر من الادانى، يذكرون اسم الكبير وصيغته فلان لا الفلانى، ولما فرغ من ترتيب هذه القواعد الملعونة، وخرج بها على خلاف الشريعة الميمونة، وقرر عليها الامور الديوانية، والاحكام السلطانية، امر بها فكتبت، وبهذا الخط رُتّبت، ورُسمت فى طوامير، ولفّت فى شقق الحرير، وزُمّكت بالذهب ورصّعت بالجواهر، كما فعل مانى النقاش الكافر، واضع مذهب المجوس، ومصوّره على صفحات الطروس، ومبرز المعقول بطريق المحسوس، ليكون اقرب الى تفهيم النفوس، فى كتابه المسمى بِرَنْكَواسنا، ثم امر باحترامها وتوقيرها، والمحافظة على ضبطها وتحريرها، والعمل بها والاقتدا بما فيها، وتعلّك اهل ملته بقوادمها وخوافيها، ثم رُفعت الى خزاينه، وهى عندهم اعز من الكبريت الاحمر فى معادنه، واسمها بالمغلى التورة، وتفسيرها الملة الماثورة، فاذا جلس منهم سلطان على سرير، وذلك بما للروسا من اتفاق وتدبير، وعادتهم فى ذلك انهم اذا رفعوا عليهم سلطانا، وارادوا ان يبنوا لدار المملكة خانا، اجتمع الامرآء من الاطراف، واستدعوا اركان الثغور والاكناف، واشتوروا فيما بينهم مدة ايام، واستمروا فى ذلك ما بين نقض وابرام، وربما اقاموا فى ذلك الجمع العام، حولا قميطا او ضعفى عام، ويسمون تلك الجمعية قُورِلْتَاى، وهى مستمرة الحكم فى الجغتاى، وبسبب ذلك تدافع الامرة، والفرار من نقل السلطنة الحلوة المرة، كما كان الصحابة الكرام، يتدافعون الفتاوى خوف الاثام، فاذا وقع الاتفاق من الرفاق، وامرآء الجند ورؤسآء الافاق، على واحد من اولاد الخان، وان يكون عليهم الملك السلطان، وتصوّب الراى عليه وتسدد، وضعوه على لبد اسود، ثم رفعه من الارض الى السرير، اربعة انفس كل امير كبير، كل حامل بطرف، رافع فى زعمه راية الشرف، والخان يصيح، بلسان فصيح، يا روساء ويا امراء، ويا ملوك ويا زعماء، انا ما اقدر ان اتسلط عليكم، ولا طاقة لى ان احكم لديكم، ولا قوة لى بهذا الحمل الثقيل، والدخول تحت هذا الامر العريض الطويل، فيقولون بلى يا مولانا الخان، نقدر ان تقوم بحمل اعباء هذا الشان، فيتكرر الخطاب، ويتعدد الجواب، حتى يجلسوه على السرير، ويبتهج بذلك الكبير والصغير، والمامور والامير، ثم ياتون بالتورا الجنكزخانية، الملعونة الشيطانية، مبجّلة معظمة، محترمة مكرّمة، فينهضون اعظاما لها، ويتبركون بمسهم اذيالها، فينشرونها، ويشهرونها، ثم ينصتون فيقرؤونها،

ثم يبايعون للخان على اقامتها، وان يراعى احكامها حق رعايتها، ويبايعهم على امتثال احكامها، واجرآء نقضها وابرامها، فيجيب كل منهم الاخر على ذلك، وان يقيم شعايرها المملوك والمالك، ثم يضربون له الجوك ثلث مرار، ثم يتوجهون الى الشمس فى وجه النهار، ويضربون لها الجوك، ويسجد لها من فيهم من مالك ومملوك، وما يفعلون هذا الفعل الشنيع، الا فى ايام الربيع، فاذا تعاقدوا وتبايعوا، وتعاهدوا وتتابعوا، رفعوا تلك التفريّات، واحضروا الالات الخمريات، فدار الخان عليهم الكاسات، واستعملوا الاقداح والطاسات، وفتح الخزاين، واظهر المكامن، ونثر النثار، من الدرهم والدينار، وخلع الخلع والتشاريف، واعاد فى دروس النفايس ابحاث التصريف، واستمروا على ذلك اياما، والانعامات تدر عليهم خاصّا وعامّا، ثم يأذن لهم فيتفرقون، ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون، وهذه الطريقة مستعملة، والى اخر وقت غير مهملة، فى جميع ممالك الشرق من الخطا، والدشت والصين والمغل والجتا، وفى ولايات الجغتاى والروم، قد اعتادوا غالب هذه القواعد والرسوم، يمشونها على القواعد الاسلامية، والشرايع الاحمدية المحمدية، اللهم الهمنا الصواب ولا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب، وسبب تحركه الى ممالك الاسلام، وتوجه عنان سخطه الى طلب الانتقام، هو انه لما استقر امره، وانتشر بعد الجور بالعدل ذكره، وطابت بلاده وامنت، وهدت حركات الظلم وسكنت، توجه من بلاد ما ورا النهر فيئة، فى سنة ثلث عشرة وستمائة، منهم ثلثة انفار، من اعيان التجار، احدهم يدعى احمد الخجندى، والاخر عبد الله بن امير حسن الجندى، والثالث احمد بلجيخ ومعهم من انواع المتاجر، ونفايس الاقمشة والذخاير، ما يصلح للملوك اولى المفاخر، فوصلوا الى بلاده، الجارى فيها مياه كفره وعناده، وانتهوا الى قوتاق وايميل، وهما محل سريره الذليل، فاكرم نزلهم، ورفع محلهم، وانزلهم فى قباب بيض، وافاض عليهم الكرم العريض، وكان شعار المسلمين، فى تلك البلد، ان ينزلوهم فى قباب بيض من لبد، وكانوا يقرّبون المسلمين، ويحترمونهم دون الناس اجمعين، ثم ان جنكزخان، دعا احد اوليك الاعيان، واستعرض قماشه وساومه، بعد ما قرّبه واكرمه، فطلب منه اضعاف ثمنه، وسامه ما يقتضى بغبْنه وغبَنه، فما رد جوابه، ولا اعتبر خطابه، ثم طلب رفيقيه، واستعرض بضايعهما عليه، ثم ساومهما الثمن، فقالا يا ملك الزمن، ان صلح هذا القماش خدمناك به بلاش، فليكن ثمنه رضاك، وهدية فى مقابلة ملتقاك، وتقدمة منا اليك، بل خدمة لخادم ادخلنا عليك، فاعجبه هذا الحوار، وقال بل انتم تجار، انما جيتم لتربحوا، وتكسبوا علينا وتنجحوا، وانتم ضيوفنا، والاولى ان يشملكم معروفنا، ولكن انا اقول قولا، وادفع اليكم نولا، فان رايتم فيه فايدة، وعاد عليكم منه عايدة، قبلتموه، والا الراى فيما رايتموه، ثم ذكر لهما مبلغا ارضاهما، وبلغ به منتهى مناهما، بحيث ربح درهمهما ثلاثة واربعة، وتضاعفت مع قرب الملك المنفعة، فقالا رضينا بما رسمت، وانعمت به وقسمت، فقال لرفيقهما الاول، ان رضيت بمثل ما رضى به صاحباك فتحوّل، والا فخذ متاعك وتحوّل، وشانك وقماشك، وتحسن مع ذلك رياشك، فقال رضيتُ بما رضيا به، وتلطف فى خطابه وجوابه، فامر فى الحال، واحضر المال، ووزن الثمن، وزادُ ومنّ، والبسهم الخلع، وافضل فى المصطنع، وامر ببضايعهم فرفعت، وفى خزاينه وُضعت، ثم

امر خواص بطاينه، ان يدخلوا هولآء التجار الى خزاينه، فلما دخلوا اليها، ووقع نظرهم عليها، راوا من نفايس الاموال والذخاير، واصناف الاقمشة والاخاير، وانواع الجواهر الملوكية، واجناس الامتعة الكسروية، واعلاق ملوك الصين، ومتمنيات الملوك والسلاطين، ما ابهت نواظرهم، وادهش ابصارهم وبصايرهم، فنزهوا في محاسنها ابصارهم، واودعوا احاسن تخيلاتها افكارهم، ثم اتوا بهم اليه، وادخلوهم عليه، فقال ما ذا رايتم في الخزاين، من نفايس البحار والمعادن، فقالوا ما لا يصلح الا في خزاينك، ولا ينثر على فرق ملوك المشارق والمغارب الا من مكامن معادنك، فقال ما بايعناكم فارغبناكم، ولا اكرمناكم اذ تحبناكم، بناء على انا عادمون، ولا انا بقيمة الاشياء وقدرها جاهلون، وانما فعلنا ذلك الاحسان، وجبرنا منكم النقصان، لعدة معان، احدها انكم اضيافنا، وقد شملكم كرمنا وانصافنا، ثانيها ان فصلنا الفصيل، يقتضي اكرام النزيل، ثالثها انكم مسلمون، والمسلمون عندنا مكرمون، رابعها اردنا اشتهار اسمنا، وان يذكر في الاقطار طريقة رسمنا، خامسها ان اذا سمع بمعاملتنا التجار، يقصدون بلادنا من الامصار، وساير الافاق والاقطار، فتعم المسالك والدروب، ويربح الطالب والمطلوب، سادسها وهو اعلاها، واحسنها واقواها، انكم املتمونا والمليين، وانا لا نخيب رجاء القاصدين، ثم سرحهم شاكرين، ولما سمعوا وراوا ذاكرين، ثم اقتضت الارآء، فامر الامرآء، واكابر بلاده، ورؤسآء اجناده، ان يجهز كل منهم الى الجهات الغربية، والولايات الاسلامية، من جهته احدا من المسلمين، ببضايع من امتعة الخطا والصين، في صفة التجار، ليتعاملوا في هذه الديار، وتنفتح المسالك على السالكين، وتنقل اليهم ببضايع هذه الممالك، وتكثر المعاملات، وتتحد الممالك والولايات، فامتثلوا مراسيمه، وعدوها غنيمة، وجهز كل منهم من جهته، من وثق بامانته، واعتمد على كفايته، واعطاه من النقود والاجناس، ما يصير به من رؤسآء الناس، واجتمعوا قافلة، وركبوا السابلة، نحو من اربعماية وخمسين نفرا، كلهم مسلمون كبرآء، وكتب لهم مراسيم وجوازات، باكرام نزلهم في الدروب والمجازات، ومعاملتهم بالكرامات، وان تهيا لهم ولدوابهم الاقامات، ذهابا وايابا، حضورا وغيابا، وارسل معهم الى السلطان قطب الدين، محمد بن تكش علا الدين بن أتسز بن محمد بن انوشتكين، وانوشتكين هذا هو اتابك الملوك السلجوقية، والسلطان قطب الدين، هو الفايق من تلك الذرية، رسالة عاطرة، تستميل خاطره، وتسال من سحايب كرمه مواطره، وحسن الجوار، ومراعاة جانب الجار، وسلوك ما تنتظم به الامور، وتطمئن به الصدور، ويحصل به الامن للصادر والوارد، والرفاهية للقايم والقاعد، وتنعقد به اسباب المحبة من الطرفين، واطناب المودة بين الجانبين، وتتسع بها المراسلات، وكشف حجاب المعاملات، وان كانت الاديان مختلفة، فلتكن القلوب موتلفة، وشمول نظر الصدقات السلطانية، وعواطف مراحمها الملوكية، على القصاد الوافدين، على ابواب مكارمها، المستمطرين سحاب صدقاتها وديمها، بحيث تسنى مطالبهم، وتهنى ماربهم، او كما قال، وصدر منه السوال، هذا واما اخبار السلطان قطب الدين، فانه كان من اكبر الملوك والسلاطين، تملك عراق العرب والعجم، وما في ممالك خراسان من امم، واستولى على غالب الممالك بالقهر، والى اقصى ولايات ماورا النهر، وجعل جرجانية خوارزم ماواه، وتلقب لذلك خوارزمشاه، ورفع ما بين

ممالكه وبين ممالك جنكزخان، من التتار المسّمين بقراختناى وعباد الاوثان، واسترقهم قهرا وقسرا، واستصحبهم جبرًا وكسرا، واستولد من تلك الطايفة المعتدين، ولده سلطان جلال الدين، فبواسطة انه صار له منهم ولد، صاروا اقرب عساكره اليه وعليهم المعتمد، فكانوا شعوبًا وقبايل، يخرج منهم سبعون الف مقاتل، الى ان خانوه، وبذلوه وما صانوه، واستدفع بهم طارق البلا فكانوه، غريبة نادرة عجيبة كان هولاء التتار، متاخمين بلاد أترار، وفى حدّ ممالك السلطان، وهم سدّ عظيم بين المسلمين وبين جنكزخان، نغزاهم السلطان وابادهم، واستعبد كما ذكر اجنادهم، فارتفع السدّ من البين، وانهدم الفاصل بين الجانبين، واتصلت المملكتان كالمحبين، اعنى مملكة السلطان ومملكة جنكزخان، فسرّت السرايس، وابتهجت الضماير، ودقت فى ممالك السلطان قطب الدين البشاير، وكان فى نيسابور، من اكابر الصدور، شخصان من العلمآء، فاجتمعا واقاما العزا، فسُئلا عن موجب هذا البكا، وانما الناس فى فتح وهنا، فقالا انتم تعدّون هذا الثلم فتحا، وتتصورون هذا الفساد صلاحا، وانما هو مبدا الخروج، وتسليط العلوج، وفتح سدّ ياجوج وماجوج، ونحن نقيم العزا على الاسلام والمسلمين، وما يحدث من هذا الفتح من الحتف على قواعد الدين، وستعلمن نباه بعد حين، وانشدا فارشدا

وعلمتُ ان فراقكم لا بد ان   يجرى له دمعى دمًا وكذا جرى

وكان السلطان قد دانت له البلاد، واستولى على اهل البقاع والوهاد، واباد ملوك العجم، وتفرد بسياسة تلك الامم، وتخت ملكه مملكة خوارزم، وقد صمم العزم بجزم، وحمل الناس على نزع الخلافة من آل عبّاس، ووضعها فى ال على، وقد توجه الى العراق بهذا القصد الجلى، فوصل الى حدود العراق، وهو مُجدّ على هذا الاتفاق، فوصل اولياك التجار، الى اترار، من صوب جنكزخان، وبها من جهة السلطان، نايب يدعى كايرخان، فلما وصلوا الى البلد، اخبر بهم النايب الرَصَد، فحبسهم عنده فى مكان، وارسل يستامر فيهم السلطان، وبشّع العبارة، وشنّع السفارة، وذكر انهم جواسيس تستروا بالتجارة، وان معهم من الاموال، ما يوازى الرمل ويوازن الجبال، مصراع

وما افة الاخبار الا رواتها

فامره بقتلهم، واخذ ما معهم وتبلهم، ففى الحال ابادهم، وسلبهم طارفهم وتلادهم، وارسل المال الى السلطان، واوصله حسبما رسم الى الديوان، فطرحوه على تجار بخارا وسمرقند، كما يطرح على مساكين دمشق القند، واستخلصوا ثمنه بالظلم، وارادوا عليهم فيه الغرم، وكان سبب ذلك تاجرا عند كايرخان، اراد ان لا يكون عند السلطان، تاجر سواه، فتبعه قيرخان لما اغراه، فتعددت الاسباب، وانفتح للشر ابواب، وقالوا شر اهرّ ذا ناب، فلم يفلت منهم سوى رجل واحد، انجاه الله من العدو والحاسد، فاختفى واتصل الى بلاده، واخبرهم بوقوع الامر وفساده، فغضب جنكزخان، وتحرك منه باعث العدوان، ثم تثبت فى امره، وتلبث فى فكره، وارسل الى السلطان رسالة، فيها تهديد وبسالة، وكان السلطان خوارزمشاه، لما ابدى هذا الخطا وانهاه، طيّر مراسيمه الى اطراف الممالك، يامرهم بالمحافظة على دربندات المسالك، ويحرّض ولاة الامور،

واصحاب الادراك فى المضايق والثغور، والطلايع والارصاد، على منع القصّاد، وكفّ من يخرج من تركستان، الى صوب ممالك جنكزخان، ثم ارسل من جهته جواسيس، يختبر احوال ذلك الابليس، وينظر اموره واوضاعه، ومقدار عسكره وامرهم فى الطاعة، وما قصده ان يفعل، ليستعدله بحسب ما يعلم منه ويعمل، فتوجه جواسيس السلطان، وطال فى غيبتهم الزمان، وقطعوا الجبال والقفار، وسلكوا المفاوز والاوعار، حتى وصلوا الى بلاده، وفحصوا عن امره واستعداده، وخبروا امر جنده وعتاده، واوضاع عسكره وتعداده، فرجعوا بعد مدة مديدة وزمان، واخبروا بما حققوه السلطان، وان عدد عساكره يفوت الاحصآ، ويخرج عن دايرة الاستقصآ، وانهم اطوع البرية لملكه، واثبت جنانا من الاسد المنهمك، واصبر جند على القتال، كانّ امر الهزيمة عندهم محال، وانهم اذا وثبوا او حاربوا، او سالبوا او لاسبوا، او رابضوا او ضاربوا، خابطوا ثم خاطبوا، بقوله شعر

ونحن اناس لا توسّط بيننا　　لنا الصدر دون العالمين او القبرُ

وانهم لا يحتاجون فى الاسفار، ولا عند مقاحمة الاخطار، الى كثير مؤنة، ولا كبير معونة، بل كل منهم ينهض باحتياجه، واحتياج مركوبه الى لجامه واسراجه، ويستبدّ بعمل سلاحه، وجميع ما يستعين به سفرا وحضرا فى صلحه وصلاحه، ونطاحه وكفاحه، وكذلك ملبوسه وزاده، وساير اهبته وعتاده، فندم خوارزمشاه، على ما قدمت يداه، من قتل اصحابه، وفتح سدّ الثغر وبابه، وانّى يجدى الندم، وقد زلت القدم، وتبدّل الوجود بالعدم، وغرق فى بحر الهموم، وهمى عليه غمام الغموم، فشاور لما لقى، الشهاب الخيوَقى، وهو فقيه فاضل، ونبيه كامل، عالم اجل كبير، المحل له عنده محل خطير، لا يخالفه فيما يشير، فان رايه سديد، وقوله وفعله رشيد، فقال له يا امام، قد تحرك على الاسلام، عدوٌ الدّ الخصام، بعساكر كالرمال، ذوى صدمات كالجبال، فما ترى، فيما طرى، فقال فى عساكرك كثرة، وانت ذو قوة ووفرة، وزُفر اقدامك له زفّرة، فكاتب الاطراف، واجمع عساكر الاكناف، وادع اهل بيضة الاسلام، الى هذا النفير فانه عام، فاذا وفدوا عليك، وتمثلوا بين يديك، توجّه بهم الى نهر سيحون، واجعل ساحله من فلك الجنود مشحون، واملأ بهم تلك المهامه والقفار، وحصّن ممالكك الى حدود اترار، فان اقبل العدو المخذول، لم يصل الا وهو من الكلال محلول، فانه ياتى من بلاد بعيدة، بجنود عديدة، وقد اثر فيه النصب، واخذ منه التعب والوصب، فلاقيناه على سيحون، وهم كالّون، ونحن مستريحون، فجمع بعد ذلك امراءه، ووزراءه وزعماءه، وعرض عليهم ما جاءهم، وطلب منهم اراءهم، فلم يرتضوا راى الشهاب، لامر يريده مسبب الاسباب، وقالوا بل يتركهم حتى يقطعوا الاوعار والمضايق، ويتورطوا فى بلادنا بالعوايق، فتزداد مشقتهم، وتطول فى المسير شُقّتهم، لا سيما وهم بارضنا جاهلون، او عن مداخلها ومخارجها ذاهلون، فاذا حصلوا فى قبضتنا، كان امكن لنهضتنا، فنضيق عليهم واسع رحابها، واهل مكة اخبر بشعابها، وذهل اوليك الجمع عن ما راه الفقهاء، وهو ان الدفع، اولى من الرفع، وبينما هم فى المشاورة والمراودة، ورد قاصد جنكزخان برسالة المناكدة، وفيها من التشنيع والتقريع، والتهديد والتبشيع، العجب العجاب، وما يشيب الغراب، فمن جملة تشنيعاته، ومضمون تهويلاته، ما معناه، فى فحواه، كيف تجراتم على اصحابى ورجالى، واخذتم

تجارتي ومالي، وهل ورد في دينكم، او جاز في اعتقادكم ويقينكم، ان تريقوا دم الابريا، او تستحلوا اموال الاتقيا، او تعادوا من لا عاداكم، وتكدروا عيش من صادقكم وصافاكم، اتحركوا الفتن النايمة، او تنهضوا الشرور الجاثمة، اوما جاءكم عن نبيكم، سيدكم وعليكم، ان تمنعوا عن السفاهة غويكم، وعن ظلم الضعيف قويكم، اوما اخبر مخبروكم، وبلغكم عنه مرشدوكم، وانباوكم محدثوكم، اتركوا الترك ما تركوكم، وكيف تودون الجار، وتسيئون الجوار، ونبيكم قد اوصى به، مع انكم ما ذقتم طعم شهده او صابه، ولا بلوتم شدايد اوصافه واوصابه، الا وان الفتنة نايمة فلا توقظوها، وهذه وصايا اليكم فعوها واحفظوها، وتلافوا هذا التلف، واستدركوا ما سلف، قبل ان ينهض داعي الانتقام، ويتحرك من الفتن حاضي الاضطرام، ويقوم سوق الفتن، ويظهر من الشر ما بطن، ويموج بحر البلا ويروج، وينفتح عليكم سد ياجوج وماجوج، وسينصر الله المظلوم، والانتقام من الظالم امر معلوم، ولا بد ان الخالق القديم، والحاكم الحكيم، يظهر اسرار ربوبيته، وآثار عدله في بريته، فان به الحول والقوة، ومنه النصرة مرجوة، فلترون من جزاء افعالكم العجب، وليرسلن عليكم ياجوج وماجوج من كل حدب، وكان اللعين جنكزخان قد مشى على تركستان، واخذ منها عنوة كاشغر وبلاساغون، وصارتا في حوز ذلك الملعون، وكانتا في يد كوجلك خان، بن اونك خان، المار ذكره في اول القصة، لما قتله جنكزخان وقصه، هرب ولده كوجلك خان المغبون، واستقر في كاشغر وبلاساغون، الى ان مشت العساكر عليه، واخذت تلك الاماكن من يديه، فلما وصل هذا الخطاب، الى ذلك الاسد الوثاب، امر بمقدم القصاد، ورييس اوليك الوراد، فضربت رقبته، وبمن بقي حلقت لحيته، وسخمت بالسواد حليته، ثم رد الجواد، بابشع خطاب، ومن فحواه، وارد ما حواه، اني ساير اليك، وهاجم عليك، بجنود الاسلام، واسود الاقتحام، وكل بطل ضرغام، ولو بلغت مطلع الشمس، فمحلك في قعر الرمس، وجاعلك كذاهب امس، فتيقن ذلك، واعلم انك لا محالة هالك، ورد قصاده على عقبهم، وقصد التوجه في ذنبهم، فتجهز وسار، بعسكر جرار، الى صوب التتار، واوصل السير، وسابق الطير، واراد ان يسبق الخبر ويكبس التتر، ويريهم عين الغلة قبل الاثر، كالسوى من العراق، وسار وساق، فقطع ممالك خراسان، وولايات ما ورا النهر وتركستان، وهجم بذلك البحر الزخار، في تلك المهامه والقفار، فوصل الى حشم في بيوت، وهم امنون في سكون وسكوت، ليس فيهم غير نساء وصبيان، ومواش وبعران، رجالهم غايبة، وامورهم بواسطة الامن سايبة، وكانت رجالهم توجهت لاخذ الثار، من بعض التتار، بواسطة عدوان، وقع بينهم وبين كوجلك جان، فقاتلوهم وكسروهم، ونهبوا اموالهم وقصروهم، ففي غيبتهم، وصل السلطان الى بيوتهم، وفي امنهم وسكونهم، وليس فيهم الا الحريم والاطفال، والمواشي والاثقال، لا يوبه اليهم، ولا يعول عليهم، فاستولى عليهم ونهبهم، وسلبهم عيشهم وسلبهم، وامر العساكر فنهبوهم واسروهم، وفرقوهم وكسروهم، وهم الجم الغفير، والعدد الكثير، والمال الغزير، ورجع السلطان من فوره، وابتدا في حوره بعد كوره، وتصور انه اعلى وانكى، وانه اضحك دنيا وعدوا ابكى، فما هو الا وضع على القرح نيذ، وداس ذنب الحية، ثم رجع التتار، وراوا ما حل باهلهم من بوار، وانهم اخرجوا من ديارهم واولادهم، ونكبوا في طريقهم

Digitized by Google

وتلادهم، وان نساءهم اسرت، وصفقتهم خسرت، فما وقت نصرتهم بكسرتهم، ولا قامت فرحتهم بحسرتهم، التهبوا واضطربوا، واصطلموا واصطدموا، واخذتهم الحمية، وعصبتهم العصبية، وتنادوا با للغارات، وطلب الثارات، وتناخى منهم حماة الحقايق، وكماة المضايق، وتتبعوا فى الحال، اثار الرجال، من غير اعمال، ولا امهال، وسلكوا الاثار، لاخذ الثار، واكبّوا كالبرق الخاطف، وزعقوا كالرعد القاصف، واندعقوا كالريح العاصف، واندفقوا كالسهم الناقف، ودهموا كالليل المدرك، وهجموا كالسيل المهلك، فادركوا عساكره بشرور ثايرة، ومراجل صدور بالضغاين فايرة، فلم يشعروا الا والعدو المضرم، غشيهم كالقضاء المبرم، فالوت عساكره وقابلت، واستعدت وقاتلت، والتفت الرجال بالرجال، وضاقت ميادين المجال، واستمرت ضروب الحرب بينهم سجال، وتطاولت سهام الموت لقصر الاجال، وتهللت ثنايا المنايا لبكاء السيوف، وتبسمت ثغور الرزايا لفتوح الحتوف، واستمرت ديم السهام، من غمام القتام، على رياض الصدور تهمى، ولوامع بروق السيوف، على قمم تلك الصفوف، بعد الوابل الوسمى، بالصواعق ترمى، ثم انتقلوا من معانقة المراشقة، الى مراشقة المعانقة، ومن مكالمة المضاربة، الى ملاكمة الملاعبة، ومن مخادعة المقارعة، الى مسارعة المصارعة، وامتدت بهم الحال، فى هذا القتال والجدال، ثلاثة ايام مع الليالى لا يسأمون الطعن والضرب، ولا يملّون مباشرة الحراب والحرب، الى ان جرى من الدماء طوفان، وكاد يظهر سرّ من عليها فان، كل ذلك وكاتب البيض والسمر، يستوفى من اقلام الخط فى صحايف الصفايح مستوردات العمر، ولم يسمع بمثل هذا القتال، ولا نظير هذا الضراب والنصال، فى سالف الازمنة والاعصر الخوال، وما امكن تولى احدى الطايفتين، ولا نكوص جهة من الجهتين، اما طايفة المسلمين، فلحمية الدين، ولو ولوا الادبار، لما ابقت التتار، لبعد الديار، وصعوبة القفار، منهم نافخ نار، واما الكفار، فللغيرة على ذوات الاستار، واستخلاص الاطفال والصغار، من قيد الذل والصغار ورق الاسار، فصارت الخضرا، غبرا، والغبرا، حمرا، والصحرا، بحرا، والقتلى، تلا، والجرحى، طرحى، ولم يثبطهم عن استيفا القتال، غير انحلال الاعضاء والكلال، فانفصلوا، وما انفصلوا، وانقطعوا بعد ما اتصلوا، وحلّوا، بعد ما كلّوا، وتراجع كل عن صاحبه، بعد ذوبان قلبه وقالبه، واستفراغ جهده، بما وصلت اليه غاية كده، ثم استوفى ناظر القضا، ما اورده عامل الفنا، من سهم المنون، الى ديوان برزخ الى يوم يبعثون، من ارواح الشهداء الابرار، وانفس الاشقياء الكفار، الوارد من تلك المعركة، الساكن من حركات هاتيك التهلكة، فكان من المسلمين عشرون الفا، ومن الكفار كذا وكذا ضعفا، غير انه لم يمكن حصرهم، ولم يعرف قدرهم، فلما كانت الليلة الرابعة، وهى الليلة الفارقة القاطعة، اوقد كل من الفريقين فى منزله النار، واكثر من القبايل فى المنازل والاثار، وتركها وسار، فوصل السلطان، من بلاد تركستان، وقطع سيحون نهر خجند، ووصل الى بخارا وسمرقند، وشرع فى تحصين البلاد والقلاع، والاحتفاظ بمدن الممالك عن الضياع، وقد سكن الهم فواده، ونهب القلق والارق رقاده، وعلم المسلمون انه خار، وانه لا طاقة لهم بالتتار، فخافوا حلول البوار، ونزول الدمار، وتيقنوا خراب الديار، لان السلطان عاجز، ولا بد من قدوم بلاء ناجز، وقالوا اذا كان هذا الخور، من شرذمة قليلة من التتر، فى طرف من اطراف بلاده، لا فيهم احد معتبر من اجناده، ولا رئيس يشار اليه من

اولاده، ولا درى ولا علم بما جرى، فكيف اذ ادهم بشامته الكبرى، واحشاد جيوشه العظمى، فترك خوارزمشاه ببخارا، عشرين الف مقاتل، وفي سمرقند خمسين الف مناضل، وقرر معهم انه سيجمع الجنود، ويستجيش ابناء المسلمين ويعود، وتوجه بثبات عزم، واضاعة حزم الى سرير ملكه خوارزم، ثم انتقل الى خراسان، وخيم بضواحي بلخ في مكان، واتام رضى البال كان الشي ما كان، ثم لا زال يضمحل ويذوب، ويحل به ما يجاه من نوايب الخطوب، حتى انتقل الى جوار الرحمن، في اطراف طبرستان، في سنة سبع عشرة وستماية، وكانت ولايته في العشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسماية، وكان ملكا عظيما، وسلطانا جسيما، ذا صولة قاهرة، ودولة باهرة، وجولة ارقدت الملوك بالساهرة، فاضلا فقيها، عالما نبيها، اضمحل بادنى حركة ملكه، وغرق في بحر الفناء بعد الطغيان فلكه، وركن الى الخطا فوقع فيه، وخانته عساكره ومخالوه ودون الحل منه وفيه، وكان في خزاينه عشرة الاف الف دينار، ومن اجناس الاقمشة، والامتعة والاسلحة، ما لا يحصيه الا الواحد القهار، وكان فيها الف حمل من القماش الاطلس، واضعاف ذلك من نفيس النفايس وانفس، ومن الخيل المسومة عشرون الف جنيب، ومن المماليك الملوك عشرة الاف كل له في دار الملك ربع خصيب، واوفر حظ ونصيب، فما افاد ذلك ذرة، بل نبشوا بعد موته قبره، وقطعوا راسه، وفجعوا به ناسه، فسبحان من لا يزول سلطانه، وعز وعلا من لا يذل شانه. شعر

فما كفُّ ذو كفٍّ له رايد الردى ... ولا مال بالاموال عنه حمامُهُ

ولا ملك كلّا ولا ملكٌ حَمَى ... حِمًا ملكِهِ لمّا عراه انهدامُهُ

وبسط المقول، فيه شرح يطول، واما امر الطاغية، صاحب الفئة الباغية، جنكزخان، لما وصل قصاده من عند السلطان، بعد الفناء والشدة، لحاهم محلوقة ووجوههم مسودّة، وقد قتل رئيسهم، وخلا من نقد مرادهم كيسهم، ذهب حفاظه، والتهب شواظه، وطمت بحار كفره وتلاطمت، وتزعزعت اطواد شركه وتصادمت، وبينا هو يرغي ويزبد، ويقوم من غضبه ويقعد، اذ جاءه الخبر الثالث، وهو شر الحوادث، اذ فيه خبر من قتل من الكفار، وانتقل من دار الخسار، الى دار البوار، جهنم يصلونها وبيس القرار، فاعمل في قلبه نصاله، وكان اولا قد زاد على قرحه قرح مثاله، ثم كان خبر هذا القرح، ملحا مذرورا على جرح، فقامت قيامته، وتعوجت بالحزن قامته، وودّ لو احرق الكون بانفاسه، وهدم اساس المكان بفاس بأسه، ثم تروّى وافتكر، وتهوى من حرّ هذا الشرر، ثم قصد مذهب الاعتزال، وانزوى عن جماعته في مكان خال، ودخل الى مكان خراب، وعفّر وجهه في التراب، وتضرع الى الله الحليم، وقال يا خالق يا قديم، انا اردت ان اعمّر بلادك، وانعش عبادك، فظلمهم يا الله، عبدك خوارزمشاه، وتعدّى عليّ، وكرر الاساءة اليّ، فانتصر لي منه وانتقم، فانك جبر من كسر وعون من ظلم، واستمر على هذه الحال، ثلاثة ايام وليال، لا ياكل ولا يشرب، ولا يفتر عن التضرع والطلب، يمرّغ راسه ووجهه في الثرى، ويقصد فيما يرومه رب الورى، وقد قيل شعر

تضرّع جنكزخان لله ساعة ... واخلص فيما رامه وهو مشركُ

فما خاب فيما رامه من فساده　　　وسفك دم فى الاثم يسفك

فما بال من لله طول حياته　　　يوحّد بالاخلاص هل هو يهلك

ثم نهض نهضة انام، فيها الانام، وقام قومة اتم، بها ساعات القيام، فتوجه من مشركى التتار، وعساكر التعار، بالبحار الطامية، والامطار الهامية، وجبال النيران الحمية، فى شهور سنة خمس عشرة وستماية، ومشوا على ممالك الاسلام، وساروا على بسيط العالم سير الغمام، وارادوا اطفاء نور الايمان، من اشراكهم بظلام، فوصلوا الى البلاد، وهى جنة المرتاد، امنة مطمئنة، ساكنة مستكنة، وليس لها مانع، ولا ممانع، ولا لهم عنها دافع ولا مدافع، ولا بها حام ولا محام، ولا سام ولا مسام، فاخنوا على جَنْد وقراها، وولاياتها وما والاها، رابع صفر عام ستة عشر، واظهروا فيها علامات الحشر، فادهشوا وحلها، وسبكوا اهلها، ودكوا جبلها، وملاوا بجبال القتلى سهلها، فقتلوا الخاص والعام، ومدوا الى ذخايرها النهب العام، فراح بها رجله وخيله، واحاط بها ثبوره وويله، واستمروا فى نهبها ست عشرة ليلة، ثم تنقلوا عن جند، الى ولايات اندكان وبناكت وخُجند، فاخذوها وقتلوا، وفعلوا كما كانوا فعلوا، ثم الى بلدة مرّغينان، وكانت دار مُلك ايلك خان، ثم الى اطراف تركستان، ومنها سيرام وتلش كَنْد وباقى البلدان، ثم الى نَسَف واُترار وسُغناق، وما من امهات البلاد فى تلك الافاق شعر

فمشوا على سهل البلاد ووعرها　　　مشى الجراد على القصيل الاخضر

فكانهم موسى على شعر مشت　　　او منجل فوق الحصيد الاصفر

او شعلة ثار الهوا فتعلقت　　　فوق الصعيد على الهشيم الاغبر

فكل من اطاعهم، وقصد اتباعهم، صار من جلدتهم، ودخل فى عدتهم، ومن عصى او توقف، او خالف او تخلف، سقوه كاس الدمار، واحلّوه وقومه دار البوار، واسروا حريمه واولاده، ونهبوا طارفه وتلاده، ثم ان تلك الدواعى المصمية، فى يوم الثلثا رابع المحرم سنة سبع عشرة وستماية، وصلوا الى بخارا، بلدة فضلها لا يُجارى، قبة الايمان، وكرسى ملوك بنى سامان، مجمع العلماء والعباد، والصلحاء والزهاد، ومنبع المحققين من الفقهاء الامجاد، والمدققين من النبهاء الانجاد، وفيها من الاكابر والاشراف، واوساط الاماثل والاطراف، الجم الغفير، والطم الكثير، فلما راى العساكر السلطانية، والجيوش الخوارزمشاهية، الذين كان ارصدهم السلطان، لحفظ البلدة من طوارق الحدثان، وهو عشرون الفا، ان البلاء زحف اليهم زحفا، وان كسرتهم منهم لا تخفا، وان سيل الويل حطم، وموج بحر الدواهى النظم، ومن لم يدرك من الغرق نفسه ارتطم، شمروا الذيل، وخرجوا تحت الليل، وقصدوا جيحان، والعبور الى خراسان، ومقدمهم من امراء السلطان، كورخان وسونج خان، وحميد النورى، وكوجلى خان، فبينا هم على نهر جيحون قاصدين العبور، صادفتهم طلايع جنكزخان الكفور، فوضعوا السلاح فيهم، ومحوهم عن بكرة ابيهم، فما ابقوا منهم عينا ولا اثرا، ولا سمع لهم احد خبرا، فوهى امر البلد، اذ لم يبق لهم مدد، فطلبوا الامان، وارسلوا لذلك القاضى بدر الدين ابن قاضى خان، فاجابهم الى ذلك واناب، فاطمانوا وفتحوا الابواب، فدخلوا المدينة يرفلون، وهم من كل حدب ينسلون، فعصى بقية العسكر فى القلعة،

وتصوروا ان يكون لهم منه منعة، ففى الحال، امر الرجال، بطم الخندق، بكل ما وجدوا جلّ او دقّ، فاتوا بنفايس الاقمشة، والذخاير المدهشة، والكتب الربعات، والمصاحف الشريفة والختمات، وطرحوها فى الخندق، ومشى العسكر عليها وتسلق، ونقبوا النقوب، وانفذوا النقوب، وكان قد نادى بالامان، للقاصى والدان، فعجزت القلعة، وذهب ما بها من منعة، وكان فيها ثمة نحو من اربعماية، فباشروا الحرب دوما، نحو اثنى عشر يوما، فاخذوا عنوة بالانقاب، وفتح لهم من كل جهة باب، فقتلوا من بها عن اخرهم، واستولوا على باطنهم وظاهرهم، ثم مدوا ايديهم الى المخدرات، وجبروا ظهرًا بالمسترات، وجعلوا الناس ينظرون ويبكون، وهم يفتكون وينْكون، لا يستطيعون دفعا، ولا يملكون ضرا ولا نفعا، فاجتمع من ايمة الدين، ومن اعلام العلماء المهتدين، ومن لم يرض بعمل المفسدين، جماعة غاروا، وثاروا وفاروا، وانضموا الى العلامة القاضى صدر الدين قاضى خان، واولاده السادة القادة الاعيان، والحاكم الشهيد، الامام العالم السعيد، والامام ركن الدين امام زاده، واختاروا الموت على الشهادة، فحملوا على الفئة الطاغية، والطايفة الكافرة الباغية، وقاتلوا حتى قتلوا، والى جوار الله مقبلين انتقلوا، فاستشهدوا عن اخرهم، ولحق اصاغرهم باكابرهم، ودخل جنكزخان الى المدينة، وطاف بها على هيئة وسكينة، حتى انتهى الى باب الجامع، مكان نزه وموضع رابع، ومحل شريف ومعبد واسع، ولم يكن لذلك البلد الكبير، والجم الغفير والجمع الكثير، والمصر الواسع، من الجوامع، سوى جامع واحد، يجمع الصادر والوارد، ويسع ما شاء الله من الامم، وهذا على مذهب الامام الاعظم، وهكذا كل امصار الحنفية، فى الممالك الشرقية، والممالك الهندية، وغالب البلاد التركية، فقال جنكزخان، هذا بيت السلطان، فقالوا بل بيت الرحمن، وماوى عبادة العبّاد، والعلماء والزهّاد، وذوى الطاعة والاجتهاد، فقال ان اولى ما اقمنا اتراحنا، فى بيت من خلق ارواحنا، ورزق اشباحنا، ثم الوى اليد، واقبل عليه، ونزل عن دابته، ودخل الجامع مع جماعته، ثم دعى بامرايه، وكبرآء جنده وزعمايه، واستدعى الخمور، والطبول والزمور، وهش الى الكفار وعظمهم، وبش فرحا واحترمهم، فسجد له منهم الملوك، وضربوا له الجوك، وعرفوا حقه ورعوا، ورفعوا بالثناء صوتهم ودعوا، فاذن لهم بالجلوس، وان تدار عليهم الكوس، فجلس كل فى مكانه، بين اضرابه واخوانه، وقام بعض فى مقامه، فى موقف حده واحتشامه، فتصدر فى مجالس العلماء والاذكار، ومحاريب الصلوة الكفرة الفجار، ورؤس المشركين من المغل والتتار، واستبدلت محافل العلم والتدريس، بمحافل الشرك والتنجيس، ثم احضروا العلمآء، والاشراف والكبراء، وسادات الانام، ورؤساء الخواص والعوام، وانزلوا بهم الثبور والويل، واحتفظوا بهم واستحفظوهم الخيل، وصارت الناس حيارى سكارى، وما هم بسكارى، واخذتهم بهتة، اذ اتيهم العذاب بغتة، ولم يكن بين رحيل السلطان، وبين هجوم هذا الطوفان، غير خمسة اشهر وايام، ساروا فيها سير الغمام، وهجموا على العالم هجوم الظلام، وكانّ الناس كانوا نياما، وراوا فى منامهم احلاما، فلم يوقظهم من هذا الرقاد، سوى ابراق البلايا بالارعاد، فانسد عليهم طريق الخلاص، وخانهم المدد فى شدة الاقتناص، وتنادوا ولات حين مناص، اذ فارقهم العسكر، وهم فى حال المتحير، وكان من جملة اوليك الاعيان شخص ولى يدعى السيد الشريف جلال الدين على، ابن حسن الزيدى، وهو المقدّم والمقتدى، والمسلك

الى طريق الهدى، واعلى سادات ماورا النهر، ولدوحة ساداتها بمنزلة الثمر والزهر، قد قبض عليه، وربطوا الى عنقه يديه، ثم استنظروه مراكيبهم، وانشبوا فيه مخاليبهم، وهو واقف بباب الجامع، في هيئة الذليل الخاضع، فراى الامام الهمام، البحر الطام، علم العلماء الاعلام، افضل علماء عصره، وانبل فقهاء دهره، الشيخ ركن الدين ابن الامام، بوّأهما الله تعالى دار السلام، وهو في مثل حاله متسربل بسربال نكاله، فقال ايها الامام المفضال، ما هذه الاحوال، ثم انشد معنى هذا المقال، شعر

اری حالة بذت لسانى فليس لى　　طريق الى انى افوه بلفظة

اعض لها كفى وامعك مقلتى　　افى النوم هذا ام تراه بيقظة

فاجاب الامام، ما هذا محل الكلام، كن عبد الارادة، واتبع ما اراده، واستمروا يشربون الخمور، على صوت الزمور، ويضربون الطبول، ويتراقصون رقص التتار والمغول، ثم صعد المنبر، ابن جنكزخان الاكبر، واسمه توشي خان، وتكلم بكفر وكفران، ثم غنى ورقص، ودعا لابيه ونكص، ثم صعد بعده ابوه، وتكلم بكلام سمعوه، ودعا بالخمر وشرب، ثم غنى وطرب، ثم قال ايها الرجال، ان خيلنا في راس المال، وقد رعيتم الوهد والبقاع، وحلقتم شعور الكلاء من قمم البقاع، وقد شبعتم فلا تنسوا الجياع، الا فاشبعوا خيلكم، ولا تحرموها نيلكم، وحيث رعيتم الخصيم، فابغضوا لها القصيم، وامتثلوا امر سلطانكم، تحظوا منه بامانكم، فنهضوا قياما، وامتثلوا مرسومه مراما، وتهارجوا كالحمير، وابتدروا طلب القمح والشعير، ثم طغى وتكبر، وبغى وتجبر، ونزل عن المنبر، فلم يكن باسرع من اتيانهم بالحبوب، والقصيم المطلوب، وادخلوا الخيل الى الجامع، وطلبوا لها مرابط ومواضع، ثم افرغوا خزاين المصاحف والختمات، وظروف الكتب واوعية الربعات، وصبوا الشعير، واطعموا فيها الخيل والبغال والحمير، فتبددت الكتب المنيفة، والمصاحف الشريفة، والربعات المعظمة، والختمات المكرمة، تحت السنابك والحوافر، ومواطى اقدام كل كافر، وصار امر القاذورات والخمور، على تلك النفايس والذخاير تمور، ثم انه خرج من البلد، وامر ان لا يترك في البلد احد، بل يخرجون الى المصلّى، ومن حفظهم من كفر وتولى، ومن تاخر قتلوه، ونكوه ونكلوه، فخرجوا كالجراد، وانتشروا على الوهاد، واجتمعوا في المصلّى، ثم على المنبر تعلى، وخطب خطبة تركية، كافرية مشركية، منها انكم ركبتم عظايم، وانبتم مآثم وجرايم، فتقدم ربكم اليكم، ان سلطنى عليكم، وهذه الاوزار، انما جناها منكم الكبار، فلاجل هذا عم البلاء، وذهب بجريرة الكبراء الاصاغر والضعفاء، ثم ضبط اسماء التجار، واستخلص ما عندهم من درهم ودينار، وقال هذا ثمن ما لى من نقد واعيان، الذى كان بامكموه السلطان، فلما استخلص الاموال، امر بقتل الرجال، واسر النساء والاطفال، والنهب العام لساير الاغنام، ومن اخذ شيا فهو له، لا يقطع احد سبله، ثم امر بهدم البلد والاحراق، واعدام عينها على الاطلاق، فمهما قال فعلوه، وكل ما رسم به امتثلوه، فساووا بالبلد الارض، واستوفوا اعمار اهلها بالقرض والفرض، فلم يبق منهم ديار، ولم ينج من تلك النار العظيمة نافخ نار، وقيل انه نجا من هذه الواقعة، رجل باقعة، فوصل الى خراسان، فسالوه عن هذا الشان، كيف كان، فقال لهم بذلك اللسان، ما صورته

آمدند وکندند وسوختند وکشتند وبردند ورفتند

يعنى   هجموا وهدموا واحرقوا وارهقوا ونهبوا وذهبوا

فقيل لم يوجد، فى الفارسى فى هذا المعنى احسن، من هذه الالفاظ ولا ارصن، ولا اوجز ولا امتن، ثم امر الجند، بالتوجه الى سمرقند، فتوجهوا بالاثقال من الاموال، والاسرى من النسآء والاطفال، مشاة حفاة، اذلآء عراة، فلم يتوقف كل اغتمى أعقف، وكافر اغلف، فى ضرب رقبة من اعيى او توقف، فوصلوا اليها، واخنوا عليها، وفيها من العساكر الاكفاء، ماية الف وعشرون الفا، سبعون من اهل البلد، وخمسون من المرصدين للمدد، فتجهز عسكر البلد تلقاء، وخرجوا من البلد للملتقى، فكمن لهم التتار، من اليمين والبسار، فى رواب وتلال تسمى بالاحصار، فناوشهم من عسكر الكفار شرذمة، ثم ولت امامهم منهزمة، فركب البلديون اعقابهم، وداسوا اذنابهم، الى ان ابعدوا من البلد، وانقطع عن البلديين المدد، خرج الكمين من خلفهم، لقطع رجل مددهم وكفهم، ورجع عليهم الفارون، واحاط بهم الغارون، وتلاحق عليهم عساكر، لا اول لهم ولا آخر، فلم يفلت منهم واحد، ولا صدر من حياض تلك الملحمة وارد، فلما شاهد العساكر الخوارزمشاهية، ما نزل بالجنود البلدية من داهية ورزية، لم يسعهم الا الترامى عليهم، والانحياز اليهم، فداروا وداروا للبيب من دارا، فوقوا بذلك انفسهم واهليهم نارا، فلم يركنوا اليهم، ولا اعتمدوا عليهم، فراوا مصلحتهم، فى سلبهم اسلحتهم، فطلبوا منهم عدتهم، ثم فرقوا عدتهم، كما فعل تيمور الغدار، فى بلاد الروم بالتتار، عند كسر ذلك الخوان، فى سنة خمس وثمان مائة ابا يزيد بن عثمان، فلم يبق لاهل البلد، معين ولا مدد، فاستسلموا للقضا، وجروا طوعا وكرها فى ميادين الرضا، فاحل بهم بوارا، وانزل دمارا، ففعل بسمرقند واهلها ما فعل ببخارا، ودور اسوارها، بدلالة اثارها، من الفراسخ اثنى عشر، لا يمترى فى ذلك اثنان من البشر، فقس ما فى ذلك من الخلايق والامم، فاكل براعم سيف القلم، كما يبرى السيف القلم، ثم قوى العزم، وسدد الحزم، وجهز طايفة من العساكر الى خوارزم، مع ولديه احدهما المدعو بجغتاى، والمسمى الاخر باوكتاى، وهى تخت خوارزمشاه، وفيها من الامم ما لا يعلمه الا الله، معدن الافاضل، ومقطن الاماثل، محط رحال اهل التحقيق، ومقصد رجال الفحول ذوى التدقيق، ولوفور ما بها من الروس، لم ينفرد برياستها رييس، ولكثرة ما بها من الناس، لم يتعين لسياستهم راس، فاتفق الابرها لضبط امور المسلمين، على تقديم شخص يدعى خمار تكين، فبعد حروب يطول شرحها، ويهول برحها، ويجب قرحها، ويستحب طرحها، اخذوها عنوة، بعد ما قاسوا جفوة، فاستصفوا ارباب الحرف، ومن تعلق من صنعة بطرف، فكانوا نحو من ماية الف بيت، او يزيدون ان عددتهم وعديت، ثم ميزوا النساء والاطفال، وكانوا كعدد الحصا والرمال، ففرقوهم على ذلك العسكر الثقيل، فخفى الحقير منهم والجليل، ثم قصلوا بالحسام المفصال، مزارع ذوات ما بقى من الرجال، ثم ارادوا حصر من قتل، واقامة عدد من بتك وبتل، فكان حصة كل فتاك قتال، على ان عددهم اكثر من القطر والرمال، اربعة وعشرين مقتولا، ثم فعلوا بالبلد كعادتهم الاولى، فهدموا اسوارها، ومحوا اثارها، واجروا من بحار الدماء انهارها، فانمحى العلم والعلماء، واندحى الفضل والفضلاء، واستشهد الرؤساء والكبرا، وناهيك بالقطب الولى الشيخ

نجم الدين الكبرا، وتوجه جنكزخان، من سمرقند قاصد السلطان، ومرّ من اطواد عسكره بكل اخشب، حتى اناخ على ترمد وتخشب، فامتنعتا عليه، ومناعتهما لم تلتفتا اليه، وكانتا كثيرتي العدد والعُدَد، غزيرتي المدد من مُدَد، وهما من امهات البلاد، مملوتان من آلات الجهاد ومقاتلة الاجناد، فاعلك اناسهما، وسقاهما من خمر التشريب كاسهما، فلم يبق لهما نثا، فلم تغن العدّد والعُدَد عنهما من الله شيا، ومن غريب ما وقع، من البدع، انه امر باهل ترمد ان يقتلوا عن اخرهم، مع اعلاقهم وعشايرهم، ولا يبقى فيهما على احد، وارصد على ذلك الرصد، فاتفق ان امراة من المخدرات، تخجل الشموس النيرات، قبضوا عليها، وتقدموا باراقة دمها اليها، فتشفعت فما افاد، وتضرعت فما زاد الا العناد، فلما اسلمت وتلوها للجبين، وعلمت انه جاءها الحق المبين، قالت لاوليك الكفار، لا تقتلوني يا حضّار، وانا افتدى نفسي منكم بعقود من اللولو كبار، فانهوا القصية اليه، وعرضوا ما قالته عليه، فقال اتركوها، ثم بما قالت طالبوها، ننظر اصدقت، ام اختلفت، فاطلقوها، وبتقاضى اللولو اقلقوها، فقالت لم اته بزور، ولا دليتكم بغرور، وانما اللولو كان عندى، وحين استخلصتم مالى كان في يدى، خفت منكم فابتلعته، وتبًّا لفعل صنعته، فامهلونى حتى اتبرّز، ويخرج منى ذلك الحرز، فانهوا كلامها اليه، وعرضوا امرها عليه، فقالوا ابقروا بطنها، وانظروا فطنها، فان وجدتم شيا فهو لكم، وان كانت كاذبة فقد استحقت فعلكم، فشقوا بطنها البطين، واستخرجوا منه الدر الثمين، فلما راوا صدقها، وحققوا نطقها، امرهم بشق بطون جميع القتلى، وتفتيش ما طرحوه من جبال الاشلاء، فلم تنج روس الروس من المثلة بعد القتل، ولا بطون الصدور من ظهور التنكيل اثر البتل، ثم امر بهدم الحصون، بعد ابتذال المال والعرض المصون، فمُحيت الديار، ولم يبق فيها ديَّار، ثم عبر من جيحون الى خراسان، وجعل نصب عينه ممالك السلطان، وتوجه الى بلخ وهى احد معاقل الاسلام، وفيها من امم الانام، ما لا يدرك ضبطه سابق الاقلام، بل يخرج حصر الاوهام، ولا يحصيه الا الملك العلام، وكان السلطان، قد انشمر عنها كما ذكر الى نواحي طبرستان، فوصل بتلك البحار الطامية، في ثماني عشرة وستمائة، فخرج اليه الاعيان، وطلبوا منه الامان، فاجاب سوالهم، بما يصلح حالهم، ثم اختشى من السلطان جلال الدين ابن المرحوم قطب الدين فلم يركن اليهم، ولا عوّل عليهم، فامر باراقة الدماء، وهدم البناء، واحاطتهم بداير الفناء، فافنوهم عن اخرهم، وساووا بالحضيض بقاع عمايرهم، ثم ارسل ولده تولى خان الى محاصرة طالقان، فعصت عليه، ولم تسلم قيادها اليه، فاستمرت في الحصار مدة، واذاقها لباس الباس والشدة، الى ان اخذوها، واهادوا خلقها ودكوها، ثم ان جنكزخان، الكافر الخوان، معدن الكفر والطغيان، استوبل هواء خراسان، فاوى الى بلاده، وترك تولى خان من اولاده، وولاه خراسان، وهو محاصر طالقان، واقام في ممالك ايران، من كفار امرايه اميران احدهما يدعى سُنْتاى، وهو من قبيلة الجغتاى، والاخر يدعى يما، وهو من الكفار اللوما، وترك معهما من الكفار الاراذل، والتتار الاسافل، ثلثين الف مقاتل، فوصلا الى رواة، ووضعا السيف في الايمة الهداة، وابتديا في القتل والنهب، والفتك والد[illegible]، والقهر والاسر، والقسر والكسر، ثم اخذا في الائتلاف طريق الايتلاف، وذهب كل منهما للاختلاف، في الفساد على مخلاف، فصالا

وجالا، واوسعا فى الدمار والبوار مجالا، وخاضا فى دماء المسلمين، واجتهدا فى اهلاك الاسلام والدين، وخلا لهما الجو فباضا وصفرا، وكان السلطان قطب الدين قد اخلى الدنيا من الملوك والكبرا، فلم تثبت لهما مقابل، فضلا عن مخاتل او مقاتل، فاهلكا الدين واابادا، وتصرفا فى نصرة الشرك على الاسلام كيف ما ارادا، فاستخلصا جُوَيْنَ وطوس، واعدما ما بهما من نفايس ونفوس، وجاَم وجيوشان، واسفيرايين ومازندران، وامل وقومس وتلك البلدان، فمحوا من كتب كتايبها اسطارها، واطفأوا منارها، واظهروا من صفة الجلال والقهر اثارها، واجروا من الفتن كالدماء بحارها، واضرموا من الشرور نارها، كل ذلك قتلا ونهبا، وسبيا وسلبا، وهدما واحراقا، وصدما وازهاقا، وردما واغراقا، ثم بلغهم ان حريم السلطان جلال الدين، فى قلاع امل امنين، فقصدوها وحاصروها، ورصدوها فقل ناصروها، فاستولوا عليها، ووصلوا كما ارادوا اليها، ففروا وفتكوا، وبروا وبتكوا، وسبوا وسبكوا، وسفوا وسفكوا، وكووا وشووا، وغووا ولووا، وعووا وما ارعووا، ثم انهم صادفوا لعكس الزمان، وانقلاب الدهر على السلطان، وسوء التدبير، وشوم الحظ المبير، وهم فى بعض المسير، من غير مخبر ولا معلم، فى سدفة ليل مظلم، حريم السلطان خوارزمشاه، لامور قدرها الله، مع والدته وجواريه، وبنساته وسراريه، وكان لشدة ما نابهم من الزمان، قد ضاق عليهم المكان، وتغيّر، بل تنكّر، لهم الكون، وقلّ عنهم النصير وقلّ العون، وخافوا الابتذال بعد الصون، فتركوا ما لم فيه من مكان، فقصدوا البعد عن خراسان، فتوجهوا الى اطراف اصفهان، ومعهم من نفايس الاموال والجواهر، وانواع المفاخر والذخاير، ومصونات الخزاين، ومكنونات المعادن، ما لا يعلمه الا مانحه، ومن الكنوز ما ينوّ بالعصبة مفاتحه، وما لم يجتمع لسلطان قط، ولا ضبطها قلم ديوان ولا خط، فتباغتوا مواجهة، وتواجهوا مباغتة، وتباهتوا مشافهة، وتشافهوا مباهتة، فوقعن فى شبكة الصيد، واحاطت بهن دايرة الكيد، وتورّطن فيما فررن منه، وتربّطن بارهاق ما نفرن عنه، وناداهن لسان الحظ، وهاتف الطالع الفظ، شعر

وإذا اراد الله انفاذ القضا وظهور قهر للبصاير باتلا
جعل الدواء لذاك داء مرضًا وفوايد الترياق سما قاتلا
والكون خصما والمكان مناقضا والعيش موتا والصديق مقاتلا

فلم يشعرن، الا وقد وقعن، من نيران الفتن فى تنوّر، وتورّطن من بحار المحن فى دردور، وتبسمت الى بكايهنّ ثنايا البلايا، وتكللت على جباه مصايبهنّ عقود الرزايا، فظفر حامية الكفر بذلك المغنم البارد، ولم يصدر من حلقة صيده شارد ولا وارد، فحازوا تلك المسترات، ونزل الى حضيض قنصهم من سماء المناعة الشموس النيرات، فهتكوا استارهن، وخربوا ديارهن، وضبطوا اشعارهن ودثارهن، وجردوا ما معهن من كنوز المعادن، ونفايس المكامن وذخاير الخزاين، ثم اضافوهن الى زبانية غلاظ، واحتفظوا بهن اشد احتفاظ، وساقوهن الى بلاد التتار، مهتكات الاستار، عاريات حافيات، حاسرات ماشيات، وامروهنّ ان يجتمعن كل ليلة، عند ما ينشر الظلام ذيله، فى كل منزلة، وصباح كل مرحلة، ويقمن على انفسهن العزا، وينحن بما تقدم ويبكين بما جرى، ويعددن على خوارزمشاه، ويذكرن ما قدره الله عليه وقضاه، وينعين ما كن فيه من النعم، وما صرن اليه من الهوان والنقم، وليدمن على هذه الطريقة، حتى يقطعن من سفرهن طريقه، ويصلن بجنكزخان، على ذلك الامتهان،

والذل والهوان، فيرى فيهن رأيه من نكال ونكاية، ورحمة وعناية، وامتثلن ما امروهن به، فكن يفبّهن النيام ويبكين المنتبه، واستمررن على هذه الحال، فى الخزى والاذلال، والمشقة والابتذال، بعد ذلك الصون والدلال، يفطرن بنحيبهن الجبل، ويمزقن بالنظر اليهن كباد الصخور والتلال، ثم ان تولى لما اخذ طالقان، واهلك اهلها بسيف الطغيان، ولم يدع فيها من يتنفس، وهدم الى الارض بنيانها المؤسس، توجه الى جانب من بلاد العجم، واهلك ما شا الله من خلايق وامم، فصار فى احد الجوانب يعبث، وكل من سُنّتاى الخبيث، ويما الكافر الخبيث، فى جانب يبيد المسلمين ولا مغيث، فدكوا قزوين وهمذان، وصكوا ارّان وبيلقان، واغاروا على ممالك ادربيجان، وبلغهم ان السلطان جلال الدين، له فى سجاس جماعة مجتمعين، مقدمهم السلاحدار بيكتكين، وفيهم من الاعيان، كوجبوغاخان، فتوجه اليهم يما، فبدد شمل اولبك الزعما، واباده‌م وخرقهم، وشتتهم ومزقهم، ثم اغاروا على غالب عراق العجم، فاوسقوا القفار بالضرم، واوسعوا البحار بامطار الدم، وملاوا الوجود بالعدم، ثم قصدوا اردبيل، وجعلوا اهلها ما بين اسير وقتيل، وكانوا فى اول المرور قد صالحوا اهل نيسابور، وانتقلوا الى مرو منها، وراودوا اهلها عنها، فاغلقوا ابوابهم، واقلقوا جوابهم، فحطموا عليها، ودخلوا اليها، وحكموا فيهم السيوف، وكان شهر الصيام فقطروهم على كاسات الحتوف، ونقلوا الى جوار الله تعالى منهم المبين والالوف، فضبطوا من امكن ضبطه من القتلى، واستسعد بنيل الشهادة من الشهدا، فكان الف الف نسمة، وثلثماية الف وثلثين الفا مكرمة، وكل هذه الفتنة والفترة، فى سنة ثمان عشرة، عامت الدنيا فى الدماء عوما، وكانت نحو تسعين يوما، ثم توجهوا الى شروان، واثخنوا من بحار الدماء الطوفان، ودخلوا من الباب الحديد، واتصلوا من الدشت بذلك الشيطان المريد، فتيقظ الناس من الفكرة، وافاقوا مما كانوا فيه من السكرة، وتصوروا انهم سحابة صيف انقضت، او نسمة ازمة هبّت بارقة او مضت، ولكن احتاطوا واستعدوا، وتحفظوا واستمدوا، وحصنوا الحصون والمعاقل، وجمعوا الجنود والجحافل، فلم يكن باسرع من اٰيابهم، وتعاطى ما كانوا عليه من دابهم، والشروع فى اعمال حرابهم بحرابهم، واخذهم فى ضروب ضربهم وضرابهم، واستقر تولى فى ممالك العجم، وهو ابو هولاكو الكافر الاغتم، فوصلوا الى سبزوار، وقد استعدت للمناوشة والنقار، فاخذوها عنوة زحفا، وقتلوا منها مما امكن ضبطه سبعين الفا، ثم ايضا الى طوس، فازهقوا ما بها من نفوس، ثم الى ساير القلاع، بالحضيض والبقاع، فاستولوا على الكل قهرا، واخذوه عنوة وجبرا، وسعوا فى احلال البوس، وازهاق النفوس، ثم الى موقان، ولم يبقوا بها احدا كاينا من كان، وعم القتل المبير، كل صغير وكبير، ثم حل اولئك البور، ببلدة نيسابور، فكالحت، بعد ما كانت صالحت، وتحصنت، بعد ان اذعنت، واعتمدت على عددها، واستندت الى عُددها، وبرجالها استعانت، بعد ان كانت قد دانت، ولانت واستكانت، وكان فيها من اسباب الحرب، ورجال الطعن والضرب، ما لا يحصى، ولا يبلغه الاستقصا، فكان فيها من المجانق، المرسلات الصواعق، على اسوار الحصار، ثلاثماية منجنيق اصغرها كالغضبان فى المقدار، خارجا عن المكاحل والمدافع، المهلكات بالصواعق الصواقع، ومن رماة القوس القصير، المنفذ حكمه قاضى التقدير، ثلاثة الاف بطل، كل ارمى من بنى ثُعَل، واما عدد الضارب والنابل، والمقاتل

والمقاتل، والرامح، والناطح، المصارع، والمقارع، والخارف، والخادف، والخاطف، والقاطف، والناهب، والسالب، فالصابطون فيه تاهوا، وما يعلم جنود ربك الا هو، فوجّه التتار الهمة اليهـا، واخذوا كالقضـاء المبرم عليها، وحمى الوطيس، وخاطر بنفسه كل خسيس، وبذل مهجته من الغزاة كل نفيس، فقتل من اهل العدوان، طغاجارخان، زوج ابنة جنكزخان، وكان من عتاة الكفـار، المعتبرين بين التتار، فحنق العدو لذلك، وشددوا المسالك، وسمع بذلك تولى، الكافر الموغولى، وكـان فى بعض الجوانب، مشغولا بالدواعى والمصايب، ففار دم قلبه، وتاجحت نيران كربه، وتاسف لفقد ختنه، وثار غبار احنه، فتوجه من فوره، بحنقه وجوره، ونزل على نيسـابور، وحـل بالبوار على اوليك البور، وزحف بالعساكر، وتقدم بالطعن والضرب كل كـافر، فلم تمض غلوة، حتى اخذوهـا عنوة، ودخلهـا من كفر من التتر، يوم السبت خامس عشر صفر، سنـة تسع عشرة، وستماية من الهجرة، واعطى تولى لاخته ذلك، عوضا عن زوجها الهالك، وقال لهـا تسلّى عن ذلك المفقود، بهذا الموجود، وتحكّمى فى اهل البلد، بما ترتضيه من سرور ونكـد، وتصرفى فى الاموال والارواح، فمهما تريه فهو لك مباح، فامرت ان لا يبقّى على ذى روح، وان تجرى السيول من الدم المسفوح، فاطلقوا فى ميادين الحتوف، اعنة صوارم السيوف، فجدت جياد الجداد، وجادت بجود الجد على اجياد الاجواد، وصارت كالسن الشعرآء النقاد، تهيم من النظم والنثر فى كل واد، فمحوا عن لوح الوجود، بلسان شواظ السيـف ذات الوقود، سطور ذوات ذلك السواد الاعظـم، وكـتـاب كتايب تلك الخلايق والامم، وزادوا فى الاشتطـاط، حتى قتلوا الكلاب والقطـاط، ثم امرت ان تجمع روس ذلك الجمهور، ويميز روس الاناث من الذكور، فميزوا روس الرجـال، عن قمم ربات الحجال، وطرحوا كل كاشية، فى ناحية، فصارت الروس كرواسى الجبال، وتلك الدور والقصور كـالاعصر الخوال، ولم يتخلص من قطع الاروس، سوى اربعة انفس، كانوا من ذوى الحرف، فجذبتهم المهارة من لجج بحر الفناء الى الطرف، ثم ركبت تلك البسوس، ووقفت على تلال الروس، فلم تنطفى نارها، ولا برد اوارهـا، وزعمت انهـا لم تستوف ثارها، وان دود ترابها من علوق تلك الامم ما تكفت، وغيظة غيظها لسعتهـا بزواير السيوف ما تشفت، واستغـاثت بالزبـال، وصاحت بلسـان الحـال، وانـشـدت

وهب ان النساء سُلِلنَ سيفًـا فصلنَ وجُلنَ كالفحل الغيور
فزلزلـن الجبـال فطرن خوفا يصاعين السحاب على الطيور
وصـار لسفكهنّ البـر بحرا ايغنيهـنّ ذاك عـن الايـور

فامرت بهدم البلد، واحراق ما فيها من الات وعدد، فدكوها دكا، واعدموها سبكا وسفكا، وتصرفت ايدى النوايب فيها فتكا وبتكا، ثم ان تولى لوى العنان، وقصد هراة من خراسان، فاخذهـا بالامان، ولم ينجُ من ذلك الطوفان، سوى تلك الكورة، واستمرت تحت اوامرهم مقهورة، وامهات بلاد خراسان، ومقرّ سرير السلطان، كـانت اربعة امصار، كل ذات اعتبار جليلة المقدار، نيسابور، وصارت بور، وبلخ، قـد كسيت من البوار ثوب سلخ، ومرو الرود، وقـد انمحت من

الوجود، ولم يفز بالنجاة، الا بلدة هراة، وساير الامصار شملها البوار، ولبست من خلع الدثور الدثار، وكل منها مصر جامع، وبرها بحر واسع، وبحرها كصدر البر مداه شاسع، واما القرى والقصبات، والرساتيق والمزدرعات، فاكثر من ان تحصر، او تضبط بحساب دفتر، فابيد كله وابير، فالحكم لله العلى الكبير، كل ذلك فى ادنى مدة، واوحى رقدة، وما ذكر قطرة من طور، وقطرة من بحور، فسبحان من لا يسأل، عمّا يفعل، ثم ان جنكزخان الهامة الهامّة، والفتنة الطامية الطامة، لما علق به المرض، وحصل له فى خراسان العرض، رجع الى بلاده، واستمر مرضه فى ازدياده، ولم يزل على ذلك، حتى اورد سبيل المهالك، وتسلم روحه الخبيثة مالك، وحين ايس من الحيوة، وقنط من رحمة الله، جمع المعتمد عليه من اولاده، المشاركين له فى عتوه وفساده، وهم جغتاى واوكتاى، واولبغ تولين وجرجاى، وكاكان، واورجان، واوصاهم بوصايا، وطرايق فى سياسة الرعايا، حافظوا عليها، وتناصحوا اليها، فثبتت لهم من ملكهم اساسا لم ينهدم، واقامت بنيانا والى يومنا لم ينحزم، وعروش قواعد اركانها لم تنثلم، مع كثرة عددهم، ووفرة مددهم، وشكاستهم، وشراستهم، وشماستهم، وتعاستهم، وغلاظتهم، وفظاظتهم، واختلاف اديانهم، واتساع بلدانهم، وهلك الطاغية جنكزخان، وانتقل الى الدرك الاسفل من النيران، واستقر فى لعنة الله وعقابه، واليم زجره وعذابه، فى رابع شهور رمضان، الشامل بالفضل والاحسان، والبركة النامية الهامية، سنة اربع وعشرين وستماية، فى سرة ملكه المشوم، واعظم امصاره ايميل وقوتاق وقراقوم، واستمرت بعده الفتن، والشرور والمحن، تغير على ممالك الاسلام، وتبير شعاير شرايع خير الانام، وتثير غبار الافساد والمفسدين، فى وجوه سنة سيد المرسلين، وتخص جنود الاسلام، وتقص جيوش العلماء الاعلام، وتنقص اطراف الارض، وتنقض اركان الدين بعضها على بعض، وناهيك يا مولانا السلطان بفتن هولاكو تولى بن جنكزخان، وبعده ابغا، ابن هولاكو الذى تجبر وطغى وتكبر وبغا، وبعده ابنه ارغون، وبعده ابنه قازان المفتون، واستمرت بحار الفتن منهم، توفّر منهم، وتمور، الى ان نبغ الاعرج تيمور، فاهلك الحرث والنسل، واختلط المباح بالبسل، وحل بالعالم الباس، وفسدت احوال الناس، وانما ذلك كله بفساد الراس، ومن جملة فتنهم، وطعنهم فى ضعنهم، جالوا فى معركة، وصالوا فى دشت بركة، فقتلوا فى مثل حرب البسوس، وقطعوا فى ناحية من الروس، جملة ارادوا ضبط عددها، بعد ان ابانوها عن جسدها، فلم يقدروا، ان يحصروا، فرسم لتلك البغاة سلطانها، ان يقطع من الروس اذانها، يقطعون من كل راس اذنا، ولتكن الاذان اليمنى، فجذعوا اذان بعض الروس وبتكوها، وفى خيوط سلكوها، ثم قلايد ربطوها، وبعد ذلك ضبطوها، فكانت نحو مايتى الف اذن مجدودة، وسبعين الف اذن معدودة، وانما ذكرت يا ملك الطير، امثال ما جرى من الشر والخير، وجلوت عن مراة ضميرك المنير، صورة ما مرّ فى الزمان المبير، وما فعله من ملّكه زمام الاقتدار، وامهله سلطان السلاطين الذى يخلق ما يشا ويختار، وصرّفه فى بلاده وعباده، وبيّن له طريقى صلاحه وفساده، واخبركم ايها الملوك والحكام بامورکم فى دنياكم، وجلا صور احوالكم على اعين بصايركم وبيّن مزاياكم فى مراياكم، وقال وهو الذى جعلكم خلايف الارض، ورفع بعضكم فوق بعض، درجات ليبلوكم فيما اتيكم فانظر ما فى هذه السير من الحكم والعبر، وتعلم ان الدنيا

Digitized by Google

محل الغير، ومحك العقول والفكر، والحال بها هدف لسهام القضاء والقدر، مبتلى بكل خير وشر، ونفع وضر، غافل عن مواقع الحذر، آمن وهو على شرف الخطر، مقيم وقد جدّ به السفر، مناقش بما مضى من انفاسه مما حلا ومرّ، ومحاسب على ذرات ما اكتسبه، معاتب بالفتيل والقطمير مما ارتكبه، فلما وصل الجمل في الكلام، الى هذا المقام، قبل العقاب بين عينيه، وزاد قربه لديه، وافاض خلع الانعام عليه، وقال صدق عليه افضل الصلاة والتسليم، من قال كلمة الحكمة ضالة كل حكيم، ونطلب بالحق من قال، لا تنظر الى من قال، وانظر الى ما قال، فاهل التحقيق، وذووا النظر الدقيق، راقبوا المعانى، ولم ينظروا الى القوالب والمبانى، فان سليمن عليه السلام، وهو ملك الجن والانسام، والوحش والطير والهوا والهوام، ونبى مرسل وملك ذو فضل، وسلطان الفضل بالعدل، استفاد النصايح من نملة، وجمع هدهد مع ملكة سبا شمله، و يوجد فى الاسقاط، ما لا يوجد فى الاسفاط، ولقد ينطق بالفوايد، من هو كافر وجاحد، فيوخذ من اقواله، ولا يقتدى بافعاله، وقد قيل أن الحسن البصرى رحمة الله عليه، دخل صبى مسجده وصلى بين يديه، فراه لا يتم سجوده، ولا يرضى بصلاته معبوده، فدعاه وخاطبه، وانكر عليه وعاتبه، وقال اتمم سجودك، ترضى معبودك، فقال يا شيخ المتقين، هذه سجدات شخص من المومنين، لو سجد احديهما ابليس لادم لما كان من الملعونين، ولو سجدها فرعون مرة لكان من المسلمين، ولم يصر من اهل العناد المطرودين، ورأى يوما صبيا ومعه سراج، وهو سالك فى منهاج، فسأله عن ناره، وما فيها من انواره، من اين اخذها، وكيف انتقذها، فلم يجاوبه الا باطفاء السراج، وسواله اين ذهب ذلك النور الوهاج، قل لى اين ذهبت تلك الانوار، اقل لك من اين جات تلك النار، ثم ان العقاب، ولى الجمل ما تحت يده من رقاب، وقدمه على ساير الخدم، وصنوف الطير واجناسه من الامم، وجعله الدستور الاعظم، والوزير المقدم المكرم، وفى هذا المقام، امسك الحكيم حسيب عن الكلام، وختم ما افتتحه من الحكم والاحكام، بالدعاء والثناء والصلوة والسلام، قال الشيخ ابو المحاسن، المتحجل بادبه امرى القيس وابا فراس، فلما انتهى الحكيم فى مقترحه، وما قصده من بيان محاسنه وملحه، الى هذا الحز، وفصّل من فضله ما جمّل من جُمَل، نهض الوزير وقبّل قدميه، واعترف له بالفضل المنعم به عليه، وانه مالك ازمّة الانشا، وملك الكلام يصرفه كيف شا، وذلك فضل الله يوتيه من يشا، وكما انه شيخ المنقول، واستاذ المقول، فمن انوار الفاظه تنير العقول، ومن كنوز عباراته تستخرج جواهر المعقول، واما اخوه الملك فطار بسروره به عن سريره، واتخذه فى مهامّ اموره مقام اميره، ثم ادت اراه فكرته، ان يستعمل اخاه لكشف كربته، ويمشى فى السعى بينه وبين اخوته، لرتق ما انفتق، وسدّ ما خرقه سيل الحسد فانبثق، فامتثل امره العالى، ونهض بامر الله المتعالى، وانفق من جواهر افكاره فى سوق المناصحة الرخيص والغالى، ورصّع ما استخرجه من يواقيت ذلك من عباراته بما يستعبد عقود اللالى، وتعاطى اسباب الاصلاح، وساعده لحسن النية وخلوص الطوية السعد والنجاح،

وهذب فى الفضل ما رتبه   واعجب ذا اللب ما شاده

فاثنى عليه بما اعجبه   واغرب فى السعى ارشاده

فلله ذا السعد ما اغربه   لا شذب الصدق عن لصحه
ولا شذ خل لما شذبه

فاستمال الخواطر النافرة، واطفا بزلال الفاظه العذبة شواظ تلك النايرة، وسكن بنسيم ملاطفاته قتام الاخلاق الثايرة، فاطمانت القلوب، وطهرت من غش التشاحن الجيوب، واتصل بالمحب المحبوب، وحصل الامن والامان، ومساعدة الزمان، ومعاضدة الاخوان، ومصافاة الخلان، وطيب العيش والمكان، وانفصل من هذا جميعه شفقة السلطان، والاستقامة على الاسلام والايمان، ونسال الله تعالى اتمام نعمه، واسبال ذيل احسانه وكرمه، واللطف في القضا، والعفو عما مضى، والمعاملة باحسانه الجزيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين وعلى آله الاطهار، وصحابته الابرار، من الاختان والاصهار، والمهاجرين والانصار، وسلم تسليما بطيب الأعطار، ويتمسك باذيال عرفه خياشيم الازهار، في الاسحار، ما دامت الامصار، ودارت الادوار، وترادف الليل والنهار، وحشرنا في زمرتهم مع المصطفين الاخيار، انه كريم ستار، حليم غفار ۞

تم هذا الكتاب
بعون الله الوهاب

P. 250. l. 20. In codicibus E. F. legitur ومرجها يمور.

— l. 28. In codicibus E. F. legitur وجاوت عبس مراة همبيرك المنير وما حلا ومر من الزمان المبير.

P. 251. l. 3. Loco vocis والقطمير in codicibus E. F. legitur والنقير.

— l. 13. Loco vocis التغين in codicibus E. F. legitur اليقين.

P. 252. l. 2. Codex E. habet ولا سد حل لما شد به; codex F. ولا شد جل لما شد به. In fine codices multum inter se discrepant. In codice B. verbis والحمد لله رب العالمين l. 8. codici finis impositus est; in codice C. post vocem غفار haec addita leguntur verba كمله مولفه ولفقه مصنفه من غير تردد وتفكر ولا تعمق فى تدبر مع توزع البال وتمزع الحال احمد بن محمد بن عربشاه الحنفى سامحه الله تعالى وعامله بما يرتضيه فضلا وجمالا لا بما يقتضيه عدلا وجلالا من اواخر شهر ربيع الاول المبارك سنة ٨٥٢ احسن الله تعالى خاتمتها وعقباها وجعل اخرها خيرا من اولها

Cum hoc consentiunt cod. E. F. nisi quod loco vocis كمله habent ممقه et post vocem مصنفه addunt verba فقير عفو الله تعالى. Pro من اواخر uterque codex habet فى اواخر, quae lectio praeferenda, denique legunt وعاقبتها loco vocis وعقباها. Eundem quoque libri finem impositum legimus ni fallor in codice D. At in codice G. verbis وحسبنا الله ونعم الوكيل finis imponitur, tum charactere minus accurato et distincto scripta sequuntur verba وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم سليما كبيرا يا رب العالمين, denique indicatur tempus, quo scriba opus absolvit his verbis وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة ثالث عشر من شهور الصفر . . . . اربعة واربعين وتسعماية على يد العبد الفقير الى الله تعالى محمد ابن سلام ابن الشيخ حسن المدد بن الازهرى المالكى . . . . In codice F. ipso libro finito, quatuor circiter paginae sequuntur, quas se reperisse eadem manu scriptas quam caeteras codicis partes, indicat scriba verbis seqentibus ووجد بنسخة الاصل ما صورته. Quae vero quum sint extra libri fines positae, continent enim ciborum in coena de praestantia sua certamen, addere operae pretium non videtur. Indicatur autem in calce totius a scriba absoluti operis tempus his verbis تم فاكهة الخلفاء فى مفاكهة الظرفاء فى يوم الخميس خامس عشر من شهر جمادى الاولى من شهور سنة ستة وتسعين تسعماية

P. 247. l. 30. Loco vocis ينحى in codicibus E. F. legitur ينتحين. In codicibus C. G. legitur يعددن.

P. 248. l. 3. Loco vocis يفطرن in codicibus E. F. legitur يصدعن. In codicibus E. F. loco vocis اليمن est اليمين.

— l. 4. Loco verborum بسيف الطغيان legitur in codicibus E. F. بسلاح العدوان.

— l. 8. Vox بيكتكين est lectio codicis D; in codice F. puncta diacritica desiderantur. In codice B. est بند تكين, in codice G. بكن كين; in codice C. legitur بيتكين.

— l. 9. Secutus sum lectionem codicum C. G. In codice B. legitur كوجبوغا خان, in codice E. كوجبا عان خان; in codice F. كوجبا غان خان.

— l. 10. Loco vocis فاوسقوا in codicibus E. F. legitur فاسقوا.

— l. 15. Loco vocis الشهادة in codicibus E. F. legitur السعادة. Codices B. G. pro بنيل habent بفوز.

— l. 23. In codicibus E. F. legitur وانقار للمناوشة واستمدت للحصار استعدت.

— l. 24. Pro voce وانبقاع in codicibus E. F. legitur واليفاع; non male.

— l. 25. In codicibus E. F. loco ازهاق legitur اهلاك.

— l. 28. In codicibus C. F. inter voces ولانست et واستكانت inserta est vox واتصانت, quae minus placet.

— l. 32. In codicibus E. F. elegantius legitur حكم سهمه الماضى قاضى.

P. 249. l. 3. In codicibus E. F. ita legitur وخاطر بنفسه من الغزاة كل نفيس، وبذل مهجته من الطغاة كل خسيس

— l. 4. Loco vocis عتاة, quae est lectio codicum C. E. F; in codicibus B. G. legitur اشد; tum in codicibus E. F. legitur ومن المعتبرين فى التتار.

— l. 5. Loco وشددوا in codicibus E. F. legitur وسددوا.

— — Loco تاسف in codice F. legitur قشر; in codice F. قاثر.

— l. 17. In codicibus E. F. legitur روس النكور.

— l. 18. In codicibus E. F. legitur كالاعصر الماضية خوال.

— l. 22. In loco وغيظة غيظها لسعتها بزوابر السيوف ما تشفت secutus sum lectionem codicum E. F; in caeteris lectio corrupta est.

P. 250. l. 10. Codices F. G. habent واقمة بنيانا codex E. بنيان واقمة.

— l. 16. Loco vocis تغير in codicibus E. F. legitur تعد.

P. 244. l. 26. Loco باعكموه in codicibus E. F. legitur عنحكموه.

P. 245. l. 4. In codicibus E. F. post vocem امتى verba اقول ولا في غيره a scriba quodam apposita sunt. Tum in codicibus C. G. desunt verba من الامــوال; in codice B. plura omissa sunt.

— l. 6. Loco واختنوا in codicibus E. F. reperitur واحتوروا.

— l. 8. In codicibus E. F. legitur بيلا احصار.

— l. 19. Loco يمترى in codicibus E. F. legitur يتقى. Ibidem est فقس على ما.

— l. 25. In verbis يجب قرحها ويستحب lectionem codicum B. G. secutus sum; in codicibus E. F. legitur ويجب الظهر قرحها فيجب اختصارها وطرحها.

— l. 28. In codicibus E. F. legitur فكانوا اوفر عددا من الحصا.

— l. 30. In codicibus E. F. legitur فكان حصة كل فتاك وقتل، على عددهــم اكثر من الوابل،

— l. 31. Loco انهارها in codicibus E. F. legitur تيارها.

P. 246. l. 6. In codicibus E. F. vox فاتفق omissa est.

— l. 9. Quam secutus sum, lectio codicum B. G. est, in codice C. legitur بلولو كبار, in codicibus E. F. بلالى كبار.

— l. 19. In codice F. legitur والانام, in codicibus B. G. omissa est vox. Ibidem in codicibus E. F. loco يدرك legitur يلحق.

— l. 24. In codice E. legitur loco بقاع vox يفاع, quae quum sit alteri بالحضيض opposita, mihi placet; at vero in caeteris omnibus legitur بقاع.

— l. 28. Loco vocis بما in codicibus E. F. legitur بها.

P. 247. l. 1. In codice E. pro voce والـدين legitur والمومنين, pro اجتهدا legitur اجتهدوا. In codice F. est واجتهدوا في اعلاء الايمان والمومنين.

— l. 4. Loco vocis الاسلام in codicibus E. F. legitur التوحيد. Loco vocis جيوشلن in cod. B. G. legitur جوشان; in codice D. جَيُوشْتان, in codice F. جيوشان.

— l. 5. Vox اسفيرابين est lectio codicis C.; in codice D. G. est اسفَرابين; in codice E. F. اسفرايين.

— l. 16. Loco vocis المفاخر in codicibus E. F. legitur الاعلاق.

— l. 19. In codicibus D. E. F. loco vocis الخط legitur الخط, quam lectionem praetulissem, si ut sensui ita homoioteleuto aptissima fuisset.

— l. 24. In codicibus E. F. omissa est vox عقود.

— l. 26. In codicibus E. F. loco vocis المناعة exstat المنازعة.

P. 240. l. 29. Pro الهم codices B. G. habent الوهم; codices E. F. طيب زاده.

P. 241. l. 4. Loco رضى البال in codicibus E. F. G. legitur رخى البال.

— l. 6. Codices E. F. habent فى يوم الخميس العشرين.

— l. 8. In codice E. loco جولة legitur حوزة, loco بالساهرة legitur الساهرة.

— l. 9. Loco vocis تخالوه in codicibus B. G. legitur اخلاوه.

— l. 25. Codices E. F. habent موضع خراب, non male quidem, quum vox مكان praecesserit.

P. 242. l. 8. Pro اختنوا legitur in codicibus E. F. فاحتروا; non male, ut videtur. Pro voce جند in codice E. legitur جنند, in codice B. et G. جندى.

— l. 20. Loco verborum ثم ان in codicibus E. F. legitur ثم وصلت.

— l. 21. Loco vocis ساطن in codicibus B. C. legitur ساسان.

— l. 29. Loco vocis صادفتهم legitur in codicibus E. F. ادركتهم.

P. 243. l. 9. Loco وانتسبوا الى العلامة codices B. G. habent منهم.

— l. 10. In codicibus B. G. vox القادة omissa est; in codice E. legitur القادات in codice C. الغادة. Ibidem loco ركن الدين codices E. F. habent نور الدين. Quid rectum sit dubium videtur.

— l. 13. Loco هيبة in codicibus E. F. legitur هينة; non male, ut videtur.

— l. 14. Codices E. F. loco والمصر habent والمصير.

— l. 24. Loco المشركين in cod. E. F. legitur الكفار, ut sint quatuor homoioteleuta.

— l. 27. Loco الا اتبهم in codicibus E. F. exstat والاقتهم.

— l. 30. In codicibus B. G. diverso ordine ita disposita sunt الخلاص وتنادوا ولات حين مناص وخانهم المدد فى شدة الاقتناص وفرقهم العسكر وهم

P. 244. l. 3. Loco هيئة in codicibus E. F. legitur كسرة.

— l. 4. Loco ركن الدين in codicibus E. F. legitur عز الدين. Quid sit rectum statuere non possum. At fortasse duo erant nomina viri, id quod rarius accidisse videtur conf. p. 243. l. 10.

— l. 6. Loco بسذت, quae est lectio codicum C. D. G.; in codicibus E. F. جرت; in codice B. in textu et in codice G. superscriptum كفت legitur.

— l. 8. Loco vocis محل in codicibus F. F. legitur وقت.

— l. 15. Praetuli lectionem codicis G.; Codex B. sic habet ثم طغى وبغى وتكبر وزجر وتجبر, codex C. ثم نفخ وتكبر وطغى وتجبر; codicis E. lectio incerta est in prima voce وتكبر وطغى وتجبر . . . .

او حساربوا او سالبوا وضاربوا او خابطسوا codex G. او حاربوا او لاسبوا او لابسوا وخاشبوا.

P. 238. l. 14. Pro الثغر codex E. habet الشر.

— l. 15 Pro تجدى codex E. habet يفيد.

— l. 16. Codex C. glossam hanc recepit post vocem الخيسوق خيوق بلدة عند خوارزم مشاه.

— l. 24. Pro فلاقيناه codices E. F. habent فتلاقيه.

— l. 30. Pro المراودة solus codex C. habet المداورة, quæ est lectio non spernenda.

— — Codex E. pro المناكدة habet المناكرة. Ita vero statuendum videtur, ut, si admittatur lectio المداورة; legatur المناكرة.

P. 239. l. 12. Codex C. habet جزاة; codex D. جزاء; codices B. G. habent اجزاء codex E. habet سوا; codex F. ضراء.

— l. 15. Post vocem بلاساغون addunt codices E. F. بعد كورخان، سلطان سلاطين تركستان.

— l. 20. Pro كذعاب quae est lectio codicum E. G., codex C. habet كذاهب, codices E. F. كدام offerunt.

— l. 26. Codices E. F. habent من التتار من بعض مخالفيهم.

— l. 27. Pro وهم فى سكونهم وسكوتهم, quae est lectio codicis G.; codex C. habet وفى امنهم وسكوتهم; codex B. وفى سكونهم وسكونهم; codices E. F. haec verba non habent.

P. 240. l. 2. Pro واخذتهم codices E. F. habent وعمرتهم.

— l. 4. Codices E. F. habent من غير امهال caeteris omissis.

— l. 5. Pro وانـدعـقوا legitur in codicibus E. F. وانـدفـعوا; In codice G. omissa sunt verba واندعقوا كالريح العاصف.

— l. 7. Deest in codicibus E. F. vox المصرم; at vero omissa voce rhythmus imperfectus est; sequitur enim المبرم.

— l. 11. Pro وانتقلوا unus codex C. habet وانقلبوا.

— l. 22. Non admittenda est lectio codicis C. وصلـت اليه يـده, quippe quae rhythmo repugnet.

— l. 23. Post vocem الفناء addunt codices E. F. واوصله جاق الابتلاء.

— l. 25. Vocem هـاتيك ex codicibus E. F. inserui, quippe quae, non quidem sensui necessaria, praecedenti تلك المعركة convenire videatur.

P. 252. l. 14. Codices E. F. offerunt ومجوس وعباد الصليب والناقوس.

— l. 17. Codices E. F. habent ولا ينتحل نحلة.

P. 233. l. 11. Pro حقية, quae est lectio codicum C. G., habent codices B. E. حقيقة; codex F. جقيقية. Omnes hae lectiones ferri possunt.

— l. 16. Pro وايجاب ما يتحفه الانسان، من الهدايا codices E. F. habent وايجاب ما يتبرع به الانسان من التجملات والهدايا.

— l. 19. Codices E. F. habent بجريمة مرتكب الاوزار. Pro اكيد habent codices E. F. اكبر.

— l. 29. Codices E. F. offerunt lectionem وقس على هذا الكثير، انواعا من كثير.

P. 234. l. 13. Post vocem السلطانية addunt codices E. F. وسماها التورا الجنكزخانية.

— — Pro وزمكت codex B. habet وزينت.

— l. 18. In codicibus E. F. omissa sunt verba فاذا جلس usque ad وتدبير incl.

— l. 22. Codices E. F. habent فى المغل والجغتاى.

P. 235. l. 10. Pro غالب codices E. F. habent بعض.

— l. 18. Cod. D. solus habet قوتاق, codex C. توقاق. Caeteri E. F. G. habent قوتاق

P. 236. l. 6. Pro ما لا يصلح habent codices E. F. راينا شيا لا يصلح.

— l. 25. Codices E. F. post vocem الصدور addunt verba وتسكن خواطر الجمهور.

P. 237. l. 3. Codex C. solus addit verba ومنهم كانت امه واخواله، وخياله ورجاله.

— l. 4. Post vocem مقاتل additum legimus in codicibus E. F. ومنهم ايضا كانت امه واخواله.

— l. 4. Vox وبذلوه omissa est in codicibus B. G.

— l. 5. Pro طارق codex E. habere videtur طارف; codices B. G. habent نوايب

— l. 9. Codex E. F. habet وابتهجت البشاير وزينت السولايات بانواع الدخاير ونصبت فى ممالك السلطان قطب الدين السزاير

— l. 14. Pro voce وستعلمى codex C. habet ستعلمون, codex G. ستعلم. Utrumque ferri potest.

— l. 20. Codex E habet ذبرخان, codex F. ex correctione ذبرجان.

— l. 25. Codices E. F. رسم بـه non male. Codices autem B. G. habent حسبما برز به المثال من السلطان الى.

P. 238. l. 6. In codicibus E. F. deest vox مديدة.

— l. 8. Codices B. E. habent جندا.

— l. 9. Codex B. habet حاربوا او سالبوا ولا سلبوا او ضاربوا او خابطوا, codex E.

غالب بلاد الاسلام بالتبار والبوار. Lectio codicis F., quae cum hac consentire videtur, vitiosa est.

P. 228. l. 18. Pro من كل اوب etc codex E. habet من فج عميق كانهم ذرع الحريق, codex F. من كل مكان كانهم قزع الحريق.

— l. 24. Vocem مغلوك omnes codices offerunt; at paulo mutato ordine.

— l. 25. Pro فى بلادهم codices E. F. habent وبلادهم.

— l. 27. Codices B. G. offerunt بزع الاثواب الكرباسية; codex E. habet بزداع الكرباسية Codex E. F. offert ويعامل المحاربين; tum pro البر est القفار.

— l. 29. Post vocem البحار addunt codices E. F. verba والضاربين فى الارض من التجار.

P. 229. l. 3. Pro الشهود codices E. F. habent النشور.

— l. 7. Codex E. habet يجارى فى استمال سماك السماك; codex F. يجارى فى الاستمال مسماك السماك.

— l. 9. Pro مجربا codex B. habet اجربا; codex G. ex correctione اجزبا.

— l. 14. Pro مغرم codex F. habet معزم, lectio codicis G. dubia est.

— l. 21. Pro اليم codices E. F. habent توايب.

— l. 23. Codices C. G. habent عساكرهم.

P. 230. l. 2. Pro الاصلة codex E. habet الاصلية.

— l. 19. Codices E. F. habent من مسكره الاثبات، ذوى الثبات، والابطال الثقات.

— l. 21. Codices E. F. فكرهم فى قطعه تلك.

P. 231. l. 4. Codex B. فى الطعن, codex G. للاخر, codex F. وقصد كل منهم الاخر بالطعن.

— l. 7. Codex F. offert lectionem ومن كان شاهد القتال وامور الحرب ومواقف الجلاد والجدال، من النساء et haec non est spernenda lectio. Cum hoc consentit codex E, nisi quod والجدال والملال habet.

— l. 10. Pro ولوحاضرا codices E. F. habent ولو انه; codices B. G. وحضر.

— l. 14. Codices E. F. habent وعددهم ومناهم.

— l. 17. In codice E. legitur ما يوجبه من.

— l. 26. Codices E. F. post vocem مشايره addunt verba وهربت اولاد الخان ولجات الى اطراف تركستان

— l. 30. Codices E. F. G. pro لا شى habent لاش.

P. 232. l. 6. Codex E. habet شرة وولايات الجتا والترك Cum hoc consentit codex F; nisi quod legitur ولولايات.

P. 225. l. 8. Pro النصير habent codices A. C. النظير.

— l. 19. Pro العفو codex C. habet لخلق.

— l. 25. Pro نعمه codices E. F. habent نقمه.

— l. 27. Pro خاضعا codices E. F. offerunt خليفا.

— l. 32. Verba ومن العروض والقوافى المقدار الوافى والمعيار الكافى codex A. in pagina sequenti l. 7. ante verba ومن علم مكارم inserta habet; et eodem modo codices B. G.

P. 226. l. 21. Vocem فى السوق codices E. F. omittunt.

— l. 24. Praetuli lectionem codicum E. F. quod rhythmo praestare videbatur. Caeteri codices habent والمستوثقون بحفظ عباده وبلاده وبالسوال مرتقون. Codex G. pro المستوثقون offert المكلفون.

— l. 21. Codex E. verba فهم المتحملون usque ad والذين لا يعلمون omisit. Codex F. iis non caret.

P. 227. l. 4. Codices E. F. habent ومالك عنان الخير.

— l. 5. In codicibus A. B. legitur ارباب العلماء وقلم الملوك، سيف السلطان والملوك السلوك فمهما حدث من شر محاه سيف السلاطين ومهما وجد من خير اثبته قلم العلماء والاساطين. Codex B. pro حدث habet حصل et الاساطين sine copula.

— l. 11. Post versus multa folia in codice A. omissa sunt ita tamen ut nil deesse videatur.

— l. 14. Verba وكيف كان قطعه ووصله in codicibus E. F. omissa sunt.

— l. 15. Pro الشرق in codicibus E. F. legitur المشرق.

— l. 17. Codex F. habet عند دخول, codex B. تركوا ادخلوا.

— l. 17. Pro قبل جنكزخان codices B. G. habent قبل خروج جنكزخان, codices E. F. قبل ظهور جنكزخان. Utrumque non spernendum.

— l. 26. Pro بين codices E. F. habent بعد.

P. 228. l. 1. Codices E. F. offerunt verba وما وجدوه من هوام القفار والميتة والسوام لا et sic codex E. habere videtur.

— l. 2. Pro البرية codices E. F. habent الجاهلية.

— l. 10. Pro نصيب codices E. F. habent نصب.

— l. 12. Pro حين بلغ in codicibus E. F. legitur حتى نبسع; codex B. حتى بلغ habet.

— l. 16. Pro بالفساد etc. codex E. habet بالدمار واخلى السدبار السحار والديار وعمّ

P. 218. l. 7. Codex C. pro الوزر habet الرزء, quae eadem bona est lectio.

— l. 18. Pro صلواته codices B. C. G. habent صلاته, codex A. صلوته.

— l. 23. In codicibus D. E. F. prius versus hemistichium omissum est.

— l. 29. Versus ولو لم in omnibus codicibus praeter codicem C. deest.

P. 219. l. 10. Pro لخايمات codices E. F. habent الهايمات.

— l. 11. In hoc versu codices non consentiunt. Secutus sum codices C. D. E. Codex A. habet تغيض نفوسها ظما وتخشى, codex B. habet ظلما; codex F. تغيظ ex correctione; codex G. تقيظ.

— l. 12. Pro وترمقه codices E. F. habent وترميه.

P. 220. l. 25. Codices E. F. habent قسمته المستقيمة.

P. 221. l. 9. Pro اتلهف codices E. F. habent اتاوه.

— l. 14. Post vocem السهيد codices E. F. addunt verba بسرد الله مضجعه، وشيد مرفعه.

— l. 16. Pro وما يحمله على ذلك habent codices C. F. لما يحمله عليه. Pro وعلم codices E. F. habent وعلمك.

— l. 18. Pro عليهم codices E. F. habent منهم; codex E. autem additum habet في الحقيقة.

— l. 20. Pro الغالى codices B. E. F. G. habent العالى.

— l. 21. Pro غصبه codex B. habet غصبته, codex C. غصبه; codex E. اغضبه; codex G. عصبة.

— l. 23. Pro verbis الذكر طلامتى اولا, codices E. F. habent الذكر حاجتى ام لا, codices A. B. G الذكر حاجتى اولا; tum habet codex A. ام اضرب قبل ذكرها مثلا et ita B. excepto او pro ام; codices E. F. pro sequente حاجتى habent ظلامتى. Codex G. habet ام اضرب قبل ذلك مثلا.

P. 222. l. 11. Post vocem بيان codices E. F. addunt ولا الى دليل وبرهان.

P. 223. l. 18. Codices E. F. habent عن كليمه موسى.

P. 224. l. 8. In vocibus رجسا وركسا secutus sum auctoritatem codicum E. F., quum voces hae sono simillimae essent. Codices caeteri habent رجسا ونسكا.

— l. 15. Pro وابتغ codex F. habet واتبع.

— l. 28. Verba ليدل incipientia usque ad على رفقته in codicibus C. E. omissa sunt.

P. 225. l. 1. Pro لا تتعد codices A. E. F. habent لا تتعدد.

P. 213. l. 5. In codicibus A. B. G. sic legitur وجنابك المنيف، مقرا كريما، وجنابا عظيما، ومجلسا.

— l. 13. Verba بنفس مطمينة in codicibus A. B. G. desunt.

— l. 21. In codice A. legitur في الخدمة وثبوت القدم.

— l. 22. Loco vocis والنوادر in codicibus E. F. legitur والظرايف.

— l. 25. Verba عليه وعليهم افضل التحية والسلام in codicibus A. G. non sunt; in codice B. pro his et sequentibus ita legitur تمر الجزو التاسع ويتلوه الجزو العاشر وكان فراغه في عاشر شهر رجب الفرد من شهور سنة ١٢٥

P. 214. Capiti decimo in codicibus E. F. haec inscripta leguntur verba في معاملة الاعداء والاصحاب، وسياسة الرعايا والاحباب، ونكت واخبار، وتواريخ اخبار واشرار،

— l. 2. Loco vocis تقلب in codicibus E. F. legitur مقامات.

— l. 10. In codicibus E. F. legitur وصديق صافي، وكفيل كافي، وناصح.

P. 215. l. 11. In codicibus E. F. loco vocis الموايد legitur الصوايد. In codicibus A. B. G. verba تكون usque ad قوايد incl. omissa sunt.

— l. 20. In codice A. pro voce بالاستباق legitur بالاشتياق, in codice B. بالسياق, in codice G. بالاستياق.

— l. 29. Loco vocis الانتقال in codicibus E. F. الارتحال legitur.

— l. 31. Pro verbis له منه in codicibus E. F. لوقته legitur.

P. 216. l. 8. Loco vocis واشهى in codicibus B. G. واحسب, in codice A. واحسن legitur.

— l. 10. In codice E. sine dubio ob scribae negligentiam verba ولقد usque ad verba فقد l. 16 omissa sunt.

— l. 16. In codicibus A. B. G. legitur في بعض سيراته.

P. 217. l. 1. Pro وطال به in codice E. طاب به legitur male.

— l. 18. Pro ومن تبعهم في الاقتدا والسلوك codices E. F. habent ومن اقتدى بهم في السلوك.

— l. 30. In verbis وتحمل et sequentibus non consentiunt codices. Codex A. habet وفي محل الحرام هوى ان يخلص B. وحمل الحرام هوى ان يخلص C. ويجعل الحرام هوى ان يتخلص. Codex D. incertam habet vocem تحمل; Codices E. F. habent lectionem textus typis expressi; Codex G. habet ويحمله الحرام هوى ان يخلص.

P. 218. l. 3. Pro فاذا codices E. F. habent فكان اذا; non male.

P. 210 l. 10. In codicibus A. B. D. G. pro voce لـذى legitur لـدى seu لـدا et haec non est spernenda lectio.

— l. 14. In codicibus A. B. G. legitur لسان الحال.

— l. 30. In codicibus pluribus اشرق legitur, id quod praeferendum habeo.

— l. 32. Loco vocis الاسحـار in codicibus A. B. G. legitur للادوار, verba autem مسبحات الواحد القهار omissa sunt.

P. 211. l. 1. In codicibus A. C. G. loco verborum وضـروب ضروب الـموسيقاء legitur ويبرزان الموسيقار. In codice B. plura omissa sunt. Voces autem ومـطـربات رنت الاوطـار ex codicibus E. F. inserui. At pro voce الاوطـار in codice F. الاوتار legitur, pro verbis نغمات الاوتار in utroque codice نغمـات الادوار. Quae autem sit vera auctoris lectio in mutato a scribis textu valde dubium videtur et me insertorum verborum pigere coepit.

— l. 10. Loco verborum الـدهـشـة والـهـيـبـة in codicibus A. B. G. legitur دهشته.

— l. 12. In codicibus E. F. loco verborum من لكنة الخطاب legitur من عـقـدة الخيط فى الخطاب.

— l. 15. In codicibus A. F. pro voce فابتدر legitur فابتدا.

— l. 18. In codicibus A. B. G. legitur وبمعالمك عن مقالك.

— l. 19. Pro voce عقيلة in codicibus E. F. عقلية legitur.

— l. 30. Loco vocis العوادى in codicibus A. B. G. الغوادى legitur.

P. 212. l. 5. In codicibus A. B. E. legitur والـولـد الرفيـق, in codice C. والـوالد الرفيـق الرقيق, in codice F. وانولـد الرفيق الرقيـق, in codice G. والوانـد الـرقـيـق.

— l. 7. Loco vocis نزلنا codex A. habet حللنا. In codicibus A. B. D. E. F. G. legitur اولاد كرام.

— l. 22. In codicibus A. B. C. loco vocis الربا legitur الربا. Loco vocis الظبا in codicibus A. B. F. G. legitur الظبا.

— l. 27. In codicibus E. F. الضر الايوبى et الحزن اليعقوبى legitur.

P. 213. l. 1. In codice A. legitur وفى ظلال امرك ظليلنا, in codicibus B. G. وفى ظلال امنك ظليلنا.

— l. 4. In codicibus A. B. D. E. F. G. legitur فى ذروة حـصـينـة, et haec non est reiicienda lectio.

P. 205. l. 27. Loco vocis مخارجه cum plurimis codicibus مجازه legendum est.

— l. 28. Loco verborum واقرب usque ad مدانيهم in codicibus A. B. G. legitur من الملوك والعنف واقرب رفقهم من الخرق وابعد قربهم

— l. 30. Loco vocis واعجب legitur واصحب.

P. 206. l. 5. A voce وناعيك usque ad voces وان نظرهم lineae sextae in pagina 208 in codice A. omnia desunt. Pro voce اطفا in codicibus B. G. ازاح legitur.

— l. 6. Verba الصادر من الاعرج الاشل in codicibus E. F. non sunt.

— l. 7. Vox وحزمه in codicibus B. G. non legitur.

— l. 10. In codicibus B. G haec verba leguntur المارقة الخارقة ورجوم النجوم

— l. 29. In codicibus B. G. legitur اقدامى، وطرقه الى افاق الدنيا.

— l. 30. Loco verborum المر تفتحوا legitur in codicibus B. G. وفاتحتم

P. 207. l. 4. Loco vocis فاخترط in codicibus E. F. legitur فاخرط.

P. 208. l. 10. Loco vocis حال in codicibus A. B. G. legitur مال.

— l. 15. Pro voce الصاق in codicibus A. B. E. F. G. legitur الواق, et haec probanda videtur lectio.

— l. 28. In codicibus B. G. legitur القبيح النجدى, in codicibus E. F. الفصيح النجدى, in codice A. الشيخ النجدى.

— l. 30. Loco vocis شققته legitur صدقته in codicibus E. F.

— l. 31. Pro voce المقام in codicibus A. B. G. المرام est.

P. 209. l. 6. In codicibus A. B. G. loco vocis ذيله legitur سفحه.

— l. 22. Post vocem الاشعار in codicibus E. F. haec addita leguntur verba ويسبح صاحب الملك الحقيقى وهو الله الواحد القهار.

— l. 25. Pro voce طموح in codice E. legitur جموح, codex F. cum textu consentit.

— l. 27. Loco vocis جناح in codicibus E. F. من جناح legitur.

— l. 28. Pro voce ومنزل codices E. F. ومالف habent.

P. 210. l. 1. Loco verborum لا بالهزل in codicibus A. B. G. legitur والهزل.

— l. 3. In codicibus A. B. G. loco vocis ضبط legitur ذكر.

— l. 4. In codicibus A. B. G. pro voce نقط legitur قطر.

— l. 5. Verba الراطن بالتركى neque in codice C., nec in codicibus E. F. leguntur.

— l. 9. In codicibus E. F. pro verbis دست الحليم legitur صدر الدست.

P. 201. l. 18. In codice C. sic legitur ولا يجزى في الحضور والد عن ولد, in codicibus E. F. ولا يجزى في الغيبة والد عن ولد.

P. 202. l. 4. In codicibus A. B. G. legitur واشتغلت بالشكر لموارد انقضا.

— l. 7. In codicibus E. F. sic legitur والخزندار بالنسبة الى الحارس caeteris omissis. In codice A. est والخزينه دار.

— l. 10. Loco vocis السوق in codicibus A. B. G. legitur العامى.

— l. 11. Pro voce جلاب in codicibus A. B. G. est طلاب.

— l. 14. In codicibus A. B. G. حالة المكروب بالنسبة legitur.

— l. 16. In codicibus A. B. G. haec verba sunt وكذلك المقطوع احوال المصلوب على الجذوع.

— l. 18. In codicibus A. B. G. sic legitur الى حال العميان، وعلى هذا قيل شعر.

— l. 22. In codice A. verba ليعلم ان مصايب قوم عند قوم فوايد omissa sunt.

— l. 23. In codicibus A. G. additus legitur hic versus ولذلك قيل

قسمت يداه عفوه وعقابه قسمان ذا وبلا وذاك وبيلا

In singulis autem eius verbis magna est in codicibus diversitas.

— l. 26. Pro voce لدى in codicibus C. E. F. G. legitur لذى et sic legendum videtur. Loco verborum كل نقمة, in codice C. et fortassis in codice G. كل نعمة, et haec non est omnino spernenda lectio.

P. 203. l. 16. Verba مفصحا معلنا مستعينا مضمنا شعر in codicibus A. B. G. non sunt

— l. 24. Loco vocis تجمر in codicibus A. B. G. legitur تجنب.

— l. 29. In codicibus E. F. pro voce بالبهجة legitur باللهجة والابتهاج.

P. 204. l. 1. In codicibus A. G. legitur سهم كل صايد, in codice B. كل سهم صايد.

— l. 8. In codicibus A. B. G. legitur من مفارقة الوطن caeteris omissis.

— l. 11. In codicibus A. B. C. G. non sunt verba وسلمت الدار بانيها et fortasse, non recte feci, quod ea ex codicibus E. F. inserui.

— l. 30. Loco vocis مامكلك in codicibus E. F. legitur مامنك.

P. 205. l. 2. Loco vocis الامن legitur الاماني in codicibus E. F.

— l. 12. In codicibus A. B. G. legitur خال عن المكر والتزوير.

— l. 26. Pro مذا, quod typographi errore pro ماذا scriptum est, in codice B. كيف legitur.

P. 199. l. 26. Pro وراءها in codicibus E. F. في طلبها legitur.

— l. 31. Loco vocis علمت in codicibus A. B. G. legitur فهمت, tum legitur in codicibus E. F. من مكر وبلية.

P. 200. l. 1. Pro voce بحالى in codicibus A. B. D. E. F. G. legitur وحالى, quae bona est lectio.

— l. 11. Loco vocis جناح in codice E. legitur جنان:

— l. 12. In codice A. haec sunt verba وحاشاه أن يصمر مصون همته بابتدال دناءه او يشوه جمال وفايه لمن ترفق له بنكية جفاء تخييب رجاءه, in codice B. لحاشاه ان يصم مصون همته بابتدال دناءه او يشوه جمال وفايه لمن يترفق له بنكتة جفاء تخييب رجاءه; Codex D. consentit cum textu typis expresso nisi quod بابتدال habet et sic codex F. excepta voce يصمر. Codex G. habet بابتدال يصمر, et يرفق. De recto legendi modo dubius haereo.

— l. 15. Loco verborum لصعودى معارجها, in codicibus A. B. legitur لصعود معارجها, in codice C. ut videtur vitio scriptoris لسعودى معارجها, in codicibus E. F. لصعودى ومعارجها, in codice G. الصعودى معارجها et hoc est vitium.

— l. 16. In codicibus A. B. G. legitur عن المحاورة.

— l. 20. In codicibus E. F. sic scriptum كما قيل في التمثيل.

— l. 20. In codice A. legitur عن وصمة الخنا, in codice B. عن وضحة الخنا, in codice G. عن وسمة الخنا. In codicibus E. F. loco vocis فتقع legitur لئلا تقع.

P. 201. l. 1. In codicibus A. B. G. post vocem الطيب haec addita sunt verba فان حضرته عظيمة، وسدته جسيمة، تنزه عن الكذب والنميمة، والاقوال الذميمة،

— l. 2. In codicibus A. B. G. loco vocis واعظامه legitur والقربة.

— l. 3. Pro voce اكمك in codicibus A. B. G. est استعملك.

— l. 4. A. voce واعلم usque ad والافعال الذميمة in codicibus A. B. G. desunt.

— l. 9. In codice A. legitur من تلك القواعد et sic habere videtur codex G.; in codice B. est مزينة الـواعد. Caeteri omnes consentire videntur cum textu typis expresso.

— l. 11. In codicibus A. B. G. sic legitur والعفة والعقل الراجح الكفة caeteris omissis.

— l. 16. Voces ومقبول وطريد ex codicibus E. F. inserui. In caeteris non sunt; dubitandum igitur videtur, num recte fecerim.

P. 196. l. 5. Pro verbis والى ربط فكه اقبلت in codicibus A. B. G. legitur وقصدت ربط فكه فاقبلت.

— l. 10. 11. Hae lineae in codice A. desunt.

— l. 18. In codicibus A. B. G. legitur وفى الصيف والشتا وايام caeteris omissis. Post vocem المذيف in codicibus E. F. inserta leguntur verba الجيف المثيف.

— l. 20. Loco vocis الموحشات in codicibus A. B. G. legitur الوحشات.

P. 197. l. 1. Verba واذا تكاثف الرش غرقت مصر وادى اهلها العطش in codicibus A. B. G. desunt.

— l. 3. Verba والاقوات والثمار in codicibus A. B. G. desunt.

— l. 4. In codicibus A. B. G. sic legitur ثم انه يعمى النواظر، ويفترش تحت الحوافر ويعطى للحلو والمر.

— l. 5. In codicibus A. B. G. haec sunt verba وللحسن، وهو المهاد والفراش، وعليه تقام اسباب المعاش،.

— l. 6. In codicibus E. F. legitur اصل غالب الكاينات.

— l. 7. In codicibus A. B. G. legitur وسنخ غالب المخلوقات.

— l. 14. Pro voce تعولنا in codicibus A. B. C. G. legitur تعويلنا, quæ lectio non minus bona videtur.

— l. 16. Post vocem الاعساف in codicibus E. F. addita leguntur verba ويعمل بموجب ما قيل.

— l. 17. Versus hemistichium sequitur alterum in cod. E. F. وانت تلك المكرمات امام.

P. 198. l. 1. Loco vocis راى in codicibus A. G. legitur شاهد.

— l. 8. Loco vocis بلاد in codicibus E. F. legitur ديار.

— l. 11. Loco vocis جوارحه in codicibus A. B. C. G. legitur جواره.

— l. 13. Pro voce غضبه in codicibus E. F. سخطه est.

— l. 18. Verba فى هذا المقال in codicibus A. B. C. G. desunt. Versus autem in iisdem codicibus in versus modum scriptus non est.

— l. 27. In codicibus A. B. pro voce يفيدنى legitur يفدنى, in codicibus E. F. يفتدى.

— l. 31. Pro voce وثب in codicibus A. B. G. legitur نهض.

— l. 32. In codice E. sic legitur باكريم الخير، ويا ايها الجار الحليم السير.

P. 199. l. 21. In codice E. pro voce نقلها legitur ثقلها.

— l. 25. Loco vocis خفت in codicibus E. F. خلت legitur.

P. 191. l. 26. Loco vocis اوجب in codice B. legitur اجج et sic in codicis G. margine correctum legitur.

— l. 31. In codicibus A. B. F. G. loco vocis والخيرات legitur والجيران, quae non spernenda videtur lectio.

P. 192. l. 4. In codicibus A. B. F. G. loco vocis العواقب legitur الحوادث; et haec lectio non minus bona est.

— l. 13. Pro voce رجليه legitur in codicibus A. B. F. G. يديه, in codice E. قدميه.

— l. 15. In codicibus A. B. G. sic legitur كثير الوقوع والزلل، دايم العثار والخطل، quae non spernenda est lectio.

— l. 18. Loco vocis تخرق in codicibus E. F. legitur تشوك.

— l. 23. Pro verbis ولا السى وهدة الا وقد رايت in codicibus E. F. legitur ولا الى اكمة الا وقد عرفت.

P. 193. l. 8. Post hunc versum in codicibus E. F. leguntur duo alii versus

واذا اراد خلاصه من هلكة اجرى له من نارهـا الانهـارا
فترى العقول تقاصرت عن نوكه وترى له فى شوكها ازهارا

— l. 26. Loco vocis التقفهـا in codicibus A. B. لقفهـا, in codicibus E. F. التقمها legitur.

P. 194. l. 12. In codicibus A. B. G. legitur الى القصد والاوطار.

— l. 14. In codicibus E. F. sic legitur alterum huius versus hemistichium اتانى من وراثى من يعوق.

P. 195. l. 3. Loco vocis بقص legitur ببيان in codicibus A. B. G.

— l. 4. Pro voce ماوى in codicibus A. B. G. est وكرا.

— l. 6. In codicibus A. B. G. loco verborum ورحل عنه legitur وتركه.

— l. 8. Pro voce ومسره in codicibus A. B. C. G. ومسيره legitur; et haec admitti potest lectio.

— l. 10. In codicibus A. B. G. sic legitur ولا حركة على اختطافه السمكة.

— l. 22. Loco verborum الـذنـوب والمظـالـم legitur in codicibus A. B. G. الاجـرام.

— l. 29. Loco verborum ووعت ما فيها من حركة بديعة in codicibus A. B. G. وشاهدت هذه الحركة البديعة legitur.

P. 196. l. 3. Loco vocis الانس legitur in codicibus A. B. G. الخلق.

P. 186. l. 21. Verba في مثل ما بك يا حمامة فاندبي versus rhythmum habent; sed in pluribus codicibus in versus modum scripta non sunt.

P. 187. l. 1. Pro voce اخدان in codicibus E. F. الاخدان; sed magis placet caeterorum codicum lectio ob homoioteleuton contra grammaticae regulas peccans.

— l. 7. In codicibus A. B. C. G. sic legitur فما استقرت به الدار حتى قرع الباب، et haec ferri possunt.

— l. 12. In codicibus omnibus praeter unum C. loco vocis الزجاج legitur الدجاج et sic fortasse legendum est.

— l. 24. In codicibus A. B. G. legitur وتشور مزاجه وانحرف.

P. 188. l. 5. In codice A. legitur يدعا بالدعاء والندا; in codicibus B. G. يدعا بالدعاء.

— l. 6. In codicibus A. B. G. legitur امتك عبدا من عباد رحمتك.

— l. 16. In codicibus A. B. G. legitur يسده ولكمه et hoc ferri potest, ut وشتمه enuncietur.

— l. 25. Loco verborum فمدني etc. in codicibus A. B. G. legitur فارسل اليه ملك النيران.

P. 189. l. 8. In codicibus E. F. post vocem قفاها additum legitur وصفع كفاها.

— l. 11. Ex cod. A. B. F. G. post vocem عال addenda sunt verba غزير المنافع.

— l. 24. Loco vocis السوانح in codicibus E. F. legitur السواكن.

— l. 31. In codicibus A. B. G. legitur واما وقايع الانكاد من جهة الاولاد.

P. 190. l. 2. Loco verborum عن الحبايب legitur عن الجانب in codicibus E. F.; loco vocis وتزحنا ibidem est وترحلنا.

— l. 7. Loco verborum يتقيد بتعهده in codicibus A. B. G. legitur يشتغل بحفظه.

— l. 24. In codice A. haec leguntur verba على هذا راس العباد الصادق في الميعاد على لسان اشرف العباد; in B. G. eodem modo, nisi quod رب العباد habent.

— l. 30. In codicibus A. B. G. legitur حقايق الرغبوت, quae lectio non reiicienda videtur; praecesserat enim دقايق. Auctor vero earundem vocum repetitionem evitare solet. Caeteri vero codices omnes textus impressi verba habent.

P. 191. l. 9. Loco vocis جامع in codicibus A. B. G. legitur طامع.

— l. 13. Loco vocis موارد in codicibus E. F. legitur مشكاة.

— l. 16. Pro voce منظورة in cod. A. C. legitur منثورة, et sic videtur legendum.

P. 181. l. 32. Loco vocis نقصدت, quæ est lectio codicum C. E. F., in codicibus A. B. G. نتصدت legitur, id quod vehementer probo.

P. 182. l. 8. In codicibus E. F. haec leguntur وتالر لمفارقة فلذة كبده.

— l. 10. Loco vocis تحب in codicibus E. F. legitur الخبيث.

— l. 25. Loco verborum والرضى والاكرام legitur in codicibus A. B. G. والاكرام والاحترام.

— l. 30. In codicibus E. F. legitur ولكن من يصل الى هذه الرقعة.

P. 183. l. 5. In codicibus E. F. legitur اصرت حالى كحالك, in codicibus A. B. G. لكنت كمدع حالك. Ibidem A. B. C. G. الشوك من العنب habent.

— l. 22. Verba واحصار الجمل البرى والدب المفترى in codicibus A. B. E. F. G. desunt. Post vocem والوزير in codicibus E. F. insertum legitur واحصر الجمل البرى والدب المفترى.

P. 184. l. 2. In codicibus A. B. G. omissa sunt verba القاتلة والعظايم الموذية.

— l. 5. In codicibus A. B. G. legitur المخالفة والشقاق, tum ما يقتضيه الشرع.

— l. 8. In codicibus A. B. G. hæc sunt verba وشهد بزهدها وصلاحها السامعون والناظرون

— l. 12. In codicibus A. B. G. legitur لخزار وزفر، وهمر وزمجر،.

— l. 20. Post vocem والشكر in codicibus A. B. G. addita haec leguntur وزادت قربته وعلت مرتبته.

P. 185. l. 7. Verba وتقدمه usque ad وجوده incl. in codicibus E. F. desunt.

— l. 10. Post vocem الجلال in codice E. additum legitur والفضل والاكرام.

— l. 18. Loco vocis وصافات in codice A. مصافات, in codice B. وصفات, C. مصافات legitur.

— l. 22. In codicibus E. F. loco vocis مهودها legitur مهدوها.

P. 186. l. 4. In codice A. a versu وليس etc. usque ad verba كما قيل شعر in linea nona incl. omnia omissa sunt.

— l. 8. In codice E. a verbis الا من usque ad verba هذه النحو in linea decima quarta omnia omissa videntur.

— l. 17. Verba وذاك لان المرء يحيى بلا يد ورجل لا نلقاه يحيى بلا كبد in versus modum scripta sunt in codicibus A. G. In codicibus E. F. haec desunt. In codice E. horum loco legitur وايضا المرء بلا ساق بلا عضد ولا يعيش بلا قلب ولا نكد; in codice F. hic versus incipit verbis وامرء يحيى بلا; finitur verbis ولا كبد; non autem in versus modum scriptus est.

— l. 20. Deest in codicibus E. F.

والاختباط الوهم, quae non spernenda est lectio. Codicis C. lectio incerta videtur.

P. 176. l. 5. Loco vocis وتخبرني in codicibus E. F. legitur وتعرفني.

— l. 9. Pro voce كمن in codicibus E. F. legitur واختفى.

— l. 23. In codicibus A. B. G. legitur روس جماعته.

P. 177. l. 6. Loco vocis تطبب in codicibus B. E. F. G. legitur تطبيب.

P. 178. l. 1. In codicibus E. F. legitur بسلام وامان; ibidem خطام ولا عران.

— l. 26. In codicibus A. G. sic legitur لما فهمت بالكبير وام العبر, in codice B. vitiosa est lectio لما فهمت الكبير دام العبر. Loco vocis صادمت in codicibus A. B. G. legitur عاندت.

P. 179. l. 7. In codicibus A. B. G. legitur لما دخلت الدار.

— l. 26. In codicibus A. B. G. legitur الزوالى ويتركني اقاسى القلق والارق واعانى فاخذ الرجل.

— l. 27. Loco vocis للحاضرين in codicibus A. B. G. est للجماعة والجيران.

— l. 28 — 29. In codicibus A. B. G. haec sunt verba واختصما، وبين الرجل صدقه وعفته بشهادة الصلحاء والعلماء، وظهر الله الحق، وشهد جماعة على المراة بالفسق،.

— l. 30 — 31. In codicibus A. B. G. sic legitur ليعلم خيانة الذئب وامانة الجمل والرجل اذا غلب عن (.A على) فعل

P. 180. l. 1. In codicibus A. B. G. verba a وفي قضايا incipientia usque ad الكتاب incl. omissa sunt.

— l. 9. In codice A. pro voce الجمرة legitur جمرة, in codice B. جمرة والتمر, in codice G. جمرة والثمر, in codicibus E. F. ثمرة والجمر.

— l. 11. Loco vocis ابراء in codicibus A. B. E. F. G. legitur براء.

— l. 15. In codice E. legitur وابن عرس والجرد, in codice F. وابن ابن عرس والجرد.

— l. 27. Ex codicibus A. B. C. E. F. G. inserenda sunt post السلاطين verba وملوك الاساطين, quae vitio omissa sunt.

P. 181. l. 8. Loco verborum كان توعده in codicibus A. B. G. legitur هي عليه.

— l. 16. In codicibus A. B. G. legitur واستعمل فيه احد عبارة, in codicibus E. F. واستعمل من حسام رايه احد عبارة.

— l. 17. In codicibus A. B. G. loco vocis اصعد legitur سكن.

— l. 20. In codicibus A. B. G. legitur في التامل والتخير.

codicum C. D., nisi fallor, in legendi modo recepi. Neque vero haec probanda videtur. Omissa autem voce فيه, in vocibus مالك et لسك homoioteleuton percipitur.

P. 174. l. 7. In codicibus A. B. E. F. G. legitur فلقد ضاقت فى السبل، وتقطعت بى الحيل, quæ lectio praeferenda videtur, si verborum cum nominibus coniungendorum rationem habemus. Sic enim aptior videtur coniunctio, quamvis et altera excusationis locum habet.

— l. 10. In codicibus E. F. haec sunt verba واذا صمم العزيمة يمضى العزم.

— l. 14. In codicibus E. F. legitur صقر وصبر وجمط.

— l. 15. Loco vocis ضبق in codice A. كالطبق, in codicibus E. F. منطبق. Ibidem post vocem برويته in codicibus A. B. G. addita sunt verba قد يده.

— l. 16. In codicibus A. B. G. loco vocis فتماوت legitur بنا وسعه الا انه تماوت.

— l. 17. Loco vocis وحرق in codicibus E. F. legitur وتاسف.

— l. 18. Pro voce الارم in codicibus E. F. legitur وتصرم. In codicibus A. B. G. post vocem مصبية additum legitur مطوية, in codicibus E. F. محرزة مطوية.

— l. 21. Voces واى غصة in codicibus A. B. C. G. desunt, et quamvis haud inepte addita sunt, tamen non est quod abesse non possint.

— l. 25. In codice A. legitur غانعا ولا مرافعا, in codicibus C. E. F. G. غانعا ولا مدافعا et sic corrigendus est textus.

P. 175. l. 7. In codicibus A. B. C. G. omissa est vox نيوانين et me ex codicibus E. F. insertae vocis piget.

— l. 12. In codicibus A. B. E. F. G. haec sunt verba ولا تستعجيل تلفا، ولا تخلع للخوض الحذا، قبل الوصول الى الما، ولا تهتم

— l. 14. In codicibus E. F. legitur الراى القاصر.

— l. 16. Loco vocis والتبهت in codicibus A. B. E. F. G. legitur وتشبثت.

— l. 21. In codicibus A. B. D. F. post voces ما استطعت idem repetitur, id quod recipiendum videtur, praecessit enim simili modo coniunctum وقطعت ما قطعت.

— l. 31. Post vocem الحال in codicibus E. F. addita leguntur وتوحل من الهم فى اوحال, loco vocis الاوجال habet الاحوال.

— l. 32. Loco verborum الهم والاحتياط in codicibus A. B. G. legitur

P. 171. l. 18. In codice C. sic legitur فشم زوجها من فعلها ريحة وخاف ان يودى الى الفضيحة; et haec non minus bona est lectio.

— l. 20. In codicibus E. F. haec leguntur فقالت فارصدى بابك، واحفظى جنابك، مثلى من يكن رئيسة، ومثلى حفيظة. In codicibus A. B. G. verba واسدلى حجابك omissa sunt, pro الشر legitur السوء.

— l. 22. Loco vocis كالمتوجه in codicibus A. B. E. F. G. legitur احسن من تجهيز الحجاج.

— l. 27. Pro verbo ولكن in codice C. legitur ومن قوله.

P. 172. l. 2. Loco vocis ووعده in codicibus A. E. F. G. ووعد et haec non spernenda est lectio.

— l. 8. 9. In codicibus E. F. legitur الطريد البعيد عن الحبايب.

— l. 12. In codicibus A. B. E. F. G. legitur عن مسك تعبيره الختام

— l. 15. In codice E. solo videtur legi ووقوعه فى شبكه pro verbis ويريدون ملكه; sed illud reiiciendum est.

— l. 18. In codice C. post vocem اعتبار, additum legitur ورفعة المقدار; tum in codicibus A. B. E. F. G. sic legitur فاخذ الذهب، والى اهله مسرورا انقلب. Utraque bona est lectio.

— l. 20. Post vocem مخلصا inserenda sunt verba وقصد ماواها, quae tum sensus tum homoioteleuti causa necessaria sunt.

— l. 28. In codicibus A. B. E. F. G. haec sunt verba احسانا وانه لا يخون ولا يمين، فيما يقع عليه العهد واليمين، فقالت اريد جميع etc. caeteris omissis.

— l. 31. In codicibus A. B. E. F. G. scriptum legitur وتعبير هذا المنام، والله الخبير العلام، انه فى.

— l. 32. In codicibus A. B. E. F. G. omissa sunt verba وحيوة هنية.

P. 173. l. 4. In codicibus A. B. E. F. G. verba وحيوة هنية omissa sunt.

— l. 8. In codicibus A. B. E. F. G. legitur فاتاها وقد كواه الحيا كية.

— l. 21. In codicibus E. F. legitur والخلع والمواهب السنية،

— l. 26. Pro voce والخلف, quae in codice A. omissa est, in codicibus E. F. legitur والخبث.

— l. 29. Pro simplici تصرف in codicibus A. E. F. G. legitur تصرف فيه, in codice B. تصرف به. Neque unum nec alterum homoioteleuto aptum videtur, quippe una eadem voce فيه idem constitui non possit. Lectionem

ولا اكلة ولا سماط ولا خور, tum sequitur spatium vacuum. In codice C. autem verba لم يحصل منا usque ad ولا انكسر incl. omissa sunt.

P. 165. l. 27. Loco vocis راجل in codicibus E. F. واجل legitur.

P. 167. l. 14. Pro voce تخبيتهم, quae est lectio codicum E. F, in caeteris aut تنحيتهم, aut تنخيتهم legitur.

— l. 20. Pro voce القرانيص codex C. القرابص, codex E. القرانيص habere videtur.

— l. 22. In codicibus E. F. sic legitur واصطلموا ، وينار للحرب اصطلوا واصطدموا (E. واصطلموا).

— l. 24. Pro voce انحطم in codicibus E. F. legitur ارتطم.

P. 168. l. 2. In codicibus E. F. sic legitur والقيل، وتيقن ذلك الضرب الوبيل،.

— l. 4. In codicibus A. B. E. F. G. est والجوار، واشهار (B. واشتهار) ذلك عنهم.

— l. 5. In codicibus A. B. في الولايات; in codicibus E. F. G. legitur وكف عن اذاه; et linea 6. legitur وكف كف التعدى at vero codicis C. lectio, quam recepi elegantior videtur ob lusum verborum وعدى عن التعدى.

— l. 8. In codicibus A. B. E. F. G. haec sunt verba الازمان، والاماكن سلطان

P. 169. l. 7. In codicibus A. B. E. F. G. sic legitur وتاه عن الصاحب والرفيق، فبادر

— l. 12. In codicibus A. B. E. F. G. legitur وهو في نشاط وانشراح.

— l. 13. In codicibus A. B. E. F. G. haec sunt verba من صباحه، وتغير عن انشراحه (vel من).

— l. 22. Loco vocis دارة legitur in codicibus A. B. E. F. G. محدرة

— l. 25. In codicibus A. B. E. F. G. legitur هذا امر مشهور معلوم.

— l. 32. Verba huius lineae in codicibus E. F. non sunt.

P. 170. l. 10. In codice C. sic legitur واحتوشته نواخس القلق et haec est bona lectio.

— l. 14. In codicibus E. F. haec sunt verba ولكنك لست ذا قدر لانك سادج لا تعرف. Verba autem وانت سادج ساكن، سليم الفكر والباطن in codicibus A. B. E. F. G. non sunt.

— l. 27. Pro voce تدبيره in codicibus A. B. E. F. G. legitur يمينه.

P. 171. l. 3. Verba وتفكر احوال غدك في امسك in codicibus E. F. omissa sunt.

— l. 9. Pro verba لان in codicibus A. B. G. وانما, in codicibus E. F. لا سيما legitur. Verba بل ساير الحيوان usque ad والمكان in codicibus A. B. E. F. G. non sunt.

P. 162. l. 24. Loco vocis ترتيب in codicibus E. F. legitur تزيين.

— l. 25. Loco vocis مبدأه in codicibus E. F. legitur مفتاحه.

P. 163. l. 4. Loco vocis فتتفاقم in codicibus E. F. legitur وتتسع.

— l. 5. Pro voce بحارها in codicibus E. F. legitur امواجها.

— l. 8. In codicibus E. F. legitur فيل عظيم جهول, in codice A. فيل ظلوم بهلول.

— l. 10. In codicibus E. F. legitur صدمات الشجعان.

— l. 17. In codice C. sic legitur بعباراتنا الجزلة الصحيحة، واقوالنا البليغة النصيحة. Cum textu impresso consentiunt codices A. B. G. In codice E. legitur وقد بالغنا فى النصيحة، قبل انشاء الفصيحة، فوصل, in codice F. وقد بالغنا فى النصيحة; in margine post hanc vocem scriptum est واياك والفضيحة.

— l. 26. In codice C. legitur فسيعدم حلاوة عدوه ويحرم مرجوه. In codicibus A. B. G. sic legitur وقد قالت الحكماء الاخيار، اربعة اشياء لا يستحقرها ذوو الاعتبار، ولا يستخفها اولوا الابصار، السقم والنوم والعدو والنار. In codicibus E. F. haec sunt فقد قالت الحكماء الاخيار، والعلماء ذووا الاعتبار، والعقلاء اولوا التجارب والاستبصار، لا تنظر بعين الاحتقار، السقم والنوم والدين والعدو والنار.

— l. 32. In codice C. haec sunt verba امر خطير، وكم من عاجز فقير، تم له امر كبير، وذلك بحسن التدبير ومساعدة التقدير، وناهيك. Caeteri omnes in verbis textus impressi consentiunt.

P. 164 l. 3. In codicibus E. F. loco vocis العطن legitur العين.

— l. 11. In codicibus E. F. sic legitur (E. سعاد) واراد من البيضة السعادة, tum in codice E. بحرا من بر est; at codex F. cum impresso consentit.

— l. 25. In codicibus E. F. haec sunt verba واخفت النصف الاخر عند العقرب، واستترت العقرب ولازمت السكون.

P. 165. l. 1. Pro verbo بحثت in codice C. esse videtur من خبمث, in codice B. بجبيت (بجبيث)

— l. 8. In codicibus E. F. legitur يسرح، فرخرج الى الصحرا وانفرد الى الصحارى والفلا; tum in codicibus A. B. E. F. G. legitur الاجام وهو على ما هو عليه من النشاط التام.

— l. 13. In codicibus A. B. E. F. G. haec leguntur يسمى المتانس، ابن ملك تلك الاماكن.

P. 166. l. 19. In codice C. sic legitur ولا خور، ولا فزع ولا جور. In codice F. ولا

التخخت; at illa codicis unius C. lectio magis placet, inest enim lusus verborum.

P. 158. l. 30. Loco verborum اتى عليه in codicibus A. B. E. F. G. legitur مدة عمره.

P. 159. l. 13. In codicibus E. F. legitur ونخزة كما قلت بديها; in codice B. ونخزة شعر, in codicibus A. G. ونخزة كما قلت.

— l. 18. Loco vocis حلوما in codice A. legitur لحوما, in codice B. خلوما.

— l. 20. Loco vocis للخفيف in codicibus A. B. E. F. G. legitur النحيف, quae non spernenda est lectio.

— l. 25. Pro voce الرعاء in codice A. الرعايا, in codice B. الرعاة, in codice G. الردا legitur.

— l. 27. Loco vocis ويقصيهم in codicibus A. E. F. G. legitur يقصيهم.

P. 160. l. 1. Loco verborum الامر الرشيد in codice E. legitur الراى السديد; in codice F. additum est والامر الرشيد.

— l. 4. In codice C. pro ان يدافعه legitur مدافعته, pro بحاييه legitur بحساياته, pro الطرايف legitur الترف et haec non spernenda videtur lectio.

— l. 18. Loco verborum غير موتلفة in codicibus A. B. E. F. G. legitur مجتمعة

— l. 19. Pro voce غذاء in codice A. اعداء est.

— l. 30. Loco vocis تجفلت in codicibus A. B. E. F. G. legitur تجمحت.

— l. 31. In codice A. ita legitur ليحترز من وقع الخلل caeteris omissis, in codice B. لتحترز عن وقوع الخلل et sic codex G., nisi quod الخلل habet. Cum hoc consentit quoque codex F., nisi quod loco vocis من vox عن scripta est.

P. 161. l. 1. Loco verborum خصوصا مصادمة in codice C. legitur ولا يثبتون لمصادمة.

— l. 2. In codice C. legitur فى تبييتهم بالليل.

— l. 4. In codicibus E. F. sic legitur بياتا وهم نايمون.

— l. 6. In codice F. ita legitur ولكل حرب حرابا ولكل حرب حرابا ولكل شدة شدة ولكل غدة غدة ولكل وثرة ثرة ولكل جرة جمرة ولكل نفرة ظفرة. In caeteris quoque codicibus est quaedam lectionis varietas.

— l. 31. 32. In codicibus A. B. E. F. G. sic legitur التثقيل، ولم يفده الا زيادة التعب، وامثال ما كان جهده من النصب والوصب، فساء مصيره وكان فى تدبيره تدميره،

P. 162. l. 15. Verba وفى معاملات المضاربة بضاعتنا in codice E. desunt; in codice F. leguntur.

P. 156. l. 27. Loco vocis الثياب in codicibus E. F. النيات legitur.

P. 157. l. 4. In codicibus E. F. sic legitur لشرع يتامل في هذه القصية والامور وما ينتج منها ويتولد.

— l. 11. In codicibus A. F. G. haec sunt verba لم امر باجتماع الوحوش والسباع والضباع. Cum hoc consentit codex B. nisi quod امرهم habet.

— l. 12. Verba وما عزم عليه ملك الافيال in codicibus A. B. E. F. G. omissa sunt. Quae quidem verba quamvis sunt tertia homoioteleuti pars, quod duabus tantum partibus compositum esse solet, retinenda tamen videntur. Huic enim auctori non raro contingere solet, ut tres, duarum loco homoioteleuti partes constituat. Tales igitur scriptoris loci corrigendo mutati esse saepius videntur.

— l. 20. Loco verborum بروق تخطف in codicibus A. B. E. F. G. legitur كبرق خاطف. In hoc vero contra caeteros uni codici C. assentior, quippe voces بروق تخطف magis aptae esse videntur praecedenti ارى وزئيره رعد.

— l. 21. Loco vocis واشتاروا in codicibus E. F. legitur واستشاروا آرا رايه in codice A. واستشاروا ارى رايه. Magis autem, tum quod magis poetica est, tum quod forma وامتاروا sequitur, textus impressi lectio arridet.

— l. 26. In codicibus A. B. C. G. post vocem واحوال additur وهبل, ut homoioteleuton vocibus طبل et هبل constituatur. Non recte mihi fecisse videor omittenda voce وهبل.

— l. 29. In codicibus A. B. G. sic legitur بديع الفعل عجيب غريب الختل والختر. Eadem est lectio in codice C. nisi quod بديع العقل. Verborum autem et homoioteleuti structura in codicibus E. F. elegantior videbatur.

— l. 32. Pro voce ثايمر in codice C. هاجع legitur.

P. 158. l. 13. Loco vocis الدهور in codicibus E. F. legitur الدهر.

— l. 18. In codicibus A. B. E. F. G. legitur غيره في الملك وسريره وحركوه.

— l. 19. 20. In codicibus A. B. E. F. G. haec sunt verba عن ذلك قصيرة وعمر ايامه واوقاته يسيرة.

— l. 21. In codicibus A. B. in textu post vocem ونحوس adduntur verba واستقامات وعكوس. Eadem margini codicis G. adscripta leguntur.

— l. 24. In codicibus A. B. E. F. G. loco verborum السرور سرير legitur

P. 153. l. 12. In omnibus codicibus excepto codice C. verba لا صبر . . . . احترافه in versus modum scripta non sunt; sed re vera est versus.

P. 154. l. 6. Loco vocis ومصارعة in codicibus A. B. C. G. legitur ومقارعة.

— l. 7. Pro voce الهزيمة legitur in codicibus A. B. E. F. G. الكسرة.

— l. 12. Loco vocis عزمه in codice C. legitur همه.

— l. 20. In codice F. legitur فان حصل والعياذ بالله ما ينافى ذلك فهو ان لا ثبات. In codice E. eadem lectio esse videtur.

P. 155. l. 1. Pro فى شكرهم legitur in codicibus A. G. فشكروا منته و, in codice B. واطنبوا بلسان الشكر منته و, in codicibus E. F. فشكروا منه. Pro وفى الجملة etc. codices A. B. E. F. G. habent واستصوبوا حركته وترشفوا كلماته وقد قيل.

— l. 6. In codicibus A. B. E. F. G. ita legitur ولقد تلقفت من افواه الحكما، ونصايح البلغا، بل شاهدت من النوايب، وحققت.

— l. 8. Loco vocis ومشفق in codicibus A. B. E. legitur ومشتت. Post vocem الاصحاب in codice F. haec addita leguntur وقد قال سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، اذا اقبلت الدنيا على رجل اعارته محاسن غيره واذا ادبرت عن رجل سلبته محاسن نفسه وقال بعض الحكما الفقر يخرس الفطن عن حجته والمقل غريب فى بلده اجنبى فى اهله وقال

الفقر يزرى باقوام ذوى حسب وقد يسود غير السيد المال.

Et ni fallor plura horum in codice E. leguntur.

— l. 9. Loco vocis التامل et التفكر in codicibus A. B. E. F. G. legitur ان يتامل et يتفكر.

— l. 18. In codicibus A. B. F. G. legitur والتوبيخ والتقريع; in codice E. والتوسخ والتقريع; sed in hoc legendo fortasse erravi.

P. 156. l. 5. Loco vocis دربة in codicibus A. B. legitur دراية; quae est lectio non spernenda.

— l. 8. Pro voce بمنفس in codicibus A. B. C. G. legitur تستنفس, quam lectionem vehementer probo.

— l. 11. In codicibus E. F. sic legitur الاقبال الكامل فى ذاته، الفاضل فى صفاته، العادل etc.; verba autem الحسن الى اهل مملكته in codicibus A. B. E. F. G. omissa sunt.

— l. 20. In codice A. legitur فيما نحن بصدد درايه, in codice E. فيما نحن بصدد درايه لدايه. Codex F. et cæteri cum impresso consentiunt.

in codice F. eodem modo; at غدا correctum videtur in عد. Lectio autem illa bona est.

P. 150. l. 22. Loco vocis استخلاص in codicibus E. F. استنقاذ legitur.

— l. 29. In codicibus A. B. G. loco vocis وصحارها legitur وصحاريها; et haec non spernenda est lectio.

— l. 31. In codicibus A. B. E. F. G. legitur سبيل الاطناب, quam lectionem praeferendam habeo. In codicibus E. F. omissa est vox الملل, eiusque loco inserta sunt verba ولا يترك شيا من النصح والصواب, qua re rhythmus turbatur.

P. 151. l. 5. In codice A. legitur النشج والقيصوم, in codice B. الشيخ والقيصوم, in codice F. erat الشيخ والقيصوم; punctum vero litterae خ deletum est. In codice G. erat الشيخ القيصوم; a seriore vero manu littera و superscripta et punctum litterae خ deletum. Lectio codicis A. non est spernenda.

— l. 9. Loco vocis وشجرا in codicibus E. F. legitur وصخرا.

— l. 16. In codicibus A. B. G. legitur مدنيها وضياعها; in codice F. legitur مدنها وقلاعها وحصونها وضياعها.

— l. 18. In codicibus E. F. post vocem وبقاعها additum legitur وقلاعها وحصونها.

— l. 32. In codicibus A. E. F. G. verba والدر يقطعه حفاء لحالب versus in modum scripta sunt, et re vera versus dimidium complectuntur.

P. 152. l. 2. In codicibus A. B. F. loco vocis مكان legitur مكامن, quod mihi vehementer placet; tum legitur الى الفعل والعمل, id quod minus bonum videtur, quod verba مكامن et ظواهر opposita sunt. In codicibus E. F. legitur من مكان القول الى الفعل والعمل بما قبل.

— l. 6. In codicibus A. B. F. legitur توجه بكلك الى, in codice G. توجه الىّ بكلك quae bona est lectio.

— l. 7. In codicibus A. B. G. رشيد ومن يقف الرشيد سعيد, in codicibus E. F. سعيد ومن يقف السعيد سعيد.

— l. 9. Loco vocis يسنح in codicibus E. F. legitur يسبح.

— l. 17. In codice C. ita legitur ويذرى حبات وجوده هواء الهون، وينقل عن بيدر الشقاء من البلى الى طاحون et haec non spernenda videtur lectio.

P. 153. l. 4. Loco vocis يستميل in codicibus A. B. E. F. G. legitur يستعبد.

— l. 10. In codice A. legitur اقواله واحواله, in codicibus B. C. E. F. exstat اقواله وافعاله, et sic legendum est.

P. 147. l. 3. Codices A. B. C. habent تخولت; et haec videtur recta lectio.

— l. 7. In codicibus A. B. C. legitur تذيب, et haec ferri potest lectio.

— l. 10. In codicibus E. F. sic legitur ومعه كل كبير وصغير، ومامور واميرا من.

— l. 16. In codicibus E. F. ita disposita sunt verba وتقلبوا على بساط الامانى فى رياض الامان.

— l. 23. Loco vocis العالمون in codice E. المهتدون legitur, dum in codice F. lectio textus est.

P. 148. l. 4. In codice A. B. G. legitur مقال وجدالا ادبا الى حرب وقتالا, in codice F. مقال وجدالا ادبا الا حراب وقتالا. Utrumque non est spernendum. Codex E. paulum differre videtur a codice F.

— l. 9. In codicibus A. B. E. F. G. ita legitur وقلده خططهم ورث الملك كابرا من.

— l. 10. Loco verborum وكل جيشه in codicibus A. B. E. F. G. legitur واكل

— l. 11. Loco vocis الفواكه in codicibus E. F. legitur الفاكهة, quae est bona lectio, quod singularis forma sequitur.

P. 149. l. 2. In codicibus E. F. legitur حتى اقتنصا شراك المطامع.

— l. 13. Post vocem الدواء in codicibus E. F. additur والسقم والشفاء.

— l. 14. Loco vocis يقع in codicibus E. F. legitur يقطع.

— l. 15. In codicibus E. F. pro verbis حول عليه legitur انهى اليه.

— l. 23. In codicibus E. F. legitur احدها loco vocis احديها, in codice B. اولها; in codice G. احديها et in sequentibus cernitur ثانيها et ثالثها. Regulis aptior est codicis A. lectio احديها et ثانيتها et ثالثتها.

— l. 28. In codice E. legitur فى الافاق بالفضل فى الانفاق; in codice F. انتشر صيتها بالفضل فى الافاق.

P. 150. l. 1. In codice E. legitur واشار كالمستخبر ايها الاخ والوزير الى ما ذا تشير, nisi quod in codice F. omissa sunt verba الى ما ذا تشير.

— l. 2. In codicibus E. F. ita legitur جميع ما ذكره مولانا الملك حق وجميع ما حرره وقرره صدق.

— l. 7. In codice F. legitur والكلف الذى ادت الى التلف, in codice E. eodem modo, nisi quod post vocem والكلف additum est والكرم.

— l. 9. In codicibus A. B. E. G. legitur وغدا المصروف من خزانة السلطنة كالوابل

P. 142. l. 4. Verba وحمر الضواحى والرزداق ex codicibus E. F. inserui; in caeteris desunt.

— l. 5. Pro voce عليها in codicibus E. F. legitur عنها.

— l. 17. Loco verborum وخمم الصقور in codice E. legitur والزرازير والسنور, in codice F. desunt.

— l. 19. Pro verbis ورغبة فى رحمة الرعية legitur in codicibus E. F. ورحمة فى امر الرعية.

— l. 23. Loco vocis مطرودا legitur in codicibus A. B. E. F. G. مردودا, quae bona est lectio.

— l. 26. Loco vocis فمبناها legitur in codicibus E. F. فان منتهاها.

— l. 28. Post vocem الزواج addita leguntur haec in codicibus E. F. واختيار التخلى للصلاة على مذهب الامام شافعى رحمه الله.

— l. 31. In codicibus E. F. ita legitur ويجعل للعصار للحضور والنشاط.

P. 143. l. 6. In codice B. legitur فى كل القضيات يساويها, in codice E. فى كل القضايا بما يظهر مساويها, in codice F. فى كل القضايا باويها; sed litterae با in voce باويها a seriore manu inter lineas scriptae sunt.

P. 144. l. 1. In codicibus E. F. legitur فلا يجهدك فيه جهدا.

— l. 8. Loco vocis ساكن in codicibus E. F. legitur سايم.

— l. 13. In codicibus B. E. F. G. loco vocis وللجماعة legitur مع الجماعة.

— l. 29. In codicibus E. F. legitur لجانى الجمال; ibidem pro verbis مسكة الملاءة legitur القوة على الملاءة.

P. 145. l. 4. In codicibus E. F. legitur وينقص من اوتاد شركة زاده.

— l. 16. In codicibus E. F. loco vocis الاسعد legitur الاستاد.

— l. 20. Loco vocis الكنانى, quae est lectio codicum B. D. F. G. in codicibus A. C. legitur الكنانى. Dubito, quaenam sit praeferenda.

— l. 24. Elegantior et cum verborum lusu coniuncta lectio codicum E. F. est وشنفت بطيب النغم فى الاذان الاذان.

P. 146. l. 13. Loco vocis فايرا in codicibus E. F. legitur طايرا.

— l. 30. In codice A. B. G. legitur فيصدر منه; in codice F. فيصدر من.

— l. 31. In codicibus A. B. F. G. vox نقود omissa est.

P. 147. l. 2. Loco vocis ناداك in codice A. نواك; in codice E. داناك. Utrumque reiiciendum est.

P. 138. l. 19. In codicibus A. B. C. G. legitur وقد تغيرت بلادته الى التغير; praetuli autem lectionem codicum E. F, quod in vocibus بلادة et بدلت est similitudo soni, quem lusum auctor libri vehementer amat.

— l. 21. Loco vocis ليسبر in codice A. ليرى legitur, in codice B. plura omissa sunt, in codicibus E. F. يسبر legitur.

— l. 23. Pro vocibus اشكال لحيان in codice videtur legi اشكال لحيتان, in codice C. لجيان, in codicibus D. E. لحيان; in codice F. لجيان, in codice G. لحيان; quid verum sit, dubio obnoxium est.

— l. 28. Loco verborum فردة طاحون in codice B. legitur فرد. Caeteri omnes textus lectionem habent.

— l. 29. Post vocem كسجان in codicibus E. F. additum legitur

وقال شعر : اذا كان الطباع طباع سوء فليس بنافع ادب الاديب.

— l. 32. Verba ويمحق ما اراد وينبت in codice A. desunt; post verba اهل الثبات in codicibus A. B. E. G. addita sunt verba والعلماء الاثبات, quae probo.

P. 139. l. 2. In codicibus A. B. G. legitur هذا التقدير; in codicibus E. F. هذا التقدير والتقرير.

— l. 21. Loco vocis يعاعده legitur in codice C. وان يقف.

— l. 22. Pro ويميز in codicibus A. B. G. legitur ويتميز.

— l. 25. Pro voce مقبل in codice E. legitur متصل.

— l. 28. In codicibus E. F. legitur متحليا جيده بعقود, quod non est spernendum.

— l. 30. Pro voce يتلاقاه, in codice G. legitur يتلقاه, in codicibus A. B. C. يتلافاه. Hoc magis placet.

P. 140. l. 9. Loco vocis يرعون in codice A. legitur يرجون.

— l. 17. Pro voce كحشار in codice A. كجسار in codice F. كجشار. Nostro in loco non dubito, quin كحشار recta sit lectio. In loco autem Vitae Salad. p. 157, ubi vox جشار legitur, de legendi modo dubitare licet.

P. 141. l. 6. Loco vocis مرة legitur نشرة; loco verborum لا اغرق legitur الاغراق.

— l. 10. Pro voce الامير in codicibus A. B. D. E. F. G. legitur الوزير, quod præferendum puto.

— l. 17. E. Corani loco in codicibus E. F. omissa sunt verba a مما usque ad الا l. 15., quod indicatum est verbis الى قوله.

— l. 27. Pro voce اخرس in codicibus E. F. legitur اسكت.

P. 135. l. 30. Quam in textum recepi lectionem فتقدم خزز من بين تلك البزز in codicibus A. C. G. legitur, in codice B. legitur خرز et البزر, in codice F. est خزز et البزر; at quum vox خزز de lepore mare adhibeatur, haec lectio proba videtur, tum vero quin البـزز homoioteleuti causa legendum sit, vix dubio obnoxium est. De vocis autem significatione, incertus haereo.

P. 136. l. 2. In codicibus A. B. D. E. F. G. loco vocis القـذاذة legitur القـذارة; quam praeferendam habeo lectionem.

— l. 7. Post vocem سلطانا in codice F. haec addita leguntur verba

ولقد ارشد، من انشد، حيث قال شعر

لقد جار صرف الدهر فى كل جانب   من الارض واستـولت عليـه الارازل

هل المسخ الا ان ترى العرف منكرا   او الخسف الا حين تعـلو الاسـافل

— l. 11. Loco verborum بين العرب in codicibus A. B. E. F. G. legitur فى العرب, quem probo legendi modum, quamvis et alter ferri potest.

— l. 12. In codicibus A. B. E. F. G. pro voce يهتدى legitur اهتدى. Utraque lectio bona est.

— l. 15. Post versum verbis ان الفتى incipientem in codice F. haec addita sunt

وقال ايضا   لعمرك ما الانسان الا ابن يومه   على ما تجلى يومه لا ابن امسه

وما الفخر بالعظم الرميم وانمـا   فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

— l. 17. In codicibus A. B. G. loco verborum واذ اقتلتها legitur واداب اقتلتها, quae mihi placet lectio. In codice C. omissa sunt verba.

— l. 28. Pro امتنعتم in codicibus A. B. G. اجتنبتم legitur.

P. 137. l. 2. Loco vocis استنكاف in codice E. legitur اتعاظ, dum codex F. textus lectionem offert. Loco verborum من قول تلك idem codex habet بكلام.

— l. 3. Ibidem pro voce الاستنكاف legitur الانعاظ. In codicibus E. F. ita legitur بلغ من الشطارة والزعارة والدعارة وحرفة اللصوصية.

— l. 18. Loco vocis لحرام in codicibus A. D. G. legitur التحرم, in codice B. منعته.

— l. 29. In codicibus E. F. legitur التاديب والتهذيب والتشذيب.

P. 138. l. 1. In codice A. desunt verba وقال القايل شعر; in codice B. nil nisi شعر; in codice C. وقال القايل شعرا, in codice E. F. legitur وقال.

— l. 16. Praeferendam puto lectionem codicum A. B. E. F. G. وسلك فيه ادق; quamvis verba textus, quae est lectio codicis C, ferri possunt.

P. 131. l. 9. Vocem نصارا ex codicibus E. F. inserui. Caeteri codices ea carent. Voce autem omissa homoioteleuti signum delendum est, ut voces ذهبا كاملا وافيا معيارا una serie coniungantur.

— l. 27. Omnes codices habent lectionem ابن قلبعة, excepto codice D, qui ابن قلعة offere videtur.

P. 132. l. 8. Loco vocis يجتهد in codicibus A. B. E. F. G. legitur يجهد, quae bona est lectio, sed altera quoque admitti potest.

— l. 26. Loco verborum الصدر الدكة, quae est lectio codicum C. G, et ni fallor codicis D, in codicibus A. B. legitur صدر الدكة, in codicibus E. F. الصدر بالدكة

P. 133. l. 11. In codicibus E. F. ita legitur من الاعتقال والداء العضال; tum quoque ونقل الطير هذه الاحوال بالافعال دون الاقوال.

— l. 15. In codicibus E. F sic legitur versus

فانهض وقيت فان العجز منقصة   فالدهر مات وللتاخير افات

In codicis F. margine correctum est prius hemistichium. In codice A. post versum spatium est vacuum, quasi aliquid omissum sit et in margine leguntur verba بياض فى الاصل.

— l. 27. In codicibus A. E. F. loco vocis المزائدة legitur المرادفة, quae lectio probanda non est.

P. 134. l. 13. In codice A. legitur من اليمين الى اليسار. In codice C. ita legitur وقال اليسار اتى اليسار وجبر الانكسار والخروج الى اليمن من اليسار وعنوان السعود وحصول النجح والمقصود; in codice E. omissa sunt verba وجبر الانكسار والخروج الى اليمين من اليسار.

— l. 15. In codice A. legitur مسهل الامور الصعاب.

— l. 20. In codicibus E. F. legitur وعلى اعتمادى مناصحة وركون.

— l. 24. In codice A. legitur وليبادر بالخدمة الى الحضور, in codice B. الخدمة بالحضور

P. 135. l. 6. In codicibus E. F. loco vocis شاهدت legitur شهدت.

— l. 20. In codicibus A. E. legitur الوحوش والطيور, in codicibus F. G. الوحش والطير quae lectiones non sunt spernendae, quod numeris voces consentiunt.

— l. 22. In codice A. hemistichium versus posterius ita vitiose legitur

عصاة وها نحن اتينا الطيور

F. او ورن; sed ita ut littera و in codice F. inter lineas scripta sit. Prior lectio placet.

P. 128. l. 19. In codicibus E. F. legitur ما ارزن هذه النصايح، واذكى ما لنا من روايح.

P. 129. l. 5. Loco verborum بما افرغت في قلب الجمال وتربت يتيمة بالدلال in codicibus E. F. legitur وكانت ذات لهجة لطيفة، وصفات ظريفة، وترتبت يتيمة بالدلال.

— l. 11. Pro verbis الاعيان والروسا in codicibus E. F. legitur الامراء والوزرا.

— l. 13. In codicibus A. E. G. legitur نقدر et نتعب, quae est lectio non spernenda; altera vero, quam in textum recepi, non minus bona videtur.

— l. 14. Post vocem السوء in codicibus E. F. additum est لصاحبه.

— l. 15. Loco vocis الطاير in codicibus A. B. E. F. G. legitur طاير, quae lectio placet.

— l. 18. Loco vocis تشبه in codice B. legitur تشبيه, in codicibus E. F. نسبه. De voce تللى vehementer dubito. In codice A. legitur تكلى, ita ut prima vocis littera dubia sit, in codice C. بلى, in codicibus B. D. E. F. G. تللى.

— l. 24. Loco verborum يضع على راسه تاج in codicibus E. F. legitur يتتوج بتاج.

— l. 32. Pro voce جيرانها in codicibus E. F. legitur زوجها.

P. 130. l. 8. In codicibus A. C. loco vocis المتعلقات legitur المتلفعات, quae lectio non est spernenda. Codicis G. lectio, ab utraque diversa, incerta est.

— l. 9. Loco vocis المعالى in codicibus E. F. legitur السيات.

— l. 16. Pro voce ذات in codicibus E. F. legitur صدقات.

— l. 21. Loco verborum مال ولا مآل in codicibus A. E. F. legitur بال ولا مآل In codice C. nisi fallor verba مال ولا omissa sunt. At vero ob soni maiorem similitudinem in verbis مال ولا مآل, hanc lectionem praetuli.

— l. 22. Pro verbis بفساد النية in codicibus E. F. legitur بفاسد النية.

— l. 23. Loco vocis الاقرق, pro qua ut supra p. 4. l. 23. adnotavi, plures habent codices الافرق, in codicibus E. F. المشرق legitur.

— l. 25. Pro verbis من اصل الملاحة in codicibus A. B. G. legitur في اصل الحسان, quam lectionem praeferendam puto, ne eadem vox repetita sit. In codicibus E. F. legitur من اصل الحاسن.

— l. 26. Pro voce يذبل in codice E. legitur تزيل, in codice F. يزيل, in aliis aut يذبل aut تذبل est.

— l. 29. Loco vocis تهالكوا in codice A. legitur تكالبوا.

P. 123. l. 7. Loco vocis للبيان in codicibus A. B. G. legitur البيان.

— l. 25. Addendum est ex codicibus B. C. E. F. G. من الملك post voces على الملك.

— l. 30. In codicibus E. F. legitur عن كلامه وموجب ما دعا له. Ibidem voces فقال الى عودت usque ad الخشنات l. 31. omissae sunt.

P. 124. l. 3. In codicibus A. B. G. legitur البذى والقبيح.

— l. 20. Post versum hunc alter in codicibus E. F. legitur

وتسابقت عرج الحمير فقلت من عدم السوابق

— l. 27. Loco verborum حاصل حتفه in codicibus E. F. نتيجة حتفه legitur.

— l. 29. Pro voce يتذكر in codice C. legitur يتفكر.

P. 125. l. 5. Pro voce يترتب legitur يرتب.

— l. 10. Loco vocis بما in codicibus E. F. legitur بموجب.

— l. 11. In hoc versu magna est lectionum varietas. Codex B. pro voce اسهلوا habent ايسروا; codex C. سهلوا; codex E. سلموا; codex F. اسلموا. Loco verborum المنزل الخشن legitur in codicibus E. F. الخيم والنعم.

— l. 20. Pro voce تاييد plures codices habent تاييد.

— l. 21. Hic versus in codice A. deest. Pro voce غيبا codex E. habere videtur عيبا.

P. 126. l. 5. Loco vocis الصياون in codicibus E. F. legisse mihi videor الصياءن.

— l. 13. Loco vocis صاحب legitur in codicibus D. E. F. وهو صاحب, in codice B. فهو صاحب, non male.

— l. 27. In codicibus E. F. legitur واعلم من هذا انه حسن فنادى وبالشر بادى

— l. 29. In codice A. legitur واستنقذك et ورجوعك et in codice B. F. est ورجوعك. Sed homoioteleuto contraria videtur lectio.

P. 127. l. 6. Loco verborum فى الدهر in codicibus E. F. legitur فى الدنيا.

— l. 15. Loco vocis تشعر in codicibus E. F. legitur تستقر.

— l. 16. In codice A. pro verbis مثل النيام legitur مع القيام, in codicibus B. F. G. مع النيام, quæ bona est lectio.

P. 128. l. 4. In codicibus A. G. وهمز واكفهر, in codice B. واحمر واكفهر, in codice E. legitur وهم واكفهر.

— l. 10. In codicibus A. B. G. pro واورد legi videtur اورد, in codicibus E.

P. 120. l. 13. In codicibus E. F. sic legitur ولم يكن فى خزاينه، من بارز المال وباطنه، ولا فى ذخايره، من ظاهر الرفد وضمايره.

— l. 15. Post vocem الانحلال in codicibus E. F. additum legitur وملكه على الاختلال.

— l. 19. Loco verborum وامرهم بنصب السلالم، والفحص عن الارقم، وتتبع اثارها، واطفا شرارها haec leguntur in codice E. بمعاول النباشين. In codice F. hæc verba sunt addita.

— l. 25. In codicibus E. F. sic legitur وكان قد اشرف على الاختلال، وعقد نظامه على الانفراد والانحلال.

P. 121. l. 27. In codicibus A. B. D. E. F. G. loco vocis الاموال legitur المال.

— l. 28. In codicibus E. F. loco vocis فالالف legitur فالالوف.

P. 122. l. 10. In codicibus A. B. D. E. F. G. legitur واخلاق احباب واحبابى اصحاب quae lectio bona est; sed altera non minus.

— l. 11. Loco vocis الود plures codices habent المودة.

— l. 17. In codicibus E. F. legitur والتقدم بامتثالها اليهم.

— l. 20. Versus hoc modo legitur in codice F.

وانى رسول خايف ان يردنى زمانى بمـا لاقى يسار الكواعب.

— l. 28. Loco vocis مواقف in codicibus E. F. legitur مواطى.

P. 123. l. 2. Post vocem ابـدا in codicibus E. F. haec addita leguntur verba كما فعل الملك الظاهر الموفق، ابو سعيد محمد جقمق، حين اضطرمت الاوام، واضطربت العساكر، واصطدمت الامور، وخرج عليه من عساكره الجمهور، وقل المعين وقل المعين، وذلك فى سنة اثنين واربعين، فعصى سنكرى (تنكرى .E) وترمس فى حلب، واقام بالمراكمة الجلب، ونيال الحكمى بالشام، وكاتبه الطغاة العظام، وحرب بالقاهرة العزيز، وازت الشياطين فاشتد الازيز، وتخبطت بالصعيد العربان، وفشا فى عساكر الاسلام الطربان، فسفه الحليم، وحار الحكيم، وضل كل ذى راى قويم، فثبت الملك الظاهر جاشه، فتعرف الى الله تعالى فازال استيحاشه، واصفى سرايره، ولم تزل سريرته طاهرة، وكان الله قوته وناصره، فاطفى بادنى لطيفة، شواظ تلك النايرة، وقد بسط ذلك فى سيرته الزاهرة، فتبدل الجحيم بالنعيم، ورفع عن الاسلام والمسلمين العذاب الاليم، كل ذلك ببركات ثبات القدم، وعلو الهمم، ولم يحصل هذه الفعلة الزكية الرابحة، الا بالطوية الطيبة والنية الصالحة. Quae verba a seriore manu esse addita, ex eo colligi posse videtur, quod sunt in eo res gestae novissimi temporis descriptae.

addita videntur. Non possum autem quin dubitem de legendi modo in verbis عله ونخس المسلة l. 12.; multum enim dissentiunt codices. Codex A. habet عله تحصل المسيله; codex B. عله ونحش المسله; codices E. F. عله ونخس المسله habent, codex G. عله وتخش المسله.

P. 117. l. 25. In codicibus A. B. loco vocis وارتضيه legitur واقتفيه.

— l. 32. Loco verborum والى ابداء الضـرر متشوفون in codice A. legitur والسى الايذاء والضرر متشوقون, in codicibus B. E. F. G. eodem modo nisi quod متشوفون legitur.

P. 118. l. 2. In codice C. pro مواضع legitur مـواقع, in codice A. pro voce فراك legitur دارك.

— l. 5. In codicibus E. F. legitur اقبلـت اليـك الوفود والجنـود, tum pro voce جنودهم legitur عبوديتهم.

— l. 16. Loco versus in codicibus E. F. hic legitur اذا لسمِ يكـن عون من الله للفتى فاول ما يجنى عليه اجتهاده.

— l. 20. Pro voce عزمت in codicibus E. F. legitur زعمت.

— l. 26. Loco vocis القضيب in codicibus A. B. D. E. F. G. legitur الحبيب.

— l. 29. In codicibus E. F. loco vocis غاص legitur غرق.

P. 119. l. 6. Loco vocis ووجب in codicibus A. B. E. F. G. واجـب, quae bona est lectio.

— l. 9. Loco vocis واقرفني in codicibus E. F. legitur واجزني.

— l. 12. Pro voce كبار in codicibus A. B. E. F. G. legitur سمان, quae non spernenda est lectio.

— l. 16. Loco vocis المنتاع legitur in codicibus E. F. المطامع, loco vocis الاضاع legitur الاطامع

— l. 18. Pro voce مرتقى, in codice E. legitur منتقى, in codice F. من تقى.

— l. 25. Legendum est cum pluribus codicibus et Corani loco, ex quo desumta sunt verba, لنهدينهم.

— l. 28. Pro voce الجيناء in codice C. legitur الخبثاء.

P. 120. l. 5. Verba وحسبـك etc. usque ad verba ذكر يسار l. 7 p. 121 desunt in codicibus A. B. G.

— l. 7. In codicibus E. F. legitur حتى صاروا برياستهم على الدنيا جمال.

— l. 8. Pro voce العراقان in codicibus E. F. legitur العراق.

P. 116. l. 16. Pro ذى العتاب in codicibus E. F. legitur ذى العباب.

P. 117. l. 6. Pro voce واد codex A. ذاد, codices C. E. F. وادى, codex G. ودا.

— l. 10. Pro voce فى in codicibus E. F. legitur منى.

— l. 13. Loco vocis لجنوننا in codicibus E. F. legitur لمرضنا.

— l. 17. Pro مخايل السعادة in codicibus A. B. F. legitur مخايل السيادة, in codice G. pro altera voce السعادة legitur السيادة. Una vox السعادة mutanda est homoioteleuti causa, quamnam vocem mutaveris nil refert. In codicibus A. B. E. F. G. pro voce تتعاطر legitur تتقاطر; at vero vox تتعاطر elegantius dicta videtur.

— l. 19. Post hanc lineam, cuius verba versus non sunt, in codicibus A. B. E. F. in textu, in codice G. in margine addita leguntur اما بلغك يا خير غانم، ما رواه الشيخ علاى الدين ابن غانم، ذو الفضل الكثير، عن تاج الدين ابن الاثير، قال يسار، اخبرنى بهذه الاخبار، قال قال ابن الاثير، وهو بالرواية خبير، اخبرنى بذى المعانى، عن الامير حسام الدين البركة خانى، قال كنت فى عصر الشباب، اصحب من صالح الشباب، الملك المظفر، قطز الغضنفر، وكان خشداشى، وبرويته انتعاشى، فكنا ونحن صبيان، كاننا شيبان، غير انا كنا فى فلذ، فكنت افلى قمله، واسرح راسه، واذهب باسه، وتقدمت اليه، بالشرط عليه، ان يعطينى لكل قملة فلسا، او اصفعه صفعة ملسا، ففى بعض الاوقات، اخذت عنه قملا كثيرا وصفعته صفعات، وقلت فى غضون ذلك، ونحن فى حال حالك، اتمنى على الله عز وعلا، ان يعطينى امرة خمسين رجلا، فقال لى طب خاطرك، وسر سرايرك، وانى ابلغك سولك واعطيك مسولك، واجعلك امير خمسين فارسا، فابشر فلا تكن عابسا، فصفعته صفعة، وقلت ويلك انت تعطينى امارة ورفعة، فقال نعم، واغمرك بالنعم، فصفعته اخرى، فازددت نكرا، فقال لى عله، وتخس المسلة، يا قليل اليقين، اتريد شيا غير امرة خمسين، انا والله اعطيك، اعليك على ذويك، فقلت ويلك كيف تعطينى وتعلينى، فقال املك هذه الديار، واكسر التتار، واحل الكفرة العلوج دار البوار، فقلت له يا مغبون، انت مجنون، بقملك وقلك، وفقرك وذلك، تملك الديار المصرية، وتحبير سلطان البرية، قال نعم، ولا تقل زعم، فانى، رايت فى المنام، النبى عليه السلام، وقال لى انت تملك الديار المصرية وتكسر التتر، ولا شك فيما يخبر به النبى صلى الله عليه وسلم من خبر، قال فامسكت عنه، لانى كنت اعرف الصدق منه، ثم تقلبت به الاحوال، وتنقل الى ان بلغ الكمال، وتملك هذه الديار، ثم كسر على عين جالوت التتار، واعطانى ما وعدنى به وارضانى، وانما اوردت هذا المثال، لتعلم ان سلطنتك غير محال، Quae verba quamvis sensui vehementer apta sint, a seriore nihilo minus manu

P. 109. l. 19. In codice F. ita legitur الحمات فلا يوثر في لسانه وامعاه ولا يتالم لذلك فيها ولا جسدها ويذيب كل ذلك معدتها ولا يتاثر له نسانها ولا ترقوتها Cum hoc paucis exceptis codex E. consentit.

— l. 23. Pro voce وساير in codicibus E. F. legitur وغالب

— l. 25. Post vocem النار in codicibus E. F. additum legitur ذات الشرار

— l. 28. In codicibus E. F. legitur قد غلطت ولزمت الغلط

P. 110. l. 4. Loco vocis الحضر in codicibus A. B. E. F. G. legitur الحفل, quae lectio bona est.

— l. 8. In codicibus A. B. D. E. F. G. legitur الى ما مر من حديث. Et haec est bona lectio propter codicum multitudinem.

P. 111. l. 5. Pro voce التلبث in codice E. legitur والتلبيث. In codicibus A. B. C. haec vox non est et sensui minus necessaria ea videtur.

— l. 24. Loco vocis احسن in codicibus E. F. legitur اعظم.

— l. 25. In codice E. sic legitur كما لك كل سهم امل فوقته ونحو شاكلة قصد اطلقته فمن بعد اسعاد السعد اصبت الغرض

P. 112. l. 7. Pro voce سناوه in codice E. legitur ثناوه

— l. 8. Loco vocis قلبه in codicibus B. E. F. G. legitur امره.

— l. 11. Pro voce وعقبانا in codicibus E. F. legitur عنبابا

P. 114. l. 7. In codicibus E. F. legitur وينطح الكبساش والوعول، ويكسر اصحاب القرون من الفحول

— l. 9. Pro voce مهول in codicibus E. F. legitur ملهوف.

— l. 13. Loco vocis القاضية legitur الغاضية

— l. 22. Pro voce وطى in codicibus A. C. legitur واطى.

— l. 24. Pro voce الساب in codicibus C. E. F. legitur الشاب.

P. 115. l. 4. Loco vocis الاكارع in codicibus E. F. legitur الكارع.

— l. 6. In codicibus C. G. legitur والقصاب بهيئته المهولة، وراءه بالسكين مسلولة. Codex B. eodem modo habet, nisi quod السكين legitur.

— l. 14. Pro نقفز etc. legitur in codicibus E. F. نفر كل منهما. In codice E. verba مفتصحين في مكانهما omissa sunt.

— l. 25. Post vocem اهلا codex E. habet ومرحبا وسهلا يا حبيب الاحباب.

— l. 31. In codicibus A. B. pro voce ساعى legitur تراعى, in codice G. ساع

P. 116. l. 13. In codicibus A. E. F. legitur الحارث.

P. 108. l. 5. Loco vocis اطراف in codicibus E. F. legitur اعداب.

— l. 6. In codicibus E. F. omissa sunt verba ومامور وامير وجليل وحقير; ibidem quoque legitur حاصل pro voce خالص.

— l. 10. Pro وصلوا in codicibus E. F. legitur انتهوا.

— l. 11. In codicibus E. F. pro voce مقام legitur مواقف et نشروا loco vocis ذكروا.

— l. 26. Multum discrepant codices in verbis والانسان مدنى بالطبع. Verba textus sunt lectio codicum A. C. D. G, nisi quod codex A, ut videtur vitio scriptoris, الانسانى habet; at in codice B. legitur والانسان مدنى الطبع in codicibus E. F. والانسان مجبول بالطبع.

— l. 29. Quam recepi lectionem, ea in codicibus C. E. F. legitur, nisi quod in codicibus E. F. والتدبر et والتبصر legitur. Codicis G. lectio incerta est. Codex C. habuisse videtur يسبر et بمسمار et ويعتبر باخبار. In codice A. legitur يسبر et بمسبار, quae lectio bona est.

P. 109. l. 1. Lectio يقتر منها in codicibus A. C. E. F. est; sed videtur legendum cum codice G. يفترعها; nam codex B. quoque يقترعها habet; figurae enim et sensui aptior videtur vox. Pro verbis ازدانت بها etc. in codicibus E. F. legitur اذا دانت بها من جود جنان, verba autem ومقصورات خيام الدهور والازمان omnino omissa sunt. In codice B. legitur ان دانت, in codice C. اذ دانت aut اودانت.

— l. 2. Pro voce يطمثهن in codice C. يطليهن, in codice B. يطمسهن legitur, pro voce فاختلب in codice A. B. فاجتلت, in codice C. E. F. فاختلت legitur.

— l. 3. Loco vocis فاستلب in codice A. واستلت, in codice C. واشتلب legitur.

— l. 9. Loco vocis المودة in codicibus A. B. E. F. G. legitur المروة, et quamvis vox non sit aptior sensui altera, tamen quum plures eam habeant codices, praeferenda videtur.

— l. 10. Pro verbis وبلا الاعداء والاصحاب in codice C. legitur وحلب الاصدقة والاصحاب, in codice E. loco vocis بلا legitur جرب.

— l. 14. Pro voce المسامع legitur in codicibus E. F. الاسماع.

— l. 16 Loco vocis الدبسدبة legitur in codicibus E. F. الزبدية, in codice G. الذبذبة.

— l. 17. Post vocem اوصاته in codicibus A. F. additur vox واعطايه, in codicibus E. G. واوضاعه, in codice B. واعطائه.

que post vocem القدر addita sunt verba وانشد الزمان، بلسان البيان، ما صورته et eodem paene modo codex B.

P. 105. l. 8. Pro voce صنعت in codicibus A. B. F. G. legitur وضعت, quem probo legendi modum, codex E. autem habet وجدت.

— l. 20. In codicibus E. F. legitur لما غلب على عقله; In codice A. legitur بادر et عقله غيوب.

— l. 31. In codicibus A. B. E. F. G. legitur من التجار الكبار. Vox autem الكبار quamvis sensui minime necessaria propter codicum plurium auctoritatem in textum recipienda est.

P. 106. l. 6. Pro voce نصيبها in codice E. legitur لها زوجا غيره, in codice F. ربيها

— l. 11. Loco vocis واسعدنى legitur in codicibus E. F. واستعدّ.

— l. 13. Loco vocis النجح in codicibus E. F. legitur النصح, et loco vocis الصلاح codices A. B. habent الاصلاح.

— l. 16. Legendum fortasse est لخلة quemadmodum codices plures habent.

— l. 18. In codicibus E. F. post vocem مذبق addita leguntur verba وقاطع بغصاك فى الطريق، وشوك مقتك راكب التعويق،.

P. 107. l. 2. Pro voce سامنا codex C. habet ساءنا, in codicibus E. F. legitur ساخنا

— l. 5. Loco vocis غيلة in codice A. legitur غلبة in codice C. غفلة.

— l. 7. In codicibus A. B. C. loco vocis اتتنا legitur اسنا, tum in codicibus A. B. C. G. legitur لتعاطى et pro voce قلبك in codice C. legitur حلمك.

— l. 8. Pro vocibus وتنسى تبيع المقصود in codicibus A. B. E. F. G. legitur فينتج المقصود, quae non est spernenda lectio.

— l. 17. 18. In codice E. pro verbis فى الصلح وسعيه المعتاد legitur فى السعى لاصلاح العناد, in codice F. فى السعى لاصلاح الفساد.

— l. 32. In textum recepi lectionem codicis C. In codice A. legitur وما حال جفاه احباه وشمت به اعداه واقصاه مولاه; in codice B. legitur وما حال من جفاه اوداه وشمتت به اعداه واقصاه مولا; in codice D. وما حال من جفاه عداه واقصاه مولاه; in codicibus E. F. وما حال من جفاه عداه واقصاه مولاه. In codice G. in textu legitur وما حال من جفاه عداه واقصاه مولاه; in margine autem addita sunt verba اوداه وشمتت به; ita ut legendum sit وما حال من جفاه اوداه وشمتت به عداه.

P. 108. l. 3. Loco vocis بالتقدم in codicibus A. B. C. legitur بالتقديم.

P. 103. l. 1. Pro voce قلبه in codicibus A. B. F. G. legitur القلب, quæ bona est lectio.

— l. 5. In codicibus E. F. vox شقق omissa est; at vero addita hac voce figura fit magis exculta.

— l. 9. Lectionem بقلب الاعراض من الامراض ex codicibus A. C. sumsi, in cæteris multa est discrepantia. Codices E. F. habent نسب الاعراض الى الامراض; in codice B. est يسلب الاعراض من الامراض; in codice G. يقلب الاعــراض مــن الامراض.

— l. 12. Pro voce التوقع in codicibus B. G. legitur التوقيع. Ibidem vocem والاطلاق ex codice F. inserui; at mihi iam male fecisse videor.

— l. 13. Loco verborum والسلطــان الهمام in codice E. legitur وسلطــان الانام, in codice F. sunt verba يا مــولامــا الهمام والسلطان الامام.

— l. 14. In codicibus E. F. post vocem بانسب addita legitur vox بالثلب.

— l. 15. Pro voce التحرير, in codicibus B. F. G. legitur التخبير.

— l. 31. Pro voce يشد in codice E. legitur يشيد, quod minus probandum est.

P. 104. l. 1. Codex A. ita habet واخذ جده جده ولا يليق الان رده; codex B. واخذ حده حده ولا يليق ان ارده, codex E. et F. واخذ حده حده ولا يليق بكرمى رده; codex G. واخذ حد حده ولا يليق بكرمى ان ارده. Ibidem in codice F. legitur من اسلاق, in codice G. على اسلاق.

— l. 4. De voce تحجم, quae in lexicis non legitur, quin sit vera lectio, vix dubitare licet; est enim bene scripta in codicibus B. D. E. F. G. et optime eadem convenit sequenti النجم. In codice A. legitur تحجم, in codice C. legisse videor تعجم. Quae vox homoioteleuto minus apta significationem habet sensui non contrariam.

— l. 13. Loco vocis صــافى in codicibus A. B. E. F. legitur صادق. Magis placuit lectio codicis C, quod vox صافى praecedenti صفى sono similior esset.

— l. 25. In codicibus E. F. legitur كالجلوس على السرير.

— l. 26. Vox عليه in pluribus codicibus omissa est.

P. 105. l. 2. Pro voce الا in codicibus E. F. legitur اوفى من.

— l. 5. In codicibus A. B. C. legitur بعض loco vocis بعد, quae non minus bona est lectio.

— l. 7. In codicibus E. F. legitur درجات القضاء pro حادث القضاء; tum quo-

P. 99. l. 30. Pro قلبا in codice F. legitur قلبى.

P. 100. l. 5. In codicibus E. F. post vocem الاستاد additum legitur الامين الدمشقى.

P. 101. l. 1. In codicibus A. B. C. G. loco vocis مكايد legitur كاس, quae lectio non omnino reiicienda est.

— l. 8. In codice F. loco vocis وابتناك legitur وانبتاك, et ita in codice G. exsistere videtur. At quum esset forma altera praecedenti انتهاك magis consentanea, hanc praetuli. Ibidem in codice C. legitur ونحن لا نرتضى بذا الندام ولا كيد للمخالف ولا اكرام; caeteri autem codices in textus impressi verbis consentiunt, nisi quod in codicibus E. F. legitur للمتخالف.

— l. 10. In codicibus A. C. legitur ابى جمهر, in codicibus B. E. F. G. ال جبير. Quaenam sit recta lectio, dubitare licet.

— l. 17. In codicibus A. B. E. F. G. loco vocis سايرٍ legitur ستايرٍ, quae multum placet mihi vox.

— l. 18. Pro voce اعظم in codicibus E. F. legitur اربع.

— l. 20. Versus voce يستعطفون incipiens in quibusdam codicibus non scriptus est in versus modum.

— l. 22. In codicibus E. F. haec post vocem وغيوبهم sunt verba ولا يتجافا عن مضاجع الجفا جنوبهم

— l. 31. Pro صبتى in codicibus pluribus legitur صبته.

P. 102. l. 7. In codicibus E. F. ita legitur ويقيس عليها على ميزانه من افعاله اوزانها.

— l. 9. Pro verbis يغرى به in codicibus E. F. legitur ويولب عليه, in codicibus A. G. ويجمع عليه.

— l. 10. In codicibus E. F. ita legitur بصلاة الصلاة (بصلات) »Donis misericordiae.« Pro voce بعدا in codicibus D. E. legitur بغضى, quae bona est lectio.

— l. 15. Pro voce احسن in codicibus D. E. F. legitur جسن.

— l. 19. Pro voce والتجديع in codice A. legitur التخريع, in codice B. التجريع, in codice C. التخديع.

— l. 21. In codice C. legitur امر كاس.

— l. 24. Pro من الشعمر in codice A. legitur من الشمر, in codicibus E. F. من الشيمر.

P. 97. l. 1. In codice F. legitur آمن من نفسى; sed ita ut من inter lineas scriptum sit. Lectio bona est.

— l. 4. Loco vocis احشم in codice F. legitur اجسم, quae bona est lectio.

— l. 6. Loco verborum ادفع . . . . حميم in codice E. legitur السى قوله ذو حظ عظيم.

— l. 9. In codice E. F. pro voce محوط legitur مضبوط, tum additur وبالمحافظة عليها محوط.

— l. 15. Loco verborum ومنهم من يطلب على خدمته usque ad لموجب سخطة in codice E. legitur ومنهم من يراعى لسقطة ، وغلطة لتغيير خاطره وسخطة; in codice F. ومنهم من يتعرض لسقطة وغلطة ، لتغيير خاطره وسخطة.

— l. 16. Loco vocis يتهتك in codice F. ينتهك et ita codex G. habere videtur. Sic mihi legendum videtur.

— l. 22. Loco vocis مجرب in codicibus E. F. legitur محسب, quam lectionem probo.

— l. 31. In codicibus E. F. legitur ومن اليمر الجفاء تنجيه, tum يجبر كسر ذلك الوهن ابدا.

P. 98. l. 1. In codicibus E. F. desunt verba فى طريق مكيدته.

— l. 9. In codicibus E. F. post verba فى طيب additur المقام الى طيب المقال.

— l. 10. In codicibus E. F. legitur تيميز كما قيل.

— l. 12. In codicibus E. F. legitur مالكين طرايق.

— l. 25. Pro voce والعسر in codicibus E. F. legitur والصبر.

P. 99. l. 2. Pro voce واقاك in codicibus E. F. legitur واتاك; pro قصة legitur قصية.

— l. 7. In codicibus E. F. pro voce الصنع legitur الازهار.

— l. 10. Loco verborum نعم الالطاف legitur in codicibus E. F. خلع الانعام.

— l. 11. In codicibus E. F. legitur الحرم الحريم, tum quoque الخاتم العظيم.

— l. 14. In verbis بكلام لحقيقة الحد جامع مانع dissentiunt codices. In codice A. est lectio textus impressi, cum hoc consentire videtur codex B. In codice C. est كحقيقة الحد مانع نافع, in codicibus E. F. est كحقيقة الحد جامع مانع, in codice G. كحقيقة الحد جامع مانع.

— l. 16. Pro vocibus وتيمن انفال وحسن انبال in codicibus E. F. legitur وتحسى البال وحسن الحال.

— l. 19. In codicibus E. F. legitur الحكيم الاريب, quod praefero.

P. 93. l. 26. Loco vocis قابا legitur in codicibus E. F. خابى.

— l. 28. Loco verborum فى الكلام in codicibus A. B. D. E. F. legitur والكلام id quod praeferendum puto.

— l. 31. Loco vocis مرامه in codicibus E. F. legitur ملامسه; in codicibus B. C. legitur معرفة مرامه.

P. 94. l. 3. Loco vocis الاغضاء in codice E. legitur الاعفاء.

— l. 10. Loco vocis اللطيفة in codicibus E. F. legitur الشريفة.

— l. 13. In codice F. ita legitur وخاف ان يكون السكوت رضى، وان هو رضى يفوت منه المنا.

— l. 20. Loco vocis وقرصه in codicibus E. F. legitur ورقصه.

— l. 23. In codice E. legitur عرضا ولا عوضا, in codice F. عرضا وعوضا.

— l. 30. In codice F. legitur يخالف الامير, quod minus probo.

P. 95. l. 12. Post vocem السعيدة in codice F. legitur additum والاكابر يعفون، والاصاغر يهفون.

— l. 16. In codice E. vox مكروه omissa est, in codice F. legitur ايصال.

— l. 22. Pro voce الاليق in codicibus E. F. legitur اللايق; sed altera forma ob sequentem formam الاوفق praeferenda videtur.

— l. 23. Ante verba ولقد كان in codice F. legitur وقال سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، ينادى مناد من قبل الله تعالى يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، من كان له عند الله تبارك وتعالى يد فليقم، فلا يقوم الا من عفى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله

— l. 32. In codicibus E. F. legitur مختفيا فى حمر وحيرة.

P. 96. l. 1. In codice F. legitur جاءت لطلبى فتفكرت. Hoc non male; codex E. offerre videtur جاءت تطلبنى فتفكرت.

— l. 3. Loco verborum كالشاعر الذى انشد in codicibus E. F. legitur مثل المنشد.

— l. 7. In codicibus C. F. vox دار omissa est.

— l. 13. Verba واجول فى مكارمه جولا in codicibus E. F. desunt.

— l. 15. Post verba اهسنى مقام in codicibus E. F. legitur وقد صرت فى محرم سره، ومرآة قلبه وصدره،.

— l. 18. Pro voce واطوف in codicibus E. F. legitur واصول, tum pro voce يرقع legitur يرقعنى, denique pro يقتله legitur يمقته.

P. 91. l. 26. Ante versum voce كعصفورة incipientem sunt in codicibus C. D. duo versus.

متى يشتفى منك الفواد المعذب وسهم المنايا من وصالك اقرب
بعاد وهجرٌ واشتياق ووحشة فلا انت تدنينى ولا انا اقرب

Qui quum deessent in codicibus caeteris, eos omisi.

— l. 27. Pro voce فيرتى in codicibus E. F. legitur يرق, in codice E. pro voce فيذهب invenis فيهرب. Post versum in codice C. legitur hic versus

ولى الف وجه قد عرفت طريقة ولكن بلا قلب الى اين اهرب

In caeteris omnibus deest.

— l. 28. Verba من مكره in codicibus E. F. desunt.

— l. 31. Loco vocis قصة in codicibus E. F. legitur قصبة.

P. 92. l. 5. Post versum in codice F. haec addita leguntur

وقال ايضا ان كنت اخطات فما اخطى القدر اسمع ايها العاقل قول القايل شعر

اذا اراد الله امرا بامرئٍ وكان ذو عقل وسمع وبصَرْ
وحيلة يصنعها فى دفع ما ياتى بهِ محتوم اسباب القدَرْ
اصم الذيه واعمى قلبه وسلّ منه عقله سل الشعَرْ
حتى اذا انفذ فيه حكمه رد عليه عقله ليعتبر
فلا تقل فيما جرى كيف جرى فكل شى بقضاء وقدَرْ

— l. 7. Post vocem اقترارى in codicibus E. F. addita sunt verba اوما سمعت يا همامة قول الامامة اذا حلت المقاديرة ضلت التدابير. Ibidem loco vocis ملام legitur كلام.

— l. 10. Loco vocis وزيره legitur واثبته.

— l. 12. Verba كان هذا in codicibus E. F. omissa sunt.

— l. 14. Loco verborum اللطف المعهود legitur in codicibus لطفك المعهود.

— l. 23. Pro وتذكرت in codicibus E. F. legitur تذكرت اذا.

— l. 26. Pro vocibus عنده مرارة in codicibus E. F. legitur اذا مر بخاطرى غصص.

— l. 28. In codicibus E. F. legitur لبكاية رفيقه وبريقه.

P. 93. l. 6. Loco verborum وطارق وتليدى e codicibus E. F. G., legitur in codicibus A. B. C. وطارقى وتليدى. Praetuli alteram lectionem, quod verba tum antecedentia tum sequentia personas significant.

— l. 9. Pro يتلاقونه legitur in codice E. يتلاطفونه.

— l. 25. Loco vocis بارز in codicibus E. F. legitur مبادر.

P. 89. l. 9. In codicibus A. B. C. G. legitur ولا يكشف ستري ولا يهتف بسري, quae bona est lectio.

— l. 16. Loco vocis غرقوا in codicibus E. F. legitur تغرقوا.

— l. 19. Loco vocis الكسير legitur in codicibus E. F. السكير.

— l. 31. In codicibus E. F. legitur من الطعام.

P. 90 l. 5. Post vocem الشوها in codice haec leguntur اذا سلوها وتلوها وهي تلازم صباحا ومسا ويفر منها الرجال والنساء ويحيد كل احد عنها.

— l. 7. In codicibus E. F. ita legitur وان اطلقته حبسك وان سلطته افترسك; ibidem quoque pro يبيد legitur تبيده.

— l. 8. In codice E. post vocem اسيره hi additi sunt versus

ان القليل من الكلام باهله حسنٌ وان كثيره ممقوت
ما ذل ذو صمت وما من مكثر الا يذل وما يثاب صموت
ان كان ينطق ناطق من فضة فالصمت در زانهٔ الياقوت

— l. 11. Post vocem بالمنطق in codice E. addita leguntur وقيل احفظ لسانك لا تقول فتبتلي. Ibidem quoque in codice E. post verba حرمة الملوك haec verba addita sunt ولقد ارشد، من انشد، حيث قال شعر.

اذا ما اضطررت الى كلمة فدعها وباب السكوت اقصد
فلو كان نطقك من فضة لكان سكوتك من عسجد

— l. 13 In codicibus E. F. loco vocis دهاك legitur دهاها.

— l. 16. Codices A. F. habent رواية et زواية.

— l. 21. Loco vocis خدنا in codicibus E. F. legitur حزنا.

— l. 25. Loco verborum في احد in codicibus E. F. legitur لاحد.

— l. 26. Pro في عالم in codicibus E. F. legitur من عالم; pro voce خارج legitur خارجا.

P. 91. l. 8. Post vocem سنة in codice E. addita leguntur verba وقيل ايضا.

سوء حظي انالني منك هذا فعلى الحظ لا عليك الملام

— l. 10. Verba ونيل الاماني والادمان ex codice F. inserui; sunt enim sensui optissima. Fortasse autem non sunt auctori tribuenda, quod in uno tantum codice leguntur.

— l. 18. Loco vocis البنادق in codice E. legitur البيارق, in codice F. النيارق.

— l. 21. In codicibus E. F. loco vocis عليه legitur مني.

P. 87. l. 23. Pro vocibus واختصوا et واستعدوا in codicibus E. F. legitur واختص et واستعد.

— l. 27. Loco vocis القلوب in codicibus A. B. F. G. legitur القلب, quam lectionem vehementer probo, sunt enim tam in praecedentibus quam in sequentibus singularis formae.

— l. 31. In codice C. loco verborum ذاك لا legitur ذاكلا; in codice F. post ذاك vox لا omissa est.

P. 88. l. 5. Loco vocis دخل in codicibus E. F. legitur اتى. Verba وقيل لمن يدرك usque ad رايحة المعرفة in utroque codice omissa sunt.

— l. 8. Pro voce ورقبايك in codicibus E. F. legitur ورقبايك. Ibidem loco verborum ذو الهدى in codicibus C. E. F. G. legitur ذو هدى, quae mihi tum propter sequentem vocem سدا, tum sensus causa recta videtur esse lectio.

— l. 18. Loco vocis مراع in codicibus E. F. legitur مراعى. Utraque lectio bona est.

— l. 19. Loco verborum في سويداء in codice F. legitur من سويداء, quae lectio praeferenda videtur.

— l. 27. In codicibus E. F. transposita sunt huius versus hemistichia.

— l. 29. Post versum in codice E. addita leguntur.

وقال ايضا صن السر عن كل مستخبر وحاذر فما الحزم الا الحذر
اسيرك سرك ان صنته وانت اسير له ان ظهر

Tum sequuntur in codicibus E. F.

لا تودعن الى (ولا E) الجماد سريرة فمن الجوامد ما يبيح وينطق
فاذا الحكك اضاع سر اخ له وهو الجماد فمن به نستوثق

Sequuntur post haec in codice F. versus duo primi e codice E. allati.

Denique in codice E. haec leguntur وقيل ايضا.

اذا ما ضاق صدرك من حديث فافشته الرجال فمن تلوم
اذا عاتبت من افشى حديثي وسرى عنده فانا الملوم

وقيل وجد على باب نيروز بخط سليمن عليه السلام افتشاء الاسرار، يورث البوار، الاعراض عن النصيحة، يورث الفضيحة، وخير الموجود، بذل المجهود، وافضل المورد، الملك الودد،

P. 89. l. 2. Loco vocis متمناها in codicibus E. F. legitur مناها.

— l. 5. Pro خمر in codicibus A. E. F. legitur جمر.

P. 84. l. 3. Pro ذوى الاحتلام in codicibus A. E. F. G. reperitur ذوى الاحلام.

— l. 4. Pro verbis كل باب in codice C. legitur كل ماب.

— l. 12. Loco verborum من الجبل in codicibus A. C. F. G. legitur من الحيل, quae lectio praeferenda videtur.

— l. 13. Pro الاغناء in codice B. legitur الاستغناء.

— l. 19. Pro verbis وتنفل مشيته legitur in codice E. وترفع حرمته; at vero codex F, quae in aliis locis, paucis exceptis, cum codice E. consentit, textus impressi lectionem habet.

— l. 24. Pro voce تنقرض in codice B. تنفرط legitur; minus probanda lectio.

— l. 31. Loco vocis والشيطان in codicibus A. B. F. legitur والجان, quæ est lectio bona.

P. 85. l. 7. Pro voce اراذل, quae est lectio codicis A. B, caeteri codices habent ارذل, quod magis placet; est enim in sequentibus اذل الجماعات singularis forma. Locus autem vocis واردى in codicibus E. F. legitur وادنى.

— l. 10. Post vocem وحلمه in codice B. additur وفهمه.

— l. 12. Pro voce ومصلين legitur in codice E. ومضلين; in codice F. ومطليين.

— l. 15. Post vocem مسترجحة in codicibus omnibus plura addita leguntur. At quum essent in omnibus diversa et ita disposita, ut scribae potius quam libri auctori tribuenda viderentur, ea typis exscribere operae pretium non fuit.

P. 86. l. 3. Loco vocis غدير in codicibus C. E. F. legitur غزير.

— l. 6. Pro voce الخدم in codicibus A. B. F. G. legitur الخدام, pro voce الغزير, in codice A. G. legitur العزيز.

— l. 10. Legitur in codicibus aut الطيشار aut الطيثار. In Kamuso leoni nomen الطيثار vel الثيار tribuitur. Lectio igitur الطيثار praeferenda est. Ibidem loco vocis والصعب in codice F. والعصب legitur.

P. 87. l. 4. In codicibus A. B. G. versus tres omissi sunt.

— l. 5. Loco vocis كالنقا legitur in codice E. كالتقا, in codice D. كالتقا, in codice F. lectio incerta est. Praeferendum videtur كالتقا rhythmi causa pro كالتقاء scriptum.

— l. 12. Ante vocem رفع insertum legitur in codice E. شعر; at non sunt versus.

— l. 20. Loco vocis يعيب in codicibus E. F. legitur يعتب.

P. 80. l. 20. Pro voce العلماء legitur in codicibus A. D. E. F. العقلاء; **ibid.** in codicibus E. F. pro مستبديا بالدلالة legitur مستدلا للدلالة.

P. 81. l. 9. In codicibus A. B. G. legitur ما تضمنته من الاحكام والحكم.

— l. 10. Loco vocis ايده in codicibus E. F. ابره legitur.

— l. 14. In codicibus A. B. G. legitur العباد بعد هذا الكون من.

— l. 23. In hodice B. post vocem الطبيعية leguntur verba addita والقوة المتميزة تطلب غذاءها من الروح الحيوانية, quae mihi reiicienda videntur.

P. 82. l. 4. Pro voce ردية in codicibus E. F. legitur رضية.

— l. 6. Pro voce اتعس legitur in codicibus A. B. G. ?اخس.

— l. 12. Pro voce والتوانى in codicibus A. B. G. legitur والجبن.

— l. 14. Loco واستشاطها in codicibus E. F. G. legitur, واستشاطتها, quae est bona lectio.

— l. 18. Loco vocis والتودية in codicibus A. B. legitur والتودد.

— l. 20. In codicibus A. B. F. G. pro voce الترافع legitur الترفع. Praetuleram lectionem codicis C, cuius forma magis apta esse videretur voci والتواضع. At vero quum in caeteris codicibus lectio الترفع sit, inque lexicis formae الترافع non eadem quam quintae coniugationi tribuatur significatio, de lectionis الترفع praestantia vix dubitandum videtur. In codice B. haec est lectio فكم ترى فى ربعيا من شيطان فى صورة انسان ومن انسان فى هيئة شيطان.

— l. 29. Loco vocis المخلطين, quae exstat in codicibus A. B. G, legitur in codicibus C. F. المخلصين, quam lectionem vehementer probo.

P. 83. l. 9. In codicibus A. B. F. omissa sunt verba ولا يختم بعد الذبول عوده; sed tum sensui tum rhythmo aptissima sunt.

— l. 12. In codice B. pro voce والايات legitur الابيات.

— l. 21. Loco vocis والاعتكار in codicibus A. B. E. F. legitur والدمار, in codice F. الدوار.

— l. 22. Voces والضيق والدمار omissae sunt in codicibus A. B. F. G.

— l. 25. Pro voce منيع in codice B. legitur معنى.

— l. 27. Loco verborum الصراط المستقيم in codice B. صراط مستقيم legitur.

— l. 30. Loco vocis العقل in codicibus A. E. F. legitur انعقل, quae bona est lectio. In codice B. الصواب legitur.

P. 75. l. 8. Loco vocis تقرره legitur in codicibus A. C. تقريره; praetuli formam تقرره ob sequentem formam وتحرره. Vox عرفنا, quae omissa est in codice C. legitur in codicibus A. B. G. In codice F. legitur عرفناه.

— l. 14. Loco verborum اعمال صالحات in codicibus A. B. legitur الاعمال الصالحات.

— l. 18. Loco vocis وغرايب in codicibus E. F. legitur وعوايب.

— l. 19. Loco لهم الطاعات legitur in codicibus C. F. G. ليسر السى الطاعات, quae lectio mihi placet.

— l. 26. Pro verbis ولنسايهم الوذحة legendum est cum codicibus A. B. G. ولشبانهم الوذحة; mulierum enim antea mentionem fecerat; et iuvenes senibus melius opponuntur.

— l. 30. Loco vocis المناطحة in codicibus E. F. legitur المناكحة.

P. 76. l. 5. Loco vocis اطار in codicibus A. B. G. legitur اطال.

— l. 18. Loco vocis مقتدى in codicibus E. F. legitur متعدى.

— l. 20. In codicibus A. F. G. loco vocis صيغتى legitur صنعتى, in codice B. صفتى.

— l. 22. Loco vocis جدالى in codicibus A. B. legitur جلالى.

— l. 24. Pro voce ضماير in codicibus A. B. G. exstat جواهر.

P. 77. l. 7. Pro vocibus النشت البيضة in codicibus A. B. legitur الدست البيضة.

— l. 20 Loco vocis الاعجام legitur in codicibus B. G. بالاعاجم.

— l. 26. Verba وفى البيلسة حفدق واجنادى in codicibus A. B. G. omissa sunt.

— l. 27. Verba وقطان الجبال والرستاق ورحالة الصحارى والاوراق in codicibus A. B. G. desunt.

— l. 30. Aut cum codicibus A. B. G. بعضهم سرهم ونجواهم, aut cum codicibus E. F. بعض سرى نجواهم legendum est.

P. 78. l. 8. Ex codicibus A. B. F. G. post vocem الانوار addenda sunt verba واستولى عليه الرجيف، وسقط من الوجيف، فما ابدى ولا اعاد، ولا قام للصلاح ذلك الفساد.

— l. 13. In codicibus A. D. E. F. G. loco vocis المغاليت legitur المفاليت.

— l. 14. In codicibus A. E. F. legitur وان ابيت رديتها.

— l. 15. In codicibus C. E. F. واسال اوديتها ومودّاها legitur.

P. 79. l. 2. In codice A. legitur لعبقة الاعراق والاعراف, in codice F. لعقبة الاعراق والاعراف, in codice G. لعبقة الاعراف.

P. 80. l. 2. Pro فى محله in plurimis codicibus legitur الى محله, id quod praeferendum videtur.

P. 72. l. 10. Loco verborum في شكل الاثنين legitur in codicibus C. G. في شكل اثنين; in codice F. في الشكل اثنين.

— l. 11. Pro verbis تدوير الجن, quae est lectio codicum A. B., legitur in codicibus C. G. تدوير المحجن, quae est recta lectio. In codice F. legitur تدبير المحجن, minus bene.

— l. 15. In codice B. loco verborum ذلك الاسل legitur ذكر الاسل.

— l. 20. Pro voce اعنى in codicibus A. B. E. F. legitur منى, quae est haud spernenda lectio.

— l. 21. Loco verborum بالرمح الواحد in codicibus A. B. G. legitur بالرمح الثالث et hæc videtur vera lectio, quum illa, quænam esset tertia hasta antea rogavisset. In codicibus C. D. F. G. legitur ثالثة.

— l. 27—28. Verba ودعمه ما . . . . ودواعيه in codicibus A. B. G. desunt.

— l. 28. Pro vocibus ما غناه in codicibus A. B. legitur ما اغناه, in codicibus F. G. ما عناه

— l. 30. In codicibus A. B. G. loco trium versuum sunt duo, tum primus et secundus ita contracti in unum سالت مجربا انشهد احلى ام انيابك الذى للرمح حاذا.

P. 73. l. 2. Loco vocis باخفايه in codicibus E. F. باخفايها exstat.

— l. 5. In codicibus A. B. G. pro voce وانشرحت legitur وانسرحت, quae est unice vera lectio. In codice F. legitur وانسرجت, quæ est minus probanda.

— l. 10. In codicibus E. F. legitur وفى حسن مزاورتى.

— l. 12. In codicibus E. F. desunt verba وحلول فواته . . . . وبحقق حالها.

— l. 23. In codicibus A. B. G. pro verbo العظيم legitur العليم.

— l. 27. Loco vocis سديد in codice E. legitur سعيد.

— l. 28. In codicibus C. E. F. post والفكر الرصين addita sunt verba واذهب للب الرجل الحازم والعقل السديد الجازم; sed his similia praecesserunt.

P. 74. l. 9. In codicibus A. B. F. G. legitur ويستمر هذا العار علينا الى يوم القيمة et haec est non spernenda lectio.

— l. 11. Loco vocis وطار in codicibus B. D. est وطاط; loco شان هذا in codice C. فى شان هذا; in caeteris من شان هذا, id quod rectum videtur.

— l. 12. In codicibus A. B. legitur وارعبتم بلن اعتنتم.

P. 75. l. 1. 2. In codicibus A. B. G. legitur الا غلبتم من الانس وقهركم اضعف جنس

— l. 5. Loco verborum ومن خلفهم . . . شاكرين legitur in codicibus A. F. الى قوله.

P. 67. l. 23. In codicibus A. B. loco vocis ورقصت legitur ورقصته, quae lectio reiicienda est, quum contra homoioteleuti regulas sit.

P. 68. l. 3. In codicibus A. B. omissa sunt verba ضالما . . . غشوما.

— l. 8. Loco ما مر بكم in codicibus A. B. C. G. legitur ما مر منكم; non male. Ibidem loco vocis تستقر legitur in codicibus A. B. G. تسفر, quod praeferendum puto.

— l. 16. Loco قرص رغيف legitur in codicibus A. B. F. G. قرص او رغيف, quod magis placet.

P. 69. l. 3 Loco واختبطت in codicibus A. B. G. legitur واخبطت.

— l. 8. Loco vocis البريات legitur in codicibus A. B. G. الكاينات.

— l. 82. Loco vocis الصالح legitur in codicibus A. E. G. الصايح.

P. 70. l. 1. Pro ذلك الملال cum codicibus B. F. G. legendum est من ذلك الملال.

— l. 4. In codice A. legitur في صدر الديوان وحواليه ساير الوزراء والاركان. Cum hoc consentit codex B. et G. nisi quod pro voce الديوان habet الايوان.

— l. 5. Pro ضابط زمامه in codice A. est في زمانه, in codice B. في زمامه.

— l. 8. Pro voce النجاح in codicibus B. G. est الفلاح.

— l. 15. In codice A. ita legitur المقول ليعلم مولانا الغول وشيخ المردة المهول.

— l. 28. In codicibus A. B. F. G. legitur ومعايد المصايب ومراصد النوايب.

P. 71. l. 1. Loco يجوب in codicibus E. F. legitur يجول.

— l. 2. In codicibus A. C. F. G. legitur ويكتب; non male.

— l. 3. In codicibus E. F. verba ويسير . . . يقف عليه omissa sunt.

— l. 7. Pro verbo تنسب in codicibus A. C. legitur ينسب.

— l. 8. Loco verborum طرف بستانه in codicibus E. F. legitur طرف بستانه quod minus probandum videtur.

— l. 10. In codicibus A. B. G. legitur يا ذا الحلم.

— l. 13. Loco vocis اللبيب in codicibus A. B. F. legitur الكئيب, in codice G. الاديب.

— l. 16. In codicibus E. F. pro voce البدور legitur الامور, male.

— l. 17. Pro voce الاطهار in codibus A. B. G. legitur الابرار.

— l. 21. Pro voce الدلال in codicibus E. F. legitur الدلال.

— l. 29 - 30. Verba وعن هذا الكلام غنية desunt in codicibus A. B. et tam sensus quam rhytmi causa haud necessaria videntur.

P. 63. l. 32. Pro احسن in codicibus F. G. legitur اعون, pro voce مثل in codice F. est بين.

P. 64. l. 1. Loco vocis منثرة in codicibus F. G. legitur مبترة.

— l. 2. Pro بيقسارا, ut in codice B. legitur, codices A. F. G. habent بغيسارا id quod rectum videtur.

— l. 3. In codicibus A. F. G. loco vocis اضحن legitur اضحى.

— l. 4. Loco vocis معربة in codicibus F. G. legitur مغربة.

— l. 11. Pro فساحد codices F. G. habent فساحسد; in codice A. legitur قاعد.

— l. 13. Pro معد codices F. G. habent متد.

— l. 15. In codice F. legitur زمام الايام.

P. 65. l. 1. In codicibus A. B. legitur عن طرق اهل العلم, in codicibus F. G. legitur طرق العلم.

— l. 18. Lectionem في باطسن in codicibus A. B. inveni; caeteri vero codices من باطن habent, quae est lectio non spernenda.

— l. 20. In codice B. loco vocis منى legitur قصى; in codice A. autem وبنى على تلك العجايب والغرايب.

— l. 28. In codice A. legitur لما توافقوا الانصار وتوافقوا ان لا يتفارقوا ولا يتشتقوا.

— l. 30. Pro سلوك in codicibus A. B. legitur سكون.

P. 66. l. 5. In codice B. legitur اعلى الاغصان.

— l. 6. In codice B. pro تارز legitur تاوى.

— l. 11. In codice B. loco vocis دعها est دعاها.

— l. 13. Ibidem pro بصدود legitur بانصدود.

— l. 19. In codicibus A. B. vox سنة omissa est.

— l. 25. In codicibus A. B. legitur وهو حافظ.

P. 67. l. 1. In codicibus B. G. loco المواطى legitur المواطن.

— l. 5. In codice B. loco vocis تكرم legitur تعصل.

— l. 8. Ita corrigendus est locus وتستنصر باعوانه، وتستحرى على, in quo typographi error deprehenditur.

— l. 17. In codicibus E. F. versus duo sunt, ut omissus alterum praecedat. Talis est ابعين مفتقر اليك نظرتني فحقرتني وتذلتني من حالق.

— l. 22. In codicibus C. F. G. loco وهو ذيا legitur ناپا, quod magis placet.

P. 61. l. 8. Pro انفسنا codex A. habet انفاسنا.

— l. 13. Pro وحلت به in codice B. est وجلب به.

— l. 16. Codex A. habet هل بايعتنى ببسساق وتركت لى مراق. Cum hoc consentit codex B; nisi quod in eo pro بسمابى legitur بما فى.

— l. 18. Pro الهجوم in codicibus A. B. الهجم est.

— l. 20. Pro الفقيه الشريف cum maiore codicum parte الفقيه الظريف legendum est.

— l. 30. Pro الفضيلة codices A. B. الفضل habent.

P. 62. l. 3. Loco vocis لعنا codex A. habet شتما.

— l. 15. Loco vocis تصورها codex A. habet تصويها.

— l. 18. In codice F. legitur غزير الثرا. Ibidem loco القرى legitur الفقرا.

— l. 25. In codicibus F. G. post verba دعا له additur واجاب سواله.

— l. 26. Codices F. G. habent واياك ان تنكسر.

— l. 27. Pro لوقته legitur in codicibus F. G. لقته.

— l. 29. Pro احدعها, quae est lectio codicum B. F, in codicibus A. G. اجداعها est.

P. 63. l. 3. Pro بالشكل اثنين codices A. F. G. habent بشكل اثنين, quae non spernenda est lectio.

— l. 7. In codice F. G. ita legitur ايها الرئيس، الداق النفيس، شيخ المكر والتلبيس، والبيلسة والتدليس، quod praeferendum videtur.

— l. 9. Codices F. G. habent بدقيق النظر, quae forma magis consentanea videtur sequenti وعميق الفكر.

— l. 12. Pro simplici وملايكته, quae est lectio codicum A. B. in codicibus F. G. legitur وملائكته المقربين. Tum ita rhythmus disponendus videtur الكاتبين، وملائكته المقربين،.

— l. 13. Pro الرفيعة in codicibus F. G. legitur الرقيقة; non male.

— l. 24. In codicibus A. B. F. G. additur المسلوب الفلاح post فالتكسر الفلاح, quae verba incuria omissa sunt.

— l. 28. Pro منساتسر, quae est lectio codicis B, in codicibus F. G. مبساتسر legitur.

— l. 30. In codicibus F. G. legitur وتلميذه فى الطب حكماء; at lectio textus impressi in codicibus A. B. est.

P. 56. l. 12. Verba ولا تخرج الروح ولو كثرت الجروح non nisi in codicibus B. G. leguntur.

— l. 22. Codex A. B. habet في معاملات الاسباب.

P. 57. l. 2. Pro ودونك يا غول حسن هذا المقول legitur in codicibus A. G. فانه قد قيل.

— l. 4. Pro verbis ومن هذا المقال يا ابا اغوال codex A. habet وقد قيل, codex B. وقيل.

— l. 9. Codices A. B. G. habent في هذا الامر الخطير, caeteris omissis.

— l. 14. Codex B. habet ويسخر الاشباح ويروح الارواح.

— l. 21. Pro الجدى codex A. B. E. habent المجد.

— l. 31. Omnes codices praeter unum B. مهواة رمسه habent.

P. 58. l. 5. Pro من كيدنا codices A. G. habent من فكرنا.

— l. 10. Loco هذا المصاب in codice B. legitur هذا الباب.

— l. 14. Pro خدور codices C. F. G. habent خدود, quae est bona lectio.

— l. 19. In codice B. ita legitur فتحاسدوا وتحاشدوا وتحازبوا وتحاربوا وتقابلوا وتقاتلوا وتدابروا وتفاخروا وتكالبوا وتضاربوا وتواثبوا وتجاذبوا وتهاربوا وتراعبوا وتجانبوا وتناهبوا وتلاسبوا وتسالبوا وتفرقوا etc.

— l. 23. Codices A. B. haec habent verba وجذبتهم اغراض الاتجا.

P. 59. l. 7. Codex A. habet قال شيخ الجن اكشف لنا عن بلية ذلك الفن; codex B. pro اكشف habet اخبرنا.

— l. 15. In codicibus A. B. omissa sunt verba وجوب بالامانة يده وبالطهارة جيبه In codice F. et G. loco جوب legi videtur جرب.

— l. 16. Codices A. B. habent شاققا صارخا ثايرا صايحا وا ويلاه.

— l. 17. In codicibus C. F post حانك addita leguntur verba ولا النعش بالك.

— l. 24. Pro تحفظى codices C. F. habent تيقظى.

P. 60. l. 16. Codex A. F. loco vocis ووقع habet وعلق.

— l. 20. Loco vocis معان in codice B. legitur ضرر.

— l. 27. Codex A. et C. loco vocis انفصلوا habet انفصلوا.

P. 61. l. 1. In codice B. ita legitur جندى والثانى فقيه والثالث شريف والرابع.

— l. 4. Codex A. habet والاكرام بالهشاشة.

— l. 5. In codicibus A. B. legitur سارع pro voce سامع.

— l. 7. In codicibus A. B. exstat وانما انت سفيه.

P. 54. l. 1. Lectionem على ميدان الفضل ex codice B. adsumsi, qui pro راس habet راسى. Hunc scribendi modum lubenter praeferrem, etsi nil obstat, quin voci راس eadem significatio tribuatur. » Sensus verborum autem est. » Cui mons scientiae super campo excellentiae altus, firmus est. « Quae autem verbis inest figura, quum praeterea adhibuerit vocem طود montis, ea magis mihi arrisit, quam alterius lectionis, quam caeteri codices offerunt من طود علمه على بدن الفضل اشمخ راس. » Cui mons scientiae suae super corpore excellentiae est altissimum caput, « quippe mons scientiae aptior esse videatur campo excellentiae, quam corpori excellentiae.

— l. 2. Codices C. E. F. G. habent حكاية ما طرزه.

— l. 4. Codices A. B. habent علو علمه ونمو علمه ونهو حكمه وطمو حكمه.

— l. 7. Codices C. E. F. habent الرماد.

— l. 8. Pro البيلسة, quae est lectio codicum C. G. codex B. بلية; codex F. بليسة offert. Ita quoque codex A. habere videtur.

— l. 11. Codices A. B. habent مدة اشهر واعوام.

P. 55. l. 6. Pro تتنزيا, quae est lectio codicum A. B., codices C. F. G. habent تتزايا, id quod non videtur spernendum, quum تترايا praecesserit.

— l. 9. Pro الاقران codex A. habet الاولين et وافراد الزاهاد. In codice B. واثر الزهاد legitur.

— l. 19. Codex B. habet الى ابليس اللعين العنيد.

— l. 22. Codex B. C. ومن ورايه مدة انياب non bene, ut mihi videtur; dentium enim antea mentio fuit.

— l. 23. Pro منسا codices C. E. habent منهسا, ut referatur ad antecedens المدارس.

— l. 31. In codicibus B. G. legitur العفريت شكوى هذه الدعوى A. العفريت شكوى هذا الدعوى.

— — Codex B. habet تامل ما في مطاوى محاويها من معنى اشتعلت نيران غضبه; Codex A cum hoc consentit, nisi quod pro محاويها habet لحاويها.

P. 56. l. 1. Pro لعالمها codices A. G. habent لعاملها.

— l. 9. Pro جربوا legitur in codicibus C. E. F. G. جرموا, quae lectio probanda videtur. Codices A. B. lectionem جربوا offerunt.

P. 47. l. 19. In codice E. addita leguntur وقد ارشد، من انشد، حيث كل شعر

ما في زمانك من ترجو مودته ولا صديق اذا جار الزمان صفا

فعش فريدا ولا تركن الى احد انى نصحتك فيما قلته وكفى

— l. 30. Pro وسلم etc. legitur in codice F. ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.

P. 48. l. 23. Pro عداد codices E. F. habent اعداد.

P. 49. l. 8. Pro بطا codices E. F. habent ابطا.

— l. 15. Pro الملك offerunt codices E. F. المالك; non male.

P. 50. l. 6. Pro بذو codices E. F. habent يبرز.

— l. 25. Verba واقبل على ربك بجوارحك وقلبك in codice F. desunt.

P. 51. l. 5. Codices C. E. F. G. habent جميلا; huic vero voci اليه minus aptum videtur, pro quo male codex E. عليه offert.

— l. 23. Legas آجحيت.

P. 52. l. 2. Post vocem المومنين in codice F. haec addita leguntur واعلم يا مولانا الخاقان، كفاك الله شر مكايد الشيطان، وانجح مقاصدك من الزمان، ان الدرجة العلية، والمرتبة السنية، لا تنال بقوة ولا عزمة، ولا شجاعة ولا همة، وانما هي عناية ربانية، واسرار رحمانية، لاقوام سبقت لهم من الله الحسنى وزيادة، وانتظموا في سلك اهل السعادة، فهم اهل الفضل والسيادة، لسبل الله عليهم سوابغ الانوار، وقطعهم عن القواطع الاشرار، فهم السادة الاخيار، والقادة الابرار، قاموا باداء ما وجب عليهم، وتركوا ما خلفهم واستبشروا بما لديهم، فانوارهم ساطعة، واسرارهم لجميع الاوهام قامعة مانعة، تركوا زخارف هذه الدار، وارادوا دار القرار، وجوار الملك الغفار، فهم الهداة الى الله، الدالون على الله لا يعتريهم كدر الاوهام، ولا يشتغلون عن خدمة خالقهم مد الايام، هم العباد المكرمون، والعباد المقربون، الذين مدحهم الله تبارك وتعالى في كتابه المكنون، فقال وهو اصدق القايلين، الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون. In margine vero verbis additis من قوله واعلم الى واعلم ليس من اصل الكتاب وانما زاده الكتاب spuria haec esse indicatur.

— l. 2. Pro فعاص codices E. F. habent فغص; codex B. habet فعاصى.

— l. 3. Pro الخسران, quae est lectio codicum A. B.; codices C. E. F. G. habent الحسرة; non male.

— l. 9. Post versum تسلت additur versus in codice F.

وقيل قنع النفس بالقليل والا تلبت منك فوق ما يُرضيها

— l. 21. Pro متبعا codex E. habet مستعجلا.

P. 53. l. 3. Pro نغفور codices E. F. habent نتغفور.

P. 41. l. 23. Pro وخَبيت جيت codex F. habet وخَبيت وخَبيت, in codice E. eadem lectio esse videtur. Non male.

P. 42. l. 1. Pro التغاضيهم non ita sensui congruam lectionem habet codex F. التباغض.

— l. 18. Observandum videtur, codices B. F. G. habere يجمل جميلتك, codicem A. يجمل جميلتك; codicem C. يجمل جميلتك. Et p. 40. l. 21. legitur تجملت منه جميلته. Et ibi codices A. G. فتحملت منه جميلته, codex B. C. F. فتحملت منه جميلته habent. Multum autem haesi, quaenam lectio praeferenda esset, quum de sensu vocis dubitare liceat.

— l. 19. Pro سرا codices E. F. habent خيرا, pro ضرا autem ضيرا.

— l. 25. In codice C. legitur وسرح في اللهو. Codex E. F. وسرح في ميدان اللهو, codex A. habet وسرح في متن ميدان اللهو et ita codex G. habere videtur. In codice B. legitur ومرح; quod propter vocem متن in textum recepi.

P. 43. l. 1. Pro من لا يتولاك codices C. F. habent من يتولاك.

— l. 7. In codicibus F. G. pro او تصديق legitur وتصديق.

— l. 27. Pro حذا codex F. habet حذى. Hoc non reprobandum.

P. 44. l. 7. Pro قويت بهم habent codices E. F. G. قويت اليهم; codex A. B. قويت فيهم. Unum et alterum ferri potest; sed praeferendum videtur قويت اليهم.

— l. 8. Pro مكنونهم legitur in codicibus E. F. G. مكتومهم.

— l. 9. Voces واى عنتاه omissae sunt in codicibus E. F.; male quidem.

P. 45. l. 14. Pro صغوا, quae est lectio codicum A. B. G., in codicibus C. E. F. legitur محوا, quod spernendum non est.

— l. 21. Pro من المسلم والكافر والعرب legitur in codicibus C. E. F. من امم العرب.

— l. 23. Pro العزيز علىّ codices C. E. F. habent العزيز الغالى على.

P. 46. l. 5. Quam praetulimus, est lectio codicum A. B. C. F; arridet autem iam nobis lectio codicum E. F. وتناولنا في الشقاق ، شق الاعراق ، وثارت القلوب بالاعراض ، من الامراض ،.

— l. 6. In codicibus C. E. F. legitur بين المواصلة للملائكة.

— l. 7. In codicibus E. F. desunt verba ثم اجتهدت عليه فلحقته وتركته.

— l. 19. Pro تلافيها codices E. F. habent تلاقيها.

— l. 20. Pro ورد codices E. F. ورده habent, quae bona est lectio.

— l. 24. Pro نباته codices E. F. habent بيانه.

P. 38. l. 14. In codicibus E. F. verba وخلصت من العلة المشتطة omissa sunt.

— l. 19. Pro هذه الانكل codices E. F. offerunt هذا التنكل. Ibidem loco الاحتيال exstat تحيّل.

P. 39. — 4. Codices E. F. habent ان للجوار.

— — 15. Quamvis in codicibus C. E. F. legitur فلا شك انه قلاك وبنار الهجر والجفاء سلاك, praeferendam putavi lectionem codicis A. B., ita tamen ut voci قلاك priore loco significationem odit te, posteriore coxit te tribuerim.

— — 27. Voces وتماغ دبرك زبيرا, quae obscuriores sunt, leguntur in codicibus A. B. E.; codex C. G. habet ديرك; codicis F. lectio dubia est.

P. 40. — 1. Pro تحمود codices E. F. habent الراى تحمود; caeteri الراى. Utrumque vero non est spernendum.

— — 12. Post vocem العمل codex F. addit verba ومن يسمع يخل.

— — 15. Cum codicibus A. B. E. F. G. legendum والمودة القديمة, ne eadem vox repetatur.

P. 41. — 8. Pro واكل شاكل, quae est lectio codicum A. B., codices C. F. G. habent والماكل مشاكل.

— l. 9. Pro voce يعتصى, quae est lectio codicis unius B.; caeteri codices يستغى habent. Lectionem codicis B. autem praetuli, quod ea magis sono conveniret cum praecedente يقتنى.

— l. 15. Pro ومرآة التجايب in codicibus E. F. G. est ومرآة التجايب والغرايب. Praetuli autem lectionem codicum A. B. ob praecedentes voces ومكسبة التجارب, nam ut voci مكسبة una tantum vox التجارب addita est, ita et voci ومرآة una tantum vox addenda videtur.

— l. 20. Post versum in codice F. addita sunt verba, quae sequuntur

وقد قيل شعر ان اخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك شتت شمله ليجمعك

وايضا قد قيل شعر

اميل مع الصديق على ابن عمى واقضى للصديق على الشقيق
وان الفيتنى ملكا مطاعا فانك واجدى عبد الصديق

واعلم ان الاخ الصلبى

— l. 22. Post vocem يسرك in codicibus C. F. sunt verba فالصاحب الشفيق خير من الاخ الشقيق

P. 32. l. 26. Post vocem يقلعك in codice F. haec addita leguntur verba ولقد قال أمير النحل، ذاك الاسد الفحل، ما تمت نعمة الله على عبد الا وجدت له من الناس حاسدا، وفي الحديث ان لنعم الله اعداء ويا لهم من اعدا، قيل من هم يا رسول الله، قال الذين يحسدون الناس على ما اتاهم الله والحديث ايضا يقول الله تعالى، وعز كبريا وجلالا، الحسود عدو نعمتي، غير راض بقسمتي، وقال الاسد الغالب، على ابن ابي طالب، الحاسد مغتاض على من لا ذنب له، يريد سلب النعم عن عبد اوفر الله عليه من الخير اكمله، وفي بعض الحكايات المتضمنة لتلك النكايات، قال شخص من الملاعين، لابليس اللعين، انّ فلانا ابن فلان، من اهل مدينة خراسان، لله عليه نعمة ورحمة، وله منهما منافع جمة، وقد جنح الى الحسد، الذى لم يخل منه جسد، وقال اريد ان اتوصل الى ازالتها واستعين، على ذلك بما يقتضيه رايك المعين، ففر ابليس هاربا، وولى ذاهبا، وصعد الى اعلى الجبال، ونادى باعلى صوته يا للرجال، وقال من سره ان ينظر الى من هو اشر من ابليس، فلينظر الى هذا التعيس فلذلك من اكرم . . . Observandum est, plura legi in codicibus E. F. a seriore manu addita.

P. 33. — 1. Pro يتجنبون codices C. F. G. habent يجتنبون.

— — 9. Post vocem ضيعه codex F. addit hemistichium فكف عنه يا مليك وامنعه.

— — 16. Verba ولسع ابرة ذلك الابار المخرم in codice F. desunt.

— — 26. Post versum قد قيل additur in codice F. وقال ايضا

القول كاللبن المحلوب ليس له
رد وكيف يرد الحالب اللبن

P. 34. — 4. Pro واتمامها in codicibus E. F. legitur واحكامها.

— — 13. Post vocem راعية legitur in codice F. زايدة تامية.

— — 30. Codex F. caret verbis ويحكم في الكبير والصغير.

P. 35. — 30. Legendum cum codicibus ملك بابل.

— — 31. Codices C. F. legunt طابعها; quod sono magis convenit cum praecedente طالعها. Tum vocabulo طابع significatio naturae tribuenda videtur.

P. 36. — 8. Codices E. F. Post vocem مولانا addunt verba الملك الجليل الذى بخراسان.

— — 11. In codicibus B. C. omissa sunt verba على سبيل المكافاة لا على طريق المودة والمصافاة فاذا كافى الاحسان.

— — 13. Codices E. F. G. habent الحسافر, quod sono simillimum est praecedenti المنافر.

— — 19. Codices omnes exhibent بالثار aut بالثار, exceptis codicibus F. G. qui يا للثار habent; at haec vera lectio est.

P. 26. l. 6. Codices A. F. G. pro رمينا, habent رمتنا.

P. 28. l. 14. Pro تجيز codices E. F. habent تختز, quod non est spernendum.

— l. 15. Pro والغدو والاصل habet codex unus والعشى والابكار non male propter homoioleuton; caeteri vero omnes codices textus verba offerunt.

— l. 19. Pro الاولاد legendum est cum codicibus B. C. F. G. الاوداء, quod homoioteleuto magis convenit.

— l. 26. Pro طوايف in codicibus E. F. legitur طرايف.

— l. 27. Pro. الاقمات codices E. F. offerunt lectionem المقامات.

P. 29. l. 18. Pro مع القوم codices E. F. habent عن القوم.

— l. 20. Pro ظلامته codex C. G. habet ظلامه, codex A. ظلاماته codex B. ظلماه, codex F. ظلماته. Non spernenda est pluralis lectio, quum plurales praecedant.

— l. 30. Pro منادى قوله تعالى codex F. habet منادى الفصل والمنة, quae lectio homoioteleuto praecedentis vocis الجنة favet. At vero codex E. loco verborum تتنزل عليهم الملايكة haec habet verba فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون. Tum post verba ربهم برحمة addit منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم. Codex F., qui haec verba habet, addit praeterea ex Corano عظيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر.

P. 30. l. 3. Pro اعلام, quae est lectio codicum A. B. H.; codex C. F. offert الاعلام.

— l. 15. Pro بالبغض codices C. F. H. بالنقض habent.

— l. 23. Codices E. H. habent كيف كان quod placet.

P. 31. l. 17. Codex E. habet فى خبايل codex C. وحبايك شدايده. Offendit nos vox eadem repetita eodem sensu. Quod si lectionem خبايل praeferendam censes, vox a singulari خيال derivanda videtur.

— l. 25. Pro وشدتى legendum cum codicibus. A. B. F. H. فى شدتى.

— — Pro وجبت codex F. habet وخبيت.

— l. 28. Pro الكدر codex F. offert المكر.

— l. 31. Legendum بايصالك نفعهم cum codicibus A. H. et signa homoioteleuti post vocem سمعهم et نفعهم ponenda sunt. In codicibus B. C. legitur بايصالك. Codex E. habet بايصال نفعك.

P. 32. l. 4. Pro بعد المودة legendum نقد المودة cum codicibus A. E. F. H. Codices B. C. habent lectionem بعد المودة.

P. 20. l. 31. Pro التيي codex E. et F. habet الهتني.

P. 21. l. 8. Codex A. B. E. F. G. habent تكن معـى, quod praeferendum puto, quamvis et يكن, ut referatur ad vocem حـرز, ferri posse videtur. Ibidem quoque in codicibus E, F. legitur معى في مسيرى ومضجعى.

— l. 19. Codices A. D. E. F. habent ذكرا; sed propter praecedentem اخـرى ex codicibus B. C. G. lectionem ذكرى praetuli.

— l. 20. Pro التفصى codices A. B. C. F. G. habent التقضى, ut vix dubitem, quin voci effugiendi significatio tribuatur. Codex C. habet التقصى. Et haec lectio aliis in locis observatur.

— l. 24. Verba a voce قال incipientia usque ad قطعة l. 27 ob simile ut videtur initium, excidere ex codicibus E. F.

P. 22. l. 1. Codices A. B. E. F. G. habent الراحة, at vero codicem C. secutus, praecedentem ob vocem ساحة sine articulo, راحة recepi.

— l. 5. Observandum videtur, in codicibus non nisi unum exstare aut سكر كرته aut شكر جرته. At vero quum et unum et alterum, ut homoioteleuton perfectum esset, necessarium videretur, utramque lectionem in textum recepi. Num recte fecerim, dubitare licet.

— l. 23. Codices E. F. pro ولا تنظر الى habent ولا تتقيد بالمخالف.

— l. 26. Pro ذو طبع legitur in codicibus E. F. ذو صنع; codex G. صبع habet.

— — Pro ولا توان عما codex F. habet فلا تتهاون فيما et ita E. habuisse videtur.

P. 23. l. 19. Omnes codices, excepto uno A., habent ارخاء pro ارجاء et hanc lectionem praeferendam puto tum ob codicum multitudinem tum quod sensus aptior et elegantior videtur.

P. 24 l. 4. Ex codice C. adsumseram lectionem ولا تهنوا لنايبة; sed inspectis codicibus Lugdunensibus et re diligentius expensa aut ولا تهنـوا النـايبـة, quae est lectio codicum A. B. G. aut تهينـوا, quae in codicibus E. F. est, legendum puto.

P. 25. l. 6. In codice A. omissa sunt verba ان الذليل الذى ليست له عدد. Codex E. pro عدد habet عـدد.

— l. 9. Pro فى شدة الضعـف legendum videtur فى الشـدة والضعف, quae est lectio codicum A. F. G.

P. 26. l. 2. Cum codicibus B. F. legendum puto يناجون. Codex G. habet ينادون

P. 17. l. 19. Pro مستنتجع legitur in codicibus E. F. et G. منتجع Hoc non spernendum.

— — Pro ضعاف habent codd. A. F. G. عجاف, quae vost elegantior est et rarius a scriptoribus adhibita.

P. 18. l. 1. Pro الصوت codices B. C. F. G. habent صوت, quam vero lectionem eam ob causam sprevi, quod propter homoioteleuton non bene posse coniungi videretur vox cum sequentibus.

— l. 5. Codices A. B. F. G. pro الحياة legunt اللجاة, quae lectio eadem proba et ipsi الحياة praeferenda videtur.

P. 19. l. 3. Codex F. habet مشد الطنب, codex G. وشد الطنب. Lectio codicis B. vitiosa est.

— l. 23. Codices A. B. E. F. G. habent طاحون sine articulo. Ego vero praetuli vocem cum articulo ex codice C, quum in praecedente homoioteleuto vox الزبون articulum haberet, et sensus loci non impediret, quominus الطاحون legeretur.

— l. 23. Pro ارسلوه حبلا in codicibus E. F. legitur ارثقوه حبلا.

— l. 28. Codices A. B. E. F. G. addunt post vocem بحبله verba وهذا يُسوّد بثقله. Quae verba quamvis sensui non sunt necessaria, ex plurium codicum auctoritate addenda videntur.

P. 20. l. 2. Codex A. B. post وجنابهم addit وابلايهم, codex F. وتحمل بلايهم, codex G. وبلايهم.

— l. 5. Codex F. habet. من الاوصاب واللغوب.

— — Pro الجر codices B. D. E. F. habent الجور; male quidem.

— l. 8. Pro لاستعنت codex F. habet لاستغنيت. Quae lectio non omnino spernenda videtur, quippe cuius sonus similior sit voci sequenti لاستشفيت.

— l. 10. Codices E. F. pro دارها habent ذراها, de quo idem iudicium ferre licet, quum eius sonus praecedenti رباها similior sit.

— l. 12. Codices F. G. الجوارح النواسر sine copula و habent. Et hoc probandum videtur, praecedentibus verbis copula carentibus.

— l. 14. Codices A. B. E. F. G. habent نعيم منعم sine articulo, quod magis placet, quia verba sequentia عيش رغيد articulo destituta sunt.

— l. 21. Pro الاكمه legitur in codice F. الاعمه.

— l. 27. Pro وترع codices E. F. habent وانعش.

P. 11. l. 4. Codices E. F. habent طالع وتحس, quod præferendum puto.

— l. 9. In codic. A. C. F. pro المسوج legitur البنوج, quae lectio non omnino spernenda videtur.

P. 12. l. 10. Pro تكاثف codices A. B. G. تكاتف habent; in codice F. تكاشف

— l. 16. Pro واديت in codice F. وابديت legitur.

— l. 19. Pro لباس codices E. F. habent ملابس.

— l. 20. Pro البقاع legitur in codicibus E. F. اليفاع, hoc non male.

— l. 31. A. C. E. هو احد قوانين الشرع habent.

P. 13. l. 1. A. C. E. post vocem والفراسة addunt verba والفصل والنفاسة.

— l. 15. Ex codd. B. F. G. كثرة اراقتك praeferendum videtur, quum sequatur قلة اراقة الدماء.

— l. 25. Codices E. F. legunt استامها pro سامها. Utrumque ferri potest.

— l. 27. In codicibus A. F. legitur عمر ممن, hoc non male.

P. 14. l. 16. Pro اشراف codices B. F. G. habent واشراق »Ortus«, quae lectio non spernenda est, etenim mentis lux cum solis radiis comparatur.

— l. 23. Codic. B. E. F. habent من تحتها, quae quidem lectio, quamvis ea sit consentanea cum Corani loco, ex quo desumta sunt verba, reiicienda tamen videtur, quum libri auctor Corani verba, ut sensui aptiora essent, mutasse videatur.

— l. 29, Cum codicibus B. F. G. legendum est احسن مرعى, quod magis aptum voci ضرعا, quae praecedit.

— l. 32. Codex F. habet وسيتعدى, non male.

P. 16. l. 6. In codice C. legitur post versum ارى incipientem versus alter.

اقول وقد طميت ووجه حبى   لـه عرق على ورد الخدود

Caeteri codices carent hoc versu, praeter codicem D., cui ad marginem adscriptus fuit. Cohaerent quidem in poemate versus, sensus autem loco minime aptus est.

— l. 7. Pro هذا القرية codices B. F. G. habent هـذه القرية, quam lectionem praeferendam esse puto.

— l. 9. Pro نصت codices A. B. E. F. G. habent بصصت. Sensus idem est; at vero haec lectio quum in pluribus codicibus legatur, praeferenda est.

— l. 18. Pro مستتهم legendum est مسيتهم tam ex codicum auctoritate, quam propter sequens لمجيئهم

Pag. 5. l. 23. Lectionem التقصى adsumsi ex codice B., caeteri aut التقسى aut التقصى offerunt. Lectio التقصى non est spernenda.

— — 24 Pro. لتظفر codices A. F. G. habent لتظفر.

P. 6. — 6. Lectionem كُتُف e codicibus A. B. elegi, quae mihi vox opposita videretur alteri لُطُف. Caeteri codices, excepto E, cuius lectio dubia videtur, كتف habent.

— — 20. In lectione واما قصده من وضع الكتاب secutus sum codices B. C., codices E. F. G. offerunt lectionem واما قصده وضع كتاب. Codex A. consentit cum his, nisi quod واما ما قصده habet.

— — 8. Praetuli وتقديم ex codd- A. E. F; quod stylo huius operis magis convenit, quam lectio codicum. B. C. والتقديم et codicis G. عهد تقديم, quae faciliores sunt lectiones.

— l. 25. Pro يتقلب codex A. habet ينقلب, cod. C. يتقلد.

P. 7. l. 6. Codd. A. F. habent ومجمع الاكابر, hoc non male.

— l. 11. Pro يتكرر habet A. F. يتكثر, cod. E. يكثر, cod. G. يكثر لك.

— l. 11. Pro حسن ارايك in codic. A. D. F. legitur ادايك, non male. Conferas lin 17.

— l. 12. Pro بيان معانيك codices A. F. بنان معانيك. Eodem modo codex C. habuisse videtur. Quam lectionem non spernendam esse puto, quum praecesserit يد تصريفك, ut de digitis sensuum cogitare liceat.

— l. 24. Ante ادعوكم codd. E. F. G. ex Corano addunt يا قوم ما لى.

— l. 27. Codices A. F. offerunt lectionem بالانتكار; non male quidem, quum بالاعتبار sequatur.

P. 8. l. 3. Codices A. E. F. G. pro يتبع habent يمشى.

— l. 24. Praeferenda videtur lectio بمرسوم ex codicibus A. B. E. F.

— l. 24. Codices F. G. habent تبرز.

— l. 26. Pro القمم codices E. F. habent الغمر.

P. 9. l. 5. Pro وخزه legitur in codicibus E. F. ووخزه.

P. 10. l. 28. Lectionem تلذعه شر لذعة unius codicis B. praetuli, quod sono magis cum voce لسعة convenire videbatur, quam caeterorum codicum lectio تلدغه شر لدغة, quae bonum sensum praebet.

P. 11. l. 1. Pro لرفع codices F. G. habent لدفع

— l. 2. Pro وغدوا codices A. B. G. وغدّوا habent. Non male.

Pag. 2. l. 24. Pro بـومـة cod. F. habet بوحة; quae vox significatione non diversa rariore usu ab altera distinguitur.

— l. 26. Pro ارتـاحـت codices B. C. D. offerunt lectionem وارتاحت, cod. G. فارتاحت. Non spernenda est lectio codicis فارتاحت, minus probandum videtur وارتاحت.

— l. 29. Legendum est والذى, رفع الله له الدرجات, quae est lectio codicis A B. aut والذى, رفعه الله الدرجات, quae est caeterorum.

— — Pro وانتصب habet codex F. فانتصب, cod. F. فانتصبت

— l. 31. Codex F. فى هذا الكلم tanquam singularis pro الكلام; sed minus bene, quum الحكم pluralis praecedat.

P. 3. l. 1. Codex F. من اهل القول male.

— l. 2. Codices E. F. يشرف et يكرم.

— — — — — — يزادون.

— l. 6 Pro كلامه cod. F. legit كتابه.

— 9. Pro يدعون legendum تدعون, quae est Corani lectio cum codice B. E. F.

— l. 21. In codice F. ex Corani loco addita legitur post vocem ينـقـض, vox فاقامه.

— l. 26. Codex F. التقط.

— — In codicibus C. D. للضب pro الى الضب legitur.

— — Post vocem الاسد additum est in codice A. وغزالا فى حلة حمراء

— l. 28. Pro فى بيته habet codex C. فى بيتى

— l. 30. Codex C. habet تحككت بالعقرب الافعى; codex G. تحككت العقرب بالحية.

P. 4. l. 9. Pro فجاء legendum est cum codicibus فجمعت.

— l. 11. Pro فجـاء in codicibus A. E. F. G. ووضعت, quod idem praeferendum videtur lectioni codicum B. C. D.

— l. 19. Pro المميز habent codd. A. E. F. G. التمييز, quae lectio alteri praeferenda videtur.

— l. 23. Pro الاقـرق codices A. B. G. habent الافرق in omnibus locis. Vox derivanda est a voce اقرق aut افرق, quo nomine appellatur sexti libri initio canis dominus. Quae autem esset recta auctoris lectio, definire non ausus sim.

P. 5. l. 3. Codex F. فى غير من pro فيما غير من.

Adnotationes criticae et correctiones.

Pag. 1. l. 1. In codicibus A. F. وتطقت, legitur.

— l. 4. Pro ذمر in codice F. نايمر legitur, quod non est probandum.

— — Pro بلغه الله in codice F. بان الاله.

— l. 8. Ex plurium codicum lectionibus composui textum. Codex A. hanc lectionem offert فبعض معرب بلسان قاله وبعض مغرب ببيان حاله Cod. B. C. معرب بلسان حاله Cod. D. مغرب بلسان قاله et معرب ببيان حاله Codices E. F. G. معرب بلسان قاله et معرب بلسان حاله. Ne vero una eademque vox repeteretur, ex codice D. recepi مغرب, ex codicibus E. F. G. معرب ببيان. Aptius enim dicitur de voce بيان, quæ est arti rhetoricæ propria, معرب, quam مغرب, quamvis et alterum tam معرب بلسان حاله quam مغرب ببيان حاله dici posse, non negamus.

— l. 9. Pro بأطيطها habent codd. B. E. G. برطيطها. Cod. A. utramque lectionem offert; et revera, quaenam sit lectio praeferenda, dubitare licet.

— l. 13. Codd. E. F. pro صلواته l. صلاته.

— l. 19. Cod. F. pro بالقصاص male بالخلاص habet.

— — Cod. F. تسليما كثيرا male.

P. 2. l. 1. Silentio praetermitti non posse videtur, codices E. F. in locis e Corano adductis longioribus, plura saepius e medio omittere; dum voces الى قوله huius rei indicandae ergo inseruntur.

— l. 17. Pro حايرة in codicibus F. G. جايرة.

— l. 20. Pro صنع in codicibus E. F. صبغ. Hoc reiiciendum est.

— l. 21. Pro ذوو, quae est lectio codicum A. F., codices C. D. E. habent ذو; codices B. G. ذوى. Non est probanda lectio ذو, quum in caeteris vocabulis pluralis forma sit; at vero lectio ذوى non omnino est spernenda. Post particulam سيما tum nominativus, tum genitivus locum habet.

Pag. ٧٢ l. 11. dele signum post الحس l. 13. leg. عزة et وخزة.
» ٧٣ l. 25. leg. الحركة،.
» ٧٦ l. 6. leg. وفسا l. 7. leg. والفتن l. 8. leg. والقضاء l. 26. leg. نوح، l. 27. leg. المجوس، l. 28. leg. في نار.
» ٨٠ l. 21. leg. كذلك هو.
» ٨١ l. 1. leg. المكرم،.
» ٨٢ l. 9. Pro هذان leg. نذان.
» ٨٣ l. 17. leg. تدروا et الى هذا.
» ٨٧ l. 22. leg. معتبة et منقبة.
» ٨٨ l. 1. leg. احديها l. 29. leg. عن سر l. 31. leg. الطامر et رجلا.
» ٩٢ l. 20. leg. سلف،.
» ٩٣ l. 18. leg. حل به العذاب.
» ٩٥ l. 19. leg. الخواص.
» ٩٦ l. 24. leg. يعلم.
» ٩٨ l. 6. leg. لا omisso و.
» ١٠٠ l. 2. leg. الشخص.
» ١٠١ l. 4. leg. مكاشر l. 5. leg. بمعرفة l. 14. leg. قلت.
» ١٠٤ l. 13. leg. الموج.
» ١٠٦ l. 7. leg. وهي متشوقة.
» ١٠٧ l. 9. leg. الصفات l. 16. الصدا.
» ١٠٩ l. 29. leg. حصر،.
» ١١٠ l. 4. Deleas homoioteleuti signum post الحمى.
» ١١١ l. 4. 5. Coniungendae sunt voces مامنه l. 22. leg. دينه l. 23. dele signum post ازدوج
» ١١٥ l. 1. leg. مُحَمَّرة l. 28. leg. غريب،
» ١١٧ l. 9. Homoioteleuti signum dele post بتوارث.
» ١٢١ l. 19. leg. او باعه.
» ١٢٣ l. 32. leg. جماعات.
» ١٢٤ l. 30 leg. اساءتى.
» ١٢٥ l. 8. leg. يرد اليه l. 29. leg. ضريق
» ١٢٦ l. 28. leg. وبالشر بادى.
» ١٢٧ l. 9. leg. بعض ايلام.
» ١٢٨ l. 18. leg. من له غرض.
» ١٣٢ l. 3. leg. المشرق، l. 4. leg. بغداد l. 28. leg. اتباع.
» ١٣٤ l. 31. leg. قدموا موايد,
» ١٣٥ l. 4. leg. الجماعة.

Pag. ١٣٨ l. 8. leg. وهل يقبل.
» ١٤٢ l. 28. leg. من العزاب.
» ١٤٥ l. 31. leg. والانصاف.
» ١٤٧ l. 8. leg. ومن هم l. 19. leg. فلأنْ
» ١٥٩ l. 15. leg. اقتر.
» ١٦٠ l. 8. leg. ثلاث،.
» ١٦٦ l. 27. leg. راجل.
» ١٦٨ l. 14 leg. وكفالة امانه. Deleas signum post والارنب l. 15. Dele signum post والحرب.
» ١٦٩ l. 11. leg. الصباح l. 29. Delendum videtur homoioteleuti signum post قلت et ponendum post صلت.
» ١٧٠ l. 10. leg. واحتوشته.
» ١٧١ l. 23. leg. فبادرت.
» ١٧٧ l. 18. leg. الجل،
» ١٨٣ l. 6. leg. ما يقال،.
» ١٨٦ l. 31. leg. الظريفة l. 32. Dele signum post اخفى.
» ١٨٧ l. 23. leg لرويته l. 24. leg. الحلة.
» ١٨٨ l. 16. leg. مد يد.
» ١٩٠ l. 5. leg. مع الانتقال et واستقسامة الاحوال.
» ١٩١ l. 12. leg. بانى.
» ١٩٢ l. 24. leg. لقطعة.
» ١٩٤ l. 21. leg. وينتمى l. 29. وسكنت.
» ١٩٥ l. 6. leg. المشيب l. 18. leg. عمارة l. 24. leg. الامانى.
» ١٩٨ l. 17. leg. وذكر.
» ٢٠٢ l. 26. leg. وكم نقمة.
» ٢٠٤ l. 2. leg. منا قرة.
» ٢٠٥ l. 11. leg. بحصنه
» ٢٠٧ l. 30. leg. او آواه.
» ٢٠٨ l. 12. Deleas رايته.
» ٢٠٩ l. 15. leg. بعد مقاسات.
» ٢١٣ l. 5. leg. تتوجيت l. 16. legas والاطمئنان.
» ٢١٤ l. 21. leg. عنده.
» ٢١٥ l. 2. leg. ابصرتنى.
» ٢١٦ l. 1. leg. الموعبد.
» ٢٣١ l. 13. leg. ذلك.
» ٢٣٨ l. 2. leg. جنكزخان.
» ٢٤٢ l. 1. leg. في الارض بالاثم.
» ٢٥٠ l. 19. leg. ابن تولى.

CORRIGENDA.

Pag. ٣ l. 29. Deleas لا.
» ٤ l. 12. legas في الخطاب والجواب،.
» ٥ l. 25. leg. عذه.
» ٧ l. 22. leg. محص l. 25. Homoioteleuti signum post بالله dele.
» ٨ l. 23. leg. يقتروا l. 31. legas الى الندم.
» ٩ l. 16. leg. وليحتط.
» ١١ l. 10. leg. المستلذات.
» ١٢ l. 12. leg. اذا قام.
» ١٤ l. 6. leg. واعرضوا.
» ١٥ l. 29. leg. رايك.
» ١٦ l. 18. leg. مستبم et متشرقا l. 21. leg. بجريمة احد ابدا
» ٢٠ l. 6. Deleas homoioteleuti signum post لى.
» ٢١ l. 1. leg. وقلبي. l. 13. legas شوقتني.
» ٢٢ l. 8. leg. وحاويها l. 16. legas كل عاقل،.
» ٢٣ l. 14. leg. وعزم l. 18. leg. بمقتضى
» ٢٤ l. 15 leg. الجمعة والجماعة et وانعزل، في نيل جبل،
» ٢٦ l. 2. leg. ويناجون.
» ٢٨ l. 6. leg. والزعامة.
» ٣٠ l. 3. leg. لحتالين.
» ٣٢ l. 13. leg. دبارى l. 19. leg. واخلص
» ٣٤ l. 11. leg. شخص l. 12. leg. تقبل l. 20. leg. السلطانية l. 22. عليه l. 29. leg. ارآء l. 31. ما العجز.
» ٣٥ l. 13. leg. يحسس l. 23. legas الرئيس، l. 26. leg. ويحرق اعلم يا نفيس،
» ٣٦ l. 22. leg. استزوى، l. 24. leg. جبلية
» ٣٧ l. 2. leg. عليهم.
» ٣٨ l. 12. leg. واعتدى.
» ٣٩ l. 11. leg. وآرت.

Pag. ٤٠ l. 9. signum homoioteleuti post vocem الغم deleas.
» ٤٢ l. 6. Pro ابتى legas ابت، l. 20. leg. متبعين، deleto signo post اليمين.
» ٤٣ l. 21. leg. أضيعه et ويرغم.
» ٤٥ l. 21. leg. يصف l. 24. الكلام.
» ٤٦ l. 16. leg. تخفى.
» ٤٨ l. 4. leg. بشفاه.
» ٥٠ l. 24. Dele homoioteleuti signum post راجلا.
» ٥٣ l. 4. leg. يغرنكم.
» ٥٥ l. 22. leg. الذئب et حالهم.
» ٥٦ l. 9. leg. العقلاء، et الحكماء، l. 14. dele homoioteleuti signum post مكر.
» ٥٩ l. 8. leg. كان، et مكان، l. 15. legas أمن.
» ٦٠ l. 5. Finem huius lineae coniunge cum sequenti واماليها.
» ٦٢ l. 9. leg. أغنى l. 16. leg. الحس l. 30. leg. ابيه،.
» ٦٣ l. 3. leg. عيس deleto و l. 18. leg. بشارة.
» ٦٤ l. 18. leg. دينارا.
» ٦٥ l. 20. dele homoioteleuti signum post الانسان l. 21. legas عريمه.
» ٦٦ l. 11. leg. من الذيب l. 27. leg. امرك deleto signo.
» ٦٧ l. 9. leg. ويغرى.
» ٦٨ l. 3. legas انتجت omisso و l. 29. leg. الملتقى.
» ٧٠ l. 18. leg. الحبايل.
» ٧١ l. 3. leg. دفاتر l. 15. leg. يعلموا l. 23. leg. وخفى.

etiam monitos velim, ne istas varias lectiones tanquam minutiora minimi faciatis vel tanquam molesta et parum utilia fugiatis, in quibus enim si satis diligentiae adhibueritis, fore spero, non solum ut, quaenam sit codicum Arabicorum ratio, melius intelligatis, verum etiam ut in linguae Arabicæ rationem magis penetretis.

At vero quum, variis quia sæpe alluditur rebus tum historicis tum grammaticis tum ad alias artes spectantibus, tanta huius libri difficultas sit, ut, si non doctioribus, at saltem tironibus molestiam exhibeat, in eo potissimum laborare statui, ut textui Arabico versionem ex Arabicis in latinum sermonem ad verba magis expressam et adnotationes vel sensum vel res illustrantes addam. Quod si denique ea est operis conditio, ut non solum linguae Arabicae studiosos, verum etiam, quod maius est, ineruditos delectare et erudire possit, quid mirum, si textum Arabicum Germanice, non tantam vocabulorum singulorum quam rerum rationem habituro, transferre mihi in animo est. Quam vero rem, quum et brevior atque facilior sit et magis apta ad animum recreandum, me citius perfecturum spero.

Vos autem omnes, qui litteris Arabicis cupitis, ut Terentiani illius memores, »errare humanum est«, ob errores commissos excusatum me habeatis mihique faveatis, etiam atque etiam rogo.

Scribebam Bonnae Idibus Iunii

---

illi in variis lectionibus mirifice consentiunt, sic hi interdum etiam in vocabulis vitiosis conf. p. 109. l. 1. Hisce autem quum insint plurima vel addita vel mutata vel omissa conf. p. 117., 123., 243. l. 10., 244. l. 4. etc. nescio, an dubitare liceat, quin illi codices A. B. C. D. G. textum veteriorem sequantur. Codices E. F., quod in aliis capitibus exempli gratia in quinto plura, quam in aliis mutata offerunt, id non tanta nos afficere debet admiratione, quippe unus locus addendis magis faveat altero.

Qualis sit singulorum codicum status et nexus quidam inter se, etsi breviter satis tamen explicatum arbitror. Sequitur, ut illa persequar, quae pertinent ad adnotationes criticas libro subiunctas.

In libris Graecis atque Romanis ut, quotquot essent, varias lectiones colligerent et diiudicarent, operam dare consueverunt editores. Quam rem, etsi in illis, tum quod graviores singulae lectiones, tum quod minus copiosae sunt, et praebet utilitatem et facilis perfectu est, si in omnibus operibus Arabicis imitaremur, non solum parum commodi haberet, verum etiam sumtus in ea faciendos vehementer augeret. In codicibus enim Arabicis et praesertim in operibus huic similibus, tantus sæpe exsistit, variarum lectionum numerus, ut iis enumerandis ut operis moles sic pretium augeatur, necesse sit. Quod si igitur omnes, quotquot in septem codicibus reperiuntur, in adnotationibus accurate recensuissem et diiudicassem, vix dubitaverim, quin libri moles duplo maior exsisteret. Quaenam autem ex tot enumeratis vitiis vel variis lectionibus nil ad sensum mutandum facientibus legenti prodire potest utilitas? Nullam prorsus puto, nisi ut intelligatur, parum saepius prudentiae atque diligentiae in describendo adhibuisse Arabum scribas et variarum admittere linguam Arabicam formarum usum. Quis autem non videt, in tanta lectionum multitudine, electionem esse habendam, qua graviora tantum, caeteris neglectis recenseantur. Qua vero in re si non omnibus pariter satisfecerimus, id erit cogitandum, aliis alia gravia haberi. Verba quædam a scribis omissa esse, in adnotationibus sæpe diximus; id vero non ita dictum accipiatis, quasi omnia ista scribarum negligentiæ tribuenda sint, vix enim dubium est, quin permulta in codicibus E. F. omissa sint, ut homoioteleuti partes regulis magis convenirent.

Vos autem, iuvenes, qui litteris Orientalibus operam navatis, etiam atque

posse videtur, ab auctore opus anno 858 finitum esse, falsa esse habenda; liber enim anno 840 est compositus et auctor, ut supra monui, anno 854 diem supremum obiit. Quae verba ne de tempore, quo scriba volumini finem imposuerit, accipiantur, ipsa eorum conditio obstare videtur. De externa autem illorum codicum Parisiensium conditione nil habeo, quod scribam.

Codex unus Gothanus littera A. insignitus parvis litteris expedite quidem; sed non sine negligentia scriptus est. Consulto autem, ni fallor, scriba omnia a pagina 227. l. 11. usque ad paginam 250. l. 29. omisit post versus sic pergens تعالى اخبركم ايها الملوك, ita ut omnia de Djenciscani rebus gestis exposita desiderentur. Caret homoioteleutorum signis et finitus est die Jovis decimo quinto mensis Redjeb anni 1105.

Alter codex Gothanus, cui littera B., non ab eadem manu quum scriptus sit, variam in variis locis habet auctoritatem. Minor eius pars pag. 2. — 11. pag. 23 usque ad libri quarti finem p. 84, p. 151 in fine usque ad p. 153 initio et p. 161 cum parte paginae 162 et vetustate et scribentis maiore diligentia, nec non homoioteleutorum signis additis maiori codicis parti modo rectius modo negligentius scriptae multum præstat. Codicem die Martis decimo mensis Redjeb anni 1025 absolutum esse, id quod nonnisi de maiore eius parte intelligendum, in fine codicis legimus. Codicem in suum usum vir quidam Abu-Becr-Muhi-Aldin appellatus descripsit.

Codex Lugdunensis Nro. 731 a me littera F. notatus ab eodem viro, sed non omnibus locis aequaliter modo maioribus modo minoribus litteris descriptus et homoioteleutorum signis ornatus est. Scriba die Saturni vicesimo quinto mensis Djumadae prioris anni 996 opus ad finem perduxit.

Codex Lugdunensis Nro 956 a me littera G. notatus a viro quodam Mohammede ben-Salam etc. appellato decimo tertio mensis Zafari anni 944 absolutus est. Scriptura est bona et homoioteleuti signis instructa; sed quod attinet ad signa diacritica, sit venia verbo, non semper distincta.

Hisce generaliter dictis addam quaedam magis specialia. Inter omnes principem locum occupare videtur codex C. Parisiensis, ita tamen ut codicis Gothani B. minor pars auctoritate non multum inferior sit. Omnes autem codices in duas partes dividendi, ut uni codices A. B. C. D. G. accenseantur, alteri codices E. F, ut enim

sive ut homoioteleuto satisfacerent, sive alia de causa, admiserint, de lectionibus non recte iudicetur. Atque in iis lectionibus, quarum formae etsi sint diversae, eundem tamen sensum legenti praebent aut in synonymis conf. p. 118. l. 29. p. 119. l. 5. p. 124. l. 10. 12, quaenam potest esse causa, cur unum alteri praeferamus? Quae autem lectiones quum neque ex interna sensus conditione neque ex externa, formarum scilicet, diiudicari possint, nil reliquum est nisi codicum auctoritas et consensus; illorum vero auxilium in huiusmodi scriptoribus quam infirmum sit, quis est, qui non intelligat? Quae autem in codicibus singulis addita leguntur, ea si maioris momenti habentur, ex scribae ingenio prodiisse saepissime videntur, sin vero minus gravia sunt, ut ea tanquam a scribis negligentibus omissa auctori saepius adiudicemus, necesse est.

Breviter expositis, quae ad leges in edendis libris Arabicis observandas spectant, restat, ut de codicibus, quibus usus sim, pauca addam. Erant illi septem numero, tres Parisienses, duo Gothani, duo Lugdunenses. Horum usum amicitiae cl. Hamackeri, illorum Gothanorum cl. Molleri debeo. Aliquot ante annos quum Parisiis versatus inter alia in id animo intentus essem, ut mihi opera, quae ederentur, digna compararem, cogitationes meas ad hoc opus describendum direxi et istum in finem codicem Nro. 1509, in adnotationibus meis littera C. insignitum elegi, ita ut eundem cum codicibus Nro. 1510. st 1511. litteras D. E. in adnotationibus gerentibus conferre statuerem. At vero quum singulari erga me benignitate viri illustr. Silv. de Sacy illius codicis apographi a Mich. Sabbagho facti in usum adhibendi copia esset data inque huius apographi initio plura ad marginem ex caeteris codicibus adscripta reperirentur, re conferendi admodum molesta in illis locis me supersedere posse putabam. Postea experientia edoctus quum intelligerem, non prorsus omnia ex codicibus illi exemplari esse adscripta, ab initio illos conferre vehementer cupiebam, quam rem quominus perficerem, impedivit tum instans iter tum aliae occupationes, quibus eram implicitus. Nec vero est, cur multum in ista intermissione damni inesse videam, ut enim unus codex Lugdunensis littera F. notatus a codice Parisiensi Nro. 1511. perraro dissentit, sic caeteri codices cum Parisiensi Nro. 1510. plurimis in locis consentiunt. Silentio autem praetermittere non possum, verba a me in fine adnotationum criticarum e codice C. adscripta, ex quibus colligi

hae, animis nonnisi ad res descriptas intentis, verba parum curantes aut nullam in his mutandi causam viderent aut res ipsas maioris facerent, quam ut verba mutare auderent. Qua re factum est, ut in historicis Arabicis edendis non sint aliae, quam in Graecis atque Romanis leges statuendae. Id vero ante oculos semper sit nobis, scriptores Arabicos opera sua sine punctis diacriticis scripta interdum edidisse atque in iis describendis scribas non potuisse hanc ob causam quin saepius in errores inciderent.

In operibus huic a me edito similibus longe aliter res se habet, nam quum in rebus eligendis parum studii ponerent et omnes potius operam, illas interdum negligentes, in stylo exornando consumerent, non mirum videtur, quod non eandem in his quam in illis historicis describendis rationem sequerentur. Quibus autem in operibus quum externa verborum conditio, quibus sensus exornaretur, praecipua libri virtus duceretur, tantum aberat, ut homines scriptorum verba posteris immutata tradendi desiderio flagrarent, ut quilibet pro suo ingenio atque doctrinae, qua polleret, copia, aliis de suo aliquid addere, alia in meliora mutare, si non laude dignum at saltem licitum putaret. Itaque, ipsa linguae Arabicae indole magnam tum in formis tum in construendi modo diversitatem admittente, nescio an in ullo alius generis opere maior aut additorum aut mutatorum numerus reperiatur. Quid autem de magna in talibus operibus edendis criticae artis exercendae difficultate dicam? Num maior ulla in re, quam in illis lectionibus diiudicandis cogitari potest difficultas? Editoris officium esse, ut librum auctoris autographo simillimum in lucem emittat, quis est, qui neget? At vero tanto in numero a scribis mutatorum quomodo auctoris verba ab illis mutatis discerni possunt? Tribuatur quidem codicibus veteribus maior quaedam auctoritas, quam recentibus; sed illa non tam in codicis vetustate quam in interna eius conditione quaerenda est, fieri enim potest, ut recentior codex ex veteriore fluxerit aut ab accuratiore et ut ingenio sic doctrina magis insigni viro descriptus sit. Quae autem res quum ita se habeat, quid, quaeso, erit faciendum, ut recta a falsis discernamus? Eruntne lectiones, quæ vel aptiore sensu vel figuris pulcrioribus sese nobis commendant, caeteris semper praehabendae? Minime vero; namque illae scribarum industria haud raro ortae videntur. Quid, quod ex regulis grammaticis, quum eiusmodi scriptores interdum formas regulis grammaticis non congruas

Abu'l'Mahaseno facultatis docendi diploma scripsit, hic liber nondum finitus erat.

His expositis sequitur, ut de tribus reliquis partibus praefationis breviter dicendum sit, de ratione in libro edendo sequenda, de codicibus in usum adhibitis et de adnotationibus criticis.

Ante omnia lectores monere liceat, nec easdem in omnibus scriptis Arabicis artis criticae leges esse statuendas, neque in scriptis Arabicis edendis eandem ac in Graecis aut Romanis adhiberi posse rationem. Aliae enim sunt leges in historicis, aliae in operibus stylo sublimiore scriptis et cum homoioteleuto (Rheim) coniunctis, aliae in carminibus edendis. Cuius rei causa cernitur tum in modo diverso, quo memoriae nostrae prodita sunt ista Arabum scripta, tum in diversa, quae in variis Arabum scriptis inest, indole ac natura. Carmina Arabum antiquissima ore posteris tradebantur et ita impediri non potuit, quominus contra hominum voluntatem memoria fallente plura mutarentur. Huic accedebant et aliae mutandi causae non levioris momenti. Erant enim in carminibus antiquissimis aut plures dialectis quibusdam propriae voces et formae, quae una cum caeteris omnibus post Mohammedis imperium a Koraischitarum dialecto expellerentur et prope delerentur, aut in versibus componendis multa ingenio facile indulserant veteres, quae accuratiore rei metricae cognitione poetae serioris aetatis tanquam errores sensim sensimque removebant. Ita factum, ut et in ipsis codicibus vetustate insignibus ipsorum poetarum verba immutata frustra quærantur et in restituendis illis parum auxilii vel a regulis metricis vel a grammatica petatur, quo magis enim lectio aliqua in illis carminibus regulis apta est, eo minus probanda saepius videtur. Nec vero eadem est ratio in carminibus recentioribus, quae non tam ore poetarum, quam scriptis memoriae tradita et Koraischitarum dialecto composita et regulis metricis congruentissima reperiantur.

Libri historici, exceptis traditionibus, quas dicunt, quae ore posteris tradebantur, et opera huic edito similia quamquam ad unum omnia scripturae ope ad nostram aetatem pervenerunt, tamen ars critica in istis edendis diverso agat modo necesse est. In libris historicis praeter scribarum vitia nulla vel admodum pauca inveniuntur, quae a scribis consulto mutata habeantur, quippe enim scri-

Quos quum perlegisset auctor sex eiusmodi versus composuit. Hanc ob rem magna admiratione affectus alter versus scripsit, in quorum homoioteleuto littera ر cum littera ا coniuncta adhibita esset. Primus horum versus est.

من مجيرى من ظلوم منه ابعدت فرارا

»Quis mihi auxilium praestat contra iniustum, a quo longe fugi.«

Quibus in versibus quum auctor omnia homoioteleuto apta vocabula adhibita intelligeret, rescripsit versus Hamid Aldinum imitans in dialecto Bagdadica, quorum primus hic est.

ای خداوند عجعبو عن موالاة التنافى

»Nisi fallor haec scripta sunt verba pro

ای خداوند اعجب من موالاة التنافى

»O domine! miror, quod sermo intelligibilis continuetur.«

Quae tum inter illos continuata in libri molem accreverunt. Totus autem liber nonnisi versibus consistere videtur.

Omnia autem auctoris opera, quae versibus scientias tractant, perdifficilia sunt intellectu.

Inter ea, quae non versibus; at stylo sublimiore cum homoioteleutis scripta sunt opera, primum, si temporis ratio habeatur, tenere videtur locum Vita Timuri, cui titulus est عجايب المقدور فى نوايب تيمور. »Res admirandae a Deo decretae in fatis Timuri.« Confectus est liber anno 840 (conf. Vit. Timur. T. I. p. 376.)

Tres sunt huius operis editiones, una Golii, quae ob permulta in ea vitia parum tantum commodi legenti adferre potest; altera quidem melior est Mangeri; sed ob plura, quae remanserunt vitia, legenti molesta. Versio autem latina non ubique recta. Optima denique est editio tertia, quae Calcuttæ anno 1818. in lucem prodiit et Makrizius, historicus celeber in librum scripsisse videtur commentarium.

1. Sequitur liber, quem edidimus فاكهة الخلفا ومفاكهة الظرفا inscriptus.

2. الترجمان المترجم بمنتهى الارب فى لغة الترك والعجم والعرب »Interpres explicans cum perfecta peritia in lingua Turcica, Persica et Arabica. »De lingua Turcica, Persica et Arabica agere librum, indicat titulus, quas contineat res, accuratius definiri nequit.

3. عزة السير فى دول الترك والتتر »Morum excellentia in regnis Turcarum et Tatarorum. Initio autem mensis Dsu'l'Hidjdjah anni 851, quo

Libros versibus scriptos praemittam, quantum potero, temporis, quo editi sunt, rationem habiturus.

1. جلوة الامداح الجالية فى حلتى العروض والعربية »Splendor laudum ad pulchritudinem (vel ad Djemal-Aldinum) spectantium in vestibus artis metricae et grammaticae.« *)

2. مراة الادب فى علمى المعانى والبيان »Speculum doctrinae in scientiis sensuum et explicationis.« **)

3. العقد الفريد فى علم التوحيد »Margarita singularis in scientia unitatis Dei. (Res religionem spectantes continet liber.)

4. مقدمة فى النحو »Institutiones grammaticae praemittendae.«

5. عقود النصيحة »Margaritae admonitionis« Ex initio libri, qui in diplomate ab auctore descriptus est, nil accuratius definiri potest.

6. خطاب الاهاب الناقب وجواب الشهاب الثاقب »Allocutio corii lacerati et responsio stellae fulgentis.«

Causam huius libri componendi talem exposuit codicis Lugdunensis auctor. Vir quidam Alborhan Albauhni appellatus miserat auctori sex versus, in quorum homoioteleuto littera ظ erat adhibita, quorum primus sic sonat.

احمد لم تكن والله فظا ولكن لا ارى لى منك حظا

»O Ahmedes! tu per Deum! non eras inhumanus; sed non video mihi portionem ex te acceptam.

---

*) Vocabulo العربية a quibusdam grammaticae significatio tribuitur; at vero amplior significatio accipienda videtur. Auctor enim ipse scientiam istam in duodecim partes dividit 1. علم اللغة 2. علم الصرف 3. علم الاشتقاق 4. علم النحو 5. علم المعانى 6. علم البيان 7. علم العروض 8. علم القافية 9. علم الخط 10. علم القريض والانشا 11. علم المحاضرات 12. علم البديع et, ni fallor, omnes scientiarum partes complectitur, quae ad linguam Arabicam et bene intelligendam et bene loquendam pertinent.

**) Additur in codice Lugd. والبديع, ut de artis rhetoricae praeceptis agere videatur (conf. de vocabulis بديع, بيان, ادب, معانى et lexicon nostrum et de Sacy Anthol. gram. Arab. p. 305). In scribendo libro auctor modum carminibus غزل appellatis proprium secutus est. Hadji Chalifa, cl. Hamakero referente, circiter mille versus continuisse opus, dicit; in codice Lugd. duplex est versuum numerus. In vita Timuri versus ex hoc opere desumti leguntur conf. Vit. Tim. T. I. p. 184. II. 978.

Damascum invitatus, ut antea memoravi, non redierat, Hamid-Aldino iudice de verborum iniuriis querente, eum in maleficorum carcerem duci iusserat, ex quo quinto die, quum in morbum implicitus esset, dimissus post duodecim dies mortem cum vita commutavit.

Fuit autem et pulchro corpore et eo vultu, in quo pietatis tum erga Deum tum erga homines indicia conspicerentur, non minus doctrina quam ingenio insignis, in tribus linguis, Arabica, Persica atque Turcica maxime versatus. Erat quoque in eo mira suavitas oris et vocis et cum summa humanitate coniuncta magna modestia. Quae vero eius fuerit doctrina, quantum ingenium, nullum est certius indicium, quam quod tam brevi temporis spatio et tanta in penuria (conf. Vit. Timuri T. II. pag. 972. 974.) tot et tales libros composuerit, quorum si nonnisi trium, quos Mangerus in praefatione ad vitam Timuri appellavit, auctor fuisset, talem in suo genere haberet gloriam, qualem in eo nemo ante eum habuit maiorem. At decem vel plures etiam libros tum versibus tum stylo sublimiore aut Damasci aut in oppido Cairo scriptos edidit. Quos enim decem postquam in diplomate, cuius antea mentio fuit, recensuerat, verba addidit haec واقتصر فى التذكرة على هذه المصنفات العشرة للوجازة etc. »Brevitati studens nonnisi decem hos libros appellavi,« ex quibus coniicere vel suspicari poteris, plures eum libros confecisse. Quibus in recensendis nec quem auctor in diplomate secutus est, nec ordinem codicis Lugdunensis imitari possum, quippe qui temporis nulla habita ratione et versibus scriptos et alios inter se miscuerint*).

---

*) In codice Lugdunensi aliis omissis alii, quam in codice Parisiensi, librorum tituli leguntur, quos recensere operae esse videtur 1) كتاب فى علم النحو. „Liber de grammatica agens, ducentorum circiter versuum, quos in modum apud recentiores Ghasal appellatum fecit. 2) Carmen praecedenti forma simile de grammaticae parte صرف appellata (de inflexionibus) agens, quo quendam procerem laudavit. 3) Fides Muhammedica ducentorum circiter versuum, quorum commentarius ab auctore scriptus volumine continetur. At vero dubitare licet, num ab illis in codice Parisiensi descriptis diversi sint libri. Qui primum tenet locum, is idem liber ac ille مقدمة فى النحو appellatus esse videtur et nescio an non secundus primi sit pars habenda. Qui denique tertius est, is in codice Paris. inscriptus esse videtur العقد الفريد فى علم التوحيد.

824 principe Ebn-Otsman, in patriam redeundi consilium cepit. Quum primum Halebum iter direxisset, eodem anno die Veneris festo sacrificii (الاضحى) oppidum intravit, quo tempore Ebn-Kazruh rebellabat, et ibi per quatuor mensium spatium *) mansit. Tum, loco isto relicto, Damascum mense Rabiae posterioris **) anni sequentis pervenit. Ibi sedem habens in hospitio templi Alkazab appellati (مسجد القصب), totum se dedidit religionis cultui et Dei contemplationi. Anno 830 duce Schehab-Aldino ben-Alhabbal Alhanbali librum inscriptum صحيح مسلم perlegit. Fine mensis Almoharrami anni 832, quum Mecca cum peregrinantibus reversus esset, Ala Aldinus Abu Abbd-Allah Mohammed ben-Almohammed Albochari, intima se cum eo amicitia coniunxit, eoque duce summo cum studio iurisprudentiae eiusque principiis, rhetoricae et doctrinae Sophorum aliisque litterarum partibus operam dedit, quae amicitia nonnisi morte viri illius, cui octavo mensis Ramadhani anni 841 succubuit, interrupta est. Ab anno 840, quo in Aegyptum Cairam migraverat, semper religionis cultui, ad Sophorum disciplinam adhaerens ***), ut monachi vitam egisse videatur, litteris colendis occupatus erat. Raro istum locum (legimus enim eum post pestem anno 850 urbem Mizrum intrantem), relinquens plurium virorum doctorum amicitia usus est, inter quos non infimum locum tenet celeberrimus ille historicus Abu'l'Mahasenus, cuius antea mentio facta est. Mortis causam, quam die Lunæ decimo quinto mensis Redjeb anni 854 sexaginta et duos annos, sex menses et viginti dies natus Cairæ †) obiit, hanc fuisse, tradunt auctores. Aegypti princeps Almalic Altsahir Djakmak, qui, ut videtur, aegre tulerat, quod auctor

---

*) In codice Lugdunensi legitur trium annorum spatium, quod falsum est.

**) In codice Lugdunensi est mense Djumadae posterioris.

***) Habitabat enim in oppido Caira coenobium Zelahiticum, quod referente cl. Hamakero ex Makrizii libro, Sophis pauperibus ex terris longinquis venientibus anno 569 Zelah-Aldinus in úsum concesserat.

†) Corrigendus est Herbelotius, qui Damasci eum vitam exspirasse narravit et Mangerus, qui in praefatione ad Vitam Timuri iudicis munere eum functum esse scripsit. Damascum enim postquam redierat, nonnisi religionis cultui et litteris vitam consecrasse videtur. Unde Mangerus istam rem hauserit, nescio.

prudentiae eiusque principiis operam navans. Anno 814 cum ibi degisse ex loco Vit. Timur. T. I. pag. 376. colligitur. Inde eodem, ut videtur, anno, suis relictis *) in terram Krim appellatam profectus cum pluribus viris doctis societatem coluit, quorum praecipuos nominarunt Arabum scriptores Ahmedem Biruk, Scharaf-Aldinum, qui anno 847 Adrianopoli decessit, Mahmudum Albulghari, Mohammedem Allubbabi et Ahbd-Almudjidum poetam praeclarum, qui poema elegantissimum de Josepho inscriptum مونس العشاق lingua Turcica composuit. Mox mari Graeco traiecto in regnum Ghijats-Aldini Abu'l'Fatah Mohammed ben-Abi Jasid ben-Murad ben-Aderchan ben-Otsman Adrianopolin se contulit, ibique in principis gratiam tantam intravit, ut litteris ab Almalic-Altshahiro Abu-Sahid Djakmak, quibus in Syriam vocaretur, datis, ille eum demittere nollet. Primo autem tempore et docendo et libros in linguam Turcicam vertendo occupatus, principis iussu librum جامع حكايات ولامع الروايات inscriptum **) sex circiter volumina complectentem e lingua Persica in Turcicam, nec non Abu'l'Laitsi (mort. anno 383) librum, quo Coranum interpretatus est, et alium librum تعبير القادرى appellatum in versus Turcicos transtulit. Quibus operibus quum in dies crevisset eius auctoritas, princeps eum habuit ad manum scribae loco, quod multo apud Orientis gentes honorificentius est, quam apud Romanos, quod necesse est, omnium consiliorum eum esse participem. Principis nomine lingua Persica epistolas ad Kara-Jusufum aliosque scripsit, Turcica alias ad Deschti principes eorumque imperatorem, Arabicas ad Muajjedum Schaich, Mogolicas ad Schah-Ruchum aliosque dedit. Nec vero isto tempore litteras neglexit et explicavit duce Borhan-Aldino Haidar Alchawafi librum المفتاح ***) inscriptum simulque in grammaticae studium incubuit. Mortuo eius patrono anno

*) Nulla posthac familiae eius mentio fit apud scriptores, et in codice Parisiensi توجهت „profectus sum" legitur.

**) Liber iste auctore Hadji-Chalifa a Djemal-Aldino Mohammede Alaufi in gratiam Nizam-Almolki ministri celeberrimi Malik-Schahi compositus fuit. Errorem autem Hadji-Chalifa commisisse videtur, qui illius libri vertendi iussum Murado secundo tribuerit.

***) Nisi fallor est liber مفتاح العلوم, in quo de grammatica, rhetorica et arte metrica egit Abu-Jakub Josephus Alsaccaki.

minibus Medinae supremum diem obiit. Anno 809 Samarkandi congressus est cum Alschaicho Alorjahn Aladhami, qui isto tempore aetatis annum 350 egisse et postea virginem in matrimonium duxisse fertur. (Mortuus est in regione Turkestan anno 830). In lingua autem Persica et scriptura Mogolica multum profecerat. Anno 811, viginti annos natus, in Alchathae regiones suis relictis profectus est *). In terris Mogolicis praeceptores habuit Borhan-Aldinum Alendecani et iudicem Djelal-Aldinum Alschirami (الشيرامى) **), quem Muhammedis traditiones narrantem audivit (اخذ عنه). Grammaticam edoctus est ab Hadjio. Chawaresmiam cum suis profectus praeceptoribus usus est memoratu dignissimis, nempe Nur-Allaho, Ahmede ben-Alschems Alajimmah (Antistitum sol) Alserai (Serai oriundus) ***), qui rex linguae Persicae, Turcicae et Arabicae appellatus est. Inde familia comitante in regiones Descht se contulit, primum in urbe primaria Serai habitavit, tum in oppido Hadji Torchan sedem fixit. Hoc in loco praecipuo praeceptore usus est Hafits-Aldino Mohammede ben-Nazir-Aldin Mohammed Albassasi Alcerderi †) per quatuor circiter annorum spatium iuris-

*) Dubitare licet, quonam tempore Samarkandum reliquerit in illas regiones proficiscens. Annus 811 in codice Lugdunensi adnotatus est, ubi sic legitur ونقسل الى سمرقنسد خرج منها فى سنة احدى عشرة وجال ببلاد الشرق „et Samarkandum in captivitatem abductus est, tum exiit ex isto loco anno 811 et terras Orientis pervagatus est“ Terrarum Orientis nomine Chatae regiones comprehendi, in dubium vix vocari potest, nec non Chathae regiones et Mogolorum terras easdem esse. At vero quum in codice Lugdunensi eum solum (بمفرده) iter hoc fecisse legamus, postea vero cum suis in Chawaresmiam migrasse, ex codice Parisiensi appareat, incertum est, utrum Samarkandum redux iterum cum suis iter fecerit in Chawaresmiam, an eius familia ipso non comitante in Chawaresmiae regiones ad eum profectus sit. De itinere in Chawaresmiam facto magis accurate codex Parisiensis utitur voce توجهنا „profecti sumus“, minus accurate codex Lugdunensis habet توجهت „profectus sum.“

**) In codice Lugd. legitur السيرامى.

***) In codice Lugd. السرائى.

†) De modo vocabuli Alcerderi scribendi haud satis mihi liquet. Ut in codice Parisiensi الكرذرى sic in margine codicis Lugd. scriptum legitur; sed in textu codicis Lugd. et in Vit. Timur. T. I. p. 376. ed. Mang. nec non in editione Calcutt. legitur الكردى.

Damascenus, natus est die Veneris, vicesimo quinto mensis Dsu'l'Kahdae *) anni 791, et Corani librum, ut Arabum mos fert, ad verbum edidicit magistro Ohmaro ben-Alahbbas Almokri. Anno 803 Damasco a Timuro occupato (conf. vit. Timur. ed. Mang. T. II. p. 55. sqq.) cum matre, fratribus et sororis filio Ahbd-Alrahmano ben-Haulan Samarkandum in captivitatem abductus est **). Quamdiu ibi commoratus est, pluribus utebatur praeceptoribus, inter quos insignes sunt Mohammedes Aldjordjani in collegio Aidcutimur appellato habitans, et Schems-Aldinus Mohammedes Aldjesri in collegio Bagh-Choda sedem habens. Utrique hi filii erant viri celeberrimi Borhan-Aldini Almarghinani Alhanefi, qui librum الهداية inscriptum composuit (conf. Vit. Timur T. I. p. 374. sq.) Nec vero silentio praetermittendi sunt Ahmedes Altermedsi Alwaits, Ahmedes Alkozajjir, Husam-Aldinus et Mohammedes Alsahid, qui explicato Corani libro centum volu-

---

dubio accepit, quod diu inter peregrinos versabatur eorumque linguam bene callebat. Non erat cognatus duorum virorum simile nomen gerentium nempe Daudi et Zalihi Mohammedis ben-Ahrab Schab filiorum, qui Hamadani oriundi, Damasci habitabant.

*) In codice Lugdunensi cum medio mensis Dsu'l'Kahdae natum esse, legimus.

**) Auctor ipse, se in captivitatem abductum esse, non narravit, sed utitur verbis hisce واتفق ان توجهت فى الفتنة الواقعة فى سنة ثلاث وثمانمائة من تمرلنك المخذول مع الاخوة والوالدة الى سمرقند. „Accidit, ut proficiscerer tempore belli gesti a Tamerlano anno 803 cum fratribus et matre Samarkandum"; sed vix alia huius itineris causa cogitari potest, quam captivitas. Legimus quoque in codice Lugdunensi, quendam auctorém scripsisse كان ممن اسرمع اللنك ونقل الى سمرقند. „In eorum numero fuit, qui captivi cum Timuro erant et Samarkandum translati sunt." Maximum quoque inde auctoris nostri in Timurum odium ortum videtur, quod ubique et supra modum in scriptis manifestat. Quae autem fuerit causa, cur cum suis in captivitatem abduceretur, vix coniectura explicari potest, oppidum enim post biduam obsessionem Timuro traditum est securitate, ut videtur, concessa, ut credendum non sit, eum ex incolis eius sine causa urgente homines abduxisse. Arcem autem demum post obsidionem quadraginta et trium dierum, multis de suis occisis, in deditionem accepit. Illius autem incolas et defensores eum in captivitatem abduxisse, verisimile videtur. Erat fortasse pater auctoris, nam, quo tempore mortuus sit, ignoramus, in numero defensorum arcis, ut haec captivitatis causa admittatur.

terum Abu'l'-Mahasenum cognomine Taghri Berdi, historicum satis notum, qui in libro suo منهل الصافي etc. inscripto auctoris nostri vitam narravit Erat autem intimae amicitiae vinculo cum isto coniunctus, ut optime res eius nosset. Vitae eius inseruit licentiae docendi diploma (اجازة), quod Ebn-Arabschah sua manu Abu-l'Mahaseno scripserat. Sunt in eo plura ex libris eius minus notis excerpta, ex quibus et quae contineant et quomodo scripti sint, paulo accuratius cognoscitur. Quae res quum ita se habeat, isto articulo scriptores alii tanquam fonte, ex quo haurirent, usi sunt, et mihi summa fide videtur dignissimus *).

Ahmedes ben-Mohammed ben-Ahbd-Allah ben-Ibrahim ben-Abi-Nazr Mohammed ben-Ahrab-Schah ben-Abi-Becr Alustad Alschehab Abu-Mohammed ben-Alschems cognomine Ebn-Arabschah et Aladjemi **), illo magis noto,

---

componendi ceperit consilium, id nondum finito saeculo peregerit, sunt enim in isto opere, Hamakero amicissimo in litteris ad me datis referente, virorum vitae descriptae, qui sub ipso saeculi fine decesserunt; quapropter annum 902 obitus tempus habendum videtur. Librum vero editum esse initio saeculi decimi, ex eo patet, quod et Alsoiuthius defunctus anno 911 et Siradj-Aldinus Ohmar ben-Ahmed Alhalebi defunctus anno 915 et Schehab Aldinus Ahmed ben-Ahbd-Alselam Aldimaschki mortuus anno 923 in auctore refutando operam posuerint. Compendium operis البدر الطالع من الضوء اللامع inscriptum, in quo Ebn-Ahrabschae vita non legitur, refutandi operis causa, ut videtur, factum, ab Hadji-Chalifa Ahmedi ben-Ahbd-Alselam tribuitur.

*) Huius articuli apographum accuratissimum, coniecturis quibusdam viri illustrissimi de Sacy ornatum debemus amicitiae Munkii Berolinensis, iuvenis olim inter commilitones nostros Bonnae insignis, nunc Parisiis totum se litteris Orientalibus dicans. Qui quum pulchris ingenii dotibus ornatus indefesso in istas litteras studio incumbat, multa de eo praeclara proditura praesagire possumus.

**) Observare operae pretium videtur, esse quandam inter codicem Lugdunensem et Parisiensem in nomine discrepantiam, cuius causa in eo esse videtur, quod plura saepe nomina inter alia omitti solent. In codice enim Parisiensi sic legitur nomen: Ahmedes ben-Mohammed ben-Ahbd-Allah ben-Ibrahim Schehab-Aldin Abu'l'Ahbbas Aldimaschki Alhanefi cognomine Ebn-Ahrabschah notus. In codice Lugdunensi haec addita leguntur verba والد التاج عبد الوهاب. „Pater Altadji (Tadj-Aldin) Ahbd-Alwahhab. In vita Timuri (ed. Mang. T. II. p. 699) nomen eius brevius est. Cognomen العجمي inde sine

ut enim regis gladio exstirpari malum, sic eruditorum pennis bonum confirmari, ut, hisce si rebus vitium inesset, totus mundus corrumperetur. Quae verba ansam praebuerunt, ut ad Djencischani res gestas enarrandas accederet. Primum egit de Djencischani origine, de terris, quas Tatarorum gentes incolebant, de Tatarorum moribus, religione, opibus, quibus sub Djencischani imperio potiti sunt. Djencischanus ipse describitur eiusque in imperio initium. Post bellum eius contra Chinae imperatorem Altunchanum sequuntur belli contra Muhammedanos gesti causae et variae in isto contra Chawaresmschahum bello res gestae. Djencischanus in morbum implicitus in regiones suas rediit, relictis Tulichano et Sonataio et Jemao cum copiis. Djencischanus anno 624 diem supremum obiit. Quae postquam perdix mas ad usum monitorum suorum converterat, ab aquila magno affectus est honore. At princeps Hasib his verbis quum sermoni finem imposuisset, a rege de rebus gravissimis in consilium adhibitus, ut regni perturbatas res in integrum restitueret, operam dedit. Totus liber Dei prophetaeque Muhammedis etc. laude concluditur.

Argumentis capitum, quae liber continet, expositis, deinceps de auctore eiusque scriptis agendum est, qua in re duos sequar auctores, unum Schems-Aldinum Mohammed ben-Ahbd-Alrahman Alsechawi (السخاوى) Almizri, qui in libro الضوء اللامع لاهل القرن التاسع »Splendor corruscans de hominibus saeculo nono viventibus« inscripto, hominum, qui saeculo nono florebant, vitas exposuit *), al-

---

*) Non possum silentio praetermittere, doctissimum Weiers Hollandum, virum specimine critico, exhibente locos Ibn-Khacanis de Ibn-Zeiduno, de litteris Arabicis optime meritum, rogatu clarissimi Hamakeri vitam auctoris ex isto opere summa diligentia exscriptam mecum communicasse, quae res et meas et omnium, qui litteris hisce favent, gratias meretur. Magnum est opus quinque voluminum, quorum duo in bibliotheca Lugdunensi asservata litteram ا, sunt enim vitae ordine alphabetico descriptae, tum litteram ع a nomine عتيبق incipientem, litteras غ, ف, ق, ك, ل, et partem litterae م continent. Virorum vitas, qui saeculo nono diem supremum obierunt, non exclusis iis, qui saeculo octavo nati sunt, descripsit, quae res causa fuisse videtur, cur in quibusdam Hadji-Chalifae codicibus libri titulus legatur الضوء اللامع فى اعيان القرن الثامن والتاسع. Qui vero in exemplari uno (in altero enim 902 subscriptus, at superscriptus annus 851) Lugd. obitus annus 851 legitur, is errori tribuendus, fieri enim vix potuit, ut, qui talis libri

felici eventu certiorem factam ad regem adduxit. Ibi multis utrique beneficiis ornati honorificentissimum inter regis ministros locum obtinuerunt.

CAPUT DECIMUM.

De modo, quo tractandi sunt ministri, dilecti, inimici et socii.

Capite nono absoluto, rex, ut pergeret atque insequeretur longius, principem rogavit. Hic regis desiderio satisfacturus praecedentibus adnectit sequentia hoc fere modo. In secreto colloquio aliquo die aquila perdicem ita allocuta dicitur. »Multae mihi sunt cuculo gratiae referendae, quod te ad me adduxit et te animo ipsi deditissimum esse oportet, quod verum se tibi amicum probavit. Descripsit enim te mihi quum virum prudentia insignem tum experientia edoctum, quapropter vehementer opto, ut mihi consilia des. Perdix mandatum ita exsecutus est, ut primum omnium rerum mundanarum fundamentum, quo niterentur, mentem seu rationem et legem nominaret, tum rationis significationem amplius describeret, denique hortaretur, ut Anuschirewani regis exemplum secutus summa erga subditos semper iustitia uteretur. Narravit quoque res inter Anuschirewanum regem et senem quendam gestas ad probandum, hunc mundum esse locum serendi, cuius fruges in altero mundo perciperentur. Regi vero, huic loco praeposito in altero rationem reddendam esse. Bellum contra infideles gerendum tanquam præcipuum regis officium laudavit monuitque, ne iniuste atque dure homines tractaret, non enim posse iniustitia adhibita peragi pia opera, quod iniustitia omne meritum tollat. In Ibiasi historia esse officii admonitionem. Regiam autem dignitatem esse fidei commissum, quod homini gravia officia iniungeret. Rediit tum ad iustitiam illustrandam et ostendit, quantopere ea regi prodesset. Hominum iustissimos esse prophetas et Anuschirewani gloriam propter iustitiam cultam ad posteritatem pervenisse. De Dei iustitia tum agere pergens narravit, quomodo Deus Mosi iustitiam suam in homines ostenderit. Ita ad Muhammedis religionem describendam ductus, quae omnium esset religionum iustissima, iustitiam [عدل] in fide et precibus definivit. Exposito autem modo recto atque ratione in scientiis comparandis, litterarum utilitatem descripsit. Tali denique disputationi finem imposuit eo, quod gladium regis et eruditorum pennas huius mundi fulcra appellaret, quibus hominum res fulcirentur,

Ad aquilam confugiamus, in quo enim quum sit misericordia, non dubito, quin nos sit in tutelam recepturus. Quibus de verbis magna admiratione affecta femina, sic nos, inquit, vinculis traderemus, quemadmodum in fabula piscis fecit. Tum perdix mas ait, ut in natura sic in aquila vis duplex est aut nocendi aut iuvandi. Atque quum infirmum opprimere dedecus sit, fore spero, ut ab omni iniuria tutos nos praestet aquila. Rem in dubium vocatura, respondit femina, quamquam hoc fieri posset, se tamen timere, ne in ipsos advenientes, antequam coram rege verba fecissent, omnes natura cogente subito irruerent aut si in ipso itinere in mala incidissent, se non videre, quomodo illis se expedirent. Similes ipsos futuros corvo illi in fabula cum mustela agenti. Se igitur, quum res esset factu perdifficilis, eum obtestari atque obsecrare, ut multum et diu de re cogitaret. Perdix mas sermoni finem impositurus, tanta autem est, inquit, regis maiestas, ut, quicunque in regis tutelam se receperit, is ea non privetur. Omnes igitur res sunt leves habendae, dummodo ad eum usque perveniamus. Perdix autem femina non amplius repugnans, quasdam mari erga regem agendi regulas observandas exposuit et rogante mare nonnullas a rege quodam leges datas declaravit. His verbis finitis ad regis sedem iter ingrediuntur et post multos labores periculaque superata ad montem Karin perveniunt. Ibi relicta femina in loco tuto, perdix mas cuculum quendam, qui ex intimis regis ministris auctoritate multum valebat, adiit auxilium imploraturus. Benigne exceptus statum exposuit et, ut sibi ad regem aditum pararet, rogavit. Cuculus, auxilio promisso, aquilae indolem describens, sperare illum iubet; sed festinandum esse, quod non omni tempore faciles ad regem aditus sint. Tum consiliis perdici datis periculosissimam regis societatem esse declarat, et rei probandae causa Timuri factum narrat, quo finito consilia explicare pergit. Perdix mas cuculi sapientiam laudans gratias ei agit maximas. Posthac ad aquilam cuculus statim profectus, mox vultu laetus rediit et perdicem marem ad regem comitatus est. Regia sedes et aves regem circumdantes describuntur. Intrandi venia concessa, perdix regem laudibus ornavit et, cuculo hortante, ut bono animo esset metumque deiiceret, libere rem suam exposuit. Hoc finito rex benigne eum tractavit et opes servosque adducere iussit. Ille vero conditionem suam describens, se esse virum pauperem opibusque destitutum, qui unam tantum sociam haberet, dixit. Tum illam de rei

CAPUT NONUM.

De avium rege et perdicibus duobus a patria calamitates fugientibus.

In monte confini alteri, Karin appellato, ubi aquilae avium regis sedes erat, duo habitabant perdices. Accidit, ut quotiescunque ova excluserant, totiescunque pulli vix educati ab aquila venatum profecta eiusque comitante turba perderentur. Qua re commotus perdix mas e patria migrandi consilium feminæ proposuit, triste enim esse, quod prole omni carerent. Illa quidem, licet rei veritatem non negaret, non faciles esse dixit res ad iudicandum menti atque rationi subiectas, quippe in rebus, quae sensibus perciperentur, error facile committeretur. Huius vero argumentum inesse rebus, quae inter mulierem Bagdadensem eiusque amatorem gestae narrarentur. Amor quoque patriae animo innatus, quum esset religionis pars habenda, ut vix evelli posset, timere se, ne patria relicta in calamitates inciderent. Posito autem atque concesso, futurum, ut sors et ipsis melior esset et proles superstes, magnam tamen in ipsis liberis causam esse parentibus et doloris et curarum, ut qui in alio praeter Deum fiduciam posuerit, non recte fecisse putaretur. Quapropter sibi rectum videri tum Deo gratias agere tum in loco permanere. Tum perdix mas inquit, qui in tempore fallaci fiduciam ponit, is stultissimus habendus namque ut caveat, neminem præmonet et cum variis calamitatibus ex inopinato irrumpit. Fac autem unum ex nobis hisce calamitatibus interiisse, quid commodi erit alteri superstiti in nostro habitaculo? Nonne dolor ob amici decessum maior erit, quam ut ulla re leniatur? Prudenter igitur et caute agendum, quemadmodum asini camelique fabula docet. At femina reponit. Homines ad res mundum spectantes consequendas varias in agendo sequuntur rationes, sunt enim, qui opibus utantur et exercitibus. Alios fortuna adiuvat, alii multam operam atque studium impendunt; alii autem, quod nimis festinanter agunt, de spe decidunt, alii mox lassi desistunt. Tu vero cogita, cuinam parti hac in re attribuendi simus. Nos vero, quum simus omnino impares aquilae, patientia utamur, fieri enim potest, ut statum nostrum permutet tempus futurum. Quid autem est, ait mas, quod in tempore fallaci nitamur?

ut caute agatur et ex camelo, quaenam res sit, quaeratur. Probato isto a rege consilio advocatur camelus. Hic autem haud immemor iurisiurandi urso dati, quamquam leo benigne eum excipiebat multumque hortabatur, tamen secreta prodere nolens, tum tristitiae tum maciei causam timori a temporis calamitatibus tribuit et quum et leo et corvus interrogando instarent, nil amplius respondit. Talpa autem quaedam omnia illorum verba urso retulit, quo factum, ut, ubi proditum se a camelo putaret, festinanter ad leonem currens, his fere verbis camelum alloqueretur. Quod si ista verba turpia non fecisses, melius tibi esset; sed iam tuam erga regem perfidiam Deus manifestabit. At camelus, num putas, inquit, me verbis tuis terreri. Si testes tibi sunt, adduc eos, sin vero testes non habes, cur rem non statim regi indicasti? Aut igitur es mendax, aut erga regem perfidus. Et si iusiurandum a me non accepisses, crimen tuum patefacerem; non alia vero tua contra me res facta est, quam illa contra fabrum lignarium ab uxore peracta, quum ianuam clausisset. Utrumque rex in carcerem, cuius custos vulpes erat, abduci iussit. Quibus rebus peractis glis, quem cameli et ursi sermones audivisse antea narravi, vulpem carceris custodem adiit, quinam rei foret exitus, interrogaturus. Is et quis sit sons et quinam rei exitus futurus, se nosse negavit. Rogavit tum glis, ut, si regis sententia ad unius aut alterius culpam inclinaret, id sibi indicaret. Quae verba quum vulpem in opinionem adducerent, esse gliri rei notitiam, voluit, ut eam sibi aperiret. At ille, vir, inquit, etsi nil nisi rectum spectat, támen non prudenter agere mihi videtur, si regum rebus se immiscet et ego inferior sum, qui tale quid audeam. Carceris custos, non recte dicis, respondit, bonum enim consilium gratum acceptumque est habendum. Ne igitur rem tace: sed sequere ministri regis Anuschirewani exemplum. Res quidem est, quemadmodum dixisti, inquit glis; sed timorem abiicere non possum; ea vero conditione, ut rem non divulges, eam tibi patefaciam. Quod ubi promiserat carceris custos, sermones inter camelum ursumque glis narravit. Rex autem, de vero rei statu a carceris custode certior factus, corvo suadente concionem convocavit, ut publice res iudicaretur. Ibi adductis camelo ursoque praesentibus rem exposuit et ut sententiam ferrent, imperavit. Omnes, magnum esse crimen, enunciant et advocatus glis contra ursum testimonium dicit. Ursus autem nil contra proferre ausus et regis misericordiam frustra implorans, nece poenas dedit.

mutanti tempori obediunt, cuius rei argumentum ex textoris fabula ducere licet, ita ut cautio haud inutilis habeatur. Pluribus inter utramque partem disputatis, tandem camelus huius rei remedium interrogat ursum. Hic diu ubi cogitaverat, praevenias, inquit, leonem ad exemplum serpentis in fabula, nam socors periturus est. Camelus respondit, sibi haud verisimilem videri rem, quia semper nonnisi maximo a leone honore affectus esset, neque vero se propter leonis apud ipsum collocata beneficia, ab animo impetrare posse, ut hostiliter contra eum ageret, neque se, si vellet, rei perficiendæ potestatem habere. In Dei clementia sibi esse fiduciam ponendam et, hoc optimum cuilibet esse auxilium, probari rebus inter agricolam, lupum et serpentem gestis. Se vero ab urso petere, ut de re futura atque incerta non amplius cogitaret. Quam rem quum in dubium vocaret ursus, quemlibet enim rei finem spectare debere dicens, camelus, ne in errorem timore falso inducaris, inquit, felicitas enim, qua fruor, leonis erga me probat benignitatem. Atque si ipsi leoni malum inferre animum inducerem, vires mihi deessent; quapropter verbis hisce abstineas velim. Glis quidam in propinquo degens omnes utriusque sermones audierat. At vero ursus, quum conatum suum irritum intelligeret, multam egit poenitentiam. Camelum autem res tantopere afflixerat, ut omni abiecta lætitia emaciaretur. Cuius rei admiratione adfectus leo, corvo ministro suo, ut causam exploraret, imperavit. Corvus regis ut mandatum exhauriret, camelum adiit, sed nullum tulit responsum. Quapropter clam camelum observans, aliquo die sitis explendae causa quum ad aquam ille constitisset, haec proferentem verba audivit. O quam felices sunt pisciculi in aqua ludentes habendi, quibus a rege timor non sit; sed o me miserum! Quæ verba quum corvus leoni nuntiasset, magnopere eum perturbarunt, quid enim commodi in vita mea est, inquit, si temperantiae et abstinentiae, cui operam do, non habetis fiduciam. Vos igitur omnes etiam atque etiam rogo, ut quae vobis displiceant, mihi aperiatis, quo enim quisque liberius vitia mea indicabit, eo carior mihi erit. Omnibus regem laudibus ad coelum efferentibus, ursus, qui intelligeret, cameli rem significari, apud regem remansit dicens, camelum ob multa regis beneficia insolentia elatum rebellionem parare. Leo autem falsum hoc iudicans corvum consuluit. Is leoni in eo, quod falsa haberet ursi verba, omnino assentiens, in urso esse cameli tristitiae causam opinatur suadetque

reddat hoc, imperat. Aut fugiendum aut elephanti imperio se subiiciendum esse leoni. Quibus de verbis admodum iratus leo et vix se sontinens, quin in legatum irrueret, vulpi responsum mandavit. Vulpes autem elephanti stultitiam vituperans, leoni victoriam praedixit, huius rei probandae causa gliris et vici principis fabulam narrans, efficaciorem enim robore esse astutiam. Primum autem omnium id sibi videri agendum, ut elephantis timor, qui magnam in animos vim haberet, iniiceretur. Itaque lupus cum litteris, quibus audax leonis animus elephanto patefiat, mittitur. At ille, lupo repulso, suos bellum parare iubet. Atque leo, vulpe suadente, quod elephantis nonnisi impetus vehementis in pugna modus esset, ferarum autem genera varios pugnandi modos sequerentur, aquas in proelii campum dimittendas curavit, ut nonnisi viae angustae inter aquas elephantis relinquerentur et magna cum arte prout singulis ferarum generibus aptum erat, copias disposuit, quo factum, ut magna elephanti clade afficerentur.

CAPUT OCTAVUM.

De leone temperante et camelo fugace.

Erat leo ut potentia praeclarus sic temperantia insignis, namque Deo fore se sanguine animalium abstinentem promiserat. Aliquo die, quum corporis recreandi causa in campis amoenis deambularet, ursum invenit, quem, promisso facto, ut carne vescenda abstineret, in societatem recepit. Non multo post camelo oberranti occurrit. Quem quum leonem comitantes ferae lacerare cuperent, rex interdicens, cavete, inquit, ne sors vestra similis sit illi Cosrois, venatum proficiscentis. Advocatum tum ad se camelum tanto adfecit honore, ut inter honoratissimos regis ministros locum teneret. At ursus, qui in dies cameli res crescere intelligeret, tum odio incitatus tum carnis vescendae aviditate commotus, perdere eum studuit. Quapropter ut contra leonem irritaret eum, operam dedit, dicens, leonis temperantiae, etsi ille carnis cibo abstineret, tamen non esse confidendum; sed, quod naturam sibi in hoc adversantem haberet, multam eius opus esse cautionem. Quam suspicionem quum in dubium vocaret camelus, non nego, ursus inquit, probum leoni esse animum, sed ut aqua ad pristinum saepius locum redit, sic homines saepius mutatos mores iterum admittunt, omnes enim omnia

terea diversa sunt dimicandi genera, elephantis unum tantummodo; id quod illis commodo erit. Atque elephantorum rex fratris pravi consilio adductus, copias contrahi iussit. Corvus quidam in leonis ditione domicilium habens, ubi comperit, talia moliri elephantorum regem, leoni rem indicavit. Convocatis feris leo exposuit rem, et, ut quisque sententiam diceret, iussit. Statuerunt autem, ut quilibet ordo unum ex suis eligeret, qui caeterorum vice fungeretur, et ut omnes, quod hi decrevissent et rex sancivisset, iuste peragerent. Leo, pardus, vulpes et lupus duces creantur, quibuscum rex leo consilium init. Primus leo de tribus agit, de fuga, de pace facienda, de bello gerendo. In fuga esse dedecus leonibus, non esse pacem componendam, quod fieri non posset, ut leones elephantorum imperio se submitterent; reliquum igitur nil esse nisi bellum gerendum. Tum pardus, sunt, inquit, elephanti viribus maiores et bene armati et verendum est, ne impetui eorum non resistatur; inter nos enim sunt debiles, quibus elephantorum adspectus terrorem incutit. Mittatur igitur legatus tum status eorum melius explorandi, tum pacis faciendae causa. Quod si pax conciliatur, habebimus quod optamus, sin vero bellum gerendum, re explorata ad pugnandum erimus melius parati. Nocturnus autem impetus multum praeferendus. Lupus regi, ut elephantorum animos placaret, suasit. Vulpes denique, quum essent ipsi elephantis viribus impares, astutia adhibita utriusque vires aequari debere. Non autem silentio esse praetereundum, leonum exercitui commeatum opus esse portandum, dum elephanti gramina sibi necessaria quolibet invenirent loco, ferarum quoque naturas esse diversas et multas multarum inter se inimicitias. Ad rem probandam felis et venatoris fabulam adducit. Non esse pardi de impetu nocturno sententiam omnino reiiciendam; sed cautionem in hoc quam maxime adhibendam, nam, si quis contra astutiam uteretur maiore astutia, fieri posse dixit, ut illa noxia esset auctori, quemadmodum in fabula cameli eiusque domini contigerit. Non esse pacem donis missis conciliandam, in quo essent infirmitatis indicia. A re autem non futurum alienum, si rex legatum prudentem mitteret, qui tum inimicitiae novae causam cognoscere studeret, tum ferarum et fortitudinem et belli gerendi experientiam exponeret, tum ipsorum elephantorum statum exploraret. Quo consilio probato lupus mittitur legatus. At elephantorum rex a legato leonis laudem praedicatam aegre ferens, elephanto cuidam, ut responsum

darentur militibusque stipendia persolverentur. Talem Timuri in agendo fuisse rationem. Tum rex, quamquam iam in eo erat, ut ad hunc se inclinaret, alterius tamen consilii particeps esse voluit. Quapropter ille bonus frater, viri sapientes, inquit, monuerunt, ne quis aliorum ex damno commodum capere studeat. Quod si igitur expensis regni opes non sufficiunt, id potius agendum, ut rebus civitatis melius dispositis et illa diminuantur et hae augeantur multumque fallitur, qui hominum animos nonnisi opibus conciliari putat. Quid autem stultius, quam in re studium consumere, quae tum opibus erogatis vitaeque periculo comparata, tum multis laboribus atque curis conservata mox evanescet. Alter autem frater, tres esse homines, respondit, quos de rerum exitu cogitare non oporteret, iter maritimum facientem et in profundum mare urinantem, bellum suscipientem, imperio potiturum. Atque probus tum frater, ii sunt prudentes habendi, inquit, qui fas et nefas distinguunt inque rei agendae initio exitus rationem habent. Num tibi vulpis in arce se defendentis minores esse videntur vires, quam leonis oppugnantis? Nos autem quum simus in leonis ditionem irrupturi, non fieri potest, quin, etsi viribus maiores simus, periculosa sit res exitusque incertus. Fac leonis nos regnum expugnasse, num rei commodum diu duraturum putas? Viri prudentis est tum ex commodo tum ex incommodo talem rem pendere. Leo autem quum sit rex et fortis et potens et in bello gerendo versatus, verendum est, ne rei eventus perniciosissimus sit. Contra quae alter haec protulit verba. Dignus habetur rex, qui imperium suum amplificet, nec ullam in hoc vituperii causam video. Quid, quod parvi lucri faciendi causa mercator et opes et vitam in discrimen dat. Regine minus audacter agendum? Nec vero ii audiendi, qui elephantorum agmen leonum agmini impar iudicant. Multis enim inter leonis subditos est mens alienata, multi rebellandi occasionem captant. Sunt quoque in illis provinciis, qui, quum ob opum multitudinem neque fugere nec elephantorum impetui resistere possint, ad societatem ineundam cogantur. Ad quae probus ille frater a rege rogatus respondit. Quae res quamquam accidere potest, tamen non est veri simile, ut eventura sit; sunt enim illarum ferarum et elephantorum naturae quam maxime diversae. Et fieri solet, ut canes se invicem lacerantes irrumpente lupo concordes sint. Quae autem cernitur inter leonis subditos diversitas, ea nonnisi externa est, et omnibus eadem natura. Illis prae-

est, quemadmodum res a coqui servo in fabula peracta luculenter declarat. Quibus verbis auditis et rex et regis minister summam eius prudentiam laudaverunt et ut redux factus, quae audiisset, suis aperiret, rogarunt. Regis igitur litteris et publica fide instructus ad feras cum palumbe rediit. Convocantur earum singulae gentes. Ibi in concione regiis litteris a palumbe praelectis et data fide convenit, ut statuto die sacramenti dicendi causa ad regem omnes se conferrent. Cuius rei quum palumbes nuntium adtulisset, canentibus tubis lituisque laetitia ostenditur. Atque rex, quia timebat, ne pars earum adspectu ipsius perterrita in fugam se daret, in publicum non prodeundi consilium ministro aperuit, rei explicandae gratia vulpis et galli fabulam narrans et, ut diversae cuiuslibet naturæ in agendo rationem haberet, imperavit simulque ut esset ad ea semper paratus, quae contra opinionem caderent. Sibi autem non videri a re alienum in advenientium occursum mittere palumbem, ut singulos de rerum statu certiores faceret. Regis tum minister post palumbem missum statim profectus, cum avium proceribus principi ferarum cuilibet dignitatis suae locum tribuit, quo factum, ut ad unum omnes sub regis imperio fruerentur felicitate. In fine capitis, quale eius sit commodum, exponitur.

CAPUT SEPTIMUM.

Pugna inter leonem elephantorumque regem commissa.

In Indiae quadam insula elephantorum agmen erat, in quod unus eorum regium imperium habebat. Qui rex, quum de saltu quodam amoeno a leone rege cum ferarum agmine habitato comperisset, et ab intimis, ut eo potiretur, saepe incitatus esset, tandem ex illius occupandi desiderio laboravit. Duo autem erant elephantorum regi fratres, quibuscum in consilium ire solebat, unus vir probus rerumque experientia insignis, alter ad quodlibet damnum inferendum pronus. Probus itaque ille, ut regem a consilio illo removeret, operam dedit, iniustum enim esse dicens, regem, quocum pax coleretur, e loco iam dudum occupato depellere, pravus autem, ut rem perageret, impulit, leonem enim esse regem iniustum, cuius ab imperio subditos liberare, officium habendum. Magno quoque rege dignum esse, quam plurimas terras in ditionem redigere, quo maiora dona

cata canis natura impura, a consilio removere studuit. At palumbes, huius ut sententiam refelleret, quid est, inquit, quod ad imperium exercendum aptum reddit virum, nisi iustitia, originis enim nulla est ratio habenda. Canis pulcherrima animi indole multis hominibus praestat, et quae in eo sunt praviora, ea corrigi possunt; praeterea, ut se carne vescenda abstineret, promisit. Vobis autem commodo erit, si tali regi obsequium praestaveritis, sin vero renuitis ob damnum vestrum me excusatum habete. Ut vero in fabula fur prudens scorti verbis commotus pravam agendi rationem mutavit, sic tu verba mea haud negligens respice finem. Canis enim naturam exuit neque res gestae inter Mahmudum ben-Sebectecin ministrumque eius Hasanum Almeimendi huius rei veritatem evertere valent. Quod si igitur placet vobis, mecum mittite legatum, in quo fiducia habenda, ut rem oculis perlustret. Quo consilio ab omnibus probato dorcas eligitur et cum palumbe mittitur. Rex a palumbe de re certior factus, ut cum avium agmine dorcadem advenientem, benigno vultu exciperet, ministro suo imperavit. Rogavit vero regem hircus, ut si legatus verba faceret, sibi respondere liceret, fore enim, ut, si pulchre respondisset, regi honori esset, sin male, ut a vituperio rex liberaretur. Dorcas a rege benigne exceptus, legationis causam explicavit et pro feris fidem publicam postulavit. Qua data, dorcas, est vero, inquit, inter ferarum genera, quum diversas habeant naturas, odium et inimicitia continua, ut lex ad omnes pertinens necessaria videatur, qua in unam gentem coniungantur. Tum minister ad regis nutum respondit, non rectum hoc videtur, sicuti enim solis radii, quocum rex comparandus, ad omnes mundi partes perveniunt, ita regis imperium ad omnes redundat. Ita fiet; ut, simulac cognitum fuerit, feras omnes ad huius regis tutelam pertinere, non sint, qui invicem inimicitias gerere audeant. Quamvis vera sint, quae dixisti, inquit dorcas, leges tamen sunt dandae; quae pauperes atque infirmos tueantur; quemadmodum fuit illa Anuschirewani erga asinum agendi ratio. Peto vero a rege, ut, si quis oppressus ad eum se contulerit, ipse rem eius agat, neque ullius personae hac in re rationem habeat. Nec non in creandis praefectis id potissimum est regi spectandum, ut subditorum salus ipsis sit cordi, quae enim res homini non est cordi, ea male agitur. Denique diversae cuiuslibet rei naturae in agendo summa sit ratio, quod enim uni confert, id alteri non aptum

tiae et temperantiae operam dare, quemadmodum agricola in fabula fecisset. Se vero sorte sua contentum esse. Quae verba quamquam hirco multum placuere, haec tamen contra protulit. Quod si Deus te in locum altiorem adtollere decrevit, nemo erit, qui principatu te deiiciat. Iam tandem canis, idcirco, inquit, tibi oblocutus sum, ut mentem tuam explorarem, nunc vero tuae curae rem perficiendam lubenter committo. Quare summopere laetatus hircus, omnibus viribus iam id agam, inquit, ut regno potiaris. Tu vero, animo firmo in rebus, audacia, constantia utere. Cavendum est, ne odio, mendaciis, arrogantiae aliisque rebus noxiis studeas, ne in consessu publico multa verba facias, id quod dignitatem minuit. Omnes vero a te removeas, qui aliis nocere cupiunt nec obtrectatoribus aures des. Ne temere et inconsulte exerceas iustitiam, verbis obscoenis abstineas, quibus rebus in aliorum odium venires. Nunquam vero qui fuit inimicus, verus erit amicus, quemadmodum ex fabula felis et gliris cognoscitur. Canis tum, postquam se id facturum promiserat, et mihi sunt, inquit, quaedam conditiones ferendae. In omnibus quae agis, tibi semper cordi esse oportet et regni et regis salus, ita ut regis salus tui ipsius saluti praehabenda videatur, in omnibus Dei voluntas ante oculos tibi esse debet, cuius enim potest esse rei prosper eventus nisi causa agendi in te fuerit bona. Est hac de re pii cuiusdam peregrinatoris fabula scripta. Qui autem res ad se non pertinentes tractat, is, prout ille Bagdadi vivens sericarius textor, in noxam incidit. Quibus verbis finitis, iam restat, inquit hircus, ut regnum occupes. Omnes vero sermones sub arbore, in qua palumbis nidus, collati erant. Qua de re quum multum denique cogitasset palumbes audiens, si auxilium utrique ferret, commodo sibi futurum putavit et auxilium igitur promisit. Illi vero boni eventus omen in hoc videntes sententiam eum rogarunt. Tum ille, se ad aves regis legatum profecturum easque, ut regis imperio obedirent, invitaturum. Consilio approbato palumbes aves eo adduxit, ut obsequii declarandi causa ad regem iter ingrederentur. Cuius rei quum palumbes regi festinato nuntium pertulisset, hircus regis minister advenientibus obviam ivit eosque honorifice excepit. Tum ad feras palumbes mittitur legatus, quas, quum iam audivissent, quae negotia agerentur, consilia inituras invenit et propter summam cani fidem innatam ad obsequium præstandum propemodum paratas. Quod quum intellexisset leporum dux, eas expli-

sermonis, gratiae agendae sunt regi, inquit, in hoc enim, sicut res inter Anuschiiewanum regemque rebellem gestae ostendunt, est omnis salutis nostrae causa. Ut vero nonnisi in regis benevolentia omnis hominum salus est posita, sic rex nonnisi per homines potestatem imperandi habet. Unus altero eget, quemadmodum avium fabula docet.

CAPUT SEXTUM.

De fatis admiratione dignis hirci et canis.

Hircus a pastore in oppidum ductus a lanio emitur et mactatum abducitur. Qui vero quum mortem imminere videret, ruptis vinculis aufugit et per noctem in spelunca quadam latuit. Postero mane hircus, socii quaerendi causa exiens, cani occurrit, quocum amicitiam iniit. Sermonem tum cum cane conferens inter alia haec protulit. Spe teneor, te aliquando ferarum regem futurum. Hoc fieri posse negat canis, se enim cum illis diverso genere natum ipsis inimicum esse, neque se parentum mores, id quod vituperio dignum, cum aliis commutaturum. Tum hircus, multum, inquit, abest ut ad tui aut ludibrium aut adulationem hoc dixerim, ut prorsus ita sentiam, ut dixi. Quum enim frontem tuam fortunae indicia orae se ferre videam, sperare licet, fore, ut si conditionibus quibusdam ferendis satisfeceris, res ad felicem exitum perducatur. Cane id promittente, exuenda igitur est, inquit hircus, ferarum natura, cupiditates frenandae, moderatio et continentia in omnibus adhibenda. Quod si ferae in te cognoverint, tuo imperio omnes lubenter se submittent. Ad quae ita locutus est canis. Tamdiu animus hominis tranquillus est, quamdiu rei cuiusdam consequendae spe non irritatur, quapropter etiam atque etiam te rogatum volo, ut priusquam rem aggrediaris, de rei eventu cogites, ne animus noster rei non consequendae spe perturbetur. Tum hircus, res quidem, inquit, se ita habet, et omnia, quae eventura sunt, quum Dei decretis nitantur, fit, ut quem ex Dei consilio fortuna adiuvat, ei omnia prospere succedant. Cuius rei exemplum in Ihmad Aldaulae historia legitur. Non potest quidem canis rei veritatem negare, at vero, dicit, quum cupiditatum imperio homines in servitutem redigantur, stultum esse, si quis in mundi opibus spem posuerit. Praestare igitur continen-

me accuset, iam agam quum summo studio tum omni prudentia causam tuam. Postero mane quum ad leonem intrasset, vidit ursum verba, vulpi quae nocerent, excogitantem. Itaque ut ursi consilium irritum faceret, loqui incepit tum vulpis mentionem faciens, tum leonem laude celebrans. At ursus, quod, quantam in regis animum vim haberent hyaenae verba, intellexit, totum se irae tradens, moderationis viam in verbis reliquit. Qui regis inimico, inquit, auxilium praestat, is regis inimicus habendus, id quod tibi haud ignotum esse potest. Quae verba aegre ferens leo tanta exarsit ira, ut vix se contineret, quin in illum irrueret, tum ursum increpavit et ad laudem, quae hyaenæ tribuenda esset, comprobandam, regis cuiusdam agendi rationem narravit. Ursus autem, quem spe nocendi sibi ademta, facti sui poeniteret, pacem cum utroque socio facere optavit. Quod quum, nisi vitia sua illis nudasset, factu difficilimum intelligeret, magna cum tristitia affecit. Quum in hoc statu res esset, ecce advenit dorcas, quae apud ipsum amici locum occupabat. Quae quum ursi tristitiam vidisset, quid est, inquit, quod te sollicitet angatque. Ille rem narrat. Dorcas dixit, cum hunc apud regem rei eventum praevidere potuisse, prudentisque esse, rei eventus in agendo rationem semper habere, quemadmodum mercatoris in oppido Balch historia doceret. Nunc sibi videri pacem inter omnes esse quam celerrime conciliandam et in pace fidem servandam, quo enim essemus erga alios animo affecti, eodem erga nos alios futuros; plurimorum autem hominum quum talis esset amicitia, ut amicis mala pro donis rependerentur, quales se gessuros ipsum putare, quibus malum intulisset. Ursus postquam iureiurando fidem suam confirmaverat, dorcadi agendam tradidit rem. Illa ad hyaenam statim profecta, quum curis pressam invenisset, quaenam res esset interrogavit et de causa certior facta respondit, ursum se male egisse intelligere et poenitentia ductum iam nil amplius cupere, quam auxilio ferendo rem reparare. Utrique igitur ad Abu-Nausalum se conferunt ibique pacem inter ursum sociosque regis constituunt. Qua re finita ursus cum dorcade hyaena caeterisque ducibus vulpem a rege deprecantur. Rex autem eorum votis adnuens vulpem in gratiam recepit et, concione dimissa, intimis suis, quae esse eorum agendi ratio debeat, qui ministerio apud regem fungerentur, exposuit. Res vero socii Faghfuri probare, tacita apud regem relinquenda esse, quae argumentis haud facile patefierent. Dorcas denique in fine

ursum, ne nocendi occasionem e manibus emitteret, praesentem conspexit. Initio quidem hyaena, quid ageret, dubitans, quum intelligeret, futurum, ut ursus, si ipsa abiisset, contra vulpem verba proferret, rei mentionem fecit. Magni reges, inquit, peccatis hominum ignoscere solent, inprimis eorum, qui probo erga ipsos sunt animo, quapropter vulpes peccatum suum agnoscens, regis veniam sperat. Regi nil respondenti multum ista verba placuere. At ursus, verborum vim ut diminueret, cuiuslibet ministri est, inquit, veritati semper studere neque in consiliis dandis alium quam regi gratum finem sequi. Qui furem adiuvat, fur est habendus, qui crimen praesertim contra regem commissum excusat, ipse peccat. Contra quae haec protulit hyaena. Quemlibet ob naturæ suæ conditionem culpæ obnoxium esse, labentemque sustentare, cuiuslibet probi officium sibi videri. Maximo autem honori cuilibet regi futurum esse, si gravius peccanti condonaverit, quo enim maiorem quis puniendi potestatem habeat, eo maius in ignoscendo meritum esse. Plura tum postquam criminum genera exposuerat, vulpis crimen levius esse habendum ostendit. Regem, quum ut puniendi ita condonandi potestatem haberet, si crimini ignoverit, maiorem habere gloriam. Rem se ita habere, ex Ebn-Solaimani historia patere. Ursus, sunt vero, inquit, quaedam regiae auctoritatis conservandae artes regi non negligendae, quarum una est, ut quibusdam non ignoscat, nec iis fiduciam habeat. His autem largius descriptis, eum se pravum habere addit, qui pravum honore afficiat. Quae ut refelleret, vulpem horum in numero habendum non esse, contendit hyaena, esse potius virum et fide dignissimum et multis animi dotibus ornatum. Talem non esse omnino reiiciendum propter unum, quod commiserit, peccatum et tanta quum pœna afflictus sit, nil nisi regis clementiam erigere animum eius posse. Quibus verbis urso ad silentium redacto, hyaena rei actae certiorem factura socium ad carcerem properat, hortaturque, ut bono animo sit, se enim in leone revertentis benevolentiae indicia vidisse. Atque vulpes gratias agens, timere se dixit, ne calamitatis finis longius abesset. Ut Cosroi, annulum quum perdidisset, fortunae adiuvantis momentum exspectandum fuisset, sic et ipsis faciendum, quum nulla res sine fortunae ope recte peragi posset. Res quidem est, inquit hyaena, quemadmodum dixisti, at vero quum vererer, ne regis iram contra te falsis nuntiis irritaret inimicus, non amplius cunctandum putavi. Ne vero quis negligentiae

philosophiam tum ad religionem quaestionibus, spectantibus, ad seram usque noctem continuantur sermones et postero demum die victus daemon abit.

CAPUT QUINTUM.

Res mirae inter leonem sociosque eius vulpem et hyaenam gestae.

In latebris silvosis vixit potentia et virtutibus praestans leo, cui erant duo socii, unus vulpes Abu-Naufal appellatus, alter Abu-Nachschal hyaena. Ursus ministri regis munere fungebatur. Qui quum vereretur, ne illorum cum leone intima amicitia ipsius auctoritas diminueretur, odio plenus eos aut perdendi aut saltem a rege removendi occasionem quaesivit. Accidit vero, ut nocte quadam, quum rex sermones cum sociis contulisset, vulpes, quod rex somno opprimeretur, risus ederet. Quare vulpes ab hyaena vituperatus, non se videre causam dixit, cur is qui virtutibus excelleret, aliorum vitia non derideret. Quod negans hyaena respondit, stultissimum esse, si quis et vitiis vacuum et aliis prudentiorem se haberet. Vulpes tum vitium suum agnoscens ex eo, quod inter amicos duos res cecіderit, solatium cepit. Nihilominus tamen, inquit hyaena, ista tua agendi ratio vituperatione digna videtur, quid enim est stultius, quam secretum proferre, ex quo evulgato damnum nobis oritur. Nonne eius imperio, cui proditum a nobis est, nos ipsi parere cogimur? Non autem est secretum appellandum, cuius duo sunt conscii, quale fuit furis secretum pulici proditum. At vero leo, qui utriusque sermonem audierat, summopere iratus, vulpem in carcerem abduci iussit. Quapropter magnae tristitiae se tradens ad vulpem in carcecerem proficiscitur hyaena ibique temeritatis atque imprudentiae accusat amicum, verba quum prolata captivum facerent auctorem. Nihilque vero ipsi ingratius accidere potuisse, quam amici calamitatem. Vulpes autem, ut rei culpam a se depelleret, calamitatis causam appellavit fatum. Sibi id accidisse, quod upupae avi in fabula, quae perpetua fortuna seducta nimis secura fuisset. Nunc autem id agendum, ut in integrum res restitueretur. Se vero, quum neminem nisi Achu-Nachschalum amicitiae vinculo sibi coniunctum haberet, ab ipso sperare auxilium. Hyaena se nullo loco ei defuturam promittit. At vulpes, festinandum est, inquit. Quare hyaena statim profecta, ad leonem introgressa est et ibi

rum fabula exemplum legeretur. Quartus denique principis minister sententiam rogatus, quo maior est, inquit, de re inter viros prudentes dissensio, eo difficilius verum cognoscitur, quippe res alia saepe videtur, alia est, sicut fabula nos docet viri habentis filium strabonem. Quum vero in omni re gerenda utile sit, exitum respicere, tum maxime in hac causa necessarium. Hominis autem animus a Deo pulcerrimis dotibus ornatus ad summum perfectionis gradum pervenire potest. Quid igitur vobis inter nostram illiusque viri sapientiam interesse videtur? Nonne eadem est nostra ac illius stulti rustici cum medici peritissimi comparata sapientia? Quapropter de doctrina certamen non videtur ineundum, astutia potius atque dolo est utendum. Quum vero rei perficiendae per nosmet ipsos simus impares, ut in fabula glis contra serpentem, fortiorum vel ipsorum inimicorum auxilium nobis comparare debemus. At vero quum iniuriae voluntatem habeamus, ne ipsi poena affligamur, admodum vereor. Fabula est hospitis et uxoris, quae docet omnino rationem esse habendam rei eventus. Vir autem ille sapiens quum sit insignis tum doctrinae copia tum morum probitate, malum rei exitum non possum non praevidere. Id quod caeteri ministri exemplo rerum inter Busurdjmirum et Cosroëm gestarum confirmant. Princeps autem de ministrorum sententia certior factus, quaenam potissimum ipsis remedia adhibenda viderentur, rogavit. Tum unus eorum, mulieribus utamur, inquit, maxima enim est earum astutia, quae patet res in rebus inter uxorem principis virumque doctissimum gestis. Quod si vero publicum cum eo certamen inire audemus, magno profecto nobis erit dedecori. Quibus de verbis summopere iratus, quid est, inquit daemonum princeps, quod hominum sapientiam in coelum tollatis, nostram minimi faciatis. Habeo in animo cum isto viro certamen inire, scio enim, fortem decere cum forti certare. Accedunt ministri timore perculsi ad principis consisilium. His in colloquio rebus gestis legatus ad virum mittitur, qui quae res sit exponat petatque ut daemonem statuto die atque loco certaminis causa conveniat. Petenti sapiens adnuit. Reversus autem legatus, quum, qualem vidisset, rogaretur, talem descripsit, ut magnum daemoni iniiceret timorem. Statuto die discipulis et sociis sapientis congregatis, sapiens et daemon inter se pacti sunt, si ad omnes sapiens quaestiones, quas daemon proponeret, respondisset, ut non amplius in hominum conspectum venirent daemones. Propositis igitur quum ad

inimico semper resistendum esset. Cavendum esse, ne quis nimis magnam spem foveat, omnes enim res a Deo creatas contingere. Is vero quum inter subditos pastoris locum occuparet, illorum salutem quam maxime regi cordi esse debere nihiloque faciendum mundi splendorem evanescentem.

CAPUT QUARTUM.

Quaestiones inter virum sapientem daemonemque pravissimum habitae.

Quaerit a fratre rex, num cognitas habeat res daemonis, qui Bagdadi forma haeretici indutus prodierit, tum felicis eventus spe frustratus in Syriam fugerit. Res quidem eius, respondet iuvenis, latius patere, quam ut paucis narrentur, non dissimile esse id, quod daemonum principi cum sapiente disputanti contigerit. Vixisse enim in Syria virum sapientem, qui ut doctrina sic morum probitate praeclarus multis auctor fuisset, ut a male agendi ratione recederent. Dæmonum autem principem, quod suam in homines summam potestatem diminutam videret, in daemonum conventu rem tractari statuisse. Perorata inter convocatos causa et singulis sententiam rogatis, primus dixit regis minister. Fortuna, inquit, omnium rerum dominatrix, quem adiuvat, is vinci non potest. Itaque quum mutabilis sit, tempus exspectandum est, quo virum illum sapientem reliquit. Tum alter, vera quamquam sunt, quae protulisti, tamen providendum est, ne negligentia et fortunae potestas et viri auctoritas augeatur. Tertius denique minister hanc protulit sententiam. Si palam contra eum pugnarent, fieri posse, ut ipsis damnum gravissimum oriretur, ipso enim sapiente occiso, futuros quam plurimos eius amicos, qui magistri caedem vindicarent. Itaque secretis potissimum armis pugnandum sibi videri, ut voluptatum illecebris irretirentur, fore enim ita, ut inter se dissentientes unus contra alterum arma ferret, nihil autem ad eos corrumpendos atque perdendos aptius futurum, quam si amore sui impleti mendaciis operam darent, cuius rei exemplum esse in mercatoris servique fabula. Quibus verbis auditis daemonum princeps cum sapiente publice disputandi consilium cepit sperans fore, ut si interrogationum laqueis irretitum eum teneret, asseclae contemtum relinquerent, cuiusmodi in hortulani et quatuor viro-

fuit Raschiki cum hospite amicitia. Omnium autem perniciosissima cognatorum est inimicitia, qui amicorum speciem prae se ferunt. Huiusmodi fuit inter filium regis Babylonis eiusque patruum nexus. Alii propter praemia, quae inhiant, amicos se praebent, quorum amicitia simul ac votis potiti sunt, desinit. Quale fuit in fabula illa inter hominem daemonemque amicitiae vinculum. Nec vero aliter in hominibus, qui cupiditatibus animi ducti amicitiam colunt, res se habet. Talis fuit vulpis cum anate amicitia. Rex tum, principis illius amicitiam veram esse multis confirmat, se eam in vitae casibus gravissimis sicut in fabula mercator ille expertum. Non multo post quum pater exspirasset, omnes natu maximi imperio paruere, quo factum, ut magna et diuturna felicitate uterentur.

CAPUT TERTIUM.

Res sapienter tractatae inter Turcarum regem eiusque generum.

Antiquissimis erat temporibus Turcarum quidam rex Chakan appellatus, qui ut virtutibus eluxit, sic meritis inter homines fuit praeclarus. Unam tantum habuit filiam, quam ne mortem ipse repentinam occumberet, timens, viro nuptam dare animo habuit. At illa, ne hac in re festinationem adhiberet, obsecravit, permagnam enim inter coniuges debere esse similitudinem. Atque de rei veritate persuasus rex misit, qui optatis animi dotibus ornatum iuvenem explorarent. Inveniunt iuvenem principem in secessu degentem, nonnisi vitae aeternae curis occupatum. Regis iussu hic non invitam puellam in matrimonium ducit. Accidit vero, ut quum rex aliquo die visendi causa filiam adiisset, haec de domus angustia cum patre quereretur. Obtulit statim rex alteram genero domum dono, quam ille se accepturum negavit, timere enim se, ne variis distraheretur curis animus. Viri autem esse temperantis, uni tantum rei adhaerere, cupiditatibus si quis se dederit, id esse perniciosissimum. Rex, ne his angi se pateretur curis, monuit, multas enim sibi esse domos, quibus omnibus, si vellet, tanquam suis, uteretur. Omnibus autem se praepositurum praefectos, ut ne minima earum cura ipsum attingeret. Contra quae haec protulit iuvenis. Domos esse opes vanas, animam ipsam variis impletam cupiditatibus esse homini inimicissimam, cui

principis iuvenis prudentiam laudat et rex beneficiis quam plurimis in um collatis, ut admonitionem ulterius prosequatur, rogat.

CAPUT SECUNDUM.

Regis cuiusdam celebris praecepta et monita filiis suis morte appropinquante tradita.

Tradidit Abu'l' Mahasenus Hasanus, vixisse regem quum potentia tum virtutibus atque meritis clarum, cui sex fuissent filii, quorum natu maximus pulcerrimis animi dotibus inter caeteros excelleret. Qui quum mortem appropinquantem sentiret, filios advocari iussit, eosque advenientes his fere verbis allocutus est. Tristissimo hoc, inquit, temporis momento, quo iam abeundum mihi a vobis est, hoc maximum mihi affert solatium, quod tales relinquam filios, quales vos esse scio. Praecepta igitur, quae vobis nunc tradere in animo est, non ita accepta velim, quasi vos putem ea ignorare, sed ita, ut persuasum habeatis, eorum utilitatem in recordatione maxime positam esse. Gratias persolvere sitis semper parati, aequum in rebus adversis conservetis animum, evitetis tam nimiam pecuniae erogationem quam avaritiam, clementiae non minus erga inimicos, quam amicos studeatis, indulgeatis bonorum consuetudini, fugiatis pravos, qua in re ante oculos vobis sit fabula agricolae et serpentis. Tam in cogitando quam agendo longe remoti sitis a malo interque vos sit summa concordia. Ne fiduciam habeatis hominibus vobis ignotis et nondum probatis et in agendo illius iuvenis mercatoris aeternam vitam semper spectantis exemplum imitemini. Filius tum natu maximus gratias patri agens, quum magna sit fratrum propter iuventutem rerum imperitia, fieri posse dicit, ut ab improbis seducti illi a recta via recedant, mutata erga ipsum amicitia in odium. Qua re necesse sibi videri, ut, dum in vivis esset, pater huius mali remedium indicaret. Petenti autem auxilium non denegare officium esse homini, ex muris fabula cognosci posse. Rex filii verba probans, multos se filiis relinquere, respondet, adiutores, quos inter Chorasanae principi vero tanquam amico maxima fiducia habenda sit. Filius his verbis inductus variam hominum amicitiam describit. Sunt, qui commodi causa quod appetunt, ostendant se amicos; re vera autem non sunt. Talis

iustitia et misericordia erga subditos, nullaque res ad hominum conditionem aut in melius aut in deterius mutandam maiorem vim habet, quam regis animus et voluntas. Fugienda est levitas animi atque inconstantia, fugienda illa inutilis pecuniae erogatio. Sit regi et summa humanitas et magna communitas, ut nemo tam humilis sit, cui non ad eum aditus pateat. In mandatis cernatur summa constantia, ne idem nunc iussum nunc interdictum videatur. Ut in praemiis sic in poenis rectus teneatur modus. Monitis semper praebeat aures apertas et animum haud repugnantem. Civitate autem seditionibus perturbata nil amplius peto, quam in secessu tranquillam agere vitam semper paratus ad omne regis obsequium. Non quidem sum nescius stultissimum esse, regibus praesentibus aliis uti verbis, quam quae rogatus responderis; at vero, quo erga regem affectus sum animo, nil enim aliud nisi eius salus cordi mihi est, plura ipso permittente dixi. Se quidem approbare, quae dixerit, respondet rex; sed si res ex sententia ministri sui, viri summa prudentia agatur, fore sibi gratissimum. Se igitur rogatum velle fratrem, ut cum isto rem diligenter retractet. Tum regis minister laude, ut colloquii initio fieri solet, praemissa, rectum dicit, sequi regem regendi modum, quid enim aliud, quum sint corruptissimi homines, ad eos coercendos adhibendum nisi in puniendo severitas; stultum esse, si quis peccanti ignoscat. Non esse profecto qui ad regis tanquam a Deo creati et in eius locum constituti voluntatem ultro se temperarent. In eo esse causam, cur Deus summam in homines potestatem regi tradiderit. Quam ministri sententiam ita refellere studet princeps iuvenis, ut regem cum sole comparans, e quo lux omnis in mundum emanet, regis splendore evanescente, totum regnum obscurari dicat. Quod si igitur rex erga subditos clementia, in qua omnium salus posita, utatur, bene et ipsi et hominibus esse, sin vero loco benevolentiae atque clementiae in agendo adhibeat inhumanam severitatem et crudelitatem, non posse non alienari hominum animos. In summa autem severitate vix aliter accidere posse, quam ut interdum in innocentem poena redundet, quod perniciosissimum. Exposita tum pluribus regis boni agendi ratione, inprimis hortatur, ut maiores suos imitetur inducitque rei illustrandae causa lupi fabulam et haedi. Qui vero huic contraria via incedat, eum non cogitasse videri de rerum exitu, qui infelix futurus sit ut in fabula asini et hylacis. Quorum verborum veritate persuasus minister

ipsum Muhammedem seriore tempore viventibus magistrum et ducem fuisse. Eandem autem in scribendo rationem secutus sperat auctor, hoc sibi in altero mundo laudi futurum; rerum narratarum auctorem appellavit Abu'l'Mahasenum Hasanum.

Totum opus in decem capita divisum est, quorum primum inscriptum »De Arabum rege, qui totius libri et causa et auctor fuit« hoc habet argumentum. Pristinis temporibus regi cuidam sapienti quinque erant filii, quorum quatuor provinciarum erant præfecti constituti, natu minor apud patrem degens ut ingenii acumine sic morum probitate excellebat. Nomen gerebat Hasib. Mortuo patre maximus natu imperio potitus, postquam maiore regni splendore caeterorum trium, ut inter fratres fieri solet, invidiam moverat, quominus inimicitiarum odiique ignes exarderent, impedire non potuit. Cuius rei quum natu minor exitum tristissimum praevideret, neque tamen aut ob iuventutem spretus partes suas agere posset aut repugnante animo totum se uni ex fratribus adiungere vellet, in locum ab hominum conspectu remotum recedendi consilium cepit. Quam rem approbantibus amicis regem, ut sibi libri componendi veniam daret, rogavit. Rex statim neque concedens nec abnuens ministrum quendam sibi addictum meritis clarum et prudentia insignem consuluit. Qui quum inimicitiam clandestinam contra principem iuvenem foveret, a rege petiit, ut sibi in concione cum principe rem agere liceret, sperabat enim subdolus, fore ut iuvenis imperitiam palam ante oculos omnium irretiret. Hoc consilio a rege probato regni proceres atque sapientes convocantur. Ac primum quidem rex iuveni loquendi veniam concedit. Ille vero gratiis regi solutis, requiritur inquit, ante omnia adtentus animus ad dicta hortantis, tum recte agendi voluntas, denique recte agendi ratio. Omnium autem recte factorum fons est, ut in agendo nullius nisi vitae aeternae atque Dei optimi maximi ratio habeatur. Qua in re eo maior cura ponatur necesse est, quo minus animus amore quodam peccatorum declinatus sapientiae praeceptis locum dare avet. O quam beatus habendus est, qui verae sapientiae memor omnium rerum eventum diligenter considerat, et mentem omnium, quorum Deus participes nos fecit, pulcerrimum et optimum esse intelligit! Inter homines post legatos a Deo ad homines missos regibus primus locus concedendus, inter reges autem qui legi divinae atque humanae obediens est, primum locum tenet. Nil autem est, quod regem magis deceat, quam

tempus futurum reposuerim, spe autem teneor, fore ut, cui nunc est mora interposita, ei mox perficiendo Deus optimus maximus vires necessarias benevolenter concedat. Neque vero hoc ita acceptum velim, quasi neglectum iaceat lexicon Arabicum, imo vero tantum abest, ut immensi huius operis curas abiecerim, ut omni potius mente in eo absolvendo dies noctesque verser. De Hamasae interpretatione non est, cur litterarum fautores eius moram aliquam magnopere doleant; ea enim ratio est studiorum, quae Hamasam aliquamdiu interceperunt, ut ad eam ipsam tractandam aptiorem me reddant. Quae autem est huius operis gravitas, ea et latius patet, quam ut paucis absolvatur et magis aperta est, quam ut ampliore descriptione egeat, sole ista clarius lucet et facilius animo intelligitur, quam verbis describitur. Nullus enim liber, neque si utilitatem in legendo persequaris uberiorem, nec si voluptatem petas, maiorem hoc tibi parabit. Gravissimae res tanta arte, tanta varietate in eo tractantur, ut bonarum artium studiosus maximam utilitatem cum summa voluptate inde haurire possit; rebus autem severioribus narratiunculae ioco plenae immixtae, quibus legendis animus recreatur. Argumentum uberrimum summa diligentia atque arte excultum, singulae eius partes sicut serta diversis floribus pulcre ornatae. At vero tanta in arte adhibita in singulis nativus quidam lepos et facilitas cernitur. Sed quum neque ex totius libri, qui ut Arabum mos fert, poeticus est, nec ex titulis, quibus singula eius capita inscripta sunt, argumentum recte cognoscatur, paulo accuratius indicandum erit. Quae si longior videatur rei expositio, cum magnitudine operis comparetur, ita fortassis brevior videbitur. Titulo vero totius libri, qui ad verbum de Arabicis expressus sic sonat »Fructus imperatorum et iocatio ingeniosorum« hic fere sensus inesse videtur: ab ipsis imperatoribus ex libro fructum capi posse, qui eruditorum et ingeniosorum disputationes ioco plenas contineat. Praemisit autem auctor praefationem, qua post laudem Dei et legati Muhammedis enunciatam et causam et rationem, quam in scribendo secutus sit, breviter exponit. Quum igitur Deus optimus maximus in rebus omnibus et creandis et conservandis summae sapientiae et benevolentiae argumenta, quibus homines ad bene recteque agendum incitarentur, praebuerit, neque tamen omnes homines ea indicia intelligerent aut in suum usum verterent, ut res esset facilior intellectu, fabulis atque parabolis usos esse sapientes, docet auctor, eaque in re

Litterarum Arabicarum studiosis fautoribus patronis

S. P. D.

G. W. FREYTAG

Quod si verum est, non prudenter agere eos, qui negotiis gravioribus nondum absolutis, novum susceperint, non deerunt sane, qui et me vituperent, quod nec Hamasae versione edita, nec lexici Arabici editione completa hoc mihi opus edendum sumserim. Qua vituperatione quamquam plures me dignum iudicabunt, non defuturos tamen spero, qui eadem in re si non laudandi at saltem excusandi causam videant. Quod enim Arabum philosophi tradiderunt, hominum rationes ita temporibus esse subiectas, ut non minus laude dignus sit, qui opus susceptum paulum distulerit, quam qui tempore incommodo absolverit, id in meam causam cadere, ii non negabunt, qui quantis difficultatibus et molestiis implicatae sint litterae Orientales, non ignorant. Quippe molestum enim non solum est, curare editiones, sed maxima in edendis textibus Arabicis difficultas inde oritur, quod et maiores sumtus requirant, nec multos emtores inveniant. Quamobrem, nisi virum illustrissimum Stein ab Altenstein, cuius sapientissimae curae Germania nostra laetissimum litterarum florem debet, Orientalium etiam litterarum cultores adiutorem habuissent, eae litterae apud nos adhuc spretae prorsus iacerent. Suis igitur laudibus virum illustrissimum et nostra aetas ornat et sera posteritas celebrabit. Quod ad me attinet, certum quidem est, me sine huius viri summa in me benevolentia neque hoc opus vobis tradere, neque quae iam ediderim ad finem perducere potuisse. Ita factum, ut non nimium fortunae, quae fallax sit, fidem habens, nunc difficiliores res tractandas sumserim, caeteras easque faciliores in

Digitized by Google

VIRO ILLUSTRISSIMO

LIBERO BARONI

STEIN AB ALTENSTEIN

IN BORUSSIA RERUM SCHOLASTICARUM OMNIUM PRAESIDI

ETC. ETC.

LITTERARUM ORIENTALIUM

PATRONO ET MAECENATI

PRO TOT TANTISQUE IN SE ET LITTERAS ORIENTALES BENEFICIIS COLLATIS

GRATUM ANIMUM TESTIFICATURUS

HUNCCE LIBRUM

ANIMO DEVOTISSIMO

D. D. D.

EDITOR.

Digitized by Google

LIBER ARABICUS

فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء

SEU

FRUCTUS IMPERATORUM ET IOCATIO INGENIOSORUM

AUCTORE

Ahmad, Ebn-Arabschah

Ahmede filio Mohammedis

COGNOMINATO

Ebn-Arabschah

QUEM

PRIMUM E CODICIBUS EDIDIT ET ADNOTATIONIBUS CRITICIS INSTRUXIT

Wilhelm

Georg. Guil. Freytag Dr.

PROFESSOR LINGUARUM ORIENTALIUM IN UNIVERSITATE FRIDERICIA GUILIELMIA.

PARS PRIOR

CONTINENS

PRAEFATIONEM, ADNOTATIONES ET TEXTUM ARABICUM.

BONNAE,

TYPIS REGIIS ARABICIS IN OFFICINA F. BAADENI.

VENDITUR LIPSIAE APUD C. CNOBLOCH

MDCCCXXXII.

Digitized by Google

157.3

Digitized by Google

292.90639

St. 7.21

Digitized by Google

ANDOVER-HARVARD LIBRARY
AH 56XP A

Digitized by Google